

تَكَالِيفُ الْمُؤْمِنِ

فِي

عَصْرِ الْغَيْبَةِ

الجزء الثاني

الشيخ محمد أشكناني

الطبعة الأولى

١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٤ م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

السلام عليكم جميعاً

أرجو ممن يقرأ هذا الكتاب أن يرسل رأيه عن الكتاب إلى

الإيميل

mohashk14@hotmail.com

أو الواتساب

00965-99644250

فأراؤكم تهمنا وترشدنا إلى الأفضل

وستنشر الآراء مع أسماء أصحابها في الطبعة التالية من

الكتاب، وأكون لكم من الشاكرين

الشيخ محمد أشكناني

موقع ديوانية الشيخ محمد أشكناني

www.ashkanani.com

YouTube

Ashkanani Channel

Instagram

@ashkanani

البريد الإلكتروني للمؤلف

mohashk14@hotmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الطَّاهِرِينَ
اللَّهُمَّ كُنْ لِوَلِيِّكَ الْحُجَّةِ ابْنِ الْحَسَنِ صَلَواتِكَ
عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ
وَلِيًّا وَحَافِظًا وَقَائِدًا وَنَاصِرًا وَدَلِيلًا وَعَيْنًا حَتَّى
تُسْكِنَهُ أَرْضَكَ طَوْعًا وَتُمَتِّعَهُ فِيهَا طَوِيلًا
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الطَّاهِرِينَ

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٢٦)

التّمحيص الإلهي والعمل الاجتماعي^(١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين .

كان الكلام في تكاليف المؤمن في عصر الغيبة الكبرى، وتحدّثنا عن صعود درجة الإخلاص عند من يريد أن يكون من أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام، والإنسان يمكنه أن يصعد درجة إخلاصه بطرق موجودة في ذاته، وطرق خارجة عن ذاته، أي هناك طرق ذاتيّة وطرق غير ذاتيّة .

إنّ الظلم والانحراف والتّمحيص والابتلاء من الخارج يساهم في تصعيد درجة إخلاص المؤمن، فالمؤمن حينما يقع عليه الظلم ويتدكّر الله تعالى ويشعر بأنّه مظلوم ويرتبط بالله عزّ وجلّ ويطبّق التّكليف الإلهيّ فالارتباط بالله يصعد من درجة إخلاصه، والمؤمن الذي يُبتلى

(١) أُلقيت هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في دولة الكويت منطقة بيان، الجمعة ٥ جمادى الآخرة ١٤٣٣ هـ ، ٢٧/٤/٢٠١٢ م .

بابتلاءات مختلفة حينما يرى الانحراف العالمي فهو يقع في التّمحيص ضمن هذا الانحراف، وكلّ شخص معرّض للتّمحيص الإلهي، ولا بدّ من أن يختبره الله تعالى، وهذا التّمحيص الإلهي يُظهِر لهذا الشخص نفسه معدنه وحقيقته، والإنسان يمكنه أن يقول بلسانه : "أنا مؤمن"، ولكنّه حينما يقع في بلاء تظهر حقيقته، مثلاً إذا قيل له بأنّه مصاب بمرض خبيث فهذا الإنسان ستظهر حقيقته وواقعه لنفسه، وحينما يقول الشخص : "أنا مؤمن" - فهذا يعني أنّه في درجة إيمانٍ معيّنة، وقد يتوهّم أنّه في الدّرجة الثّمانين، ولكنّه حينما يتعرّض لبلاء تظهر درجة ارتباطه بالله تعالى، فهو كان يظنّ بأنّه في الدّرجة الثّمانين، ولكنّه يرى أنّه في الواقع هو في الدّرجة العاشرة، فمن يكون في الدّرجة الثّمانين له مواصفات عالية، وحينما يتعرّض لبلاء تنكشف حقيقته لنفسه، فيرى أنّ ارتباطه بالله تعالى كان ارتباطاً ضعيفاً، وكان يتوهّم أن ارتباطه قويّ، ولكن يتبيّن له أنّ ارتباطه بالله تعالى ضعيف، لذلك حينما يتعرّض الإنسان لبلاء تنكشف حقيقته لنفسه .

مثلاً شخص يدخل السّجن وهو مظلوم، كيف يتصرّف حينما يكون في السّجن ؟ هل يخرج عن طوره أو أنّ الارتباط الإلهي الذي كان موجوداً عنده سابقاً يدخل معه في السّجن فيكون مرتبطاً بالله تعالى ووضعه الإيماني لا يختلف خارج السّجن عن داخل السّجن بل على العكس يستفيد من البلاء وتصبح علاقته بالله عزّ وجلّ أقوى وأقوى ؟

والإنسان حينما يُبتلى بسجنٍ أو مرضٍ أو فقرٍ أو غيرها يمكنه أن يكتشف حقيقة نفسه، ودور الإنسان في البلاء أن يكتشف حقيقة نفسه؛ لكي يقوّي علاقته بالله إذا كانت ضعيفةً، والله يعطيه فرصة بعد فرصة، فيقول : يا عبدي اتّصل بي، واصعد في درجتك الإيمانيّة بواسطة البلاء والتّمحيص الذي أوقعتك فيه .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ" (١) .

والبلاء والتّمحيص واقع على كلّ إنسان على الأرض، فكلّ إنسان يوقعه الله تعالى في بلاءات وتمحيص؛ لكي يكتشف نفسه، فهو يظنّ أنّه من الأنصار، ولكنّه يكتشف أنّه لا يلتزم بالتّكليف الإلهيّ المطلوب منه حينما يتعرّض لبلاء، وعدم التزامه بالتّكليف الإلهيّ معناه أنّه لم يصل حدّ الآن إلى مرتبة الأنصار، ولا بدّ من أن يراجع نفسه بعد أن اكتشف حقيقة نفسه فيصلحها؛ لكي يصعد في الدّرجات، ويصل إلى الدّرجة التي تؤهّله لأن يصبح من الأنصار .

والتّمحيص الإلهيّ على نوعين : تمحيص اضطراريّ، وتمحيص اختياريّ .

أولاً : التّمحيص الاضطراريّ :

التّمحيص الاضطراريّ هو أن تكون هناك عوامل خارجيّة تقع عليه

(١) العنكبوت : ٢-٣ .

رغمًا عنه، وهو مضطرّ أن يعيش في هذا التّمحيص، وكلّ إنسان معرّض لبلاءات، وفي بلدنا النّاس معرّضون لبلاء المال والنّعمة، وفي بلد آخر يتعرّض النّاس لبلاء الفقر، والمال بأيدي النّاس عبارة عن بلاء، والإنسان يفرح بأنّه حصل على ألف دينار زائدة، ومعنى ذلك أنّه دخل في مسؤوليّة زائدة، والله تعالى يعطي المال للإنسان، والمال عبارة عن أمانة بيده، ويريد الله أن يختبره بالأموال ليرى ماذا يفعل بها، والمال الذي يستفيد منه الإنسان في الصّعود في درجات الإيمان يكون نعمةً عليه، ولكن إذا لم يستفد منه فالمال يكون نقمةً عليه، فالمال لا يكون نعمةً دائمًا، قد يكون نعمةً، وقد يكون نقمةً، فهو نعمة إذا تكامل بواسطتها، وهو نقمة إذا تسافل بواسطتها .

ويوم القيامة يقول : يا ربّي، لماذا رزقتني هذا المال ؟

فيقول الله تعالى : أنا رزقتك المال على أن يكون نعمةً، ولكن أنت لم تستفد منه وجعلته نقمةً .

"وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّبُضْلٍ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ" (١) .

"فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ" (٢) .

(١) الزّمر : ٨ .

(٢) السّورة السّابقة : ٤٩ .

والمفروض أنّ الإنسان لا يفرح كثيراً إذا دخل عليه مال زائد؛ لأنّ هناك مسؤوليّة إضافية عليه .

"مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لَّكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ" (١) .

وطبيعة الإنسان أنّه يفرح كثيراً بدخول الأموال عليه، وهو مستعدّ أن يخرج في مظاهرات لأجل المال، ولكنّه لا يلتفت إلى أنّ المال عبارة عن بلاء، وهو بلاء خارجيّ اضطراريّ ليس بيد الإنسان، وإنّما بيد الله عزّ وجلّ، والإنسان الذي لا يشعر بالظلم هو مبتلى، ولكنّه لا يشعر بالبلاء .

ولا يوجد مؤمن لا يقع عليه البلاء في عقيدته، وطوال التاريخ كان أتباع أهل البيت عليهم السّلام يعيشون البلاء العقائديّ، وحينما يُحَارَبُ المؤمن بسبب عقيدته فهو يعيش البلاء، ولكن كم من المؤمنين يشعرون بهذا البلاء!؟

قد يشعر ببلاء المال إذا حصل عنده نقص في المال، ولكن بعض المؤمنين حينما يُحَارَبُ بسبب عقيدته لا يشعر بالظلم، وهذا هو الظلم الأكبر للإنسان، والإنسان أوّلاً لا بدّ من أن يشعر بالظلم، ويستشعر أنّه إنسان مظلوم، هذا أوّلاً حتّى يستفيد من الظلم الواقع عليه، والإنسان الذي لا يشعر بالظلم لا يستفيد من كونه مظلوماً .

(١) الحديد : ٢٢-٢٣ .

والإنسان يعيش التّمحيص الاضطرابيّ رغماً عنه، ويمكنه أن يستفيد من هذا التّمحيص، والبعض لا يستفيد منه، والتّمحيص الاضطرابيّ يصعدّ درجة الإنسان الإيمانيّة حينما يستفيد منه .

ثانياً : التّمحيص الاختياريّ :

هناك تمحيص آخر، وهذا التّمحيص عبارة عن تمحيص اختياريّ، وهو أن يتحرّك الإنسان باختياره، ومن خلال تحرّكه الاختياريّ يتعرّض للتّمحيص، ويستفيد من التّمحيص في التّكامل، وهو يختار المصاعب بنفسه، والمؤمن الذي يتحرّك اجتماعياً يكون قد دخل في التّمحيص الاختياريّ، فهو يريد أن يتحرّك بين المؤمنين ويعلمهم ويربيهم ويسعى في قضاء حوائجهم، وهذا المؤمن اختار هذا الطّريق، ودخل في عالم التّمحيص الاختياريّ، وإذا كان الإنسان في بيته ولا يتحرّك اجتماعياً فإنّه يقع أيضاً في التّمحيص الإلهيّ، ولكنّه تمحيص اضطرابيّ خارج عن إرادته، ومن يدخل في التّحرّك الاجتماعيّ فإنّه يتعرّض لبلاءات أكثر، ويقع في التّمحيص باختياره، وهذا التّحرّك الاجتماعيّ قد يتسبّب في دخوله السّجن، وفي بعض البلدان حينما يتحرّك المؤمنون اجتماعياً فإنّهم يتعرّضون لدخول السّجن مع أنّهم لا يتدخلون في القضايا السياسيّة، ولا يتعرّضون للحاكم، نعم في بعض البلدان توجد حرّيّة في التّحرّك الاجتماعيّ والسياسيّ بدون أن يتعرّض المؤمن إلى المحاسبة ودخول السّجون، ولكنّه حينما يتحرّك فإنّه يقع في البلاءات باختياره، فهو باختياره تحرّك؛ لأجل أن يصعد في درجات الإيمان .

ومن يريد التّحرّك توجد عليه تكاليف، ولا بدّ من أن يعرف تكاليفه قبل الدّخول في ساحة العمل، فيعرف الأحكام الشّرعيّة المتعلّقة بالتّحرّك الاجتماعيّ قبل أن يتحرّك، وأثناء حركته يعرف كيف يحدّد تكاليفه؛ فهذا الفرد يتحرّك وذاك الفرد يتحرّك، ومن الممكن أن تدخل الأهواء النّفسيّة والمصالح الشّخصيّة، وفي المنطقة الواحدة قد توجد عدّة جماعات وتيّارات يعملون فيها، وهذه التّيّارات تعيش حالة التنّافس، مثلاً جماعة تشمل مائتي شخص، وجماعة أخرى تشمل عشرين شخصاً، وأتباع كلّ جماعة يفكّرون كيف يمكن أن نكسب عددًا أكبر من الأتباع .

نسأل السؤال التالي :

حينما تريد أن تكسب عددًا أكبر من الأتباع هل هو الله تعالى أو تريد أن تقوّي جماعتك وتيّارك ودعوتك ؟

والفرق في النّيّة بين الأمرين كبير جدًّا، والإنسان حينما يريد أن يعمل لا بدّ من أن يلتفت إلى نيّته أنّها خالصة لله تعالى، والشّيطان يدخل من هذا الباب، فيتوهّم الشّخص أنّه يعمل لله عزّ وجلّ، ولكنّه في الواقع يعمل لمصالح تيّاره وخطّه وجماعته، لذلك لا بدّ قبل أن يتحرّك من أن يعرف الأحكام الشّرعيّة المتعلّقة بالعمل الاجتماعيّ أو العمل السّيّاسيّ أو غيرهما من أنواع العمل العامّ؛ لكي لا يقع في المخالفات الشّرعيّة حينما يتحرّك، وهذه الأحكام الشّرعيّة لا بدّ من أن يعرفها بدقّة .

ووضعنا الحالي في بلدنا أن الذين يتحركون اجتماعيًا لا توجد عندهم الخلفية الشرعية المتعلقة بالتحرك، لذلك يقع بين الجماعات والتيارات التنافس والتضاد بسبب عدم معرفتهم بهذه الأحكام، ولا توجد في الرسالة العملية أحكام التحرك الاجتماعي بشكل تفصيلي، نعم قد تجد بعض المسائل في أبواب متفرقة من الرسالة العملية، ونلفت الانتباه إلى أن أحكام التحرك الاجتماعي لا يقصد بها أحكام الرسالة العملية فقط، بل تشمل الأحكام العقائدية والأحكام الأخلاقية والأحكام العملية، فحينما نقول أحكام الدين لا يقصد منها أحكام الفقه العملي فقط، بل توجد دائرة أوسع، فيقصد منها أحكام الفقه العقائدي المرتبطة بالله تعالى، وأحكام الفقه الأخلاقي المرتبطة بالعمل الباطني للإنسان، وأحكام الفقه العملي المرتبطة بالعمل الخارجي للإنسان، وهذه الملاحظة نكررها كثيرًا؛ لأجل أن تترسخ في أذهان المؤمنين، ويلتفتوا إلى أن الفقه له معنى عام شامل للأنواع الثلاثة، وحينما يريد المؤمن أن يتحرك لا بد من أن يكون عنده اطلاع على الأحكام العقائدية والأحكام الأخلاقية والأحكام العملية .

وقبل أن يتحرك ويخطو أول خطوة فأول سؤال يسأل نفسه : ما هي الأحكام الدينية المرتبطة بهذه الخطوة ؟
وإذا عرف هذه الأحكام فخطواته لا تكون خطوات عشوائية، ولا يقول : أعمل والله كريم، فالله تعالى يتقبل الأعمال .

نقول : قبل أن يخطو لا بدّ من أن يعرف الأحكام الدّينيّة المرتبطة بهذه الخطوة؛ لكي يتقبّل الله عمله، كما أنّ من يريد أن يصلّي لا بدّ من أن يعرف أحكام الصّلاة من الشّروط والمقدمات والأجزاء، ويعرف الشّروط الخارجيّة والشّروط الباطنيّة، ويطبّق هذه الأحكام؛ لكي تصحّ صلاته ويتقبّلها الله تعالى، فيجب أن يصلّي مع الطّهارة، ولا يقول : أصلي بدون طهارة والله كريم، وإن شاء الله صلاتي تكون مقبولة .

نقول : لا بدّ من أن تعرف الأحكام المرتبطة بكلّ عمل تؤدّيه، وصحّة الصّلاة مرتبطة بتوفير الشّروط والأجزاء الخارجيّة للصّلاة، وقبول الصّلاة مرتبط بتوفير الشّروط والأجزاء الباطنيّة للصّلاة، وكذلك في التّحرّك الاجتماعيّ أو السياسيّ أو غيرهما لا بدّ من أن تعرف شروطه وأجزائه؛ لكي يكون العمل صحيحًا ومقبولًا من الله تعالى، فكما أنّ الصّلاة لها أحكام من شروط وأجزاء معيّنة، والصّيام له أحكام من شروط وأجزاء معيّنة، كذلك العمل الاجتماعيّ أو السياسيّ له أحكام من شروط وأجزاء معيّنة، والعمل لا يكون بشكل عشوائيّ بدون ضوابط .

وقد يتحرّك المؤمن، ولكنّه بعد سنوات طويلة يكشف أنّ حركته لم تكن لله تعالى، فماذا يفعل في هذه الحالة، وخاصّةً إذا كان قد ضلّ بعض الأشخاص الذين تأثّروا بعمله ؟

هو لم يستفد في درجات الإيمان، وقد تحصل عنده حالة التّسافل،

بالإضافة إلى أنه من الممكن أنه قد ساهم في إضلال مجموعة من الشباب؛ لأنه لم يكن عنده اطلاع على أحكام العمل الاجتماعي، والأمر خطير جدًّا، فكما أنه توجد أحكام دينية مرتبطة بالعبادات، كذلك توجد أحكام دينية مرتبطة بالمعاملات، وأحكام دينية مرتبطة بالعمل الاجتماعي أو السياسي أو غيرها من الأعمال .

وقبل أن يدخل الشخص في التجارة لا بدّ من أن يعرف أحكامها، فقبل أن يكتب عقد إيجار مع شخص لا بدّ من أن تعرف أحكام الإجارة حتّى يكتب عقدًا صحيحًا شرعًا، والشخص الذي لا يوجد عنده اطلاع على الأحكام من الممكن أن يكتب عقدًا باطلاً، وفي عقد الزواج إذا لم يعرف أحكام النكاح من الممكن أن يُقدّم على الزواج، وبعد أن يحصل على أولاد يكتشف أنّ عقده كان باطلاً، والطلاق له أحكام، وإيقاع الطلاق يكون بشروط معينة، وإذا لم يعرف الشروط وطلق زوجته، وبعد سنوات طويلة وبعد أن تزوّجت رجلاً آخر وحصلت على أولاد اكتشف أنّ طلاقها كان باطلاً وأنها ما زالت على ذمّة الزوج الأوّل، مثلاً إذا لم يوجد شاهدان عادلان أثناء الطلاق فالطلاق باطل، وتظلّ زوجته ولا يقع الطلاق .

إذن :

في كلّ حركة يقوم بها الإنسان وكلّ عمل يأتي به لا بدّ من أن يكون عنده اطلاع على الأحكام الدينية المرتبطة بتلك الحركة وذلك العمل؛ حتى يأتي بالعمل بحيث يضمن أنه يكون صحيحًا ومقبولاً .

عن أمير المؤمنين عليه السلام : " . . . ، يا كميل، ما من حركةٍ إلا وأنت محتاج فيها إلى معرفة، . . . " (١) .

لا فقط أحكام العبادات من الصلاة والصيام والحج، ويتم التركيز دائماً على أحكام العبادات، والأسئلة التي يطرحها المؤمنون على العلماء تدور حول العبادات، ونادراً ما يسأل مؤمن عن القضايا العقائدية أو المسائل الأخلاقية ، ولا أحد يسأل عن أحكام العمل الاجتماعي .

لا بدّ من أن يكون السؤال : نحن مجموعة من الشباب نريد أن نتحرك اجتماعياً أو سياسياً، فما هي تكاليفنا الشرعية والأحكام المتعلقة بالعمل الاجتماعي أو العمل السياسي ؟

وتنشأ الجماعة ويتحركون وقيمون دوراتٍ صيفيةً ومحيمًا ربيعياً، أو أي عمل اجتماعي آخر، ولا يعرفون أحكام العمل الجماعي والعمل الاجتماعي، ويقولون بأننا نتوكل على الله تعالى ونبدأ العمل، ثم يسير العمل على البركة، ولكن هذا التحرك إلى أين يوصل المشاركين ؟

وهل يوجد ارتباط بالله تعالى أثناء العمل ؟
وإذا كان يوجد ارتباط بالله تعالى فهل يعرفون كيفية علاقتهم بالله تعالى من خلال العمل ؟

ويوجد لأي عملٍ جانبٌ خارجيٌّ ونتائجٌ خارجيةٌ مترتبةٌ على العمل، فهل التركيز يكون على النتائج الخارجية فقط ؟

(١) بحار الأنوار ج ٧٤ ص ٤١٢ ح ٣٨ .

مثلاً عندنا في الدّورة مائتا مشترك من الشّباب، وأنتجنا النّتائج الخارجيّة التّالية، ولكنّ الشّخص الّذي يشترك في أيّ عمل يكون السّؤال المهمّ الّذي لا بدّ من أن يطرحه على نفسه هو : أنا ماذا استفدت من هذا العمل ؟

نعم أنا ساهمت في تكامل الآخرين، وهم استفادوا، ولكن هل أنا حصلت على تكامل أو على تسافل في الوقت الّذي لم أكن ملتفتاً إلى الأحكام الدّينيّة المرتبطة بالعمل ؟

والمؤمن يريد أن يكون من أنصار الإمام عليه السّلام، والإمام عليه السّلام حينما ينظر إلى المجتمعات يرى أنّ هناك أشخاصاً يتحرّكون ويعملون، ويريد أن يختار من هؤلاء من يكون من الأنصار، وهذا الشّخص الّذي يتحرّك ولا يعرف أحكام العمل فالإمام عليه السّلام لا يختاره؛ لأنّ الإمام عليه السّلام يريد شخصاً مرتبطاً بالدّين وعنده اطلاع على الأحكام الدّينيّة وملتزماً بها حينما يعمل، لذلك لا يمكن أن تتصور أنّ الثلاثمائة وثلاثة عشر قائداً يتحرّكون ولم يطلّعوا على أحكام التّحرّك، فعندهم اطلاع على الأحكام قبل أن يختارهم الإمام عليه السّلام، فخلال وجودهم في عصر الغيبة الكبرى يريدون أن يكونوا من الأنصار بل من القادة فقطعاً عندهم معرفة بأحكام تحرّكهم، لا أحكام العبادات المخصوصة فقط، فكلّ حركة يقوم بها المؤمن يمكنه أن يجعلها عبادة، ففي جلوسك الآن أنت في عبادة، وإذا كنت مرتبطاً بالله تعالى وتأتي إلى هذا المكان قربةً إلى الله فأنت

عابد لله تعالى، وبهذه النية يتحرك المؤمن، ولا بد من أن يكون متوجّهاً إلى الله عزّ وجلّ، وإذا أراد أن يتوجّه إلى الله فلا بد من أن يعرف الله تعالى، وإذا لم يعرف الله فألى من يتقرّب؟!!

والإنسان يعيش أحياناً الأوهام في نيته، فهو يعتقد أنّه يتقرّب إلى الله بهذا العمل، ولكنّه في الواقع يتقرّب إلى الشيطان، والشيطان هو الذي يحركه، ولكنّه يتوهم أنّه يتقرّب إلى الله، لذلك في حركته لا بد من أن يكون متأكّداً أنّه يتحرك إلى الله تعالى .

مثلاً في الخلافات التي تقع بين المؤمنين إذا كان كلّ مؤمن نيته خالصة لله تعالى فالمفروض أنّهم لا يقعون في خلافات، فإذا كان الهدف واحداً وهو الله تعالى فالمفروض أن لا تقع صراعات بينهم، وإذا كان الهدف واحداً فالمفروض أن يوجد تعاون بين جميع الأطراف على تحقيق الهدف الواحد حتّى لو اختلفت الوسائل عندهم، ولكن حينما يقع الاختلاف بين المؤمنين فمعنى ذلك إمّا أنّ أحدهما لا يعمل لله وإمّا أنّ كليهما لا يعمل لله، وهم يظنون أنّهم يحسنون صنعا، فتدخل الأهواء النفسية أو المصالح الشخصية، لذلك يقع الصراع بينهما .

ولعلّ الله تعالى يوفّقنا لطرح سلسلة من المحاضرات عن موضوع "الخلافات بين المؤمنين : أسباب ونتائج وحلول" .

إذن :

المؤمن حينما يريد أن يدخل في التّمحيص الاختياريّ فإنّه يتحرك

باختياره في المجتمع ضمن نشاطات مختلفة، وفي هذه الحالة سيواجه كثيراً من المتاعب والمصاعب، وقد يتصادم مع الآخرين سواء كانوا من نفس المدرسة أم من مدارس أخرى أم من أديان أخرى، ويقع التنافس بينهم، وفي هذه الحالة لا بدّ من أن يعرف المؤمن تكاليفه الشرعيّة بالضبط؛ حتى يمكن أن يقرّر ما هو التّكليف الذي يريده الله عزّ وجلّ منه، وماذا يريد إمام زمانه عليه السّلام منه، ويريد من خلال هذا التّحرّك أن يصبح من أنصار الإمام عليه السّلام، وهذا هو الهدف من حركة كلّ مؤمن في عصر الغيبة الكبرى، فكلّ مؤمن يريد أن يكون من الأنصار بل من الثلاثمائة وثلاثة عشر قائداً، ولا بدّ من أن يكون نظر كلّ مؤمن إلى القمّة .

ولا بدّ من أن يفكّر في الوسائل التي تساهم في أن يصبح من الأنصار، وكلّ تحرّكه وما يقوم به من أعمال عبارة عن وسائل لا أهداف، فالأعمال الاجتماعيّة أو السياسيّة أو غيرها التي يقوم بها المؤمن عبارة عن وسائل؛ لكي يصل إلى مرتبة الأنصار، ولا بدّ من الانتباه إلى عدم انقلاب الوسائل إلى أهداف عند العاملين في السّاحة، وإذا انقلبت الوسائل إلى أهداف فالشّخص ينحرف في مسيرته، ويصبح عنده أهداف أخرى، كههدف السّيّطرة على السّاحة، ويريد أن تكون أكثر السّاحة لجماعته وتيّاره، وتكون أكثر المناطق لهم، ويقع الصّراع بين الجماعات والتّيّارات، وهدفهم السّيّطرة على السّاحة .

والمؤمن خلال مسيرته يجب أن يعرف تكاليفه؛ حتى لا يدخل في الصِّراع على الدُّنيا، والتَّنَافس بين المتنافسين يجب أن يكون في التَّقَرُّب إلى الله تعالى، والتَّقَرُّب إلى الله تعالى لا يكون إلا عن طريق طاعته بأداء التَّكاليف الَّتِي يريدُها اللهُ عزَّ وجلَّ، وكلَّ طرف يقوم بأعمال معيَّنة، وإذا كان كلَّ طرف يعمل لله تعالى فلا يقع التَّصادم بين العاملين، فكلَّ طرف يريد الحصول على رضا الله تعالى ودرجات الجنَّة بطاعة الله عزَّ وجلَّ، وهذا هو المطلوب من المؤمن، فجميع الأفراد يريدون الحصول على رضا الله تعالى، ويتنافسون على درجات الجنَّة، وهذا التَّنَافس مطلوب في عمل الخير، فهذا المؤمن يسعى في قضاء حوائج المؤمنين، وذاك المؤمن يسعى أكثر منه، والتَّنَافس في السَّعي في قضاء حوائج المؤمنين أمر مطلوب، ولكن حينما يكون الصِّراع على الدُّنيا فإنَّه يقع التَّصادم بين الأفراد والجماعات والتَّيارات، وإذا وقع الصِّراع على الدُّنيا فإنَّه صراع من أجل الشَّيطان، ولا يكون من أجل الله تعالى .

نعم التَّحرُّك مطلوب من جميع المؤمنين، ولا بدَّ من كلِّ مؤمن أن يساهم في الحركة والعمل الاجتماعيِّ، ولكن بشرط أن يعرف أحكام الدِّين المتعلِّقة بالحركة والعمل ويطبِّقها، وهذا مثل المؤمن الَّذِي يصل إلى سنِّ البلوغ ويريد أن يصلِّي، فيجب أن يتعلَّم أحكام الصَّلَاة ويطبِّقها، وبالتالي يصلِّي صلاةً صحيحةً ومقبولةً عند الله تعالى، والصَّلَاة الصَّحيحة مرتبطة بالرسالة العمليَّة والفقهِ العمليِّ، والصَّلَاة

المقبولة مرتبطة بالفقه العقائدي والفقه الأخلاقي وباطن الإنسان وقلبه، والمؤمن حريص على صحّة العمل وقبوله معاً، لا على صحّة العمل فقط .

ولعل الله تعالى يوفّقنا لطرح بعض المحاضرات عن موضوع "شروط قبول الأعمال"، وذكرنا شيئاً عن هذا الموضوع في بعض المحاضرات، ويمكن أن نأخذ البحث بشكل أوسع، ونذكر الشّروط التي يوفّرها المؤمن في عمله؛ حتّى يضمن أنّ عمله مقبول عند الله تعالى، ويكون متيقّناً بهذا القبول، وقبول العمل ليس أمراً عشوائياً، فيقول مثلاً : أنا أصلي والله تعالى كريم ويقبل صلاتي، ولكنّ الله تعالى لا يقبل العمل بدون ضوابط، فالله عزّ وجلّ جعل شروطاً معيّنة لقبول العمل، فإذا وفّر الشّروط فالعمل يكون مقبولاً عند الله تعالى، والله كريم ويتقبّل منك العمل إذا وفّرت الشّروط، فكما أنّه في الدّعاء توجد شروط معيّنة للاستجابة، فإذا وفّر المؤمن شروط استجابة الدّعاء فالله عزّ وجلّ يقبل هذا الدّعاء ويستجيب لمن دعاه، وأمّا إذا كان لا يعرف شروط الاستجابة ويرفع يده بالدّعاء فإنّ هذا الدّعاء لا يستجاب .

عن موسى بن جعفر عليهما السّلام قال : قال قوم للصادق عليه السّلام : ندعو فلا يستجاب لنا . قال : "لأنّكم تدعون من لا تعرفونه" ^(١) .

إذا لم يعرف الله تعالى فيألى من يتوجّه؟!

(١) بحار الأنوار ج ٩٠ ص ٣٦٨ ح ٤ .

وقبل الدّعاء لا بدّ من أن يعرف الله تعالى، فإذا عرف الله فإنّه يتوجّه إلى الله لا إلى شيء آخر، ويدعو الله تعالى، وجميع الأمور مرتبطة بالتّوحيد، والعقيدة المطلوبة من الإنسان هي التّوحيد، والعقائد الأخرى عقائد متفرّعة على التّوحيد، فالإنسان أوّلاً يجب أن يعرف الله عزّ وجلّ، ومعرفة الله تعالى لا تأتي بدون دراسة، فلا بدّ من أن يدرس المؤمن العقائد مع أستاذ متخصصّ في علم العقائد، لا أن يقرأ كتاباً في العقائد بنفسه، وبحوث العقائد معقّدة، وإذا لم يدرس مع عالم من العلماء فمن الممكن أنّه لا يتعرّف على الله تعالى .

والفضائيات والمواقع والقنوات ساهمت في نشر العلم كثيراً، ولكن نرى أنّ الحالة الفكرية التّفاقية للمؤمنين بشكل عامّ لم تتكامل بالشكل المطلوب، ولا نشعر بوجود التّكامل المطلوب في فكر المؤمنين كحالة عامّة، نعم بعض الأفراد استفادوا من الوسائل الحديثة، ولكنّ المفروض لأجل التّمهيد للظهور أنّ جميع المؤمنين يكون عندهم حالة تصاعد في فكرهم، ولم يتحقّق هذا الحدّ الآن بسبب عدم الاهتمام بطلب العلم، وهذه مشكلة وهي أنّ المؤمن يطلب المال ولا يطلب العلم، فكما أنّ من المهمّ أن يطلب الإنسان معاشه، كذلك المطلوب منه أن يكون حريصاً على طلب العلم، وطلب العلم ليس من أجل جمع المعلومات في الدّهن، وإتّما كلّما اكتسب العلم أكثر ارتبط بالله تعالى أكثر، وتكامل أكثر، والعلم مطلوب لكلّ إنسان، ويحتاجه في أموره الدّنيويّة والدّينيّة، والعلم ليس ترفاً، وقد يصبح العلم الدّينيّ ترفاً

عند بعض الأشخاص حينما يكون الهدف هو جمع أكبر قدر من المعلومات الدنيوية في الذهن دون الاستفادة منها في حياته، والهدف من جمع المعلومات هو أن تتحوّل إلى عمل، والإنسان يستفيد من المعلومات؛ لأجل أن يعمل أكثر ويتكامل أكثر، لذلك صاحب المعلومات الأكثر لا بدّ من أن يكون عنده عمل أكثر، لا أن يكون عنده معلومات أكثر، ولكن عمله يكون أقلّ من غيره، والمعلومات حجة على الإنسان .

المؤمن يحتاج إلى المعلومات في حركته الفرديّة وحركته الاجتماعيّة والسياسيّة، وفي الحركة الفرديّة من العبادات والمعاملات يحتاج إلى معرفة أحكام الدّين الثلاثة : أحكام العقائد وأحكام الأخلاق وأحكام العمل الخارجيّ، ومن يُقدّم على الصّلاة يقول في النيّة في بداية الصّلاة : أصليّ قريباً إلى الله تعالى، فيحتاج إلى العقائد المرتبطة بالصّلاة، ويريد أن يتيقّن من قبول عمله .

عن النّبّي صلّى الله عليه وآله : "إنّ من الصّلاة لما يُقبَلُ نصفُها وثلثُها وربّعها وخمسُها إلى العُشر، وإنّ منها لما يُلفُّ كما يُلفُّ الثوبُ الحلقُ فيضرب بها وجه صاحبها، وإنّما لك من صلاتك ما أقبلت عليه بقلبك" (١) .

تكون الصّلاة مقبولةً بقدر يقبل بقلبه عليها، فيوجد إقبال للقلب، فلا بدّ من أن يعرف قلبه وباطنه، والعمل الخارجيّ له ارتباط بالفقه

(١) بحار الأنوار ج ٨١ ص ٢٦٠ ح ٥٩ . الثوب الحلق : الثوب البالي .

العمليّ، وكلّ عمل مرتبط بالأحكام الثلاثة، ولكن تركيز المؤمنين الآن على الفقه العمليّ فقط، ولا بدّ من أن تكون عندنا ثلاثة كتب : الرّسالة الاعتقاديّة والرّسالة الأخلاقيّة والرّسالة العمليّة، وإذا وضعت هذه الكتب للتّوزيع فأغلب المؤمنين يأخذون الرّسالة العمليّة، ولا يهتمّون بدراسة العقائد والأخلاق، وقليل منهم يأخذون الكتب الثلاثة، وهذه العلوم الثلاثة تكمل بعضها البعض، وإذا تعلّم المؤمن الرّسالة العمليّة فقط فإنّ حركته تكون ناقصةً، ولا بدّ من أن يتعلّم العلوم الثلاثة، ويتعلّم أيضًا كيفيّة ارتباط العلوم الثلاثة ببعضها البعض، ويحتاج إلى الجانب الفكريّ في ربط العلوم الثلاثة ببعضها، والعلوم الثلاثة لها ارتباط بأيّ عمل يقوم به المؤمن، ولا يمكن للمؤمن أن يعرف الفكر الدّينيّ والفكر الإيمانيّ بدون الرّجوع إلى العلماء، وطلبة الحوزة بشكل عامّ يشكون من ضعف الجانب الفكريّ مع أنّهم يدرسون مجموعةً من العلوم كالتّحويّ والمنطق والفلسفة والعقائد والأخلاق والرّسالة العمليّة وغيرها، ولكنّ النّاحية الفكريّة تحتاج إلى عمل آخر، وبعض طلبة الحوزة لا توجد عندهم القدرة على تحضير مواضيع فكريّة؛ لأنّه لم يتعامل مع القضايا الفكريّة، مثلاً من لم يقرأ للشّهيدين السيّد محمّد باقر الصّدر والشّيخ مرتضى المطهريّ رضوان الله عليهما وغيرهما من العلماء الذين كتبوا في الفكر الدّينيّ - يكون ضعيفاً من ناحية فكريّة، فيدخلون إلى القضايا الفكريّة الدّينيّة بضعف، وضعف الفكر الدّينيّ عند المؤمن يؤثّر على استفادته من

الصَّلَاة، والجانب الفكريّ يساهم في معرفة كيفية قبول الصَّلَاة من الله تعالى، والجانب الفكريّ التقايّ مهمّ جدًّا للمؤمن، فيعمل بالرسالة العمليّة ويعرف كيف يستفيد من الأعمال بواسطة العقائد والأخلاق، لا تجميع معلومات فقط، والفكر الدّينيّ يحتاجه كلّ مؤمن، وما استفدناه من العلماء والكتب ننقله إليكم في هذه الدّيونية التي أسأل الله تعالى أن يجعلها مباركةً، وننقله بأسلوب مبسّط حتّى يمكن للنّاس أن يستوعبوه بسهولة، وقد تقرأ للسّيّد الشهيد رضوان الله عليه وتشعر بأنّها أفكار معقّدة، وهنا نأخذ هذه الأفكار ونبسّطها وننقلها لكم؛ لأجل أن تكون واضحةً للمؤمنين، وهي أفكار ضروريّة للمؤمن الذي يريد أن يصبح من أنصار الإمام عليه السّلام .

خلاصة الموضوع :

من يريد أن يصبح من أنصار الإمام عليه السّلام لا بدّ من أن يستفيد من الظّلم الذي يقع عليه، والظّلم والانحراف والتّمحيص والابتلاء يصعدّ درجة الوعي والإخلاص عند المؤمن، وامتلاء الأرض بالظّلم ينتج الأنصار، ولا يعني هذا الامتلاء عدم وجود الإيمان تمامًا، والبلاءات عبارة عن مدرسة لإنتاج الأنصار إذا عرف المؤمن كيف يستفيد من هذه البلاءات .

والمؤمن أمام نوعين من التّمحيص : التّمحيص الاضطراريّ، ويقع رغماً عنه، والتّمحيص الاختياريّ، وهو بنفسه يسعى للوقوع فيه، والتّمحيصان يصعدان من درجة الإخلاص ويعتمقان المسؤوليّة عند

المؤمن، والإنسان الذي يختار المصاعب يتربّي أكثر من الإنسان الذي يضطرّ لمواجهة الصّعب، وحينما يدخل المؤمن في التّمحيص الاختياريّ يتكامل بشكل أفضل وأسرع من ذاك المؤمن الذي يقع في التّمحيص الاضطراريّ بدون اختياره، نعم كلاهما يستفيد من التّمحيص، ولكن استفادة المختار أفضل من استفادة المضطرّ .

عن أمير المؤمنين عليه السّلام : "إِذَا هَبَّتْ أَمْرًا فَفَقِعْ فِيهِ، فَإِنَّ شِدَّةَ تَوْقِيهِ أَعْظَمُ مِمَّا تَخَافُ مِنْهُ" (١) .

المؤمن الذي يتحرّك تحركًا اجتماعيًا أو سياسيًا يقع في بلاءات اختياريّة، والبلاءات الاختياريّة تساهم في تكامله بشكل أفضل من البلاءات الاضطراريّة، والمؤمن قبل أن يتحرّك يجب أن يعرف الأحكام الدينيّة المرتبطة بحركته، وكلّ حركة لها ثلاثة جوانب من الأحكام : الأحكام العقائديّة أوّلاً، والأحكام الأخلاقيّة ثانيًا، والأحكام العمليّة ثالثًا .

أولاً نحدّد علاقتنا بالله تعالى، ونعرف كيف نرتبط بالله عزّ وجلّ ثمّ نعرف كيف نرتبط بالنبيّ صلّى الله عليه وآله ثمّ نعرف كيف نرتبط بالأئمّة عليهم السّلام وخاصّةً الإمام المهديّ عليه السّلام .

وبعد أن يكونّ العلاقة مع إمام زمانه عليه السّلام يبدأ الحركة، والحركة تكون ضمن أحكام الدين، فإذا فعل ذلك فمن المؤكّد أنّ هذا المؤمن يصبح من الأنصار؛ لأنّه وفّر الشّروط التي تساهم في تكامله

(١) بحار الأنوار ح ٦٨ ص ٣٦٢ ح ٦ .

والوصول إلى مرتبة الأنصار، والعملية لا تحصل بطريقة عشوائية، ولا يقول المؤمن بأنه لا يدري أنه من الأنصار أو لا، فنقول عليه أن يعمل ليصبح من الأنصار، وعلى المؤمن أن لا يعيش الأوهام، فيتوهم أنه في الدرجة الثمانين من الإيمان، ولكنّه في الواقع في الدرجة العاشرة، والإنسان يعرف ما يوجد في باطنه، ويعرف قوّة أو ضعف علاقته بالله تعالى وعلاقته بالنبيّ صلّى الله عليه وآله وعلاقته بالأئمة عليهم السّلام .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ" (١) .

ولا بدّ من أن يعرف المؤمن كيفية الاستفادة من الأحكام الدنيّة ويده الجانب الفكريّ الذي يشكّل غطاءً للأحكام ورابطاً بينها، وبعد ذلك يبدأ الحركة، ويستطيع أن يستفيد من الحركة الاجتماعيّة في التّكامل، وبدون توفير الشّروط فمن الأفضل لهذا الشّخص أن لا يتحرّك إلى أن يتعلّم أحكام الدّين، وبعد أن يتعلّم الأحكام يتحرّك؛ حتّى يتكامل من خلال تحرّكه بدل أن يتسافل .

وفي البيت فكّروا في هذه المواضيع، وقد تأتي إلى ذهنك بعض الأسئلة؛ حتّى نناقشها، وإثارة التّساؤلات مهمّة للإنسان المؤمن، وعليه أن يفكّر في أنّه كيف يصبح من الأنصار، والمؤمن يحتاج إلى كثرة التّفكّر في جميع أموره .

(١) القيامة : ١٤-١٥ .

والدعوة إلى التفكر دعوة قرآنية :

" . . . كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ" (١) .

"لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" (٢) .

"إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ" (٣) .

روايات عن أمير المؤمنين عليه السلام (٤) :

"الفكر يفيد الحكمة" .

"الفكر جلاء العقول" .

"الفكر ينير اللب" .

"الفكر رُشْدٌ، والغفلة فَقْدٌ" .

"الفكر في الخير يدعو إلى العمل به" .

"أصل العقل الفكر، وثمرته السلامة" .

"أصل السلامة من الزلل الفكر قبل الفعل، والرؤية قبل الكلام" .

"بالفكر تنجلي غياهب الأمور" .

"إذا قدّمت الفكر في جميع أفعالك حسنت عواقبك في كلّ أمر" .

(١) البقرة : ٢١٩ .

(٢) الحشر : ٢١ .

(٣) آل عمران : ١٩٠ .

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم للشيخ عبدالواحد التميمي الأمديّ .

"من طالت فكرته حسنت بصيرته" .

"كلّ يوم يفيدك عبْرًا إن أصحبتَه فكراً" .

عن الإمام الحسن عليه السّلام : "التّفكّر حياة قلب البصير" (١) .

عن الإمام الصّادق عليه السّلام : "تفكّر ساعة خير من عبادة سنة" (٢) .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين .

أسئلة وتعليقات الحاضرين :

الأستاذ محمّد الحدّاد :

ما هي الآليّات التي يتعلّمها المؤمنون بحيث يتجنّبون حالة التّنافس بينهم والجوانب السّلبية في المستقبل من كراهية وغيرها ؟

جواب الشّيخ محمّد أشكناني :

هذا الموضوع سيأتي في محاضرات متسلسلة تحت عنوان "الخلافات بين المؤمنين : أسباب ونتائج وحلول" .

ونطرح الحلول المقترحة؛ لكي تحصل الوحدة بين المؤمنين، ويقضوا على الخلافات بينهم حتّى لو كانت كلّ مجموعة تعمل لوحدها، ولا يقعون في صراعات وتنافس والتّفكير في السّيطرة على السّاحة أكثر من غيرهم، فانتظروا هذه المحاضرات إن شاء الله تعالى .

(١) بحار الأنوار ج ٧٨ ص ١١٥ ح ١١ .

(٢) المصدر السّابق ج ٧١ ص ٣٢٧ ح ٢٢ .

الحاجّ فلاح غزال :

بالنسبة للمؤمن الذي يكون في القمّة أو المؤمن الذي ينجو يوم القيامة في الرواية عن النبيّ صلى الله عليه وآله بما معناها : من فقد عُشرَ دينه فقد هلك، ويأتي زمان على أمّتي من أدرك عُشرَ دينه فقد نجا .

هل نفهم الرواية بأنّها عن المؤمن الذي في القمّة أو المؤمن الذي ينجو ؟

جواب الشيخ محمد أشكناني :

الرواية موجودة في المصادر السنيّة، ونصّها :

عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : "إنكم في زمان من ترك منكم عُشرَ ما أمرَ به هلك، ثم يأتي زمان من عمل منكم بِعُشرٍ ما أمرَ به نجا" (١) .

نسأل :

هل المؤمن يريد أن ينجو بعُشرٍ دينه أو بكلّ دينه ؟

الجواب :

قطعاً يريد أن ينجو بكلّ دينه .

(١) رواه ابن حجر العسقلانيّ في الأُمالي المطلقة رقم ١٤٦، وقال : حسن غريب وله شاهد مرسل . ورواه الترمذيّ في سننه رقم ٢٢٦٧ وقال عنه : حديث غريب . وأورده ابن الجوزيّ في الواهيات، وقال فيه التّسائيّ : حديث منكر .

هذه الرواية - على فرض صحتها - تتحدّث عن الحدّ الأدنى من العمل، ومن الأمور الفطريّة عند كلّ إنسان هي "حبّ الكمال" بل "حبّ الأكمل"، فحينما يحصل الشّخص على معاش شهريّ قدره ألف دينار فإنّه يريد المزيد ولا يكتفي، وهذا الشّخص يعتقد أنّ كماله يكون بالمال، ولكن الشّخص الذي عنده عشر الدّين المفروض أن لا يكتفي بذلك، ولا بدّ من أن يرغب بالصّعود إلى الأعلى أي إلى الأكمل، وما يحركه هو فطرته وعقله، وعليه أن يدرك أنّ كماله يكون بإيمانه، ومن يكون عنده نقص في إيمانه فلا بدّ من أن يكمل النّقص الموجود فيه؛ لكي يمكنه أن يتحرّك إلى القمّة، وأمّا من يقنع بوضعه ويقول بأنّ عشر الدّين يكفيني وأجلس عند باب الجنّة، فنقول إنّ من يريد أن يكون عند باب الجنّة لا بدّ من أن يشعر بالنّقص وأن يحبّ الكمال، ووجوده عند باب الجنّة يعبر عن الحدّ الأدنى من الإيمان، والمؤمن لا يكتفي بهذا المقدار؛ والنّبّي صلّى الله عليه وآله وصل إلى قاب قوسين أو أدنى من ذلك، ووصل النّبّي صلّى الله عليه وآله إلى قمّة الكمال وأقصى درجات الإيمان، ونحن نتخذ النّبّي صلّى الله عليه وآله الأسوة والقدوة الحسنة .

يقول القرآن الكريم :

"لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا" (١) .

(١) الأحزاب : ٢١ .

والقدوة يُقْتَدَى به، ونكون نحن المقتدِينَ به، ونطبّق الاقتداء من ناحية عمليّة، وإذا لم نَقْتَدِ بالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فمعنى ذلك أننا لم نطبّق هذه الآية الكريمة، فلا نكون مصداقاً لهذه الآية، والنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كان في قَمَّةِ الكمال، ويمثّل الإنسان الكامل بل هو الإنسان الأكمل، وإذا قنع الشّخص بوضعه فنقول له بأنّه لم يتّخذ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أسوَةً وقدوَةً، ولكي يفعل القدوة الحسنة لا بدّ من أن يسعى للوصول إلى درجة النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ويكون في الجنّة معه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

ويحكي القرآن الكريم عن آسيا زوجة فرعون :

"وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" (١) .

لم تُقَلِّ بِأُتْمًا تريد بيتًا في الجنّة فقط، بل قالت : "عِنْدَكَ"، أي عند الله سبحانه، والمؤمن الذي يكون عند الله تعالى يكون في قَمَّةِ الكمال، فهي تبحث عن قَمَّةِ الكمال لا أتمّها تريد الدّخول إلى الجنّة فقط، وتكتفي بالدرجة الأدنى من الجنّة، بل تريد الدرجة الأعلى في الجنّة، والمؤمن يريد أن يكون مع النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في قَمَّةِ الكمال وأعلى درجات الجنّة، وهذه المعية مهمّة جدًّا، ويقال بأنّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كان عنده حمار، وهذا الحمار كان مع النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

(١) التّحريم : ١١ .

الله عليه وآله، ولكنّ المؤمن لا يبحث عن معيّة من نوع معيّة الحمار، ولكن يبحث عن نوع آخر من المعيّة، نريد المعيّة التي تنقلنا من درجة الإنسان الناقص إلى درجة الإنسان الكامل .

ولعلّ الله يوفّقنا أن نتناول في بعض المحاضرات موضوع "الإنسان الكامل"، ونعرف مواصفات الإنسان الكامل؛ لكي نسير على أساس هذه المواصفات، ومثالنا هو النّبّي صلّى الله عليه وآله، وفي المرتبة الثانية أمير المؤمنين عليه السّلام، ثمّ سيّدة نساء العالمين عليها السّلام وباقي أئمّة أهل البيت عليهم السّلام .

وعلى المؤمن أن لا يقنع بوضعه الإيمانيّ، ولا بدّ من أن يسعى دائماً إلى الدّرجات الإيمانيّة العليا، وكما أنّ الإنسان في الدّنيا لا يقنع ولا يكتفي، كذلك المؤمن لا يقنع بوضعه الإيمانيّ الحاليّ، ولا يقنع بأن يكون في الآخرة عند باب الجنّة، بل يريد أن يكون مع النّبّي صلّى الله عليه وآله في درجته الإيمانيّة العليا، وهذا مطلوب من المؤمن؛ لأنّ فطرة الإنسان تدعو إلى حبّ الكمال لا في الدّنيا فقط بل في الآخرة أيضاً، ولكنّ المشكلة في الإنسان أنّه لا يستطيع تحديد المصداق الحقيقيّ للكمال، فيظنّ أنّ الدّنيا والمال هي مصاديق الكمال، ولكنّ المؤمن كماله في إيمانه، ومثله الأعلى هو النّبّي صلّى الله عليه وآله، وحتىّ الإنسان الكافر يبحث عن الكمال، ولكن لأتّه لا يعتقد بالله تعالى فيظنّ بأنّ كماله في الدّنيا فقط، وقد يكون عنده مليارات الدّولارات، ولو عاش الإنسان مليون سنة فإنّ هذه الأموال

لا تنتهي، وخلال فترة حياته السّتين أو السّبعين سنة يصرف جزءاً بسيطاً منها، وتبقى المليارات لورثته، ومن الممكن أن يكتب وصيته أنّ هذه الأموال تذهب لكلابه أو قططه، كما تنقل الجرائد، ويرى أنّ كماله بعد موته في نقل هذه الأموال إلى حيواناته، وكأنّه لا يوجد بشر يموتون من الجوع يومياً في عالمنا .

وقد يوجد شخص لا يعتقد بوجود إله أو لا يعتقد بوجود الآخرة عنده أموال كثيرة، ويخرج من أمواله مليار دولار سنوياً للفقراء في أفريقيا، وإذا كان فكره فكراً دنيوياً فهو يخرج الأموال ونظره إلى الدنيا فقط، ولا ينظر إلى الآخرة، وقد يكون نظره إلى اكتساب السمعة الطيبة والشّهرة في العالم، نعم هو قام بعمل خير، والله تعالى يجازيه في الدنيا، وقد يعطيه أموالاً أكثر في حدود الدنيا، ولا يحصل في الآخرة على شيء؛ لأنّه لا يعتقد بالله أو بالآخرة، والبعض من الذين لا يعتقدون بوجود إله لا يريدون ذكر أسمائهم حينما يقومون بأعمال خيريّة، والقيام بأعمال الخير ومساعدة المحتاجين من فطرة الإنسان سواء كان يعتقد بوجود إله أم لا يعتقد، والله تعالى يجزي كلّ إنسان على أعماله الصّالحة، والجزاء قد يكون دنيوياً، وقد يكون أخروياً .

ومن يعتقد بالله يتعامل معه الله تعالى، ولا نعلم كيفيّة الحساب، ولا يوجد أحد يقول بأنّه يضمن نفسه أنّه من أهل الجنة، ودخول الجنة يكون بتفضّل من الله تعالى، نعم الإنسان يعمل ويوفّر شروط قبول العمل، ولكن قد يأتي بعمل ويجبّط جميع أعماله السابقة، وهو

ما يطلق عليه "حَبْطُ الأَعْمَالِ"، وقال قارون بأنّ الأموال الموجودة عنده حصل عليها بعلمه هو ولم يكن لله شيء فيها، فاعتقد بأنّه هو صاحب المال، ولم يعتقد بأنّ الله تعالى رزقه هذه الأموال، فحسب الله تعالى به وبأمواله وبداره الأرض، ومن الممكن أنّ الإنسان يعمل كثيراً، ولكن يدخل الرّياء في جميع أعماله فيحرقها جميعاً .

وعلى المؤمن أن لا يكون همّه فقط أن يأتي بالعمل، ولكن ليكن حريصاً على قبول العمل بإخلاصه لله تعالى، وأن يأتي بالعمل خالصاً لوجهه الكريم، ويؤدّي العمل لله فقط، ولا يريد شيئاً آخر من وراء العمل، فيكون نظره إلى الله عزّ وجلّ فقط وفقط، ولا ينظر إلى تقييم النّاس له، وقد يعمل ولا يتأثر النّاس بعمله، فسواء تأثر بعمله النّاس أم لم يتأثروا عليه أن يواصل العمل .

وقد يتحرّك المؤمن اجتماعياً ولا يحصل على أيّ تأثير خارجي فعليه أن لا يتأدّى من ذلك؛ لأنّ تكليفه أن يتحرّك، وإذا لم يتأثر النّاس فهو من ناحية خارجيّة لم ينتج، ولكنّ المهمّ هو قبول العمل من الله عزّ وجلّ، والتأثير الخارجيّ ليس بيد العامل المتحرّك، فهو ليس تحت سيطرته وسلطته، والعوامل الخارجيّة ليست بيد الإنسان، وليس مسؤولاً عنها، نعم إذا كانت هناك نتيجة خارجيّة فهذا شيء جيّد، ولكن إذا لم يؤثّر خارجاً، ولكنّه استفاد النّتيجة القلبيّة الباطنيّة فهذا هو المطلوب، لأنّ التّأثر الباطنيّ بيده وتحت سلطته، والتأثر القلبيّ الباطنيّ يسبّب قبول العمل من الله تعالى، وإذا تمّ قبول العمل من الله

تعالى فالنتيجة الخارجية ليس لها دخل في قبول العمل .

الحاجّ فلاح غزال :

إذا لم ينتج العمل نتيجةً خارجيةً ألا يصاب الإنسان بالإحباط؛
لأنّ العمل لم يؤثر بالنّاس ؟

جواب الشيخ محمد أشكناني :

المؤمن قبل أن يتحرّك يجب أن يكون مطلقاً على الأحكام الدنيّة
الثلاثة من أحكام العقائد وأحكام الأخلاق وأحكام العمل، ومن
ضمن أحكام التحرك الاجتماعيّ أنّه يعرف بوجود النتائج القلبيّة
والنتائج الخارجيّة، والمطلوب من الإنسان النتيجة الموجودة تحت
سلطته، وهي النتيجة القلبيّة الباطنيّة، وأما تحقّق النتيجة الخارجيّة فلها
عوامل كثيرة، والعوامل الخارجيّة ليست تحت سيطرته، فإذا لم يسبّب
عمله أيّ نتيجة خارجيّة فنسأل : هل التأثير القلبيّ الباطنيّ حصل
عنده أو لا ؟ وهل الثواب مترتب على النتيجة الخارجيّة أو النتيجة
القلبيّة ؟

إنّ الثواب مترتب على النتيجة القلبيّة الباطنيّة، ولا يترتب على
النتيجة الخارجيّة إلاّ بقدر ما يستفيد الإنسان منها في زيادة النتيجة
القلبيّة الباطنيّة، وفي كتاب (مقالات إيمانية) الجزء الرابع تحت عنوان
"العمل الفرديّ والعمل الجماعيّ" طرحت مجموعة من النقاط، وهناك
مقابلات في قناة المعارف الفضائيّة في (برنامج روح الإيمان) في خمس
حلقات تكلمت عن هذا الموضوع، فيرجى منكم مراجعة الكتاب

والمقابلات، وقبل أن يتحرك المؤمن أيّ تحرك اجتماعي لا بدّ من يكون عنده اطلاع على "أحكام العمل الاجتماعي"؛ ويتحرك ضمن هذه الأحكام، ومن ضمن هذه الأحكام عدم الاهتمام بالنتيجة الخارجيّة إلاّ بقدر ما تؤثر على النتيجة القلبيّة عند الإنسان، والنتيجة القلبيّة هي المهمّة، وقد يؤثّر العمل نتيجةً خارجيّةً، ولكنّ العامل لا يستفيد منها أيّ نتيجة قلبيّة، فهو يساهم في هداية الآخرين وتكاملهم، ولكنّه هو قد يتسافل حينما لا يكون عمله خالصاً لله تعالى، كأن يطلب الشهرة أو المال، والآخرون يتقرّبون إلى الله بمشاركتهم في العمل، وهو يتسافل بعمله، فتحققت النتيجة الخارجيّة، ولكنّه حصل على نتيجة قلبيّة سيئة، والثواب والعقاب مترتبان على النتيجة القلبيّة، وعلى العامل حينما يتحرك تحركاً اجتماعياً أن يهتم أولاً بالنتيجة القلبيّة، وثانياً يهتم بالنتيجة الخارجيّة التي تساهم في تكامله، وهذا الأمر يأتي في العمل الفرديّ وفي العمل الجماعيّ، ففي صلاتك بالبيت لوحدهك النتيجة القلبيّة والتأثير القلبيّ بالصلاة هي المهمّة، والاهتمام بالنتيجة الخارجيّة فقط هو الذي يسبّب الإحباط عند العاملين، وعلى العامل أن يعرف كيفيّة الاستفادة القلبيّة من الأعمال الخارجيّة التي يأتي بها، ومن المهمّ أن يعرف العامل أحكام العمل وكيفيّة الاستفادة من النتائج الخارجيّة .

الأستاذ محمّد الحدّاد :

القرآن الكريم يشجّع المؤمنين بذكر الثواب والجنّة وما تحويها والنار

والعقاب، ألا تعتبر هذه نتيجة خارجية ؟

والمؤمن يحتاج إلى الأشياء الخارجية حتى تشجعه على العمل ؟
وإذا نظر إلى الأشياء الباطنية فقط ولم يكن لعمله أثر خارجي فإنه
يشعر بالإحباط ؟

جواب الشيخ محمد أشكناني :

المقصود من النتيجة الخارجية هو النتيجة في الدنيا، وهي ناتجة من
العمل، والجنة والنار ليستا من النتائج الخارجية الدنيوية للعمل،
والحصول على الجنة والنار مترتب على النتيجة القلبية الباطنية لا على
النتيجة الخارجية، والإنسان ليس مسؤولاً عن النتيجة الخارجية ، فهذا
العامل ساهم في هداية شخص .

هل العامل كان مهدياً وزاد هدىً فوق هداه وتكامل أو أنه
خلال العمل كان ينظر إلى غير الله تعالى من رياء أو شهرة فتسافل ؟
لنفرض أنه ساهم في هداية ألف شخص، ولكنه لم يستفد قلبياً
من العمل، فالنتيجة الخارجية موجودة، ولا نقول لا تهتم تمامًا بالنتيجة
الخارجية، وقلت سابقاً : لا تهتم بالنتيجة الخارجية إلا بمقدار ما تؤثر
عليك بنتيجة قلبية باطنية، فيوجد اهتمام بالنتيجة الخارجية، ولكن
بشرط، والنتيجة الخارجية لها تأثيران على القلب : تأثير سلبي وتأثير
إيجابي، ونحن نريد النتيجة الخارجية التي تؤثر على القلب تأثيراً إيجابياً،
ويتكامل العامل من خلال عمله، ولا نريد النتيجة الخارجية التي تؤثر
على القلب تأثيراً سلبياً، ويتسافل العامل من خلال عمله، وإذا كان

التأثير سلبياً فدخل هذا الشخص في العمل الاجتماعي فيه ضرر عليه، وإذا ركز على النتيجة الخارجية مع التأثير القلبي السلبى فإنه يتسافل، والمطلوب النظر إلى النتيجة الخارجية مع التأثير القلبي الإيجابى الذى يسبب له التكامل، ونقول : لا تهتم بالنتيجة الخارجية لوحدها أي دون النظر إلى التأثير القلبي الإيجابى .

وهذا مثل الآية الكريمة : "لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ"، ولا بدّ من أن نكمل الآية : "وَأَنْتُمْ سُكَارَى" (١) .

والمعنى : لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى، واقربوا الصلاة وأنتم غير سكارى .

وهنا نقول : لا تهتم بالنتيجة الخارجية، ونكمل الجملة : وأنتم تتأثرون سلبياً، والجملة التامة هي : لا تهتم بالنتيجة الخارجية إلا مع التأثير القلبي الإيجابى، وهذه من صيغ الحصر حينما يأتي النفي والاستثناء، وصيغة الحصر تكون مركبة من جملتين، فهذه الجملة مركبة من جملتين : اهتم بالنتيجة الخارجية مع التأثير القلبي الإيجابى، ولا تهتم بالنتيجة الخارجية مع التأثير القلبي السلبى، فهتم بالنتيجة الخارجية بشرط التأثير القلبي الإيجابى، ولا نقول : لا تهتم بالنتيجة الخارجية مطلقاً، بل نقول : اهتم بالنتيجة الخارجية بشرط وقيد، ولا تنظر إلى النتيجة الخارجية فقط دون النظر إلى التأثير القلبي الإيجابى، فانظر إلى النتيجة الخارجية بشرط التأثير القلبي الإيجابى، لذلك ابحث عن النتائج

(١) النساء : ٤٣ .

الخارجية التي تساهم في التّكامل، وابتعد عن النتيجة الخارجية التي تساهم في التّسافل .

والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٢٧)

علاقات المؤمن والمقاييس الإلهية^(١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

الإنسان المؤمن إذا أراد أن يكون إنساناً إلهياً يمكنه أن يصل إلى هذه المرتبة، وذلك بأن يأخذ المقاييس الإلهية في كل أمر، فالله عز وجل يريد من الإنسان أن يكون بطريقة معينة، وأن يعيش بطريقة معينة، وإذا استطاع المؤمن أن يعرف جميع أحكام الله تعالى وطبقها على نفسه بحيث إن كل خطوة يخطوها تكون محسوبة على أساس هذه الأحكام، والله عز وجل يريد من الإنسان في كل خطوة أمراً معيناً، فكل خطوة لها حكم معين، وإذا استطاع أن يعرف هذا الحكم الشرعي وأن يعمل به ويطبق المقاييس الإلهية فهذا الإنسان يصبح إنساناً إلهياً .

(١) أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدِّيوانية الأسبوعية في دولة الكويت منطقة

بيان، الجمعة ١٢ جمادى الآخرة ١٤٣٣ هـ ، ٤/٥/٢٠١٢ م .

والإنسان الذي يريد أن يُقَيِّمَ الأشخاص وأن يُكَوِّنَ علاقات مع الآخرين فعلى أيِّ أساس يُقَيِّمُ وَيُكَوِّنُ ؟

قد يكون على أساس الرغبات والمشتهيات والمزاج، هذا أحبّه وذلك لا أحبّه، ولكن إذا أراد الإنسان أن يتحرّك على أساس ما يريدّه الله تعالى فالله عزّ وجلّ جعل لكلّ إنسان مقياساً، وعلى أساس هذا المقياس تُوزَنُ الأشياء، سواء كانت هذه الأشياء جمادات أم حيوانات أم من بني آدم، وعلاقة الإنسان بالجمادات أي بالطبيعة تحكّمها الأحكام الشرعيّة، فهناك قوانين إلهيّة لعلاقة الإنسان بالطبيعة، وعلاقة الإنسان بالحيوانات لها أحكام تحكّمها، وعندما يضع حيواناً أو طيراً في بيته تارةً يكون على أساس أنّه يجب أن يضع في بيته حيواناً أو طيراً مثل الذي يُطَيِّرُ الحمام، وهذه هوايته، وتارةً يعمل على أساس استحباب وجود الدّاجن في البيت، فالانطلاقة تكون مختلفةً، فذلك عنده هواية معيّنة ويرغب بتربية الحيوانات أو الطيور، فيتحرّك على أساس الهواية والرغبة الشخصيّة، وهذا يتحرّك على أساس الحكم الشرعيّ، والعمل الخارجيّ واحد، ولكن النّيّة تختلف، فهو أقام علاقةً مع الحيوان أو الطير على أساس الحكم الشرعيّ .

سؤال : علاقتنا بالناس تكون على أيِّ أساس ؟

لماذا الإنسان الذي يعيش في قبيلة يقدّم أفراد قبيلته على غيرهم ؟
لماذا يقدّم الشّخص من يعتقد بنفس دينه على غيرهم من أفراد الأديان الأخرى ؟

لماذا يقدّم الشخص أفراد طائفته أو مذهبه على غيرهم؟

الجواب :

لأنّه يعيش القبليّة أو الفئويّة أو الطائفيّة أو المذهبيّة .

سؤال : هل هذا المقياس مقياس إلهي؟

الجواب :

قطعاً لا .

إنّ علاقة الإنسان بالأشخاص لا بدّ من أن تكون منطلقةً على أساس الإسلام .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ" . . . " (١) .

إذن توجد علاقة وقانون إلهي بأنّ المؤمن أخو المؤمن، فنأتي إلى الآيات والرّوايات التي تتحدّث عن العلاقة بين المؤمنين .

"وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ" . . . " (٢) .

"وَخُفِضَ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ" (٣) .

"لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ" . . . " (٤) .

(١) الحجرات : ١٠ .

(٢) التّوبة : ٧١ .

(٣) الشعراء : ٢١٥ .

(٤) آل عمران : ٢٨ .

ومن الروايات الشريفة :

عن أبي عبدالله عليه السلام : "المؤمن أخو المؤمن، عينه ودليله، لا يخونه، ولا يظلمه، ولا يعشّه، ولا يعده عدة فيخلفه" (١) .

عن جميل عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول :
"المؤمنون خدم بعضهم لبعض" . قلت : وكيف يكونون خدماً بعضهم لبعض ؟ قال : "يفيد بعضهم بعضاً . . ." (٢) .

ومن القوانين الإلهية أيضاً :

"إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَأَمُّكُمْ" (٣) .

وهذا مقياس إلهي .

من هو أكرم إنسان عند الله تعالى ؟

هو من يكون أتقى .

كيف تكون علاقتك مع الإنسان المتّقي ؟

وما هي القيمة التي تعطيتها للإنسان المتّقي ؟

قطعاً تختلف عن القيمة التي تعطيتها للإنسان غير المتّقي .

يوجد شخص متّقي وشخص آخر فاسق غير متّقي، فهل يقدم

الشخص الفاسق الذي يكون من قبيلته أو عشيرته أو طائفته على

الشخص المتّقي من قبيلة أو عشيرة أو طائفة أخرى ؟

(١) الكافي ج ٢ ص ١٦٦ ح ٣ .

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ١٦٧ ح ٩ .

(٣) الحجرات : ١٣ .

إذا كان يقدّم الفاسق على المتّقي على أساس القبليّة أو العشائريّة
أو الطائفيّة فهذا المقياس ليس مقياسًا إلهيًا .

لا بدّ من أن تعطي قيمةً لأيّ إنسان بناءً على المقاييس الدنيّة،
فبيدنا مقاييس إلهيّة، وعلاقتك بالأشخاص لا بدّ من أن تراجعها،
والآن ابدأ بالتّفكير بأنّ علاقاتك مع الأشخاص الآخرين هل هي
على أساس المقاييس الإلهيّة أو لا ؟

فعلى أساس المقاييس الإلهيّة يتحرّك الإنسان ويعمل، علاقاتك في
البيت مع الزّوجة والأولاد، والعلاقات في العمل، والعلاقات في
المجتمع، هذه العلاقات لا بدّ من أن تكون على أساس الأحكام
الدنيّة الشرعيّة الإلهيّة .

سؤال : لماذا نعتي النبيّ صلّى الله عليه وآله قيمةً عاليةً جدًّا وأنّه خير

البشر ؟

الجواب :

القضيّة ليست مزاجيّة، بل لأنّ الله عزّ وجلّ يعتبر رسول الله صلّى
الله عليه وآله خير البشر، فنحن نعتبره كذلك أيضًا، فنقول إنّ النبيّ
صلّى الله عليه وآله خير البشر .

سؤال : لماذا نقول عن فاطمة الزّهراء عليها السّلام بأنّها سيّدة نساء

العالمين ؟

الجواب :

لأنّ الحكم الإلهيّ هو أنّها عليها السّلام سيّدة نساء العالمين .

وباقى الأنبياء والأئمة عليهم السلام نعطهم المكانة التي أعطاهم
الله عز وجل بناءً على المقاييس الإلهية .

وهكذا نحدّد علاقتنا مع كلّ إنسان على أساس المقاييس الإلهية .

سؤال : كيف تكون علاقتنا بالإمام المهديّ عليه السلام ؟

لا بدّ من وجود مقياس بيدك، وبناءً على هذا المقياس تحدّد
علاقتك بإمام الزّمان عليه السلام، فما هو هذا المقياس ؟

الجواب :

كلّ مسلم سواء كان شيعياً أم سنّياً يعتقد بالإمام المهديّ عليه
السلام، والاختلاف في أنّه مولود أو أنّه سوف يولد في المستقبل، وأنّ
اسمه محمّد بن الحسن أو محمّد بن عبد الله، فيوجد اتّفاق على أصل
الموضوع بين جمع المسلمين، ويقع الاختلاف بينهم في التفاصيل،
فكلّ مسلم يعتقد بالإمام المهديّ عليه السلام .

ما هو المقياس الذي على أساسه يحدّد علاقته بالإمام المهديّ
عليه السلام ؟

لا بدّ من أن تعرف المقياس .

وهذا المقياس من أين تعرفه ؟

لا بدّ من أن تقرّ الروايات، وتطلّع على روايات أهل البيت عليهم
السلام؛ حتّى يمكن لك تحديد علاقتك بالإمام المهديّ عليه السلام .

شخص يعتقد بالإمام المهديّ عليه السلام، ولكن أعماله قد لا
تعبر عن هذا الاعتقاد؛ لأنّ تحرّكه لا يكون على أساس ما يريده

الإمام عليه السّلام، ففي الواقع الخارجيّ والنّاحية العمليّة لا بدّ من أن يتحرّك المؤمن على أساس ما يريد إمام زمانه عليه السّلام، لذلك لا بدّ من أن يعرف ما يريد إمامه عليه السّلام منه، فلا بدّ من أن نعرف ماذا يريد منّا إمامنا المهديّ عليه السّلام؛ لكي نتحرّك ونعمل في عصر الغيبة الكبرى وفي زماننا الحاليّ، وهذا يحتاج إلى اطلاع من المؤمن على روايات أهل البيت عليهم السّلام في قضية الإمامة وفي قضية الغيبة الكبرى؛ حتّى يمكنه أن يحدّد علاقته بالإمام عليه السّلام، والعلاقة مع الإمام عليه السّلام لا بدّ من وجودها عند المؤمن، ولا يعيش المؤمن بدون العلاقة مع إمام زمانه عليه السّلام .

ولا يعيش المؤمن الفكرة الذهنيّة فقط، فالفكرة الذهنيّة لوحدها لا تحرك الإنسان، والمعلومة في الدّهن بأنّه يوجد إمام غائب لا تحرك الإنسان، فيعتبر أنّ الإمام عليه السّلام غائب ولا علاقة له به إلى أن يظهر .

نقول إنّ الإمام عليه السّلام حاضر، وتوجد روايات تتحدّث عن عرض صحائف الأعمال على الإمام عليه السّلام في أيّام مختلفة وفي ليلة القدر، فملفّ كلّ شخص يُعرضُ في آخر الليل على الإمام عليه السّلام، فلا بدّ من أن تنتبه أنّه خلال اليوم والليل ماذا تضع في هذا الملفّ من أعمال، وإذا لم ينتبه المؤمن فمعنى ذلك أنّه لا توجد عنده علاقة بإمام زمانه عليه السّلام، ولا بدّ من أن ينتبه إلى أن تكون حركته وأعماله على أساس المقاييس الدّينيّة الإلهيّة، وإذا لم توجد عند

المؤمن المقاييس الدّينيّة الإلهيّة فمعنى ذلك أنّ ملقّه سيكون مملوءاً بأعمال بلا مقاييس إلهيّة، أي أنّه لا يتحرّك على أساس ما يريده الإمام عليه السّلام، ولا بدّ من أن نعرف هذه المقاييس، وعلى أساس هذه المقاييس يقيّم المؤمن الأعمال التي يأتي بها، وكلّ عمل يقوم به لا بدّ من أن يسأل نفسه قبل العمل :

ماذا يريد منّي إمامي عليه السّلام ؟

لا أنّه يتحرّك وبعد ذلك يقول : أنا أعمل والله كريم .

نعم الله كريم، ولكن قد يعمل الشّخص ويقع في محرّمات، وبعد أن يقع في الحرام يسأل : الآن ماذا أفعل ؟

وبدل من أن يسأل بعد العمل كان عليه أن يسأل قبل العمل، فالمؤمن يتحرّك على أساس الأحكام الدّينيّة، وإذا تحرّك بدون معرفته لحكم العمل الذي يأتي به فأين اعتقاده وإيمانه ؟

وإذا كان الإمام عليه السّلام يريد منك عملاً معيّنًا فلا بدّ من أن تقوم بتنفيذ هذا العمل، سواء كان الإمام عليه السّلام حاضرًا أم غائبًا، فالأئمة عليهم السّلام نور واحد، وكلام الإمام الأوّل عليه السّلام هو كلام الإمام الأخير عليه السّلام وكلام باقي الأئمة عليهم السّلام، فكلامهم عليهم السّلام واحد، وهو أيضًا كلام رسول الله صلّى الله عليه وآله، وأيضًا كلام سيّدة نساء العالمين عليها السّلام، وإذا أردت أن تعرف ماذا يريد الإمام المهديّ عليه السّلام فارجع إلى كلمات رسول الله صلّى الله عليه وآله وكلمات أمير المؤمنين عليه

السّلام وسيّدة نساء العالمين عليها السّلام وسائر الأئمة عليهم السّلام، فمن كلماتهم يمكنك أن تعرف ماذا يريد منك إمام زمانك عليه السّلام، ولا بدّ من أن يطلع المؤمن على الأحكام الدّينيّة الواردة في القرآن الكريم وعن رسول الله صلّى الله عليه وآله وابنته وبعلمها وأبنائهم عليهم السّلام .

سؤال : كيف يمكن للمؤمن أن يعرف الأحكام الدّينيّة ؟

الجواب :

يوجد طريق واحد فقط، وهو طريق الفقهاء رحم الله الماضين وحفظ الله الباقيين، وأمّا إذا قرأ الشّخص الآية أو الرواية فلا يمكنه أن يستنبط الحكم منها بنفسه، والمؤمن يكوّن علاقته الحكميّة مع إمام زمانه عليه السّلام عن طريق الفقهاء، وجميع الفقهاء ثمار لشجرة واحدة، وتبدأ علاقتك بالإمام عليه السّلام عن طريق الرّجوع إلى الفقهاء باختيار مرجع التّقديد، واختيار مرجع التّقديد يكون على أسس وقواعد دينيّة، واختيار مرجع التّقديد ليس قضية مزاجيّة، هذا الفقيه يعجبني، وذاك الفقيه لا يعجبني، فالدين يعطيك مقاييس إلهيّة لكلّ شيء .

سؤال : من هو المرجع الذي يريد منك إمام زمانك عليه السّلام أن تقلّده وترجع إليه في أخذ الأحكام الدّينيّة ؟

الجواب :

لا بدّ من أن تعرف مقاييس وقواعد وأسس كفيّة اختيار مرجع

التقليد، وتكلمنا في محاضرات عن موضوع "التقليد والأعلمية" في مسجد الإمام الحسن عليه السلام، ولم نكمل الموضوع، ولعل الله تعالى يوفقنا لتكملة هذه المحاضرات .

إذن :

توجد أسس ومقاييس وقواعد لاختيار مرجع التقليد، وتكليف المؤمن أن يعرف هذه القواعد، وعلى أساس هذه القواعد يختار مرجع التقليد؛ لأنّ المؤمن سوف يُسأل في عالم البرزخ : لماذا قلّدت هذا الفقيه ولم تقلّد الفقيه الآخر ؟

ولا بدّ من أن يكون عند المؤمن في عالم البرزخ والقيامة جواب لكلّ سؤال .

والإنسان قبل أن يقوم بأيّ عمل وقبل انتقاله إلى عالم البرزخ لا بدّ من أن يعدّ الجواب، من الآن وأنت في الدنيا استعد بالأجوبة قبل الرّحيل إلى العالم الآخر، فإذا سأله الملكان عن أمر معيّن فيكون الجواب عنده جاهزاً، وفي عالم البرزخ لا يوجد وقت للتّفكير، فالجسم يبقى في القبر الأرضيّ، والرّوح تنتقل إلى القبر البرزخيّ، والرّوح تتكلّم، ولكن بأيّ طريقة تتكلّم لا نعلم، ولا تتكلّم باللسان؛ لأنّ الإنسان يترك لسانه مع الجسد، والروح تكون مكشوفةً للملائكة، والسؤال والجواب في عالم البرزخ عبارة عن رمز حيث لا يوجد لسان هناك، فالإنسان لا بدّ من أن يكون مستعدّاً بالجواب، وينتقل الجواب معه إلى عالم البرزخ، وحينما يجيب عن الأسئلة فإنّه يجيب بجواب قد أعدّه

سابقًا، ولا يمكن أن يكذب أو يبرّر بتبريرات غير مقبولة، ولا يوجد في عالم البرزخ كذب بحيث إنّ الإنسان يقول شيئًا وهو يعتقد بشيء آخر، فهناك تكون الحقائق ظاهرةً، وحقيقة الإنسان تظهر هناك، ولا يستطيع أن يجعل أيّ شيء خافيًا على الملائكة، فأعدّ الجواب من الآن لكلّ سؤال من الملائكة في عالم البرزخ، والجواب ينتقل مع الإنسان من الدنيا إلى عالم البرزخ .

النتيجة :

على الإنسان أن يحدّد علاقاته بدقّة، وكلّ شخص يرجع إلى مرجع التقليد بشرط أن يكون اختياره لمرجع التقليد على أسس وقواعد، ولا تكون بطريقة عشوائية أو مزاجية .

يقول : صديقي اختار هذا الفقيه فأنا أختار نفس ما اختاره صديقي .

نقول : أنت عليك تكليف وهو عليه تكليف أن تبحثا عن مرجع التقليد بحسب الأسس والقواعد، وترجعان إلى أهل الخبرة في تعيين الأعلم، ثمّ عليكما تقليد هذا الأعلم، وأسس وقواعد اختيار مرجع التقليد مضبوطة، ومذكورة في الرّسالة العمليّة بتفصيلاته، ويحتاج إلى تفاصيل أكثر، وأسأل الله التّوفيق لبيان هذه الأسس والقواعد في سلسلة من المحاضرات تحت عنوان "التّقليد والأعلميّة والمرجعيّة الرّشيدة" .

وإلى هنا تكوّنت علاقة مع الفقهاء، وهذه العلاقة لا بدّ من أن

تتحدّد بدقّة، وإذا أردت أن تعرف تكليفك الشرعيّ فيجب أن ترجع إلى مرجعك، فمرجعك يحدّد تكليفك الشرعيّ، وفي الرّسالة العمليّة لا يجد المؤمن جميع الأجوبة على أسئلته، لذلك يستفتي مرجعه في المسائل غير المذكورة في الرّسالة العمليّة، ويصل إليه الجواب في نفس اليوم أو خلال أيّام .

وجواب المرجع عادةً يكون من جانب العمل؛ لأنّه متخصصّ في الفقه العمليّ، ولا يبيّن في الجواب الجانب العقائديّ والجانب الأخلاقيّ، نعم في بعض المسائل قد يذكر المرجع شيئاً من الجانبين، والفقه العمليّ يعطيك جانباً واحداً فقط، وتحتاج إلى معرفة علاقة هذا العمل بالجانب العقائديّ والجانب الأخلاقيّ، ويحتاج المؤمن إلى متخصصّ في الفقه العقائديّ؛ لأجل أن يبيّن له العلاقة بين العمل والعقائد، وإلى متخصصّ في الفقه الأخلاقيّ؛ لأجل أن يبيّن العلاقة بين العمل والصفّات القلبيّة وتأثير العمل على القلب .

مثلاً لحوم تباع في السّوق، والحكم العمليّ هو جواز الأكل بشروط معيّنة إذا كان في سوق المسلمين، والحيوان قد يكون مذبوّحاً في بلد غير المسلمين، فلا يكون مذكّي، لذلك لا يجوز أكله، وقد يكون مذبوّحاً داخل بلد المسلمين، فيكون مذكّي، فيجوز أكله، وهذا حكم الفقه العمليّ، وقد يحصل عندك شبهة لسبب معيّن .

ويأتي السّؤال : هل يوجد تأثير للطعام على قلب الإنسان وباطنه ؟
في الفقه العمليّ لا يُجاب عن هذا السّؤال، وترجع إلى المتخصصّ

في الفقه الأخلاقي؛ لكي يبيّن تأثير أكل الحلال وأكل الحرام وأكل الشبهات على القلب حتّى لو كان من ناحية الفقه العمليّ جائزاً، وإذا كان اللحم في الواقع حراماً فهو يؤثّر على روح الإنسان وقلبه وباطنه، وإذا أثر على قلبه سلّباً فإقباله على العبادة يصبح أقلّ بسبب التأثير الروحيّ السلبّي، لذلك قد يرى بأنّ تفاعله مع الصلّاة أضعف أفضل من تفاعله اليوم، ولا بدّ من أن يراجع نفسه ليعرف التّأثيرات الروحيّة التي حصلت له، قد يكون بسبب الطّعام الذي أكله في يوم أمس، وقد يكون بسبب نظرة محرّمة إلى امرأة في التّلفاز، وانطبعت هذه الصّورة في ذهنه، وأثناء الصلّاة إبليس - لعنه الله تعالى - يأتي بهذه الصّورة فينشغل ذهن المؤمن ويغفل عن الصلّاة .

وإخطار إبليس للصّور الذهنيّة المختلفة أمر واقعيّ يحصل مع جميع النّاس، وفي الصلّاة تأتيك صور معيّنة، وهذا دور إبليس، وأنت في غير حال الصلّاة لا تأتيك هذه الصّور، وبمجرّد أن تقول : الله أكبر، يبدأ عمل إبليس بقذف الصّور في ذهنك حتّى الصّور القديمة للأحداث التي مرّت عليك أيّام طفولتك، وشغل إبليس هو أن يلهيك عن صلّاتك، لذلك على الإنسان أن يحرص على ذهنه، لا أنّه يحرص على النّاحية العمليّة فقط، فحتّى الذهن والفكر يحتاج إلى اهتمام، ومن المهمّ أن تحرص على نوع الصّور التي تجعلها في ذهنك؛ لأنّ ساحة الذهن ساحة عمل بالنّسبة للإنسان، فيوجد نوعان من العمل : العمل الخارجيّ والعمل الذهنيّ، والعمل الخارجيّ واضح،

ولكنّ العمل الذهنيّ غير واضح للإنسان مع أنّ الدّهن يعمل طوال الوقت ليلاً ونهاراً، وحينما تكون في البيت أو خارج البيت فأنت تلتقط صوراً من الخارج وتخزنها في ذهنك، فعن طريق التّلفاز والوسائل الحديثة للاتّصال تدخل إلى ذهنك كثير من المعلومات والصّور، والإنسان لا بدّ من أن ينظّم المعلومات في ذهنه، فالمعلومة التي تنفعه يضعها في الدّهن، والمعلومة غير النّافعة لا بدّ من أن يمسحها حتّى لا تؤثر على قلبه، والمشكلة أنّ الدّهن بمجرد ما يلتقط أيّ صورة فمن الصّعوبة أن تمسحها، نعم تجعلها في طيّ النسيان، ولكن في وقت ما هذه الصّورة تخرج إليك، لذلك فالنّظرة الأولى لك والثانية عليك، والنّظرة الأولى هي النّظرة السريعة للشّيء بحيث لا يلتقط الدّهن صورته ولا تثبت الصّورة في الدّهن، وفي النّظرة الثانية يلتقط الدّهن صورة الشّيء حينما يدقّق النّظر، مثل ذاك الشّخص الذي يدقّق النّظر في النّظرة الأولى وينظر إلى الشّيء مدّة طويلة، ويقول إنّ هذه هي النّظرة الأولى، فينظر إلى الشّيء عدّة دقائق بدون أن يغلق عينيه، وهذه الصّورة تنطبع في الدّهن وتثبت فيه .

إنّ ساحة العمل الخارجيّ ساحة عمليّة للإنسان، وكذلك الدّهن ساحة عمليّة، والإنسان حينما يجلس بلا عمل خارجي تسأله : بماذا تفكر ؟

فيقول : لا أفكر بشيء .

أي أنّ شاشة الدّهن بيضاء، ولا صور فيها .

نقول : إنّ المؤمن لا يظلّ بلا تفكير، ولا يترك شاشة ذهنه بيضاء، بل لا بدّ من أن يفكر بشيء، ولا يوجد إنسان لا يفكر بشيء، فعملية التفكير مستمرة في ذهن كلّ إنسان، ولا بدّ من وجود شيء تفكر فيه، والمؤمن لا بدّ من أن يسيطر على ذهنه بحيث لا ينجرّ إلى التفكير بأيّ شيء يخطر على باله، فإبليس يلقي صورةً في ذهن الإنسان، ويسترسل الإنسان مع هذه الصورة، ولا بدّ من أن يمسخ هذه الصورة من ساحة ذهنه، ويأتي بصورة جديدة هو يكوّنها، ولا يترك الأمر بيد إبليس الذي ينقله من صورة إلى أخرى، وهذا يحتاج إلى ممارسة وتمارين من الإنسان المؤمن حتّى يمكنه السيطرة على الأفكار التي تأتي في ذهنه، والمعصوم عليه السلام عنده سيطرة كاملة على ذهنه، لذلك لا يستطيع إبليس الدخول إلى ذهن المعصوم عليه السلام، ولكن الإنسان غير المعصوم لا توجد عنده السيطرة الكاملة على ذهنه، وإبليس يلقي الصورة السيئة في الدّهن، ودور المؤمن أن يلغي هذه الصورة، ويأتي بصورة أخرى جيّدة نافعة .

الرجوع إلى موضوعنا :

إنّ علاقة المؤمن بالفقيه لا بدّ من أن تكون محدّدة، ومن يتصدّى في القضايا الاجتماعيّة لا بدّ من أن يسأل نفسه : إلى من أرجع في تشخيص القضايا الاجتماعيّة بحيث أتحرّك في هذه القضية ولا أتحرّك في القضية الأخرى ؟

تجد أنّ أكثر الذين يعملون في السّاحة يتحرّكون على أساس آرائهم

الشخصية، فهو يقيّم القضية بلا أيّ مقاييس دينية؛ لأنه لا يوجد عنده اطلاع على هذه المقاييس، مثلاً شابّ عمره ١٨ سنة يقوم بعمل اجتماعي قطعاً لا توجد عنده هذه المقاييس لحدّ الآن، فهو إلى الآن لم يضبط مقاييسه في العبادات، فقد لا يتقن وضوءه، فيأتي بوضوء باطل، وبالتالي تكون صلاته باطلة .

كيف نتوقع من هذا الشاب أن يدخل في القضايا الاجتماعية ويعمل في السّاحة بحيث تكون المقاييس بيده ؟

فهو يتحرّك بأيّ مقياس وعلى أيّ أساس ؟

وعادةً ما يوجد أشخاص أكبر منه عمراً يرجع إليهم هذا الشاب، ولكن هؤلاء الأشخاص من هم ؟ وما هو اطلاعهم ؟ وهل يمكنهم أن يقيّموا الأشياء وأن يشخصوا العمل المطلوب أو يرجع إلى من يطلق عليه عنوان "القائد" ؟ وهذا القائد ما هي خلفيته الدينية والشرعية ؟ وهل يرجع إلى العلماء والفقهاء في تشخيص أعماله أو يرجع إلى آرائه الشخصية ؟

ولا أتصوّر أنّ جميع العاملين في السّاحة عندهم هذه الرؤية، ولو أنّ جميع العاملين كانوا يرجعون إلى العلماء لكانت أمور المجتمع بخير، ولما وجدنا هناك خلافات بين المؤمنين، فالعامل الأوّل يريد أن يسيطر على السّاحة، والعامل الثاني يريد أن يقوم بنفس الفعل، فيقع الخلاف بينهم سواء كانوا أشخاصاً أم تيارات وجماعات .

لماذا تقع الخلافات بين المؤمنين ؟

هل يريد الله تعالى من العاملين في السّاحة أن تقع الخلافات بينهم بحيث تؤدّي إلى وقوع التّفرقة بين المؤمنين وشقّ وحدتهم ؟

توجد مقاييس إلهيّة، وكلّ مؤمن يعمل في السّاحة لا بدّ من أن يلتفت إلى ألا يقع الخلاف بينه وبين أخيه المؤمن، فيحتاج إلى معرفة المقاييس الدّينيّة في القضايا الاجتماعيّة، ولا بدّ من الرّجوع إلى العلماء في تحديد المقاييس وتشخيص الأعمال، والعامل بدون الرّجوع إلى العلماء لا يمكنه أن يشخّص تكاليفه بدقّة في مجال العمل الاجتماعيّ، والعمل الاجتماعيّ ليس كالعمل الفرديّ، ففي العمل الفرديّ تجد الجواب في الرّسالة العمليّة، فتتوضّأ بهذه الكيفيّة، وتصلّي وتصوم وتحجّ بكيفيّة معينة، ولكن حينما تدخل إلى العمل الاجتماعيّ توجد عوامل كثيرة بحيث تغيّر الحكم الشرعيّ من حكم إلى حكم آخر، فقد يوجد وجوب بدل الاستحباب، وكلّ عمل له حكم شرعيّ، والمؤمن إذا أراد أن يحدّد تكاليفه فيجب أن يرجع إلى الفقهاء الذين يحدّدون التكاليف الشرعيّة للمؤمنين، والعلماء عندهم القدرة على التّشخيص .

ونسمع من بعض الشّباب يقول : أنا أشخّص .

نسأله : على أيّ أساس تشخّص ؟

يقول : أسير على رأيي .

نقول : ليس من حقّك أن تسير على رأيك الشّخصيّ، فالمؤمن عنده علاقة بالفقيه ومرجع التّقليد، نعم لك الحقّ في تحديد الموضوع، وإذا

قال الفقيه حكماً معيناً فيمكنك أن تطبق هذا الحكم على الموضوع،
مثلاً إذا قيل : الجبن المحتوي على دهن الخنزير حرام .

أنت تشخص الموضوع بأنّ هذا الجبن المعين يحقق موضوع الحكم
أو لا يحقق، فتقرأ مكونات الجبن؛ لأجل أن تعرف محتواه، وبالتالي
تعرف أنّه حلال أو حرام، فالحكم الشرعيّ تأخذه من الفقيه، لا أنّ
الشخص يخترع أحكاماً شرعيةً بدون أيّ دليل شرعي .

وبعض الأشخاص في النقاشات يقول : نعم توجد أحكام إلهية،
ولكن حينما تنزل إلى الأرض فإنّ هذه الأحكام يمكن أن تتغيّر إلى
أحكام أخرى، وأنا أحدّد هذا التّغيير في الحكم .

وهذا رأي غريب سمعته من أحد المؤمنين، ولم يقل به أحد من
الفقهاء؛ لأنّ حلال محمّد حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم
القيامة .

والمشكلة هي أنّ بعض الأشخاص حينما يحصلون على بعض
المعلومات الدّينية يظنّ بأنّ عنده الحرّيّة في استنباط الحكم الشرعيّ،
ولكنّه استنباط للحكم الشرعيّ بلا دليل، فيقول لك الحكم، وإذا
سألته عن الدليل يقول إنّ هذا هو رأيه .

ولا يوجد عنده دليل شرعيّ ولا قول لأحد الفقهاء، وهذا أمر
خطير بأنّ المؤمن الذي يريد أن يتحرّك اجتماعياً ويعمل في السّاحة لا
يحدّد علاقته بالفقهاء والعلماء، ويكون تحرّكه على أساس الرّأي
الشّخصي أو على أساس أخذ الأحكام من غير العلماء .

ونأتي الآن إلى العامل الثالث عشر من عوامل تأخر ظهور الإمام عليه السلام .

العامل الثالث عشر : عدم الالتزام بأقوال العلماء :

الفقهاء والعلماء فقط و فقط هم محاور الأمة، ولا يمكن لشخص عادي أن يصبح محوراً للأمة، ولا يجوز لشخص بلا علم أن يكون محوراً للناس، ولا يجوز له أن يأخذ مكان العلماء، والمؤمنون عبارة عن كواكب تدور حول المحور، والعلماء هم الذين يبيّنون الأحكام الدنيّة ويحدّدون التكاليف الشرعيّة .

سؤال : هل يحقّ لغير العالم التصدّي للأمر الدنيّة ؟

الجواب :

ليس من حقّه التصدّي للأمر الدنيّة، فالأمر الدنيّة يتصدّي لها العلماء فقط، ومن يتصدّي للأمر الدنيّة من غير العلماء فقد أخذ دوراً ليس دوره ومقعداً ليس مقعده، وبدل أن يقول بوجوب رجوع المؤمنين إلى العلماء يقول بجواز الرجوع إلى غير العالم حتّى يمشي بضاعته، ويرجع الناس إليه، وإذا قال بوجوب الرجوع إلى العلماء فلا أحد يرجع إليه، ويظلّ بلا عمل .

إذن :

محاور الأمة هم العلماء فقط و فقط، ولا يجوز الرجوع إلى غير العالم في أخذ الأحكام الشرعيّة والتصدّي للأمر الدنيّة .

وهذا مثل أن يأخذ الممرّض مكان الطّبيب، والممرّض سيشرح

المرض تشخيصًا خاطئًا، ويوصف الدّواء الخاطيء، ووصفه للعلاج الذي يعطيه يكون بمقدار علمه كمرّض، وهو سيؤدّي إلى موت بعض الأشخاص الذين يراجعونه .

وهكذا غير العالم الذي يتصدّى، فالممرّض يفني الأجساد، وغير العالم يفني الأرواح، فهو سيدمر أرواحًا ويطرح المفاهيم الدّينيّة الخاطئة، كمن يدّعي الطّبّ فإنّه قد يقتل نفوسًا، ويزيد أمراض النّاس الجسدية بدل أن يشفيها، وغير العالم يزيد أمراض النّاس الرّوحيّة التّفسيّة بدل أن يساهم في علاجهم؛ لأنّه لا يملك العلاج، فهو ليس عالما بالعلاج الدّينيّ الرّوحيّ التّفسيّ .

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : "من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح" (١) .

وهذه قاعدة دينيّة بأنّ من عمل بلا علم فإنّه يفسد أكثر ممّا يصلح وهو يظنّ أنّه يحسن صنعًا، فإذا أراد الشّخص أن يُقدّم على عمل دينيّ أو عمل دنيويّ فلا بدّ من أن يكون عنده العلم الكافي بما يريد أن يُقدّم عليه .

عن أبي عبد الله عليه السّلام : "لا يقبل الله عملاً إلاّ بمعرفة، ولا معرفة إلاّ بعمل، فمن عرف دلّته المعرفة على العمل، ومن لم يعمل فلا معرفة له، ألا إنّ الإيمان بعرضه من بعض" (٢) .

(١) الكافي ج ١ ص ٤٤ ح ٣ .

(٢) المصدر السّابق ج ١ ص ٤٤ ح ٢ .

إذا أراد أن يكون مهندسًا فلا بدّ من أن يكون قد درس في كَلِيَّةِ الهندسة، والتَّشخيص يحتاج إلى علم، سواء كان التَّشخيص لأمر دنيويّ كتشخيص الطَّبيب والمهندس، أم كان التَّشخيص لأمر دينيّ كتشخيص العالم .

ومن لا يكون عنده العلم الكافي قد يطرح بعض الأمور التي لا يقبل بها الله تعالى، ويكون مخالفاً للتكليف الذي يريده الإمام عليه السلام، ولا يعرف ماذا يطلب منه الإمام عليه السلام، فيطرح بعض الأمور على أساس أنها أمور دينية، ولكنها في الواقع أمور شيطانية بدل أن تكون أموراً إلهية، ويكون قد أخذ مكان أحد العلماء، والمفروض في جميع المجتمعات أن المؤمنين يرجعون إلى العلماء في أمورهم وقضاياهم ومشاكلهم وأعمالهم الدنيوية وفيما يُطرح من أفكار، فيرجعون إلى العلماء؛ لكي يعرفوا الأجوبة، وأما إذا رجع إلى غير العالم فلا يأخذ منه الأحكام الإلهية؛ لأنّ غير العالم لا يعرف الأحكام الدنيوية؛ حتى يمكنه أن يبيّن هذه الأحكام .

والعالم دوره في المجتمعات أنّه يحدّد المشاكل ويبيّن الحلول، وفي كلّ مجتمع توجد مجموعة من المشاكل، وتختلف المجتمعات في نوعيّة مشاكلها، فالعالم يبيّن العلاج والحلول للمشاكل، وعلى النَّاس أن يأخذوا بالحلول التي يبيّنها العلماء، والنَّاس قد لا يرجعون إلى العلماء مع أنّ العلماء عندهم حلول المشاكل، فتظلّ أوضاع المجتمع بشكل عامّ أوضاعاً روتينيةً ثابتةً تقريباً .

سؤال : كم مؤمن يرجع في جميع أعماله إلى العلماء ؟

قد يرجع في ١٠% من أعماله إلى العلماء، أو أقلّ أو أكثر من ذلك، فإذا احتاج إلى مسألة في الوضوء والصّلاة يرجع إلى العلماء، ولكن في القضايا الاجتماعيّة لا يرجع إليهم .

مثلاً تقع مشكلة بينه وبين زوجته، المفروض أن يرجعا إلى العالم في إيجاد الحلّ، ولكن ترى أنّه يتحرّك على أساس رأيه الشّخصي، وهي تتحرّك على أساس رأيها الشّخصي، وآخر شيء تنتقل القضيّة إلى المحكمة، ولو أنّهما رجعا إلى العلماء لوجدوا الحلّ، ولكن بشرط أن يسلّما تسليماً، أي تكون عندهما حالة التّسليم للحكم الشّرعي، والعالم يمكنه حلّ المشكلة في ظرف دقيقة واحدة، ويعطيها الحكم الشّرعي، ويبيّن لهما خطأ الطّرفين، أنت مخطئ في هذا الأمر، وأنت مخطئة في هذه القضيّة، ويبيّن لهما الحلّ المناسب، وتنتهي المشكلة، ويرجعان إلى بيتهما وكلّ منهما يعرف واجباته وحقوقه، ولكن للأسف لا يأخذان بالحلّ فيصلاّن إلى الطّلاق، وتبدأ المشاكل بينهما، ويتدخّل أهل الطّرفين، وبدل أن يحلّوا المشكلة فإنّهم يزيدون الطّين بلّةً، ويرمون الحطب على النّار، وتجد أنّ أهل الرّوج يقفون معه، وأهل الرّوجة يقفون معها، وبعد أن كان الخلاف بين فردين أصبح الآن بين عائلتين؛ لأنّ جميع الأفراد المشاركين في المشكلة لا يوجد عندهم اطلاع على الأحكام الشّرعيّة، ومع الأحكام الشّرعيّة يحتاجون إلى التّعقل أيضاً، وقد يعرف الشّخص الأحكام الشّرعيّة،

ولكنه قد يخرج عن طوره؛ لأنّ الحكم الشرعي لا يصبّ في مصلحته، فلا يقبل هذا الحكم الشرعي، وأهل الزوج يقفون معه، ولو كانت البنت بنتهم لوقفوا معها، ولا ينظرون إلى من هو صاحب الحقّ، ولا يأخذون بمقياس الحقّ، فالمقياس هو أنّ هذا أو هذه من أهلي، فأنا أقف معه أو معها، والقضيّة قضية عصبية لا على أساس الحكم الشرعيّ والحقّ والباطل، والحكم الشرعيّ لا يفرّق بين أنّه أو أنّها من أهلك .

طبّق الحكم الشرعيّ حتى على نفسك، فإذا كان عند شخص حقّ عليك فلا يحتاج أن يذهب إلى المحكمة ليطالب بحقه، يجب عليك أن تعطيه حقه، وقد يقول بأنّ عنده أوراق وشهود، والطرف الآخر قد أعطاه أمواله سابقاً ولم يأخذ منه ورقة تثبت أنّه قد سدّد ما عليه، فيكون قد أخذ مالاً محرّماً .

مثلاً إذا كان قد أعطاه ٢٠ ألف دينار، ولا توجد عند الأوّل ورقة تثبت ذلك، ولا يوجد عنده شهود اعتماداً على أنّ الثّاني ثقة . فيقول الثّاني له : لا يوجد عندك دليل، فاذهب إلى المحكمة .

وفي المحكمة لم يستطع الأوّل أن يثبت حقه، فيظلّ الحقّ في ذمّة الثّاني حتى لو لم يستطع الأوّل أن يثبت حقه، ولا ينتقل المال إلى ملكيّة الثّاني حتى لو أنّه كسب القضية في المحكمة، والله عزّ وجلّ يعلم أنّ الثّاني قد سلب حقّ الأوّل، والثّاني نفسه يعلم بذلك أيضاً، فيكون قد أخذ أموالاً محرّمةً، والله سيعاقبه على ذلك .

إذن :

يجب أن يعرف المكلف الحكم الشرعي ويسلم به تسليمًا تامًا،
والحكم الشرعي يأخذه من العلماء، فمحاوِر الأُمَّة في عصر الغيبة هم
العلماء فقط وفقط، ولا يوجد في الدين وعند المؤمنين محاور أخرى .

نذكر هنا روايةً شريفةً تبين مكانة العلماء :

عن الإمام الصادق عليه السلام : "إن العلماء ورثة الأنبياء، وذلك
أن الأنبياء لم يورثوا درهمًا ولا دينارًا، وإنما أورثوا أحاديث من
أحاديثهم، فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ حظًا وافرًا، فانظروا علمكم
هذا عمّن تأخذونه، فإنّ فينا أهل البيت في كلّ خلف عدوًّا ينفون
عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين" (١) .

تعليق :

"إن العلماء ورثة الأنبياء" : إذا كان العلماء ورثة الأنبياء عليهم
السلام فيجب أن نعطيهم هذه القيمة والمكانة والمنزلة، فعلى أساس
المقياس الإلهي يكون العلماء ورثة الأنبياء عليهم السلام .

"الأنبياء لم يورثوا درهمًا ولا دينارًا" : وهذا لا يعني أنّهم لا يورثون،
فهم عليهم السلام يورثون، ولكن واقعهم أنّهم لا يملكون شيئًا يعطونه
للورثة، وحكم الميراث ينطبق أيضًا على النبيّ صلى الله عليه وآله وعلى
الأنبياء عليهم السلام، فإذا كانوا عليهم السلام يملكون المال فإنّ المال
ينتقل إلى الورثة، والرواية الشريفة تريد أن تنقل واقع الأنبياء عليهم

(١) الكافي ج ١ ص ٣٢ ح ٢ .

السّلام بأنّهم لا يملكون الأموال، لذلك لا يورثون الدّرهم والدّينار،
وليس المعنى أنّهم لا يورثون الأموال إذا كانت لديهم أموال .

يقول القرآن الكريم حكايةً عن نبيّ الله زكريّا عليه السّلام :

"وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ
لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرْثُنِي وَيَرِثُ مِنْ عَالٍ يَعْقُوبُ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا" (١) .

وهذه الآية الكريمة عامّة شاملة لجميع الأنبياء عليهم السّلام ولغير
الأنبياء، ولم يرد أيّ تخصيص لها يجعلها لغير الأنبياء فقط .

"وإنما أورثوا أحاديث من أحاديثهم، فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ
حظًا وافراً" : إنّ قيمة الإنسان بقيمة العلم الذي يأخذه من الأنبياء
عليهم السّلام .

عن الإمام الصادق عليه السّلام : "اعرفوا منازل شيعتنا بقدر ما
يحسنون من رواياتهم عنّا، . . ." (٢) .

تعرف منزلة المؤمن على حسب مقدار روايته أي مقدار علمه
الذي أخذه من النبيّ صلّى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السّلام،
وبهذا المقياس أنت تقيّم المؤمنين، والأمر الآخر هو التقوى الملازمة
للعلم، والرّوايات الشّريفة حينما تذكر العلم فإنّها لا تهمل التقوى،
وبهذا المقياس الإلهي يتمّ تقييم المؤمنين، وبناءً على المقاييس الإلهية
يتحرّك المؤمن، والعلماء ورثة الأنبياء عليهم السّلام، والعالم في المجتمع

(١) مريم : ٥-٦ .

(٢) بحار الأنوار ج ٢ ص ٨٢ ح ١ .

يجب أن نعطيه قيمةً بقيمة وظيفة الأنبياء عليهم السّلام، فالعلماء ورثة الأنبياء عليهم السّلام من حيث الوظيفة، كأنّ نبياً من الأنبياء عليهم السّلام موجود بيننا، ولكنّ النّاس لا يرجعون إليه في معرفة الأحكام، ورسول الله صلّى الله عليه وآله لا يبيّن الأحكام العمليّة فقط من وضوء وصلاة وصيام وغيرها، بل يعطيك الأحكام الشرعيّة في القضايا الاجتماعيّة أيضاً، فتأخذ من رسول الله صلّى الله عليه وآله أحكام كلّ شيء، والفقيه موجود بيننا، ولا بدّ من أن نرجع إليه في معرفة الأحكام الدينيّة، وكما يحدّد الدّين علاقتنا بالأنبياء والأئمّة عليهم السّلام فالدّين يحدّد علاقتنا بالفقهاء أيضاً، والأئمّة عليهم السّلام أرجعوننا إلى الفقهاء، فنرجع إلى الفقهاء باعتبار أنّهم يمثلون وظيفة الأنبياء والأئمّة عليهم السّلام، وبعد تحديد العلاقات مع الأنبياء والأئمّة عليهم السّلام والفقهاء يتحرّك المؤمن على أساس هذه العلاقات .

"فانظروا علمكم هذا عمّن تأخذونه" : العلم لا يؤخذ من أيّ شخص، بل لا بدّ من أن نرجع إلى ورثة الأنبياء عليهم السّلام؛ لنأخذ العلم منهم .

وتوجد روايات كثيرة تتحدّث عن منزلة العلماء، وتجودونها في مقدّمات الكتب التي تتحدّث عن العلم والعلماء، ولا بدّ من اطلاع المؤمن على هذه الروايات، وأنصح بقراءة الجزء الثاني من أصول الكافي للشيخ الكلينيّ رضوان الله عليه، وفيه روايات عن الإيمان

وصفات المؤمنين، والمؤمن لا بدّ من أن يطّلع على الآيات الكريمة والروايات الشريفة، ويلتزم بصفات المؤمنين الواردة فيها؛ لأنّها مقياس للمؤمن، فمن جهة هذه الصفات تعطيه النظر إلى نفسه، ومن جهة أخرى تبين علاقاته بالمؤمنين وغير المؤمنين، ولا بدّ من أن يعرف المؤمن هذه العلاقات؛ لكي يتحرّك على أساس المقاييس الإلهية .

خلاصة الموضوع :

المؤمن لا يمكنه أن يتحرّك بلا مقاييس إلهية في تحديد علاقاته بكلّ شيء موجود حوله، من تحديد علاقته بالله تعالى والتّبيّ صلى الله عليه وآله وسيّدة نساء العالمين عليها السّلام والأئمّة عليهم السّلام، وبالإنسان الآخر المؤمن وغير المؤمن من المنافق والفاسق والمشرك والكافر، وهذه دوائر موجودة دائماً، ففي العالم يوجد مشركون وكفّار وأتباع الديانات المختلفة، ويحدّد أيضاً علاقاته بالحيوانات والجمادات، فيحدّد كيفية علاقته بكلّ شيء، ولا يمكن أن يعرف هذه العلاقات بدون الرجوع إلى العلماء، فالعلماء ورثة الأنبياء عليهم السّلام، والعلماء محاور الأئمة المؤمنة، ودورنا أن لا نأخذ العلم إلاّ من العلماء؛ لأجل أن نحدّد علاقاتنا بالأشياء، ونأخذ منهم الأحكام الدّينية، بالإضافة إلى تشخيص أمور المجتمع، وبذلك تكون بأيدينا الأحكام الشرعيّة، وعلى أساس هذه الأحكام يتحرّك المؤمن، ولا نرجع إلى غير العلماء لمعرفة تكاليفنا الشرعيّة، وكلّ من لا يقدر على استنباط الأحكام الشرعيّة يرجع إلى القادر على الاستنباط، والقاعدة العقليّة

تقول بوجوب رجوع الجاهل إلى العالم، ولا يرجع الجاهل إلى جاهل مثله في الأحكام الدنيوية، والمؤمن أولاً يأخذ الأحكام الشرعية من العلماء، وثانياً يسلم بهذه الأحكام، وثالثاً يعمل بهذه الأحكام .
ونذكر روايات شريفة أخرى عن منزلة العلماء :

عن الإمام الصادق عليه السلام : "إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين" (١) .

عن الإمام الباقر عليه السلام : "الكمال كل الكمال التفقه في الدين، والصبر على التائب، وتقدير المعيشة" (٢) .

عن الإمام الصادق عليه السلام : "العلماء أمناء، والأتقياء حصون، والأوصياء سادة" (٣) .

عن رسول الله صلى الله عليه وآله : "لا خير في العيش إلا لرجلين : عالم مطاع، أو مستمع واع" (٤) .

عن الإمام الباقر عليه السلام : "عالم يُنتَفَعُ بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد" (٥) .

(١) الكافي ج ١ ص ٣٢ ح ٣ .

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٣٢ ح ٤ . التائب : الحادثة . تقدير المعيشة : ترك الاسراف .

(٣) المصدر السابق ج ١ ص ٣٣ ح ٥ .

(٤) المصدر السابق ج ١ ص ٣٣ ح ٧ .

(٥) المصدر السابق ج ١ ص ٣٣ ح ٨ .

عن معاوية بن عمّار قال : قلت لأبي عبد الله عليه السّلام : رجل راوية لحديثكم يبيّث ذلك في النّاس، ويشدّه في قلوبهم وقلوب شيعتكم، ولعلّ عابداً من شيعتكم ليست له هذه الرّواية، أيّهما أفضل؟ قال عليه السّلام : "الرّواية لحديثنا يشدّد به قلوب شيعتنا أفضل من ألف عابد" (١) .

عن أمير المؤمنين عليه السّلام : "إنّ النّاس آلوا بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى ثلاثة : آلوا إلى عالم على هدى من الله، قد أغناه الله بما علم عن علم غيره، وجاهل مدّعٍ للعلم لا علم له، معجب بما عنده، قد فتنه الدّنيا وفتن غيره، ومتعلّم من عالم على سبيل هدى من الله ونجاة، ثمّ هلك من ادّعى وخاب من افترى" (٢) .

عن الإمام الصّادق عليه السّلام : "النّاس ثلاثة : عالم ومتعلّم وعُثاء" (٣) .

عن الإمام الصّادق عليه السّلام : "اغدُ عالماً أو متعلّماً أو أحبّ أهل العلم، ولا تكن رابعاً فتهلك ببغضهم" (٤) .

عن الإمام جعفر الصّادق عليه السّلام : "يغدو النّاس على ثلاثة

(١) الكافي ج ١ ص ٣٣ ح ٩ .

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٣٣ ح ١ . آلوا : رجعوا .

(٣) المصدر السابق ج ١ ص ٣٤ ح ٢ . عُثاء : ما يحمّله السّيل من الرّيد والوسخ وغيره .

(٤) المصدر السابق ج ١ ص ٣٤ ح ٣ .

أصناف : عالم ومتعلّم وغُثَاء، فنحن العلماء، وشيعتنا المتعلّمون،
وسائر النَّاسِ غُثَاء" (١) .

عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : "من سلك طريقًا يطلب فيه
علمًا سلك الله به طريقًا إلى الجنة، وإنَّ الملائكة لتضع أجنحتها
لطالب العلم رضاً به، وإنَّه يستغفر لطالب العلم من في السَّمَاءِ ومن
في الأرض حتَّى الحوت في البحر، وفضل العالم على العابد كفضل
القمر على سائر النجوم ليلة البدر ، . . ." (٢) .

عن الإمام الباقر عليه السَّلَام : "إِنَّ الَّذِي يُعَلِّمُ الْعِلْمَ مِنْكُمْ لَهُ أَجْرٌ
مِثْلُ أَجْرِ الْمُتَعَلِّمِ وَلَهُ الْفَضْلُ عَلَيْهِ، فَتَعَلَّمُوا الْعِلْمَ مِنْ حَمَلَةِ الْعِلْمِ،
وَعَلِّمُوهُ إِخْوَانَكُمْ كَمَا عَلَّمَكُمُوهُ الْعُلَمَاءُ" (٣) .

عن الإمام الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَام : "ما من أحد يموت من المؤمنين
أحبَّ إلى إبليس من موت فقيه" (٤) .

عن الإمام الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَام : "إذا مات المؤمن الفقيه ثلم في
الإسلام ثلمة لا يسدها شيء" (٥) .

عن الإمام السَّجَّادِ عَلَيْهِ السَّلَام : "لو يعلم النَّاسُ ما في طلب العلم

(١) الكافي ج ١ ص ٣٤ ح ٤ .

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٣٤ ح ١ .

(٣) المصدر السابق ج ١ ص ٣٥ ح ٢ .

(٤) المصدر السابق ج ١ ص ٣٨ ح ١ .

(٥) المصدر السابق ج ١ ص ٣٨ ح ٢ .

لطلبوه ولو بسفك المُهَجِّ وخوض اللُّجَجِ، إِنَّ اللهَ تبارك وتعالى أوحى إلى دانيال أن أمقت عبيدي إليّ الجاهل المستخفّ بحق أهل العلم، التّارك للاقتداء بهم، وأنّ أحبّ عبيدي إليّ التّقيّ الطّالب للتّواب الجزيل، اللازم للعلماء، التّابع للحلماء، القابل عن الحكماء" (١) .

عن الإمام الكاظم عليه السّلام : "إذا مات المؤمن بكت عليه الملائكة، وبقاع الأرض التي كان يعبد الله عليها، وأبواب السّماء التي كان يصعد فيها بأعماله، وثلم في الإسلام ثلماً لا يسدها شيء؛ لأنّ المؤمنين الفقهاء حصون الإسلام كحصن سور المدينة لها" (٢) .

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : "قالت الحواريّون لعيسى : يا روح الله، من نجالس ؟ قال : من يذكركم الله رؤيتُهُ، ويزيد في علمكم منطقه، ويرغبكم في الآخرة عمله" (٣) .

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : "تذاكروا وتلاقوا وتحدّثوا؛ فإنّ الحديث جلاء للقلوب، إنّ القلوب لترين كما يرين السّيف، جلاؤها الحديث" (٤) .

(١) الكافي ج ١ ص ٣٥ ح ٥ . المُهَجُّ : جمع مُهَجَّة، وهي الدّم أو دم القلب خاصّةً، والمعنى إراقة دمائهم . اللُّجَجُ : جمع لُجَّة، وهي الماء الكثير الذي تصطخب أواجه .

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٣٨ ح ٣ . بِقَاع : جمع بُقْعَة، وهي القِطْعَة .

(٣) المصدر السابق ج ١ ص ٣٩ ح ٣ .

(٤) المصدر السابق ج ١ ص ٤١ ح ٨ . الرّين : الدّنس . يجلو القلب :

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد
وآله الطّيبين الطّاهرين .

أسئلة وتعليقات الحاضرين :

الحاجّ فالخ غزال :

قلتم إنّ الإنسان يسيطر على فكره، وبداية المعصية هي التّفكير
بها، وبداية العمل الطّيب هو التّفكير به، فكيف يمكن للإنسان أن
يروّض فكره ونفسه ؟

جواب الشيخ محمّد أشكناني :

لكي يسيطر المؤمن على نفسه يحتاج إلى معرفة نفسه، وقبل أن
يعرف نفسه لا يمكنه ترويضها، وهذا يحتاج إلى مجموعة من المحاضرات
الأخلاقيّة في معرفة النّفس، وبعد أن يدرس علم الأخلاق يمكنه
السّيطرة على نفسه، ولعلّ الله يوفّقنا لإلقاء هذه المحاضرات مستقبلاً،
وفي محاضراتنا في السّنوات الماضية كنّا نتناول مواضيع تصبّ في بيان
الجوانب الأخلاقيّة للإنسان .

الأستاذ محمّد الحدّاد :

بالنسبة لما ذكرتموه من أنّ معرفة الرّوايات تساعد المؤمن في التّحرّك
ومعرفة الدّين، فهل تكفي معرفة الرّوايات بدون الرّجوع إلى العلماء ؟
جواب الشيخ محمّد أشكناني :

توجد روايات يمكن لمن يقرأها أن يفهمها، وكلامنا عن الرّوايات

يصقله ويزيل عنه الدّنس . جلاؤها : جلاء القلوب .

التي فيها استنباط لحكم شرعيّ .

مثلاً عن أبي عبدالله عليه السّلام : "المؤمن أخو المؤمن، عينه ودليله، لا يخونه، ولا يظلمه، ولا يعشّه، ولا يعده عدة فيخلفه" (١) .

هذه الرّواية واضحة لمن يقرأها، نعم العالم يمكنه أن يعطيك شرحاً أوسع لها، ومن يقرأ روايةً يفهم مقداراً، ويعمل بهذا المقدار، ولكن بشرط أن لا يكون في دائرة الاستنباط الفقهيّ، ودائرة استنباط الحكم الشرعيّ خاصّة بالفقهاء، نعم يوجد مقدار يفهمه المؤمن .

مثلاً من يقرأ القرآن هناك معاني تأتي في ذهنه، وهذا يعتمد على المستوى العلميّ والدّهنيّ للإنسان، فحينما يقرأ الآية قد يأتي في ذهنه معنى واحد، وأمّا العالم فتأتي في ذهنه عشرة معاني، ويحدّد المعنى الصّحيح من هذه المعاني العشرة، وهذا المعنى الصّحيح قد لا يأتي في ذهن غير العالم، وما يفهمه الإنسان العاديّ من القرآن ليس بحجّة، نعم بعض الآيات صريحة وواضحة، والجميع يفهم نفس المعنى، والقرآن له ظاهر وباطن، والنّاس يفهمون من القرآن المعاني الظّاهرة، ولكن أهل البيت عليهم السّلام يبيّنون بواطن القرآن وتأويلات الآيات، وهذا يحتاج إلى علم؛ لكي يمكنه أن يرجع إلى الرّوايات التي تتحدّث عن بواطن الآيات، والعلماء يمكنهم أن يتعاملوا مع هذه الرّوايات، ويبيّنون معاني الآيات على أساس هذه الرّوايات، وبعض الرّوايات التي تتكلّم عن بواطن الآيات نحن - الأناس العاديّين - لا يمكن لنا

(١) الكافي ج ٢ ص ١٦٦ ح ٣ .

فهمها، ويحتاج إلى مستوى علمي أعلى من مستوانا، وكلّ شخص يفهم شيئاً من الآيات، ولكن عمق المعاني الموجودة في الآيات لا يمكن لجميع النَّاس أن يصلوا إلى معرفتها، لذلك فالعلماء حينما يبيّنون معاني بعض الآيات ترى أنّ فهمك يختلف عن أفهامهم، فالعالم باعتبار سعة العلم الموجودة عنده يفسّر الآيات ويبيّن معانيها، نعم في بعض الموارد من الآيات والروايات لا تحتاج إلى فهم العالم؛ لأنّ المعنى واضح لجميع النَّاس، ويمكنك العمل على أساسه .

مثلاً الرّوايات التي تدعو إلى قضاء حوائج المؤمنين .

سُئِلَ الإمام عليّ الرضا عليه السّلام : ما حقّ المؤمن على المؤمن ؟ فقال : " . . . ومن قضى لمؤمن حاجةً كان أفضل من صيامه واعتكافه في المسجد الحرام . . . " (١) .

عن أبي عبدالله عليه السّلام : "أيّما مؤمن نفّس عن مؤمن كربةً وهو معسر يسّر الله له حوائجه في الدّنيا والآخرة" (٢) .

عن أبي عبدالله عليه السّلام في حديث : "ومن قضى لأخيه المؤمن حاجةً قضى الله عزّ وجلّ له يوم القيامة مائة ألف حاجة، من ذلك أولها الجنّة، . . . " (٣) .

مثل هذه الرّوايات واضحة وصريحة، ويمكن أن يفهم المعنى بدون

(١) بحار الأنوار ج ٧١ ص ٢٣٢-٢٣٣ .

(٢) المصدر السابق ج ٧١ ص ٣٢٢ ح ٨٩ .

(٣) المصدر السابق ج ٧١ ص ٣٢٢ ح ٩٠ .

الرجوع إلى العلماء، وعلى أساس هذا الفهم يمكنه أن يتحرك، وفي الموارد التي تكون أعمق من حيث المعاني يحتاج إلى العلماء في فهمها، وفي الروايات المتعارضة يحتاج إلى العلماء أيضاً .

مثلاً هل قضاء حاجة المؤمن مقدّم على الحجّ المستحبّ أو الحجّ المستحبّ مقدّم على قضاء حاجة المؤمن ؟

يوجد عمelan يريد أن يختار المكلف أحدهما : قضاء حاجة إنسان مؤمن أو الذهاب إلى الحجّ المستحبّ .

ترجع إلى العالم؛ لأنّ العالم بيده المقياس من أنّ هذا العمل مقدّم أو ذاك العمل مقدّم، والإنسان غير العالم قد يقول بأنّ الذهاب إلى الحجّ المستحبّ أفضل، ويقول العالم إنّ قضاء حاجة المؤمن مقدّمة .

عن الإمام الباقر عليه السّلام : " . . . ولئن أعول أهل بيت من المسلمين وأشبع جوعتهم وأكسو عريهم وأكفّ وجوههم عن الناس أحبّ إليّ من أن أحجّ حجّةً وحجّةً وحجّةً وحجّةً" حتى انتهى إلى عشرة، "ومثلها ومثلها" حتى انتهى إلى سبعين (١) .

عن الإمام الصادق عليه السّلام : "لقضاء حاجة امرئ مؤمن أفضل من حجّةٍ وحجّةٍ وحجّةٍ وحجّةٍ" حتى عدّ عشر حجج (٢) .

والمقاييس موجودة بيد العلماء بأنّ عملاً أفضل من عمل آخر، وهذه المقاييس لا توجد بأيدي غير العلماء .

(١) بحار الأنوار ج ٩٦ ص ٥ ح ٤ .

(٢) المصدر السابق ج ٩٦ ص ٣ ح ١ .

الحاج عادل الحدّاد :

توجيهكم وكلامكم من أنّ المطلوب من الناس أن يرجعوا إلى العلماء، وهذا مطلوب في العمل الدّيني أو العمل الاجتماعي، ويرى البعض أنّ المطلوب من العلماء أن يتوجّهوا إلى الناس ويوجّهوهم ويقودوا السّاحة، والسّاحة تعاني من الفراغ، ومن المهم جدًّا أن يكون العمل مشتركًا بين العلماء والناس، وتكون القيادة للعلماء، ووجود الفقيه بين الناس وتوجيههم أمر مهم جدًّا، وعلى سبيل المثال بعض الفقهاء تراهم في الحجّ بين الناس، وهذا مهم جدًّا لدرجة أنّ بعض المسائل تستجدّ على الحاجّ أو المعتمر فيرى الفقيه معه في الحملة ومناسك الحج فيرجع إليه مباشرةً، وبعض العلماء يشاركون في الحملات، وهذا أمر إيجابي مهمّ للفقيه، فما رأيكم؟

جواب الشيخ محمّد أشكناني :

ليس المطلوب من جميع العلماء أن يقوموا بالعمل المباشر، نعم مجموعة من العلماء يكونون متصدّين لأمر المجتمع، والعلماء لهم أدوار مختلفة، وكلّ عالم يحدّد دوره، مثلاً العالم الموجود في الحوزة دوره أن يحافظ عليها، وقد لا يختلط بالناس كثيرًا؛ لأنّ دوره هو المحافظة على الحوزة، وهذا يحتاج إلى جهد، وقد لا تكون عنده الطّاقة الكافية لتوزيع جهده على عدّة أعمال، فإذا وزّع جهده على عدّة أعمال فإنّه لا يستطيع التّركيز على الدّور المطلوب منه، وعالم آخر يهتمّ بالعقائد، وعالم ثالث يهتمّ بالقضايا الأخلاقيّة، وعالم رابع يهتمّ بالأحكام

العملية، والتخصّصات المختلفة متوزّعة على العلماء، والعلم الدينيّ متّسع كثيرًا، وسابقًا كان العلماء يجتهدون بعد دراسة كتاب واحد مكوّن من ٤٥٠ صفحة، وأمّا الآن فيحتاج إلى سنوات طويلة وكتب كثيرة حتّى يتمكّن من استنباط الأحكام الفقهيّة، وهذا يأخذ منه جهدًا كبيرًا ووقتًا طويلًا، فهذا العالم يسير في طريق استنباط الأحكام، وعالم آخر يتصدّى لأمرٍ أخرى، لا أنّ جميع العلماء يتصدّون للقضايا الاجتماعية ويتركون الحوزة والعلم، فكلّ عالم يحدّد دوره وتكليفه، ويسير على أساس هذا الدّور والتّكليف، لا أنّ النّاس يحدّدون تكليف العالم، وأحيانًا يقول بعض المؤمنین : لماذا هذا العالم لم يقيم بهذا العمل المعين ؟

والجواب أنّه لم يقيم بهذا العمل؛ لأنّه لم يحدّد تكليفه ضمن هذا العمل المعين، ونحن نعتقد بأنّ هذا العالم ثقة، فيتحرّك على أساس تكليفه، ونحن بنظرنا القاصرة لا نعرف لماذا يقوم بعمل معيّن ويتحرّك هذا التّحرّك، ويترك عملاً آخر، وخاصّةً بالنّسبة للمراجع، مثلاً مرجع يصدر بيانًا معيّنًا، فيعترض البعض : لماذا أصدر المرجع هذا البيان ؟

قطعًا هناك سبب، ونحن بعقولنا القاصرة لا ندرك السّبب، ويعترض بعض المؤمنین حينما يقع حدث معيّن فيقولون بأنّه يجب أن يصدر المراجع بيانًا بشأن هذا الحدث، ولكن لا يمكن أن نفرض على المراجع تحرّكًا معيّنًا، أو يقولون يجب على علماء البلد أن يصدروا بيانًا في هذا الموضوع، وعلماء البلد يجتمعون ويناقشون الموضوع، وقد يرون

عدم وجود مصلحة في إصدار بيان في هذا الموضوع؛ لأنّه قد يسبّب
توتّرًا أكثر، وبعض المؤمنين يرسلون رسائل اعتراض إلى العلماء : لماذا
لم تصدروا بيانًا ؟

وبعض الأشخاص يرسلون إلى العلماء كلمات قاسية، وهم لا
يعرفون أنّ العلماء قد اجتمعوا واتّخذوا قرارًا بعدم إصدار بيان في هذا
الموضوع، والبعض يظنّون بأنّ العالم لا بدّ من أن يسير كما هم يرون،
ولكنّ المفروض أن نسير على خطى المرجع، فإذا وقف المرجع
فتكليفنا أن نقف، وإذا تحرك المرجع فوظيفتنا أن نتحرك، وإذا سكت
المرجع عن موضوع معيّن فدورنا أن نسكت، فالمرجع يرى المصلحة في
عدم التكلّم في هذا الموضوع، وخاصّةً إذا كانت القضية مرتبطة
بالمؤمنين، فإذا تكلم المرجع فمن الممكن أن تزداد الخلافات بين
المؤمنين، فيسكت المرجع عن هذا الموضوع، ولا يريد أن يتكلّم بكلمة
ويتأجج الوضع أكثر، فالعلماء حينما يتحرّكون يوجد تكليف شرعيّ
عليهم، ولو سألنا أيّ شخص : هل تقبل أن أفرض عليك عملاً
معيّنًا ؟

قطعًا سيجيب بأنّه لا يقبل .

فنسأله : إذن كيف تريد أن تفرض على المرجع شيئًا معيّنًا ؟
والمراجع هم محاور الأئمة، فإذا شخصّ المرجع أمرًا معيّنًا فنحن
نسير على أساس تشخيصه، وليس بالعكس بأن يسير المرجع على
أساس ما نرى بنظرنا القاصرة، والمؤمنون لا بدّ من أن يكون تحرّكهم

على أساس حركة المرجعية، فالمراجع هم محاور الأمة والمؤمنون هم الأفلاك التي تدور حول المحاور، والمراجع هم الشَّموس والمؤمنون هم الكواكب التي تدور حول الشَّموس، فإذا تكلموا تكلمنا، وإذا سكتوا سكتنا، فكلامهم أو سكوتهم فيه المصلحة، ومنتظر قرارات المراجع، ولا نتخذ قرارات شخصية في أيّ موضوع، ونرجع إلى المراجع في تحديد تكاليفنا الشرعية .

وبعض الأشخاص يقولون : نحن نتحرك حتى لو أنّ المراجع يريدون منا أن نسكت، فنتحرك على أساس آرائنا، ولا نأخذ بآراء المراجع .
نقول : لا بدّ من الرجوع إلى المراجع، وبناءً على التكاليف الشرعيّ يتحرك المؤمن أو يقف، والتكاليف الشرعية نأخذها من المراجع؛ لأنهم أوسع علمًا واطّلاعًا من المؤمنين، فالمؤمن عنده قطرة من العلم، والمراجع بحر من العلم، والمراجع على أساس علمه يشخص الوضع المحليّ والعالميّ، وعلى أساس تشخيصه يحدّد التكاليف الشرعيّ .

والبعض يقولون : لماذا لا يصدر المراجع حكمًا بالجهاد ؟
نقول : في الجهاد توجد نفوس وأموال وأعراض تُنتهك، والحكم بالجهاد ليس أمرًا سهلاً، والمراجع يصدر الحكم بعد دراسة الموضوع واستشارة العلماء، ولا يتخذ قرارًا فرديًا، ويوجد مجموعة من العلماء حوله يستشيرهم في تشخيص الموضوعات، وبناءً على تشخيص الموضوعات يصدر الحكم المناسب لكلّ موضوع، والعالم لا يتخذ قرارًا وحكمًا بناءً على الاستحسانات الشخصية، وأنت عليك تكليف

شرعيّ، ويجب أن تأخذ تكليفك من المرجع، فالمرجع يحدّد تكليفك، ويحدّد تكليفه أيضاً، ولا يمكن لنا تحديد تكليف المرجع، فالمرجع يحدّد تكليفه وتكليف الأُمَّة، والعلماء هم الذين يحدّدون التكاليف، وساحات العمل عند العلماء مختلفة، عالم يتصدّى للقضايا السياسيّة، وعالم آخر يتصدّى للقضايا الاجتماعيّة، وعالم ثالث يتصدّى للقضايا العلميّة والفكريّة، فالعلماء عندهم تنوّع أدوار ووحدة هدف، والسّيّد الشهيد محمّد باقر الصّدر رضوان الله عليه عنده كتاب بعنوان : "الأئمّة تعدّد أدوار ووحدة هدف"، وكذلك العلماء يقومون بنفس الأمر، وجهود الأئمّة عليهم السّلام والعلماء تصبّ في مصلحة الدّين ومصلحة الأُمَّة .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٢٨)

أنصار المهديّ عليه السّلام بين العزلة والجهاد^(١)

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين .

أسعد الله أيّامنا وأيّامكم بمناسبة ولادة سيّدة نساء العالمين فاطمة الزّهراء عليها السّلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله .

وعلى المؤمن أن يعرف تكليفه في كلّ أمر من الأمور، وسيّدة نساء العالمين عليها السّلام قدّمت نفسها فداءً للدين، وكان هدفها أن يبقى الدين، وأن تبقى تعاليم الدين إلى يوم القيامة، وتريد عليها السّلام من المؤمنين أن يعرفوا تكاليفهم في كلّ زمان ومكان، وأن يساهموا في نشر الدين بين النّاس، وخاصّةً بين المؤمنين؛ حتّى يلتزموا

(١) أُلْفِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيواتيّة الأسبوعيّة في دولة الكويت منطقة بيان، الجمعة ١٩ جمادى الآخرة ١٤٣٣ هـ ، ١١/٥/٢٠١٢ م .

مصدرنا لهذه المحاضرة كتاب (تاريخ الغيبة الكبرى) للسّيّد محمّد محمّد صادق الصّدر رحمه الله تعالى، من ص ٣٧٢ وما بعدها من صفحات .

بأحكام الدّين، ولكن قبل الالتزام بالأحكام لا بدّ من معرفة الدّين، وخاصةً في عصر الغيبة الكبرى، فيجب أن يعرف المؤمن تكاليفه، لا فقط احتفالات تقام في هذه المناسبة، ولا نعرف ماذا تريد منّا سيّدة نساء العالمين عليها السّلام، ومن الممكن أن نذهب إلى الاحتفالات ونخرج بلا أيّ نتيجة، مجرد كلمات وأشعار تُلقَى وتُوزَعُ الحلويات والأطعمة، وقد تنتهي القضية إلى هذا الحدّ بدون أن يُستفادَ من المناسبات الدّينيّة .

إنّ المناسبات الدّينيّة عبارة عن محطّات وقوف؛ لكي يحاسب المؤمن نفسه، كأنّه يريد أن يفتح صفحةً جديدةً مع الله عزّ وجلّ .
يقول : يا ربّي، أنا في هذه المناسبة أريد أن أكوّن علاقةً جديدةً مع الدّين، وعلى أساس هذه العلاقة أبدأ المسير من جديد؛ حتّى يمكنني أن أتقرّب إليك أكثر، وأصعد على سلّم التّكامل .

ما زال الكلام في تكاليف المؤمن في عصر الغيبة الكبرى، وأريد أن أتكلّم في هذه المحاضرة عن تكليف من تكاليف المؤمن :
التّكليف الخامس : السّليبيّة والعزلة أو الجهاد :

وهو موضوع مهمّ؛ حتّى يمكن للمؤمن أن يعرف تكليفه في زماننا بدقّة، ويعرف ما هو المطلوب منه .

هل تكليف المؤمن في عصر الغيبة الكبرى هو السّليبيّة والعزلة أو الجهاد ضدّ الظلم باعتبار أنّ الظلم منتشر في العالم ؟
والجهاد لا يُقصدُ منه الجهاد العسكريّ فقط، فالعمل الاجتماعيّ

عبارة عن جهاد، وهو الجهاد الاجتماعي، والعمل التثقيفي عبارة عن جهاد، وهو الجهاد التثقيفي .

فهل المؤمن يعتزل المجتمع باعتبار أنه لا يستطيع أن يغيّر الوضع فيعتزل وتكون عنده السلبية أو يتحرك اجتماعيًا وسياسيًا ويجاهد في سبيل الدين ويحاول إصلاح نفوس الناس وتعديل أوضاع المجتمع؟ والمؤمن أمام طريقتين : السلبية والعزلة أو الجهاد .

الجواب :

حينما نأتي إلى القرآن الكريم نجد آيات كريمة تدلّ على وجوب الجهاد والاستعداد له .

يقول القرآن الكريم :

"وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ" (١) .

هذه الآية الكريمة فيها فعل أمر، وفعل الأمر يدلّ على الوجوب، فيجب على المسلمين الاستعداد للجهاد بمختلف أنواع القوّة .

"إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ" (٢) .

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُم عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ

(١) الأنفال : ٦٠ .

(٢) الحجرات : ١٥ .

خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ" (١) .

"وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ . . ." (٢) .

"إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ
مَّرْضُوصٌ" (٣) .

"وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْمُعْتَدِينَ" (٤) .

القتال يكون مع من يقاتل المسلمين، والمسلمون لا يعتدون على
أحد .

"أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ
أَوَّلَ مَرَّةٍ . . ." (٥) .

القتال يكون مع من يبدأ بالقتال، والمسلمون لا يبدؤون بالقتال،
ولا يعتدون على أحد .

وأما إذا رجعنا إلى الروايات الشريفة فتوجد روايات تدلّ على
السلبية والانعزال عن المجتمع، فالمؤمن يعتزل ويحافظ على دينه؛ حتى
لا يفقد دينه .

(١) الصّفّ : ١٠-١١ .

(٢) الحجّ : ٧٨ .

(٣) الصّفّ : ٤ .

(٤) البقرة : ١٩٠ .

(٥) التّوبة : ١٣ .

عن أحد المعصومين عليهم السّلام : "يأتي على النّاس زمان تكون العافية فيه عشرة أجزاء، تسعة منها في اعتزال النّاس، وواحدة في الصّمت" (١) .

عن الإمام الصّادق عليه السّلام : "صاحب العزلة متحصّن بحصن الله، ومحترس بحراسته . . ." (٢) .

عن أمير المؤمنين عليه السّلام : "طوبى لمن لزم بيته، وأكل قوته، واشتغل بطاعة ربّه، وبكى على خطيئته، فكان من نفسه في شغل، والنّاس منه في راحة" (٣) .

عن الإمام الباقر عليه السّلام : "لا يكون العبد عابداً لله حقّ عبادته حتّى ينقطع عن الخلق كلّهم، فحينئذ يقول : هذا خالص لي . فيقبله بكرمه" (٤) .

عن أمير المؤمنين عليه السّلام : "سلامة الدّين في اعتزال النّاس" (٥) .
سؤال : كيف يمكن التّوفيق والجمع بين الآيات الكريمة الدّالة على وجوب الجهاد والزّوايات الشّريفة الدّالة على السّلبية والانعزال عن المجتمع ؟

(١) بحار الأنوار ج ٦٧ ص ١٠٩-١١٠ ح ٧ .

(٢) المصدر السّابق ج ٦٧ ص ١١٠ ح ٩ .

(٣) المصدر السّابق ج ٦٧ لاص ١١١ ح ١٣ .

(٤) المصدر السّابق ج ٦٧ ص ١١١ ح ١٤ .

(٥) غرر الحكم ح ٥٦٠٩ .

الجواب :

الهدف من الجهاد هو العمل على ترسيخ أصول العقيدة الإسلامية، ويكون إمّا عن طريق نشر العقيدة ابتداءً وإمّا الدفاع عن العقيدة بالعمل السّلميّ أو الحربيّ، والأصل في الدّين هو السّلام والعمل السّلميّ، والإسلام مشتقّ من السّلام، وهذا الاشتقاق يدلّ على أنّ الدّين الإسلاميّ الأصل فيه السّلم، والحرب استثناء، وتكون الحرب في حالات الضّرورة عند هجوم عدوّ الإسلام على المسلمين، والظّرف الاستثنائيّ يحتمّ على المسلمين الجهاد العسكريّ، ولكنّ الأصل أنّ المسلمين يدعون إلى السّلام، والتّحرّك السّلميّ هو المطلوب إلّا في حالات الضّرورة والاستثناء، فتكون الحرب والمواجهة العسكريّة .

العمل الاجتماعيّ والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر :

إنّ العمل الاجتماعيّ قائم على أساس الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وهدف العمل الاجتماعيّ هو هداية أفراد المجتمع المسلم وإصلاحهم وحفظهم عن الانحراف ومن انتشار الفاحشة مع حفظ أصول العقائد عندهم .

"وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" (١) .

"أُمَّةٌ" : أي مجموعة من المسلمين، والآية تتكلّم عن الواقع؛ لأنّ ليس جميع المسلمين يتحرّكون في طريق الأمر بالمعروف والنّهي عن

(١) آل عمران : ١٠٤ .

المنكر، والذين يقومون بهما قليلون جدًّا، مثلًا أنت في المسجد كم شخص عنده استعداد أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟
قليل جدًّا .

وضمن المسلمين توجد أمة - أي بعضهم، وهم قلة - تنطبق عليهم هاتين الصفتين .

"وَلْتَكُنْ" : اللام لام الأمر، فأنت أيها المسلم كن من هذه الفئة القليلة .

ومن مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر العمل الاجتماعي والعمل السياسي .

لنقرأ هنا بعض الروايات الشريفة :

عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : "لا تزال أمتي بخير ما أمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، وتعاونوا على البرِّ، فإذا لم يفعلوا ذلك نُزِعَتْ مِنْهُمْ الْبَرَكَاتُ، وَسَلِطَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ نَاصِرٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ" (١) .

إذا كانت صفات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعاون على البرِّ موجودة بين المسلمين فأمة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَكُونُ بخير، ونسب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هذه الأمة إلى نفسه فقال : "أمتي"، وإذا لم يفعلوا ذلك ينزع الله تعالى عنهم البركات، ويقع النزاع بينهم، ولا يكون لهم ناصر لا في الأرض ولا في السماء، فالله عزَّ

(١) وسائل الشيعة ج ١١ ص ٣٩٨ ح ١٨ .

وجلّ سيتركهم وشأنهم، ولا ينصرهم، وواقع المسلمين في زماننا يشهد بذلك .

عن أمير المؤمنين عليه السلام : " لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيؤتى عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم " (١) .

إذا قام المسلمون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا يتولّى شرارهم أمورهم، فالأشرار لا يصبحون الحكّام في البلدان، وعلينا أن لا نفهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضمن دائرة ضيقة، مثلاً شخص يتوضأ أو يصلي بطريقة خاطئة وأنت تعلمه الوضوء الصحيح والصلاة الصحيحة، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يكونان في هذه الدائرة الضيقة، بل دائرتهما أوسع من ذلك بكثير، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لهما ارتباط بالحكومة وولاية الأمر، فلكي لا يتولّى الأشرار حكومة المسلمين فلا بدّ من أن يقوم المسلمون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى يدفعوا الأشرار عن تولّي مقاليد الحكم، فدائرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دائرة واسعة جداً، فدفع الأشرار يكون بالقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا بالدعاء فقط، فإذا لم يقم المسلمون بوظيفتهم بالدعاء لوحده لا ينفع، وإذا كانوا يكتفون بالدعاء والطلب من الله عزّ وجلّ بالقضاء على الأشرار من تولّي الحكم فإنّ الله تعالى لا يستجيب لهم؛ لأنّ تكليفهم القضاء على الأشرار عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن

(١) نهج البلاغة ج ٣ ص ٧٧ .

المنكر لا بالدعاء لوحده، وتحديد التكليف أمر مهم جداً، ففي بعض الأمور الدعاء لوحده لا يكفي؛ لأنّ التكليف هو العمل لا الدعاء فقط، فإذا قام المسلمون بتكليفهم ودعوا فإنّ الله يستجيب لهم .
ودائرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تبدأ من البيت والعائلة، فهما وقاية للنفس والأهل من النار .

عن أبي بصير في قول الله تعالى : "قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا" (١)، قلت : كيف أقيهم ؟ قال عليه السلام : "تأمرهم بما أمر الله، وتنهاهم عمّا نهاهم الله، فإن أطاعوك كنت قد وقيتهم، وإن عصوك كنت قد قضيت ما عليك" (٢) .

ودائرة الأهل تتكوّن من الزّوجة والأولاد، وتتّسع لتشمل الأب والأُمّ وباقي أفراد العائلة من الأعمام والعَمّات والأخوال والحالات وأولادهم، وفي القرى تتّسع الدائرة أكثر من ذلك، وتكليف المسلم أن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، فإذا أطاعوه كان بها يحصل على الثّواب، وإذا لم يطيعوه فهو قد أسقط عن نفسه التّكليف، ولن يحاسبه الله تعالى على معاصيهم، مثلاً الأب يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وقد ينحرف الولد بعد ذلك، فالله لا يحاسب الأب؛ لأنّه قام بتكليفه، ولكن لو كان الأب فاسداً، وساهم في إفساد الأولاد، ففي هذه الحالة لم يسقط تكليفه، بل هو يحتاج إلى من يأمره بالمعروف

(١) التّحريم : ٦ .

(٢) الكافي ج ٥ ص ٦٢ ح ٢ .

وينهاه عن المنكر، وسيحاسبه الله على فساد وإفساد أولاده، وهذا التكليف موجود على جميع المؤمنين داخل بيوتهم وخارجها، وتكليف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر موجود على جميع أفراد العائلة تجاه بعضهم البعض، مثلاً الزوجة أو البنات لا يلبسن اللباس الشرعي، والأولاد عندهم بعض التصرفات المحرمة، فدور الأب هو دور المراقبة والتوجيه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويتدخل باعتبار أنه القيم على الزوجة والولي على الأولاد، ودور الأب هو دور الحافظ؛ لأنه ربان السفينة وقائدها، ويجب أن يمارس دوره؛ لأجل أن يحافظ على سفينته من الغرق، ولا ينقل دوره إلى زوجته أو أولاده، فلا تكون الزوجة ولا الولد رباناً للسفينة ولا قائداً للمسيرة، فدور الأب هو قيادة الأسرة، نعم يستشير الزوجة والأولاد، ولكن القرار النهائي يكون للأب، وهو مثل مدير الشركة، وإدارة الشركة تكون بيده، ولا بد من أن يكون للشركة أفضل إنتاج، وكذلك الأب يدير بيته؛ لأجل أن يصل إلى أفضل إنتاج داخل بيته، وأفضل إنتاج هو أن يكون جميع أفراد الأسرة من المؤمنين الصالحين، فالأب يكون مؤمناً صالحاً، والأم تكون مؤمنةً سالحةً، والأولاد يكونون مؤمنين صالحين، وعلى الأب أن يساهم في إيمان وصلاح أفراد عائلته بحيث إنهم جميعاً يدخلون إلى الجنة، ويكون الله تعالى راضياً عنهم جميعاً، فدور الأب دور أساسي في بيته، وكذلك دور الأم ودور الأولاد، فلكلّ منهم دور أساسي معيّن، ولا تتعارض الأدوار، وكلّ إنسان راعٍ ومسؤول عن رعيته، وكلّ

شخص عليه مسؤوليات معيّنة عليه أن يقوم بها كاملةً، ولا يتخلّى عن مسؤولياته؛ لأنّ الله عزّ وجلّ إذا أعطى لأيّ شخص مسؤولية فإنّه تعالى يحاسبه عليها، فما دام أنّه توجد مسؤولية فيوجد حساب، والأب عليه مسؤوليات أكبر فيكون حسابه أشدّ من حساب الزوجة والأولاد .

شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

نأتي الآن إلى ذكر شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأجل أن نحيط بالموضوع أكثر، والشروط موجودة في الرسالة العمليّة، منها :
الشّروط الأوّل :

معرفة المعروف والمنكر؛ حتّى يمكن له أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويجب أن يتعلّم كمقدّمة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا أراد أن يمارس دور الأمر والنهي فلا بدّ من أن يعرف المعروف والمنكر قبل أن يُقدّم على العمل بهما، فيعرف أنّ هذا معروف وذاك منكر، ويعرف أنّ ما يأمر به يكون معروفًا، وما ينهى عنه يكون منكرًا .

مثلاً في المسجد شخص يقول لآخر بأنّ صلاته باطلة، مع أنّ هذا الشخص لا يعرف شروط صحّة الصلّاة، ويكون كلامه خطأً، وذلك لأنّه لا يوجد عنده اطلاع على المسائل الشرعيّة، فإذا أراد أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فلا بدّ من أن يعرف المعروف والمنكر قبل أن يبدأ العمل بالأمر أو النهي .

وما دام أنّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر من الواجبات فيكون طلب العلم مقدّمةً لأداء الواجب، ومقدّمة الواجب إمّا أن تكون واجبةً وإمّا أن يكون المكلف مسؤولاً عنها مسؤوليّةً عقليّةً، فمقدّمة الواجب واجبة شرعاً أو عقلاً، فيجب على المكلف أن يتعلّم شروط الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، ويعلم ما هو المعروف وما هو المنكر .

وبعض الأشخاص يقولون : لا نريد أن نتعلّم المسائل الشرعيّة؛ حتّى لا نرتكب مخالفات شرعيّة .

نقول إنّ هؤلاء الأشخاص غير معذورين، فالجهل مع القدرة على التعلّم لا يكون عذراً، ويكون جاهلاً مقصّراً لا قاصراً، والجاهل المقصّر محاسب، ويجب على المؤمن أن يتعلّم دينه، ولا يقول لا أتعلّم حتّى لا أعمل، فهو يكون محاسباً على جهله وعلى عدم عمله أو على وقوعه في عمل محرّم، فيوجد حسابان، ومن تعلّم فعله أن يعمل بما تعلّمه، وإذا علم ولم يعمل فالعلم حجّة عليه، ويحاسب على عدم عمله .

عن ابن زياد قال : سمعت جعفر بن محمّد عليهما السّلام وقد سُئِلَ عن قوله تعالى : "فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ" ^(١) . فقال : "إنّ الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة : أكنت عالماً؟، فإن قال : نعم . قال له : أفلا عملت بما علمت . وإن قال : كنت جاهلاً . قال له : أفلا

(١) الأنعام : ١٤٩ .

تعلمت حتى تعمل . فيخصمه، وذلك الحجّة البالغة" (١) .

إذن :

على المؤمن أن يطلب العلم ويتعلم؛ لكي يعرف المعروف ويعرف المنكر؛ لأجل أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهما من فروع الدين العشرة، وطلب العلم واجب شرعيّ أو عقليّ، فالشرط الأول للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو معرفة المعروف والمنكر .

الشرط الثاني :

احتمال التأثير في الفرد المقابل، فإذا احتمل التأثير وجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإذا لم يحتمل التأثير فلا يجب عليه الأمر والنهي، وإذا قلنا لا يجب فلا يعني تركهما، فقد يأتي عنوان الاستحباب، وكلامنا هنا في الوجوب، ولا يعني ذلك أنه ليس مستحبًا، وإذا كان مستحبًا فيمكن التقرّب به إلى الله تعالى، ويحصل على الثواب، وإذا أتى بهما فإنه لا يخسر شيئًا سواء احتمل التأثير أم لم يحتمل .

نعم قد لا يحتمل التأثير الآن، ولكن كلمته قد تؤثر به في المستقبل، وبعض الناس قد يسمعون الآن كلمةً وتؤثر بهم بعد عشر سنوات، وهذا غير مستبعد، فبعد أن ينضج عقله ويصبح متديّنًا يتذكّر الكلمة وأنّ فلانًا نصحه، ويرى أنّ نصيحته كانت صحيحة، فيأخذ بها بعد مرور عدّة سنوات .

(١) بحار الأنوار ج ١ ص ١٧٧-١٧٨ ح ٥٨ .

إذن :

الشّرط الثّاني لوجوب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر هو احتمال التّأثير .

الشّرط الثّالث :

عدم احتمال وقوع الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر في الضّرر عليه أو على غيره من قبيل الفرد المقابل، أو الوقوع في حرج شديد لا يُتحمّل عادةً، فإذا احتمل الوقوع في الضّرر أو الحرج الشّديد فلا يجب عليه الأمر والنّهي، وإذا لم يحتمل الضّرر أو الحرج الشّديد فيجب عليه الأمر والنّهي، والمؤمن يوازن بين الأمر والنّهي وبين الضّرر والحرج على حسب الموقف .

وقد يكون التّكليف هو الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر حتّى مع وقوع الضّرر والحرج، وقد يكون التّكليف هو عدم الوقوع في الضّرر والحرج، ويكون الواجب هو حفظ النّفس والإتيان بأعمال أخرى مترتّبة على حفظ النّفس، وهنا يسقط عنه الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر .

وتوجد حالات يُقدّم فيها على الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر حتّى لو أدّى إلى قتل النّفس، وهذه الموازنات تكون على حسب الموقف الذي يكون فيه، فيكون تكليفه الأمر والنّهي مهما بلغ الحال أو تكليفه التّوقّف وعدم الإقدام على الفعل، فيحتاج المؤمن إلى معرفة تكليفه بدقّة، وقد لا يعرف المؤمن العاديّ تكليفه بدقّة، فيحتاج

للرجوع إلى مرجعه ليحدّد له تكليفه بالضبط، وخاصة في قضية الموازنات في القضايا الاجتماعية حتى يتقدّم أو يقف، ويحتاج إلى دراسة جميع العوامل الدخيلة، وعلى أساس هذه الدراسة يتخذ القرار المناسب .

عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال :
وسئل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : أوجب هو على الأمة جميعاً ؟ فقال : "لا" . ف قيل له : ولم ؟ قال : "إنما هو على القوي المطاع العالم بالمعروف من المنكر، لا على الضعيف الذي لا يهتدي سبيلاً إلى أيّ من أيّ يقول من الحقّ إلى الباطل، والدليل على ذلك كتاب الله عزّ وجلّ قوله : "وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ" ^(١)، فهذا خاصّ غير عامّ . . " ^(٢) .
هذه الرواية ذكرت الشروط الثلاثة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي :

القويّ : الذي عنده القوّة والاستطاعة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يقع في الضّرر والخرج .
المطاع : الذي يكون له التأثير .
العالم : الذي يعرف المعروف والمنكر، ويميّز بينهما .
لا على الضّعيف الذي لا يهتدي سبيلاً إلى أيّ من أيّ يقول من

(١) آل عمران : ١٠٤ .

(٢) وسائل الشّعبة ج ١١ ص ٤٠٠ ح ١ .

الحقّ إلى الباطل : الذي ليس لديه القوّة، ولا يعرف المعروف والمنكر، ولكن يجب عليه أن يتعلّم قبل أن يمارس الأمر والنهي، نعم الآن لا يجب عليه، ولكن عليه أن يتعلّم كمقدّمة؛ لأجل أن يؤدّي هذا الواجب، ومقدّمة الواجب واجبة شرعاً أو عقلاً .

فهذا خاصّ غير عامّ : أي يخصّ بعض المؤمنين، وهم الذين تتوفّر فيهم الشّروط، ولا يشمل جميع المؤمنين، وهذا لا يعني أنّ باقي المؤمنين لا يجب عليهم مطلقاً، بل يجب عليهم توفير المقدّمات، ومن المقدّمات التّعلّم؛ لأجل أن يمارسوا دورهم وتكليفهم، وبذلك يدخلون في الأُمَّة القليلة الآمرة بالمعروف والنّاهية عن المنكر .

ومثال التّعلّم مثل شخص تجب عليه الصّلاة، ومن مقدّمات الصّلاة الوضوء، فيقول : لا أريد أن أتوضّأ حتّى لا أصليّ .

نقول له : نعم إذا صلّيت بدون وضوء فصلاتك باطلة، ولكن يجب عليك أن تتوضّأ؛ حتّى يمكنك أن تأتي بالصّلاة الصّحيحة .

فالصّلاة واجبة، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر من الواجبات أيضاً، ويجب توفير مقدّمات جميع الواجبات، فالواجب لا يسقط عنه، ولكي يؤدّي الواجب عليه تكليفان : الواجب ومقدّمة الواجب، فإذا دخل وقت الصّلاة فتكليفه الإتيان بالصّلاة الصّحيحة، وتكليفه أيضاً توفير مقدّمات الصّلاة، كالكون على الطّهارة من الوضوء أو الغسل أو التيمّم؛ لكي يأتي بالصّلاة الصحيحة، ولا يمكنه أن يقول : أنا لست على طهارة إلى آخر الوقت، فتكون الصّلاة ساقطة عني .

نقول : تكليفك أن تأتي بالصلاة الصحيحة، ولكي تأتي بالصلاة الصحيحة يجب أن تتوضأ، فالصلاة واجبة عليك، ولكن إذا صليت بلا وضوء فصلاتك تقع باطلة، فيجب أن تتوضأ حتى يمكنك الإتيان بالصلاة .

وكذلك باقي الأمة مخاطبون بالخطاب، ويجب عليهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن الآن لا يستطيعون الممارسة؛ لأنهم لا يعرفون، فيجب عليهم أن يتعلموا في رتبة سابقة؛ حتى يمكنهم أن يمارسوا هذين الواجبين .

عن أبي عبدالله عليه السلام : "إِنَّمَا يُؤْمَرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيُنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ مُؤْمِنٌ فَيَتَعَزَّزُ أَوْ جَاهِلٌ فَيَتَعَلَّمُ، فَأَمَّا صَاحِبُ سَوْطٍ أَوْ سَيْفٍ فَلَا" (١) .
إِنَّمَا يُؤْمَرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيُنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ مُؤْمِنٌ فَيَتَعَزَّزُ أَوْ جَاهِلٌ فَيَتَعَلَّمُ : المؤمن الجاهل إذا كان لا يعرف الحكم الشرعي فيجب على المؤمن الآخر تعليم الجاهل، وإذا كان يعرف الحكم الشرعي ولا يعمل به فيجب على المؤمن الآخر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يمارسان مع من يعلم بالحكم، فهو يعلم بالحكم ويخالفه، فوظيفتك الأمر والنهي، وأما الجاهل بالحكم فلا تمارس معه الأمر والنهي، وإنما تمارس معه التعليم، فوظيفتك تعليم الجاهل، مثلاً في المسجد شخص لا تعلم أنه يعرف الحكم الشرعي فلا تأتي إليه من باب الأمر والنهي، وإنما تأتي إليه من باب تعليم

(١) الكافي ج ٥ ص ٦٠ ح ٢ .

الجاهل، فترى أوّلاً أنّه يعرف الحكم أو لا يعرفه، وثانياً إذا كان يعرف الحكم ترى أنّه يعرف تطبيق الحكم أو لا يعرفه، والبعض يصرخ على الآخرين وهو لا يعرف وضعهم، فلا بدّ من أن تعرف وضع الشخص الذي يمارس الخطأ، قد يفعل الشيء الحرام وهو لا يعرف أنّه حرام .
مثلاً شخص غير ملتحي لا يقول عنه مباشرة : تسقط عدالته، فما دام أنّه غير ملتحي فهو غير عادل .

نقول : أوّلاً لا بدّ من أن تعرف أنّه يعلم بالحكم الشرعي أو لا يعرف، وثانياً قد يعرف الحكم الشرعيّ ويكون معذوراً، فهو حينما يضع اللّحية يصاب بحكّة شديدة لا يمكن تحمّلها مثلاً، والتّقدير يكون بيد المكلف، ولا يجوز إلقاء التّهم على الآخرين، فقد يكون الشخص معذوراً، فإذا أتى المكلف بعمل معيّن هو قد يكون جاهلاً بالحكم، وقد يكون عالماً به ويكون معذوراً، وإذا أردت أن تعرف تكليفك الشرعيّ بالضبط فلا بدّ من أن تعرف أوضاع الآخرين حينما يرتكبون أيّ عمل، لا أنّ المزاج والرّغبات وإلقاء التّهم تحرك الإنسان .
فأمّا صاحبُ سوطٍ أو سيفٍ فلا : يسقط وجوب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر عن المكلف إذا كان يقع في الضّرر، فقد يضره الطرف المقابل أو يعدّبه أو يسجنه أو يقتله .

وفي هذه الحالات يوازن المكلف بين أداء الواجبين وبين الضّرر، فأيهما يقدّم ؟ هل يقدّم الأمر والنّهي حتى لو كان يقع في الضّرر أو يتوقّف بسبب الوقوع في الضّرر ؟

وفي بعض الحالات قد يقدم روحه فداءً للدين، كما قام به الإمام الحسين عليه السلام، وقد يكون التكليف هو الصلح كما فعل الإمام الحسن عليه السلام .

وفي رواية جاء شخص من الخوارج إلى الإمام الحسن عليه السلام وقال : السلام عليك يا مذلّ المؤمنين .

هذا الشخص لا يوجد عنده اطلاع على التكليف، ولا يتعامل مع الإمام الحسن عليه السلام على أنه معصوم لا يخطئ، وفي نظره أنه لا بدّ من الاستمرار في الحرب، والإمام المعصوم عليه السلام يقدر الموقف، والموقف الآن يتطلب الصلح وإلاّ قضي على الدين والمؤمنين، لذلك صلح الإمام الحسن عليه السلام من أهدافه حفظ المؤمنين، وبيان خديعة الطرف المقابل، وقد حقق الإمام عليه السلام أهدافه، وهذا الشخص كان يظنّ أنّ تكليف الإمام عليه السلام هو الاستمرار في الحرب؛ لأنّه قاصر ولا يدرك أنّ الإمام معصوم وأنّه قائد له، فكان يتعامل مع إمام زمانه بعقله القاصر، مثلما البعض حينما يرون أنّ المرجع يتصرّف تصرّفًا معيّنًا فيقولون بأنّ على المرجع أن يقوم بفعل آخر، فإذا رأوا مرجعًا لا يتحرّك يقولون بأنّه يجب أن يتحرّك، وإذا تحرّك يقول البعض الآخر يجب أن لا يتحرّك .

هل المكلفون يفرضون حركةً معيّنَةً على المرجعيّة أو أن المكلفين

يجب أن يتحرّكوا أو يقفوا بناءً على فتاوي المرجعيّة ؟

هل المرجع يحدّد تكاليف الناس أو الناس يحدّدون تكاليف المرجع ؟

إذا قال المرجع بالتَّحَرُّكِ فعلى المكلفين أن يتحرَّكوا، وإذا أمر المرجع بالوقوف فتكليفهم أن يقفوا، لا أن يعترضوا على المرجعية ويقولون : لماذا لا يتدخل المرجع في هذه القضية ؟

وفي قضية معيّنة قد يسكت المرجع ولا يتكلّم، فنحن نسكت أيضًا؛ لأنّ المرجع يرى أنّ تكليفه السكوت؛ لأنّ كلامه قد يسبّب مشكلة كبيرة بين المؤمنين، فيوازن بين أن يبيّن الحكم الشرعيّ في خصوص هذه القضية وبين أن يسكت، فيقدّم السكوت، فإذا قدّم السكوت وتكلّم المكلفون فإنّهم يضرّون بالهدف الذي أراده المرجع، وكلامنا عن المرجعية الرّشيدة الصّالحة، ومن تثبت له المرجعية، وليس كلامنا عن مدّعي المرجعية، فنحن مع المرجعية الرّشيدة، والفقهاء الصّالحون هم محاور الأُمَّة، ونحن ندور حول الفقهاء كما أنّ الكواكب تدور حول الشّمس، وهذا هو تكليفنا، لا أن نصنع شمسًا مصطنعةً وندور حولها، أو أنّ شخصًا عاديًّا غير عالم يريد أن يكون شمسًا، فهذا غير ممكن، والشّمس معروفة في كلّ زمان، والأئمة عليهم السّلام أرجعوننا إلى الفقهاء الذين يتّصفون بصفات معيّنة .

عن الإمام الحسن العسكريّ عليه السّلام : "فَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَ الْفُقَهَاءِ صَائِنًا لِنَفْسِهِ، حَافِظًا لِدِينِهِ، مُخَالَفًا لِهَوَاهُ، مُطِيعًا لِأَمْرِ مَوْلَاهُ - فَلِلْعَوَامِّ أَنْ يَقْلُدُوهُ، وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا (فِي) بَعْضِ فُقَهَاءِ الشَّيْخَةِ لَا جَمِيعِهِمْ" (١) .

(١) التّفسير المنسوب للإمام العسكريّ عليه السّلام ص ٣٠٠ .

ودور المؤمنين أن يتحركوا بحسب حركة المعصوم عليه السلام، وأن يسيروا خلف المرجعية الرشيدة، فإذا تحركوا تحركنا، وإذا وقفوا وقفنا، وإذا سكتوا سكتنا .

عن الإمام الصادق عليه السلام : " والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان على من أمكنه ذلك، ولم يخف على نفسه ولا على أصحابه " (١) .

يشترط في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن تكون عند المكلف القدرة والإمكانية والقوة على الأمر والنهي، وأما إذا كان هناك خوف على نفسه أو على غيره من المسلمين ففي هذه الحالة يسقط عنه الوجوب، ولكنه يوازن أيضاً ويختار التكليف المناسب مع أي حدث من الأحداث .

ونأتي إلى بحث مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبحث الجهاد؛ لكي نحيط بهما بشكل مختصر، وبعد ذلك نأتي إلى الجواب عن السؤال التالي : هل تكليف المؤمن في عصر الغيبة الكبرى هو السلبية والعزلة أو الجهاد والحركة والعمل الاجتماعي ؟

وأولاً لا بد من أن يكون عندنا تصوّر عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتصور عن السلبية والعزلة، وتصور عن الجهاد؛ حتى يمكننا أن نجيب على السؤال التالي :

ما هو تكليف المؤمن في عصر الغيبة الكبرى ؟

(١) وسائل الشيعة ج ١١ ص ٣٩٨ ح ٢٢ .

مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

توجد ثلاث مراتب، وهي :

المرتبة الأولى :

إظهار الانزجار القلبي بواسطة الفعل، كالإعراض عن الفاعل وترك الكلام معه .

مثلاً من يقوم بمعصية يعرض الشخص عنه، ويترك الكلام معه، بحيث يعرف العاصي أنّ هذا الشخص متضايق منه .

المرتبة الثانية :

نصعد درجة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكونان بواسطة الكلام بالوعظ والإرشاد .

المرتبة الثالثة :

نصعد درجة أعلى، ويتخذ الشخص إجراءات عمليّة، كفرك الإذن أو الضرب أو الحبس، ولكن بشرط أنّه يجب التدرّج في الأمر والنهي من الأكثر تأثيراً والأخفّ إيذاءً، فليس الهدف من الأمر والنهي إيذاء العاصي، ثمّ يتدرّج إلى ما هو أشدّ منه، ومن يريد أن يمارس الأمر والنهي لا بدّ من أن يدرك أنّ الأمر والنهي يكونان قربةً إلى الله تعالى، لا أن يأمر وينهى؛ لأجل قضية شخصيّة أو للتشقي، بل لأنّ الله تعالى يريد منه أن يأمر وينهى، وقد يكون غضبان من شخص ويريد أن يأمره وينهاه؛ لأجل أن ينقّس عن غضبه، فهذا لا يكون تقرباً إلى الله تعالى، بل يكون تقرباً إلى نفسه الأتّارة بالسوء ولشيطانه، لذلك

يحاول أن يجرجه ويفضحه أمام الناس، وهذا لا يكون قربةً إلى الله تعالى، وتكليف المؤمن هو أن يأتي بالأشدّ تأثيراً والأخفّ إيذاءً، وليس الهدفُ إيذاءه، فبالأمر والنهي تريد أن تصلحه لا أن تؤذيه، وإذا تأذى سيّخذ منك موقفاً عكسياً ولا يأخذ بكلامك، وهذا ما يحصل أحياناً بين المؤمنين، فبدل أن يصلح نفسه يبدأ بالعناد، وينتهي بالعناد الأشدّ، وفي المرتبة الثالثة أولاً يحتاج إلى أخذ الإذن من الحاكم الشرعيّ، وثانياً يُشترطُ أن لا يصل إلى الجرح أو الكسر، وإذا لم يأخذ الإذن من الحاكم الشرعيّ يقع المجتمع في الفوضى، وكلّ شخص يريد أن يحلّ مشكلته مع الآخرين بيده، وهذا هو الوضع الحاليّ في المجتمعات، فكلّ شخص يقول : أريد أن آخذ حقّي بيدي .

وفي استعمال اليد يحتاج إلى إذن من الحاكم الشرعيّ، وأمّا في المرتبة الأولى -أي إظهار الانزجار القلبيّ بالإعراض وترك الكلام معه- وفي المرتبة الثانية -أي الكلام والوعظ والإرشاد- فلا يحتاج المكلف إلى إذن الحاكم الشرعيّ .

وفي المرتبة الثالثة يُشترطُ أخذ إذن الحاكم الشرعيّ أولاً، وثانياً يُشترطُ أن لا يصل إلى الجرح أو الكسر، كأن يجرحه بسكين أو يلوي يده ويكسرها .

وإذا لم يلتزم الأمر بالمعروف والنّاهي عن المنكر بالشروط فإنّه نفسه يكون عاصياً، ويحتاج إلى من يأمره وينهاه، فهو أراد أن يأمر وينهى العاصي فأصبح هو عاصياً .

والآن بيدنا شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبيدنا مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وفي الأسبوع القادم نأتي إلى بحث الجهاد بشكل مختصر؛ لكي نحيط بجوانب الجهاد، ونذكر أنّ الجهاد لا يُقصدُ منه الجهاد العسكري فقط، فهناك أنواع أخرى من الجهاد، كالجهد التثقيفي، والعاملون في المجتمع حينما يقومون بعمل الدورات الشبابية ليكن عندهم تصوّر أنّهم مجاهدون أيضاً، ولكنهم ضمن الجهاد التثقيفي، لا أن يقوموا بالعمل ولا يوجد عندهم تصوّر عن خلفيّة العمل، ولا بدّ من أن تكون التّصوّرات عند العاملين في المجتمع واضحةً قبل البدء بالعمل، فيعرف العامل شروط الأمر والنهي، ويعرف مراتب الأمر والنهي، وحينما يريد أن يُقدّم على الجهاد التثقيفي لا بدّ من أن يعرف شروطه وحدوده بالتّفصيل؛ لكي لا يكون عمله عشوائياً، وبدل أن يساهم في تكامل الأفراد وتكامل المجتمع قد يساهم في تسافل الأفراد والمجتمع، ويكون تأثيره تأثيراً سلبياً عكسياً .

والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطيّبين الطّاهرين .

أسئلة وتعليقات الحاضرين :

الأستاذ محمّد شهيد :

أحياناً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين الناس يلزم منه أن يتدخّل مباشرةً بيده، ولا يوجد مجال لأخذ الإذن من الحاكم الشرعيّ،

فقد يقع ضرر، ولا بدّ من أن يتصرّف في لحظتها .

جواب الشيخ محمد أشكناني :

هذا يعتمد على الموقف نفسه، ونحن نفترض أنّ الموقف خفيف لا أنّه يستعمل يده مباشرةً، وإذا فتحنا الباب لكلّ شخص بأن يستعمل يده فلا يقف الأمر عنده هو فقط، وينتشر الفوضى في المجتمع، لذلك لا بدّ من الالتزام بأخذ الإذن من الحاكم الشرعيّ حتى لو أدى إلى عدم تحقيق كامل هدفك، ويكون سعيك لتحقيق جزء من الهدف عن طريق الكلام والوعظ والإرشاد، ولا نريد أن نفتح الباب للناس؛ لكي يصلحوا الأمور بالقوّة واستعمال العضلات، وكلّ شخص سيقول : أنا أرى أنّ تكليفي الشرعيّ أن أستعمل يدي .

ويكون هذا تبريراً للناس في استعمال القوّة مع العصاة .

الأستاذ محمد شهيد :

قد أرى شخصاً يعتدي على شخص آخر، وتدخّلي قد يؤدّي إلى جرح المعتدي أو كسر يده .

جواب الشيخ محمد أشكناني :

هذا له عنوان شرعيّ آخر وهو "الدّفاع عن المُعتدّي عليه"، فإذا رأيت شخصاً يعتدي على شخص آخر فدورك أن تدافع عن المُعتدّي عليه، وهذا ليس تحت عنوان "الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر"، والعناوين الشرعيّة لا بدّ من معرفة حدودها، فكلّ عنوان له حدود معيّنة، وإذا أردت أن تُقدّم على أيّ عمل فلا بدّ من أن تعرف

أنّ هذا العمل يكون تحت أيّ عنوان، فأيّ عنوان تطبّق، وأن تعرف حدود هذا العنوان، مثلاً من يصلّي لا يطبّق عنوان "الصّيام"، وإذا كانت الصّلاة واجبةً فلا يطبّق عنوان "الصّلاة المستحبّة"، والعناوين لا بدّ من أن تكون واضحةً عند المكلف مع حدودها وتفصيلها .

وقلت في كلامي سابقاً بأنّه قد يعلم العناوين، ولكنّه لا يعرف التّطبيق، نعم تكون العناوين واضحة في أذهاننا، ولكن لا بدّ من أن نعرف موارد تطبيق الحكم الشرعيّ، والتّطبيق له جانب فنيّ، فقد يعلم بالأحكام الشرعيّة، ولكنّه لا يعرف كيف يطبّق هذه الأحكام، فقد يدرس باب الوضوء، ولكنّ وضوءه يكون باطلاً، ويدرس باب الصّلاة، ولكنّ صلاته باطلة، فهذا لا يعرف كيفية تطبيق الأحكام الشرعيّة .

فأولاً على المؤمن أن يتعلّم الأحكام الشرعيّة، وثانياً يعرف موارد تطبيق الحكم الشرعيّ، والتّطبيق مهمّ جدّاً، والتّطبيق يجري حتّى في العلوم الدنيويّة الحديثة .

مثلاً شخص درس في الجامعة في كليّة الطّب، وتخرّج وحصل على الشهادة وعمل في المستشفى، فإذا جاء إليه مريض فلا بدّ من أن يعرف كيف يشخّص مرضه، وعلى أساس التّشخيص الصّحيح يصف له الدّواء المناسب، فيطلب من المريض أن يجري فحصاً لدمه، ويحتاج الطّبيب إلى معرفة نتيجة فحص الدّم؛ لكي يشخّص المرض الموجود عنده، وإذا عرف المرض يعطيه الدّواء المناسب .

مثلاً شخص عنده تكسّر في الدّم إذا لم يخبر الطّبيب بمرضه فمن الممكن أن يصف له دواءً يؤدّي إلى موت المريض، فهذا الدّواء مناسب لمن ليس لديه تكسّر، ومن فيه مرض تكسّر الدم يعطيه دواءً آخر، والطّبيب يطبّق المعلومات التي اكتسبها من الجامعة، وعلى أساس التّشخيص الصّحيح يطبّق المعلومة الصّحيحة في موضعها المناسب، فيعرف المعلومة، ويعرف متى يطبّقها، وكيف يطبّقها في موضعها الصّحيح، وهذا مهمّ جدّاً في حياة الإنسان المؤمن أيضاً .

الأستاذ محمّد الحدّاد :

في بداية المحاضرة قسّمت تكليف المؤمن إلى قسمين : القسم الأوّل هو العزلة والسّلبية، والقسم الثّاني هو الإيجابيّة، وذكرت أنّه توجد روايات تدلّ على العزلة والسّلبية، فما هو سبب مثل وجود هذه الروايات ؟

جواب الشيخ محمّد أشكناني :

هذا هو موضوعنا الذي نبحث فيه، وفيما بعد سنجمع بين الروايات التي تدعو إلى السّلبية مع الآيات والروايات التي تدعو إلى الجهاد، فكيف يمكن الجمع بينهما ؟

ومن أول نظرة يبدو التّعارض بينهما، فروايات تدعو إلى العزلة، وروايات تدعو إلى الجهاد، ودور الفقهاء أن يجمعوا بين الروايات التي تبدو في ظاهرها أنّها متعارضة، فالعزلة تكون بشروط معيّنة، والجهاد يكون بشروط معيّنة، والفقهاء من خطّ المرجعيّة الرّشيّدة الصّالحة

يعطوننا النتيجة النهائيّة في آخر المطاف .
والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد
 وآله الطّيبين الطّاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٢٩)

الجهاد في سبيل الله تعالى (١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

طرحنا موضوع أنصار الإمام المهدي عليه السلام بين السلبية وبين الجهاد والتحرك الاجتماعي، والخلاصة أنه توجد آيات وروايات تدعو إلى الجهاد، وتوجد روايات تدعو إلى العزلة، فما هو تكليف المؤمن في عصر الغيبة؟ هل هو السلبية والاعتزال أو أنّ المطلوب منه هو الجهاد في سبيل الله تعالى؟

ولا بدّ من أن نوفق بين الآيات والروايات؛ حتى يمكننا أن نعرف تكليفنا في عصر الغيبة الكبرى .

وقبل هذا طرحنا شيئاً عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنّه متعلّق بموضوعنا، وذكرنا شروط الأمر والنهي ومراتبهما، وندخل الآن

(١) أُلْفِيَتْ هذه المحاضرة في الديوانية الأسبوعية في دولة الكويت منطقة

بيان، الجمعة ٢٦ جمادى الآخرة ١٤٣٣ هـ ، ١٨/٥/٢٠١٢ م .

في مسألة "الجهاد"، وبتكلم عنه بشكل مختصر حتى يمكن أن نجيب على سؤال محور الموضوع :

هل المطلوب من المؤمن في عصر الغيبة أن يعتزل ولا يشارك في شيء من التحرك الاجتماعي أو أنّ المطلوب منه أن يتحرك ويشارك ويجاهد في سبيل الله تعالى ؟

والجهاد في سبيل الله تعالى له مصاديق مختلفة، والمطلوب من المؤمن في زماننا الحالي بعض أنواع الجهاد .

وكلمة "الجهاد" تُطلق على التضحية بالنفس والمال في سبيل الله تعالى من أجل المصلحة الإسلامية، فالشخص الذي يجاهد بنفسه وماله يُطلق عليه بأنه مجاهد بجهاد النفس أو بجهاد المال .

ومن الآيات القرآنية التي تتكلم عن الجهاد والاستعداد له :

"وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ" (١) .

ويقول القرآن الكريم :

"إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ

(١) الأنفال : ٦٠ .

الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ" (١) .

هذه الآية الكريمة تتحدّث عن الجهاد كفريضة لقتال أعداء الدّين والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، ونلاحظ في الآية أنّها تقول : "في التّوراة والإنجيل والقُرآن"، أي أنّ الجهاد من الفرائض في جميع الشّرائع الإلهيّة، ومن ضمنها الشّريعة الإسلاميّة .

وإذا كان الجهاد مفروضاً في جميع الشّرائع السّماويّة فمعنى ذلك أنّ الجهاد يكون ضمن التّخطيط الإلهي، والتّخطيط الإلهي يمتدّ من بداية خلق الكون وينتهي بنهاية الكون، فالله تعالى حينما خلق الكون كان ضمن تخطيط لا بشكل عشوائي، ولا يوجد أيّ حدث في الكون إلّا وهو واقع ضمن هذا التّخطيط، سواء كان حدثاً إجبارياً من الله تعالى كالزّلازل، أم يكون حدثاً اختياريّاً من البشر، كوجود حاكم ظالم يحكمهم، نعم هذا الحاكم باختياره يظلم النّاس، ولكن وجوده يكون ضمن التّخطيط الإلهي، ولا يكون خارجاً عن التّخطيط، وانتشار الظلم في العالم انتشار اختياريّ من النّاس، وهو يقع أيضاً ضمن التّخطيط الإلهي؛ لأنّ الظلم يؤدّي إلى إنشاء أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام، وهذا الظلم وإن كان باختيار البشر، ولكنّه يساهم في ظهور الإمام عليه السّلام، فلا يوجد شيء في هذا الكون خارج عن التّخطيط الإلهي، وكلّ ما يقع على الأرض منذ بداية البشريّة هو واقع ضمن تخطيط الله تعالى، فالله عزّ وجلّ خطّط

(١) التّوبة : ١١١-١١٢ .

الكون بتخطيط معيّن، وحتّى أنّ إبليس اللّعين موجود ضمن هذا التّخطيط .

وبعض النّاس يُشكّلون : لماذا خلق الله تعالى إبليس الذي يحرف البشريّة عن المسار الصّحيح ؟

نقول : لأنّ الله تعالى يريد من الإنسان أن يكون مؤمناً باختياره، ويتغلّب على شهواته ورغباته المحرّمة باختياره، ويصارع هذه الشّهوات بنفسه؛ حتّى ينتصر على نفسه .

والبعض يقول : إنّ الإنسان ينتصر على نفسه .

نقول : إنّ هذا التّعبير نقلته منهم، ولكن في الواقع الإنسان ينسّق مع نفسه، فليس المطلوب من الإنسان أن يقمع الشّهوات، بل المطلوب منه أن ينظّم الشّهوات، فالإنسان عنده مجموعة من الشّهوات الّتي جعلها الله تعالى فيه، والمطلوب من الإنسان أن ينظّمها، مثلاً الشّهوة الجنسيّة موجودة في الإنسان، ولكن لا يجعلها المسيطرة على حياته بحيث يذهب في طريق الحرام؛ لأجل قضاء شهوته، بل ينظّم هذه الشّهوة وينسّق معها بحيث يجعلها في طريق محلّل عن طريق الزّواج .

إنّ وجود إبليس على الأرض ووجود الشّهوات في الإنسان ووجود أشخاص يظلمون بل كلّ شيء يقع في الكون إنّما يكون ضمن التّخطيط الإلهي؛ لأنّ الله تعالى يريد من جميع البشر أن يسيروا إلى اليوم الموعود يوم ظهور الإمام المهديّ عليه السّلام، وكلّ الأمور

تساهم في تعجيل ظهور الإمام عليه السلام، حتى من يحاول أن يؤخّر ظهور الإمام عليه السلام، فإنّته على العكس هو يساهم في ظهور الإمام عليه السلام .

مثلاً الحاكم الظالم حينما يظلم الناس يظنّ بأنّه يقضي على المؤمنين وعلى الإسلام، نقول بأنّه يجعل المؤمنين أقوى من السابق؛ لأنّته بمجرد ما يحدث ضغط على المسلمين فإنّ هناك أشخاصاً يضعفون، ولكن في نفس الوقت هناك أشخاص يحصلون على القوّة، والمطلوب من وجود الحاكم الظالم هو هؤلاء الأقوياء، والحاكم الظالم يساهم في إنشاء المؤمنين الأقوياء، وراجع تاريخ الظالمين على مرّ العصور، فهناك من يقوم بمقاومة الظالم، ولولا وجود هذا الظالم لما كان هذا المؤمن يقاوم ويصبح أقوى وأقوى، فالظالم يساهم في تقوية المؤمنين، فإذا كان يساهم في تقوية المؤمنين فمعنى ذلك أنّه يساهم في تأسيس أنصار الإمام المهديّ عليه السلام رغماً عن أنفه، فهو يحاول القضاء على الدّين والمؤمنين، ولكنّه على العكس هو يساهم في تقوية الدّين وتقوية المؤمنين .

إذن :

هناك تخطيط إلهي، وهذا التّخطيط سائر، وسوف ينتهي إلى نشر العدل في العالم، وكلّ ما يقع على الأرض من أحداث يساهم في إعداد الأنصار وتعجيل ظهور الإمام المهديّ عليه السلام ، ونحن الآن سائرون ضمن هذا التّخطيط، ولا يوجد شيء عشوائي، ولا

يوجد شيء خارج عن التخطيط الإلهي، وكلّ ما يقع من أحداث اربطه بظهور الإمام عليه السّلام، وسوف تفهم الأحداث بصورة أفضل، وستجد أنّ الأحداث مترابطة ببعضها البعض، وأنها تصبّ جميعًا في مصبّ ظهور الإمام عليه السّلام، وجميع الأحداث العالميّة تقع ضمن التخطيط وتساهم في ظهور الإمام عليه السّلام، نعم قد تتأدّى من وقوع بعض الأحداث، ولكن حينما تنظر إليها بمنظار الإمام عليه السّلام فإنّك ستشعر بالارتياح؛ لأننا سائرون إلى تحقيق اليوم الموعود، ويرجو المؤمن أن ينتشر العدل في العالم، نعم تقع بلاءات ومصائب على المؤمنين، ولكن بواسطة هذه البلاءات والمصائب يصبح المؤمنون بشكل أفضل وأقوى، وهذا هو النّاتج المطلوب، ولا يمكن للمؤمنين أن يصبحوا أقوى بدون بلاءات ومصائب، فلا بدّ من أن تقع البلاءات، والمطلوب من المؤمنين أن ينجحوا فيها ويستفيدوا منها، نعم لا نتوقّع نجاح جميع المؤمنين، ولكن هناك ثلّة من المؤمنين ينجحون في البلاءات، وهؤلاء النّاجحون يصبحون من أنصار الإمام عليه السّلام، ويساهمون في ظهوره .

سؤال : من هم المجاهدون في سبيل الله تعالى ؟

الجواب :

الآية الكريمة تبين صفات المجاهدين، فمن هو الشّخص الذي يكون مؤهلاً للقيام بالجهاد ؟
وهذا ينفعنا؛ لكي نسعى للحصول على هذه الصّفات حتّى نكون

من أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام .

والمجاهدون هم : "التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ
الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ" .

السَّائِحُونَ : إمّا المقاتلون المجاهدون وإمّا الصّائمون، وقد يكون
المعنى المناسب هو "الصّائمون" باعتبار العبادات المذكورة في الآية .
وهذه المجموعة من الصّفات لا بدّ من أن تكون متوفّرة فيمن يريد
أن يجاهد في سبيل الله تعالى، فمن يقوم بالجهاد هم من تتوفّر فيهم
هذه الصّفات، وهذه الصّفات هي الصّفات من الدّرجات العليا،
والمجاهدون يكونون من صفوة المؤمنين، وهم ذوو الإخلاص الممخّص،
فهم قد مرّوا بتجارب وبلاءات ومصائب كثيرة بحيث أثبتوا جدارتهم،
وهؤلاء يمثّلون أصحاب الدّرجات الإيمانيّة العالية، ومن يريد أن يكون
من أنصار الإمام عليه السّلام فلا بدّ من أن يحقّق هذه الصّفات في
نفسه، وإذا لم يحقّق هذه الصّفات لحدّ الآن فعليه أن يسعى لتحقيقها
حتّى يصل إلى درجة الأنصار، وبدون هذه الصّفات لا يمكن للإنسان
أن يكون من أنصار الإمام عليه السّلام .

إذن :

دور المؤمنين أن يعرفوا تفاصيل هذه الصّفات، ثمّ يطبّقونها، ويسعون
إلى تحقيقها في أنفسهم، وكلّ مؤمن عليه أن يسعى إلى تحقيقها في
نفسه، ففي التّوبة لا بدّ من أن يعرف معناها وحدودها، وكيف يكون

تائبًا، ولا بدّ من أن يعرف معنى العبادة وتفصيلها، وهو ما يطلق عليه "فلسفة العبادات" أو "أسرار العبادات"، وإذا لم يعرف تفصيلها فلا يوجد عنده تصوّر عنها، وإذا لم يوجد عنده تصوّر عنها فلا يمكنه أن يتحرّك لتحقيقها في نفسه، فإذا أراد أن يحقّق العبادة في نفسه فلا بدّ من أن يعرف معناها، وإذا لم يعرف معنى العبادة فلا يمكنه أن يحقّقها في نفسه، ولا بدّ من أن يعرف معنى العبادة بتفصيلها .

ولا يُقصدُ بالعبادة العبادات المخصوصة فقط من الصلّاة والصّيام والحجّ كما هو المتبادر إلى الأذهان، فالعبادة دائرتها أوسع من هذه الدائرة الضيّقة، فهي تشمل كلّ ما يقوم به الإنسان من أعمال، فجميع الأعمال يمكن تحويلها إلى عبادة لله تعالى، وتصورنا عن العبادة ضيق جدًا بحيث تشمل العبادات المخصوصة فقط، والصلّاة والصّيام والحجّ عبادات مخصوصة، ولكنّ الدّين حينما يقول "العبادة" يقصد العبادة بشكل عامّ، أي العبادة العامّة، فلا بدّ من أن نعرف معنى العبادة العامّة .

والسّائحون بمعنى الصّائمين، ولا بدّ من أن نعرف حدوده، وفي الرّاكعين ليس المطلوب الحركة فقط، فالشّخص يمكنه أن يأتي بحركة الرّكوع، فلا بدّ من أن نعرف معنى الرّكوع وعلاقة هذه الحركة بعقائد الإنسان وصفاته القلبيّة؛ حتّى يمكنه أن يحقّق الرّكوع والسّجود لله تعالى لا كحركة وقول فقط، ويمكننا أن نأتي بإنسان كافر بالله ونقول له بأن يركع ويسجد، فيركع ويسجد، ولكنّه يأتي بحركة وقول،

والمطلوب أكثر من الحركة الخارجيّة والكلمات الخارجيّة، فهذه الحركة الخارجيّة مرتبطة بعقائد الإنسان وصفاته القلبيّة، وإذا لم يوجد عند الإنسان تصوّر عن علاقة العمل الخارجيّ بالعقائد والصفّات القلبيّة فلا يمكنه أن يستفيد من العبادات، نعم هو صلّى، ولكنّه لم يستفد منها شيئاً، وقد تجد شخصاً يعصي مع أنّه يصلّي، فنسأل : لماذا يستمرّ بارتكاب المعصية ؟

الجواب :

يستمر بالمعصية؛ لأنّه لم يستفد من الصلّاة، أتى بالحركات والأقوال الخارجيّة، والصلّاة ليست عبارةً عن حركات وأقوال خارجيّة فقط، فالعبادة مرتبطة بعقائد الإنسان وقلبه، والعبادات لها علاقة بالله تعالى، فلا بدّ من أن يكون عنده تصوّر عن هذه العلاقة، وإذا لم يوجد عنده تصوّر عن هذه العلاقة فلا يمكنه أن يستفيد من الصلّاة حتّى لو صلّى عشرات السنين، ولأجل أن يستفيد لا بدّ من أن يعرف "أسرار الصلّاة" أو ما يسمّى بـ "فلسفة الصلّاة" .

وتذكر الآية الكريمة الأمرون بالمعروف والنّاهون عن المنكر، فلا بدّ من أن يعرف الأمر والنّهي بحدودهما وشروطهما ومراتبهما؛ حتّى يمكنه أن يمارس هذه الدّور، وبدون معرفة الشّروط والمراتب لا يحقّ له أن يدخل إلى الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وإذا لم يوجد عنده تصوّر عن الشّروط والمراتب فإنّه يُقدّم على شيء مجهول لا يوجد عنده تصوّر تفصيليّ عنه .

نعم عنده تصوّر إجماليّ ضبابيّ فقط، ويحتاج إلى التّصوّر التّفصيليّ قبل الإقدام على العمل .

مثلاً صانع السّاعة عنده تصوّر تفصيليّ عن مكوّناتها وكيفيّة عملها وعلاقة المكوّنات بعضها ببعض، وإذا تعطلّ شيء في السّاعة فإنّه يعلم سبب العطل، وأمّا نحن فعندنا تصوّر إجماليّ عن هذه السّاعة، ولا نعلم مكوّنات السّاعة تفصيلاً، ولا نعلم كيفيّة عمل هذه المكوّنات .

والمؤمن لا بدّ من أن يكون عنده تصوّر تفصيليّ عن أحكام الدّين، ولا يقصد من أحكام الدّين الأحكام العمليّة الموجودة في الرّسالة العمليّة فقط، بل المقصود أحكام الدّين الشّاملة للأحكام العقائديّة والأحكام الأخلاقيّة والأحكام العمليّة، وكلّ هذه الأحكام لا بدّ من أن تدخل ضمن التّصوّر التّفصيليّ لكلّ عمل يقوم به الإنسان، حتّى يمكن للإنسان أن يقول : أنا مؤمن وأعمل بأحكام الدين .

لا أن يكون عنده تصوّر إجماليّ، وبالتّصوّر الإجماليّ لا يمكنه أن يتحرّك إلى الله تعالى تحرّكاً كاملاً، نعم بالتّصوّر الإجماليّ يتحرّك درجةً، ولكن بالتّصوّر التّفصيليّ يصل إلى قاب قوسين أو أدنى كما هو حال النّبّي صلّى الله عليه وآله، فالنّبّي صلّى الله عليه وآله وصل إلى أعلى درجات القرب الإلهيّ؛ لأنّه كان يملك الاطلاّع الكامل على الأحكام الإلهيّة بكلّ تفاصيلها، وحينما يريد النّبّي صلّى الله عليه وآله أن يُقدّم

على أيّ عمل أو يتوقّف عن أيّ عمل فإنّه يعلم تفصيلاً علاقة هذا العمل بالله تعالى، فيعرف العلاقات بكلّ تفاصيلها .

وإذا أراد المؤمن أن يتكامل ويصل إلى الدّرجات الإيمانيّة العالية بحيث يكون من أنصار الإمام عليه السّلام فلا بدّ من أن يكون عنده تصوّرات تفصيليّة، والإنسان هو الذي يختار بأن يكون في الدّرجات الإيمانيّة العالية أو الدّانية، فدائرة أنصار الإمام عليه السّلام فيها صفات معيّنة، وكلّ إنسان يمكنه أن يدخل في هذه الدّائرة بشرط أن يحقّق هذه الصّفات في نفسه، فإذا حقّق الصّفات في نفسه فإنّه يدخل في دائرة الأنصار، ولا يمكن لأيّ شخص أن يدّعي أنّه من الأنصار؛ لأنّ الإمام عليه السّلام مطّلع على أحوال النّاس، وحينما يختار هؤلاء الأنصار فلا يختارهم بشكل عشوائيّ؛ لأنّه مطّلع على نفسيّات النّاس، فيختار فلاناً وفلاناً وفلاناً، وهم الذين تتجسّد فيهم الصّفات المطلوبة، ومنهم في وقت الظّهور الذين يُفقّدون من فرشهم أو الذين يطّيرون في السّحاب إلى مكّة المكرّمة، فهؤلاء لا يصبحون من الأنصار بشكل عشوائيّ، وأنت حينما تختار فإنّك تحكم على ظاهر النّاس، فتختار بعض الأشخاص ليكونوا من خدمة الدّين بناءً على صفاتهم الظّاهريّة، ولكنّ الإمام عليه السّلام يختار الأنصار على أساس صفاتهم الحقيقيّة، والإمام عليه السّلام مطّلع علينا .

ودورنا أن نحقّق الصّفات في أنفسنا حتّى يختارنا الإمام عليه السّلام لنكون من أنصاره، والمجال مفتوح أمام جميع النّاس، وما دام أنّ

الإنسان عنده طاقات، فيمكنه أن يحوّل هذه الطّاقات من القوّة إلى الفعل، فالله تعالى جعل الطّاقات في كلّ إنسان، وكلّ إنسان يمكنه تحقيق الصّفات في نفسه، ولكن بشرط أن يعرف تفاصيل الصّفات ثمّ يحقّقها في نفسه، ولا يكتفي بالعلم والتّصوّرات، فالعلم والتّصوّرات لوحدها لا تحرك الإنسان، والعلم لا بدّ من تحويله إلى عمل، فمن الممكن أنّ يعلم أنّ هذا العمل حرام، ولكنّه يرتكبه، فلم يستفد من علمه، وبالعكس فهذا العلم حجة عليه، فهو يعلم بالحرام ويُقدّم على ارتكابه، فأمام الله تعالى لا يمكن أن يدّعي أنّه جاهل بالحكم، لأنّ الله تعالى يعلم بأنّه يعرف بالحرمة حين ارتكاب العمل، فالحجة قائمة عليه، لذلك على الإنسان حينما يعرف تفاصيل الواجبات والمحرمات أن يستفيد من علمه ويتحرك على أساس علمه، ومن الممكن أنّ شخصاً يملك معلومات كثيرة في ذهنه، ولكنّه لا يتحرك على أساس معرفته .

ومن يريد أن يكون من الأنصار إذا لم يوجد عنده تصوّر عن صفاتهم فلا يمكن أن يتحرك ليصل إلى مرتبتهم، وبالتالي لا يختاره الإمام عليه السّلام، والتّصوّر لا بدّ من أن يكون تصوّرًا تفصيليًا عن صفاتهم، وصاحب التّصوّر الإجماليّ يكون في الدّرجات الإيمانيّة الدّانية، والإمام عليه السّلام يختار الأنصار من أصحاب الدّرجات الإيمانيّة العالية، فينظر عليه السّلام إلى أفضل المؤمنين؛ لأنّ درجات المؤمنين متفاوتة، فيختار من الصّفوة أصحاب الإيمان المخصّ الذين

أثبتوا جدارتهم ووصلوا إلى الدّرجة العالية، والأمر ليس عشوائياً،
والمؤمنون لا بدّ من أن يعملوا للوصول إلى الدّرجات الإيمانيّة العالية؛
لأجل أن يكونوا مؤهّلين لاختيار الإمام عليه السّلام .
إذن :

الآية الكريمة بيّنت أنّ فرض الجهاد موجود في التّوراة والإنجيل
والقرآن، ثمّ ذكرت صفات المؤمنين المجاهدين، ونعرف صفات المؤمنين
من القرآن الكريم وروايات المعصومين عليهم السّلام .
ويمكنك جمع جميع الآيات والرّوايات التي تتحدّث عن الإيمان
وصفات المؤمنين ومشتقّات كلمة "آمن"، مثل آمنوا ويؤمنون ومؤمن
وغيرها، وهكذا يعلم علماً تفصيلياً بصفات المؤمنين، والبحث في هذه
الآيات والرّوايات، ويحتاج البحث إلى عمل سنوات؛ لكي يحصل على
تصوّر تفصيليّ عن الإيمان .

ويختار الإنسان بين أن يكون عنده تصوّر إجماليّ أو تصوّر تفصيليّ
عن الإيمان وصفات المؤمنين، وإذا قنع الإنسان بوضعه فإنّه لا
يتحرّك، والإنسان الطّموح هو الذي يتحرّك، وأمّا إذا رضي بوضعه
فلا تصدر منه أيّ حركة .

فيقول : يكفي أن أصبّ الشّي في جيش الإمام عليه السّلام .
نقول : هذا إذا وصل إلى هذا الأمر، فحتّى الذي يصبّ الشّي
في جيش الإمام عليه السّلام يكون بمواصفات خاصّة، منها أن يكون
مؤمناً أميناً لا ينقل الأخبار إلى الأعداء .

وهذه الصّفات ضروريّة للإنسان المؤمن الذي يريد أن يكون من أنصار الإمام عليه السّلام، والفكرة الإجماليّة لا تنفع كثيراً، وهذه المحاضرات هنا أو محاضرات العلماء في أماكن أخرى إذا لم يكن عند المؤمن اطلاع عليها من شروط ظهور الإمام عليه السّلام وصفات الأنصار وتفصيل الظهور - فلا يمكن أن يصعد إلى درجة الأنصار، ومن لم يكن عنده اطلاع كافٍ فإنّه يتحرّك إلى شيء مجهول، وإذا تحرّك إلى شيء مجهول فإنّه لا يعلم أنّ هذا الطّريق يوصله إلى الهدف أو لا يوصله .

مثلاً شخص يريد مدينة الأحمدية، ولكنّه يأخذ الطّريق الدّائري الخامس، فإنّه لا يصل إلى الأحمدية، وإنّما يصل إلى مدينة الجهراء . وعلى المؤمن أولاً أن يعرف الهدف ما هو وأين هو، وثانياً يعرف الطّريق الذي يوصله إلى الهدف، وثالثاً يعرف الوسائل التي تؤدّي إلى تحقيق الهدف .

وجميع المؤمنين يريدون أن يكونوا من أنصار الإمام عليه السّلام، ويقرؤون دعاء تعجيل الفرج، وأدعية حفظ الإمام عليه السّلام، والمؤمنون يقرؤون الأدعية الكثيرة، ويحفظون دعاء "اللهم كن لوليّك الحجّة بن الحسن . . ."، وحتى أطفالنا يحفظون هذا الدّعاء، ولكن كم من المؤمنين يعلمون ما هو خلفيّة هذا الدّعاء وما هو المطلوب منهم، نعم توجد فكرة إجماليّة عند أغلب المؤمنين، ولو أنّ جميع المؤمنين كانوا يسعون لتحقيق صفات الأنصار في أنفسهم لظهر

الإمام عليه السّلام، وتأخير ظهور الإمام عليه السّلام سببه نحن، فنحن المسؤولون عن تأخير ظهور الإمام عليه السّلام، والمؤمنون يحفظون دعاء الفرج، ولكنّهم لا يسعون لتحقيق الفرج، فعملنا ناقص ونحن المقصّرون، وعملنا الناقص لا يحقّق النّتيجة المطلوبة، ولا يكفي الدّعاء بلا عمل، والدّعاء بلا عمل لا يؤدّي إلى تحصيل النّتيجة .

مثلاً شخص جالس في بيته يقول : اللهم ارزقني .

ولا يسعى إلى تحصيل الرّزق، فإنّ الرّزق لا يأتي إليه .

عن الصّادق عليه السّلام : " . . . من الثلاثة الذين دعوا فلم تستجب لهم دعوة . . . ورجل جلس في بيته يسأل الله أن يرزقه، فقال : ألم أجعل لك إلى طلب الرّزق سبيلاً أن تسير في الأرض وتبتغي من فضلي ؟ فردّت عليه دعوته . . . " (١) .

نعم هناك روايات عن طالب العلم :

عن النّبّي صلّى الله عليه وآله : "إنّ الله تعالى قد تكفّل لطالب العلم برزقه . . . " (٢) .

وعنه صلّى الله عليه وآله : "من تفقّه في دين الله كفاه الله همّه ورزقه من حيث لا يحتسب" (٣) .

والقول المعروف إنّ كلّ النّاس يسعون إلى أرزاقهم إلّا طالب العلم

(١) الأماي للشيخ الطّوسي ص ٦٧٩-٦٨٠ ح ٢٤ .

(٢) الحقائق النّاضرة للشيخ يوسف البحرانيّ ج ١٨ ص ١٠ .

(٣) العلم والحكمة في الكتاب والسّنّة للشيخ محمّد الرّيشهريّ ص ٢٢٩ .

فإنَّ الرِّزْقَ يسعى إليه، والرَّوَايَاتِ خَاصَّةً بِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَلَكِنَّ الرِّزْقَ
مَشْرُوطٌ بِتَحْقِيقِ الصِّفَاتِ الْحَقِيقِيَّةِ لَطَالِبِ الْعِلْمِ فِي نَفْسِهِ، فَحِينَمَا
يَذْهَبُ إِلَى الدِّرَاسَةِ فِي الْحَوْزَةِ لَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَنْطَبِقَ عَلَيْهِ عِنْوَانُ "طَالِبِ
الْعِلْمِ" وَاقْعًا، وَقَدْ يَكُونُ مَوْجُودًا فِي الْحَوْزَةِ، وَلَكِنَّهُ لَا يَبْذُلُ جَهْدَهُ فِي
الدِّرَاسَةِ، فَهَذَا لَيْسَ طَالِبًا حَقِيقِيًّا، نَعَمَ النَّاسُ يَسْمَوْنَهُ طَالِبَ عِلْمٍ،
وَلَكِنَّهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى لَيْسَ بِطَالِبِ عِلْمٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَالِهِ .

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وآلِهِ : "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ،
وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنَحَتَهَا لَطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِهِ . . ." (١) .

نَعَمَ تَضَعُ أَجْنَحَتَهَا لِلطَّالِبِ الْحَقِيقِيِّ، وَوَضَعُ الْأَجْنَحَةِ كُنَايَةٌ عَنِ
الْخِدْمَةِ، فَالْمَلَائِكَةُ تَكُونُ فِي خِدْمَةِ طَالِبِ الْعِلْمِ .

عَنِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : " . . . وَمَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ الْمُؤْمِنِ؛ لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ خِدَامَ
الْمُؤْمِنِينَ، . . ." (٢) .

الْمَلَائِكَةُ خِدْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، طَبَعًا الْمُؤْمِنِ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي يَكُونُ إِيمَانُهُ
إِيمَانًا حَقِيقِيًّا، وَمِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِ الْحَقِيقِيِّ طَلْبُ الْعِلْمِ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ
يَصِلَ الْمُؤْمِنُ إِلَى دَرَجَاتِ إِيمَانِيَّةٍ عَالِيَةٍ عَلَى أَسَاسِ الْجَهْلِ، وَإِنَّمَا يَصِلُ
إِلَيْهَا بِالْعِلْمِ، فَبِالْعِلْمِ يَعْرِفُ كُلَّ دَرَجَةٍ وَمَوَاصِفَاتِهَا، فَيَصْعَدُ مِنْ دَرَجَةٍ

(١) الكافي ج ١ ص ٣٤ ح ١ .

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٣ ح ٢ .

إلى درجة أعلى، وبدون معرفة مواصفات كلّ درجة لا يمكن أن يصل إلى الدّرجات العالية، فبدون العلم لا يمكن أن يتحرّك الإنسان باتجاه الهدف المنشود، نعم بدون العلم يتحرّك إلى السّراب، كما يسير الضّائع في الصّحراء باتجاه السّراب وهو يظنّه ماءً، فيجده لا شيء .
والمفروض أن لا يعيش المؤمن السّراب في حياته، ويتوهّم أنّه قد وصل إلى الدّرجات العالية من الإيمان، وهذه تصوّرات ليس لها حقيقة، وكم من المؤمنين والمؤمنات يتوهّمون أنّهم وصلوا إلى تلك الدّرجات، ومن يرى أنّه قد وصل إلى درجة عالية فمعنى ذلك أنّه لم يصل؛ لأنّ كلّ درجة عالية فوقها درجة أعلى، فإذا وصل إلى درجة فيجب أن يسعى إلى الدّرجة التّالية، لا أن يقف على درجة معيّنة، والوقوف معناه عدم الوصول إلى الدّرجة الأعلى، فكلّ درجة تمهّد للدّرجة التّالية، فإذا وصل إلى الدّرجة التّاسعة فهذه الدّرجة تمهيد للدّرجة العاشرة، ولا يقف على الدّرجة التّاسعة .

عن الإمام جعفر الصّادق عليه السّلام : "من استوى يومه فهو مغبون، ومن كان آخر يوميه شرّهما فهو ملعون، ومن لم يعرف الزّيادة في نفسه كان إلى التّقصان أقرب، ومن كان إلى التّقصان أقرب فالموت خير له من الحياة" (١) .

في هذا اليوم هو في الدّرجة العاشرة، وإذا كان في اليوم التّالي في نفس الدّرجة فمعناه أنّه لم يتحرّك ولم يتكامل، والمؤمن لا يوجد عنده

(١) بحار الأنوار ج ٦٨ ص ١٧٣ ح ٥ . استوى : تساوى .

الوقوف عن الحركة، فيومًا بعد يوم يتحرّك، بل هذه الحركة حركة لحظيّة، ففي كلّ لحظة يتحرّك المؤمن ويصعد درجةً، ولا يقف عند حدّ معيّن، ومن يقف عند حدّ معيّن فهو لم يعرف حقيقة الإيمان، ولا يعرف حقيقة الدّرجات الإيمانيّة .

عن النّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : "فمن ترك الجهاد ألبسه الله ذلًّا وفقرًا في معيشته، ومَحَقًّا في دينه، إِنَّ اللهَ أَغْنَى أُمَّتِي بِسَنَابِكِ خَيْلِهَا وَمِرَاكِزِ رِمَاحِهَا" (١) .

من يفكّر بأن يجاهد فإنّ نفسه تنهياً للجهاد، فإذا ظهر الإمام عليه السّلام فإنّه يكون متهيّئًا ومستعدًّا للجهاد، وهذه التّهيئة تكون تهيئةً قبليّةً، والاستعداد للجهاد يكون استعدادًا قبليًّا أي قبل ظهور الإمام عليه السّلام .

اللهُ أَغْنَى أُمَّتِي بِسَنَابِكِ خَيْلِهَا وَمِرَاكِزِ رِمَاحِهَا : أغنى الله تعالى الأُمَّة من الذّلّ والفقر ومحقّ الدّين، والخيل كناية عن وسائل النّقل في الحروب، والرّماح كناية عن الأسلحة المستعملة في الحروب .

عن أمير المؤمنين عليه السّلام : "أمّا بعد، فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة، فتحه الله لخاصّة أوليائه، وهو لباس التّقوى، ودرع الله الحصينة، وَجُنَّتُهُ الوثيقة، فمن تركه رغبةً عنه ألبسه الله ثوب الذّلّ، وشمله البلاء . . ." (٢) .

(١) وسائل الشّيعّة ج ٢ ص ٤٦٩ . محقّقًا : نقصًا .

(٢) بحار الأنوار ج ٩٧ ص ٧ ح ٢ .

إنّ من يريد أن يجاهد مع الإمام عليه السّلام لا بدّ من أن يكون من خاصّة الأولياء، والآية الكريمة بيّنت الصّفات الإيمانيّة العالية التي تكون متحقّقة في المجاهد، والجهد بين يدي الإمام عليه السّلام يحتاج إلى صفات خاصّة، ولا يجاهد بين يديه عليه السّلام أيّ شخص .

عن الإمام الصّادق عليه السّلام : "إنّ الله عزّ وجلّ بعث رسوله بالإسلام إلى التّاس عشر سنين، فأبوا أن يقبلوا حتّى أمره الله بالقتال، فالخير في السّيف وتحت السّيف، والأمر يعود كما بدأ" (1) .

والأمر يعود مع ظهور الإمام المهديّ عليه السّلام كما بدأ مع رسول الله صلّى الله عليه وآله، والإمام عليه السّلام يكمل ما بدأ به رسول الله صلّى الله عليه وآله .

وفي المحاضرة القادمة نتناول شروط الجهاد بشكل مختصر، فما هي الشّروط التي لا بدّ من أن تكون موجودة؟ حتّى يمكن للمؤمن أن يُقدّم على الجهاد ؟

وإذا تحقّقت الشّروط تحقّق المشروط .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين .

أسئلة وتعليقات الحاضرين :

عميد الدّيوانيّة محمّد يوسف العيسى :

قلتم إنّ الإمام المهديّ عليه السّلام يكمل رسالة النّبىّ صلّى الله

(1) الكافي ج ٥ ص ٧ ح ٧ .

عليه وآله .

جواب الشيخ محمد أشكناني :

كانت عبارتي : "الإمام عليه السلام يكمل ما بدأ به رسول الله صَلَّى الله عليه وآله" ، ولم أقل إنَّه عليه السلام يكمل رسالة النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وآله؛ لأنَّ رسالة النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وآله رسالة كاملة، والنَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وآله كان هدفه نشر العدل في العالم، وفي زمان النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وآله لم يتحقَّق هذا الهدف، فلم ينتشر العدل في العالم، ودور الإمام المهديِّ عليه السلام أن يحقِّق هذا الهدف، فينشر العدل في العالم، فالإمام عليه السلام يكمل ما بدأه النَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وآله في نشر العدل في العالم، والنَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وآله لم يُرَدِّ نشر العدل في الجزيرة العربيَّة فقط، بل كان هدفه صَلَّى الله عليه وآله أكبر من هذا، فالرسالة الإسلاميَّة رسالة عالميَّة، وإذا كانت الرِّسالة عالميَّة فنسأل : هل في زمان النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وآله انتشر الإسلام في العالم أم لم ينتشر ؟

لم ينتشر الإسلام في العالم، لذلك فالإمام المهديِّ عليه السلام يكمل مسيرة النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وآله في نشر العدل في العالم، وسينتشر الإسلام والعدل في العالم كلَّه .

الحاجّ فالخ غزال :

ذكرتم الحديث الشَّريف أنّ الله تعالى يوفِّق خواصَّه للجهاد في سبيل الله عزَّ وجلّ، وفي أيّام النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وآله كان يوجد منافقون

في الجيش، ولم يكن جميع المشاركين من المؤمنين، فكيف نوفق بين هذا الحديث وواقع جيش النبي صلى الله عليه وآله ؟

جواب الشيخ محمد أشكناني :

النبي صلى الله عليه وآله كان يخرج إلى الجهاد بالمؤهل للجهاد، ومن لا يكون مؤهلاً للجهاد يهرب من المعركة حينما يحمى الوطيس، ومن يبقى مع النبي صلى الله عليه وآله هم خاصة الأولياء، وكانوا يحيطون بالنبي صلى الله عليه وآله، وأما الآخرون فكانوا يفرّون، لذلك تجد أنّ التاريخ حفظ أسماء هؤلاء الخاصة، ومن الخاصة امرأة وهي نسيبة بنت كعب الأنصارية، وكانت من المجاهدات .

والروايات تذكر أنّ مجموعة من النساء يكنّ من أنصار الإمام المهدي عليه السلام، وهنّ لا يقاتلن بالسلاح، ولكنّ الصفات التي تحقّقه هؤلاء النسوة في أنفسهنّ هي نفس صفات المجاهدين الرجال، وهنّ من المتهيبات روحياً وقلبياً للجهاد مع الإمام عليه السلام، وهذه الصفات تهيئ كلّ من تتوفّر فيه سواء كان رجلاً أم امرأة، ولا نقول بأنّ الرجال فقط يصلون إلى درجة الأنصار، بل حتّى النساء يمكنهنّ ذلك بتحقيق نفس الصفات في أنفسهن، فالمرأة التي تحقّق هذه الصفات في نفسها تكون من أنصار الإمام عليه السلام، فباب الجهاد مفتوح للرجال والنساء على السواء، وليس الجهاد حكراً على الرجال فقط، فمن تحقّق في نفسها صفات سيّدة نساء العالمين والحوراء زينب عليهما السلام فهي من أنصار الإمام عليه السلام .

الأستاذ محمد الحدّاد :

توجد روايات بأنّ الإمام المهديّ عليه السّلام يأتي بدين جديد،
فهذه مشكلة، ومع وجود الفقهاء والعلماء ننصدم في الأخير بأنّ
الأحكام التي يقول بها الفقهاء غير صحيحة، فهل هذا صحيح؟

جواب الشيخ محمد أشكناني :

أولاً لنقرأ بعض الروايات :

عن أبي عبدالله عليه السّلام : "إذا قام القائم عليه السّلام دعا
الناس إلى الإسلام جديداً، وهداهم إلى أمر قد دُثِرَ . . ." (١) .

عن أبي عبدالله عليه السّلام : "إذا قام القائم عليه السّلام جاء
بأمر جديد كما دعا رسول الله صلّى الله عليه وآله في بدو الإسلام إلى
أمر جديد" (٢) .

عن أبي جعفر عليه السّلام : "يقوم بأمر جديد، وسنة جديدة،
وقضاء جديد، . . ." (٣) .

عن أبي عبدالله عليه السّلام : "إذا قام القائم عليه السّلام جاء
بأمر غير الذي كان" (٤) .

في الروايات لا يوجد تعبير "يأتي بدين جديد"، والتّعبيرات هي "دعا

(١) الإرشاد للشيخ المفيد ج ٢ ص ٣٨٣ . دُثِرَ : بُلِيَ وانمحي وتلاشى .

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٨٤ .

(٣) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٤٨-٣٤٩ ح ٩٩ .

(٤) الغيبة للشيخ الطّوسيّ ج ١ ص ٤٩٣ ح ٤٩٤ .

الناس إلى الإسلام جديدًا"، وهو بمعنى تجديد نفس الإسلام، لا أنه دين آخر، و"أمر جديد"، و"سنة جديدة"، و"قضاء جديد"، و"أمر غير الذي كان"، فالإمام المهدي عليه السلام لا يأتي بدين آخر غير الإسلام، ولو فرض أنه يأتي بدين جديد فيكون نفس معنى يدعو إلى الإسلام جديدًا أي يدعو إلى الإسلام من جديد .

وبالتسبة للأحكام التي يقول بها الفقهاء في عصر الغيبة الكبرى فهي حجة علينا، فبعد غيبة الإمام عليه السلام أرجعنا الأئمة عليهم السلام إلى الفقهاء، والفقهاء يأتون إلى الآيات والروايات ويستنبطون الأحكام الشرعية منها، وهذه الأحكام حجة علينا، والحكم الذي يستنبطه الفقيه ليس بالضرورة أن يكون نفس الحكم الموجود في اللوح المحفوظ أي الحكم الواقعي، وأغلب أحكام الفقهاء أحكام ظاهرية مبنية على الاستنباط من الآيات والروايات، فالفقيه يستنبط الحكم الشرعي، وهذا الحكم حكم ظاهري، ولكنه حجة على الناس، والإمام عليه السلام حينما يظهر يأتي بالأحكام الواقعية المطابقة للأحكام الموجودة في اللوح المحفوظ، فتوجد أحكام واقعية وأحكام ظاهرية، ومن الممكن أن الحكم الظاهري لا يطابق الحكم الواقعي، والإمام عليه السلام يأتي بالأحكام الواقعية، لذلك يقال بأنه يأتي بأمر جديد أي يأتي بالأحكام الواقعية التي تكون جديدة على الناس، والإمام عليه السلام لا يستنبط الأحكام كالفقهاء، فالاستنباط قد يصيب الواقع وقد يخطئ الواقع، ولكن الأحكام التي يستنبطها الفقهاء تكون

حجةً على النَّاس، وفي عصر الغيبة الكبرى لا يوجد طريق إلى معرفة الأحكام إلَّا عن طريق الفقهاء، والفقهاء يحاول الوصول إلى الحكم الواقعي، ولكنّه لا يعلم أنّه وصل إلى الحكم الواقعي أم لم يصل، فمن خلال الأدلّة يستنبط الحكم، وهو يظنّ أنّ هذا الحكم مطابق للواقع، ويوجد احتمال أنّه لا يكون مطابقًا للواقع، وتكليفنا أن نعمل بالأحكام التي يستنبطها الفقهاء، وتكليفنا في زمن الغيبة الكبرى أن نرجع إلى الفقهاء، ونأخذ منهم الأحكام حتّى لو لم تكن مطابقةً للواقع، وهذا هو تكليف المؤمنين في عصر الغيبة الكبرى .

والنَّاس تسبّبوا في غيبة الإمام عليه السَّلام، فالنَّاس هم السَّبب في عدم وجود الأحكام الواقعيّة بأيدينا، وهم يتحمّلون التَّيجة، فنضطرّ إلى الأخذ بالأحكام الظَّاهريّة، فالإمام عليه السَّلام يأتي بأمر جديد أو بدين جديد بمعنى أنّه يأتي بالأحكام الواقعيّة، والإسلام الموجود بأيدي النَّاس في عصر الغيبة الكبرى يحتوي على الأحكام الواقعيّة والأحكام الظَّاهريّة، ولكنّ الإسلام الذي يأتي به الإمام عليه السَّلام يحتوي على الأحكام الواقعيّة فقط، لذلك يسمّى بالإسلام الجديد أو الدِّين الجديد أو الأمر الجديد، وليس هو دين غير الدِّين الإسلاميّ، بل هو نفس الدِّين الذي جاء به النَّبيّ صلّى الله عليه وآله، ونفس الأحكام التي أتى بها النَّبيّ صلّى الله عليه وآله هي الأحكام الموجودة عند الإمام عليه السَّلام، نعم بعض الأحكام لم يأت زمانها في عصر النَّبيّ صلّى الله عليه وآله، وهي المسائل المستحدثة في كلّ زمان،

كحكم الاستنساخ والتلقيح الصناعيّ، والنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَقَلَ
الأحكام الواقعيّة إلى أمير المؤمنين عليه السّلام، وانتقلت من إمام إلى
إمام عليهم السّلام إلى أن وصلت إلى الإمام المهديّ عليه السّلام،
والإمام عليه السّلام يعطينا نفس الأحكام التي كانت موجودةً عند
النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ولكن لم يأت زمان تبليغها إلى النَّاسِ،
ويبلغها الإمام المهديّ عليه السّلام، والإسلام ثابت لا يتغيّر .

عميد الدِّيوانيّة محمد يوسف العيسى :

مراجع الدّين يصيبون ويخطئون، فهل نأخذ منهم الأحكام التي
أخطأوا فيها ؟

جواب الشيخ محمد أشكناني :

نحن لا نعرف الأحكام التي أصاب فيها الفقهاء أو أخطأوا، ودور
الفقهاء أن يستنبطوا الأحكام من الآيات والرّوايات، ووظيفة الفقهاء
أن يبيّنوا أحكام الدّين للنّاس، والفقهاء لا يعرف ما هو الحكم الذي
يطابق الواقع والحكم الذي لا يطابق الواقع، نعم بعض الأحكام التي
يستنبطها الفقهاء نعلم قطعاً بمطابقتها للواقع، مثل وجوب الصّلاة،
ولكن في تفاصيل الصّلاة قد لا يطابق الواقع .

مثلاً التّسبيحات في الرّكعتين الثّالثة والرّابعة هل تجب مرّة واحدة أو
ثلاث مرّات ؟

نرى فقيهاً يقول بوجوب التّسبيحات مرّة واحدة والتّسبيحة الثّانية
والثّالثة مستحبّتان، وقد نرى فقيهاً يقول بوجوبها ثلاث مرّات، ولا

نعرف أيّ الحكمين مطابق للواقع، فأحكام تفاصيل العبادات يقع الاختلاف فيها بين الفقهاء، نعم نعلم إجمالاً أنّ بعض الأحكام مصيبة للواقع وبعضها غير مصيبة للواقع، ولا نعلم أنّ هذا الحكم المعين مطابق أو غير مطابق، والحكم الثاني مطابق أو غير مطابق، ولكن حينما نتعامل مع الفقيه نأخذ منه الأحكام التي يقول بها، وليس لنا دور في استنباط الأحكام، فنقبل بالحكم من الفقيه ونعمل به .

والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا أبي القاسم محمد وآله الطيّبين الطاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٣٠)

الجهاد الثقافي^(١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

كان الكلام عن أنصار الإمام المهدي عليه السلام، وتكلمنا عن الأنصار بين السلبية والعزلة وبين الحركة والجهاد، وذكرنا شيئاً عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبيّنا شروط الأمر والنهي ومراتبهما، وتناولنا موضوع الجهاد في سبيل الله تعالى، وأشرنا إلى بعض النقاط، وخلاصة المحاضرة السابقة هي أنّ الجهاد بمعنى التضحية بالنفس والمال في سبيل الله تعالى، وذكرنا آيتين، وهما :

"وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ"^(٢) .

(١) أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدبواتية الأسبوعية في دولة الكويت منطقة

بيان، الجمعة ٣ رجب ١٤٣٣ هـ ، ٢٥/٥/٢٠١٢ م .

(٢) الأنفال : ٦٠ .

"إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" .

ثم ذكرت الآية صفات المجاهدين : التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ" (١) .

وتكلّمنا عن صفات المجاهدين في سبيل الله المذكورة في هذه الآية الكريمة، وذكرنا أنّ الجهاد يكون ضمن التخطيط الإلهي، وأنّ الجهاد موجود في جميع الشرائع السماوية؛ لأنّ الآية تقول في التّوراة والإنجيل والقرآن، فالجهاد من الفرائض الموجودة في جميع الشرائع .

نأتي الآن إلى السّؤال التّالي :

ما هي شروط الجهاد في سبيل الله تعالى ؟

الجواب :

شروط الجهاد في سبيل الله تعالى هي :

الشّرط الأوّل :

كما هو مطروح في الكتب فإنّ الجهاد على قسمين : جهاد الدّعوة وجهاد الدّفاع، وجهاد الدّعوة معناه أنّ المسلمين يبادرون إلى نشر الإسلام بين غير المسلمين، وهذا النوع من الجهاد يحتاج إلى أمر

(١) التّوبة : ١١١-١١٢ .

المعصومين عليهم السّلام وهم النّبّيّ صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السّلام ومنهم الإمام المهديّ عليه السّلام، فالمعصوم إذا كان موجودًا فإنّه يعطى الإذن لنشر الدّعوة بين غير المسلمين، فهو جهاد ابتدائيّ لا جهاد دفاعيّ، والمعصوم عليه السّلام هو الوحيد الذي يمكنه أن يعطي الضّوء الأخضر للجهاد الابتدائيّ، وفي زماننا الحاليّ الجهاد الابتدائيّ غير موجود، فهو موجود في عصر النّبّيّ صلّى الله عليه وآله وعصر الإمام المهديّ عليه السّلام، فهو سيبدأ بجهاد الدّعوة أي نشر الإسلام في العالم .

وأما جهاد الدّفاع فهو غير مشروط بإذن المعصوم عليه السّلام؛ لأنّه مُشَرّع في كلّ وقت يوجد هجوم على المسلمين من أعداء الدّين، فيدافع المسلمون عن أنفسهم، وجهاد الدّفاع لا يحتاج إلى وجود المعصوم عليه السّلام، وإذا هاجم كافر حربيّ حامل للسّلاح المسلمين ويريد أن يقتلهم فيجب على المسلمين من باب الوجوب الكفائيّ الدّفاع عن أنفسهم وعن باقي المسلمين، فمن يستطيع أن يحمل السّلاح يجب عليه الدّفاع، والواجب الكفائيّ هو الواجب الذي إذا قام به العدد الكافي من المسلمين يسقط عن الباقيين .

مثلاً إذا كان جهاد الدّفاع يحتاج إلى مائة ألف مسلم وبلغ عدد المتطوّعين خمسين ألف مسلم فالأئمّة لم تقم بواجبها الكفائيّ، فالمتطوّعون يسقط عنهم التّكليف، ولكنّ الباقي يكونون مأثومين، وفي الواجب الكفائيّ يجب الوصول إلى العدد المطلوب لأداء

الواجب، وبعض الواجبات الكفائية يحتاج الأمر فيها إلى مسلم واحد كما في الصلاة على الميت حيث يكفي مسلم واحد يصلّي على الميت، وإذا لم يُصلِّ عليه أحد فمن يعلم بوجود هذا الميت يكون مأثومًا، فيجب على واحد من المسلمين أن يصلّي عليه، وهذا هو معنى الوجوب الكفائيّ، وبعض الواجبات لا تقوم إلا بمجموعة من المسلمين، فيجب على مجموعة منهم أن يقوموا بالعمل .

إذن :

جهاد الدّعوة مشروط بإذن المعصوم عليه السّلام، وهو الجهاد الابتدائيّ، وأمّا الجهاد الدّفاعيّ فلا يحتاج إلى إذن المعصوم عليه السّلام، ففي كلّ زمان ومكان إذا حصلت هجمة على المسلمين فيجب عليهم الدّفاع عن أنفسهم، وهذا التّقسيم مطروح في الكتب .

الشّرط الثّاني :

الشّرط الثّاني هو احتمال التّأثير والوصول إلى التّيجة ولو على المدى البعيد، فلو لم يحتمل الأفراد المجاهدون الوصول إلى أيّ نتيجة فلا يجب عليهم الجهاد ولا يوجد عليهم تكليف .

وهذا الشّرط مطلوب في الجهاد العسكريّ؛ لأنّ الجهاد الذي فيه بذل الدّم لا يكون واجبًا مع عدم توقّر العدّة والعدد، فإذا كان يوجد احتمال التّأثير والوصول إلى التّيجة فيخرجون إلى الجهاد العسكريّ، وإذا لم تتوقّر العدّة ولا العدد بحيث لا توجد أسلحة كافية ولا يوجد عدد كافٍ من المجاهدين فيسقط الجهاد العسكريّ عنهم، مثلاً إذا

خرجوا بالسيوف أمام الأسلحة المتطورة للعدو، فيسقط عنهم الجهاد؛ لأنه لا يوجد احتمال الوصول إلى النتيجة، فلا يمكنهم الوصول إلى النصر .

"يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ" (١) .

اختلفت المعادلة، فبعد أن كان المؤمن الواحد في مقابل عشرة من الكفار الحربيين صار المؤمن الواحد في مقابل اثنين من الكفار الحربيين بعد أن ضعف المسلمون بسبب ضعف الإيمان وضعف العلاقة بالله تعالى، وإذا قويت العلاقة بالله تعالى فإن المؤمن يعلم أنّ الله عالم قادر على كل شيء، وحينما يذهب إلى الجهاد مع هذه العقيدة فقطعاً سينتصر، وأما إذا كان المسلم ضعيفاً وعلاقته بالله ضعيفةً تراه يذهب إلى الصلاة متكاسلاً، ومن يتكاسل في صلواته لا يمكن أن تطلب منه أن يجاهد ضدّ العدو، فهو لا يستطيع أن يجاهد نفسه للاستيقاظ لصلاة الصبح، فكيف يمكن أن يجاهد العدو في ساحة الحرب؟! مثل هذا الشخص لا يكون مؤهلاً لجهاد العدو، والمؤمن لا بدّ من أن يكون مؤهلاً حتى يمكنه أن يجاهد في سبيل الله تعالى .

(١) الأنفال : ٦٥-٦٦ .

إذن :

الشّرط الأول هو إذن المعصوم عليه السّلام في الجهاد الابتدائيّ،
وأما الجهاد الدّفاعيّ فغير مشروط بهذا الشّرط، والشّرط الثّاني هو
احتمال التّأثير ولو على المدى البعيد .

الجهاد التّثقيفيّ :

حمل السّلاح والقتال في ساحة المعركة ضدّ أعداء الدّين هو نوع
من أنواع الجهاد، ويوجد نوع آخر من أنواع جهاد الدّفاع، وهو الجهاد
العقائديّ التّثقيفيّ عندما تكون هناك هجمة ثقافيّة من أعداء الدّين،
فيواجه المؤمن ثقافة أعداء الدّين بالثقافة الإسلاميّة، ويقوم بنشر
الثّقافة الإسلاميّة بين النّاس، فيدافع عن الدّين من هذا الطّريق،
والدّفاع عن الدّين لا يكون بحمل السّلاح فقط، فسلّاح العلم نوع
من الأسلحة، وسلّاح الثّقافة نوع من الأسلحة، وحينما تكون هناك
هجمة ثقافيّة من أعداء الدّين فإنّنا نحتاج إلى دفاع ثقافيّ في مقابل
هذه الهجمة، فنواجه ثقافة أعداء الدّين بالثقافة الدّينيّة الإسلاميّة،
وهذا يحتاج إلى أن ينبري بعض المؤمنین للتّصدّي، ولا نتوقّع أن
يتصدّى جميع المؤمنین لهذا الأمر، والآن القنوات الفضائيّة تقوم بهذا
الدّور، والقائمون على هذه الفضائيّات لهم دور في الدّفاع الثّقافيّ،
وطبعًا لا بدّ من أن يكونوا ملتفتين إلى هذا الأمر، فليس بمجرد إنشاء
قناة فضائيّة ينتهي الموضوع، فما يُعرّضُ في الفضائيّة أمر مهمّ، ولا بدّ
من حمل القضية الإسلاميّة، ويكون همّهم نشر الدّين بين النّاس،

والذين يقومون بهذه المسؤولية في الفضائيات أو مواقع الإنترنت وغير ذلك من وسائل الاتصالات الحديثة هؤلاء يقومون الآن بجهد جبار، والقنوات الفضائية تساهم في نشر مدرسة أهل البيت عليهم السلام في العالم كله، وقبل الفضائيات كان القائمون على مواقع الإنترنت يقومون بهذا الدور، والدور كبير جداً في نشر الدين .

وتلاحظون الآن بأنّ هناك ضجّة كبيرة بسبب انتشار التشيع لأهل البيت عليهم السلام في العالم، ومن معالم مدرسة أهل البيت عليهم السلام والتي تساهم في الانتشار أنّها تتناسب مع العقل، ولا توجد في مدرستنا أمور لا عقلانية، والدين الإسلامي قائم على العقل، وكثير من الآيات القرآنية فيها دعوة إلى التّعقل والتّفكّر والتأمّل، والإنسان لا بدّ من أن يستعمل عقله، وكثير من الروايات تشير إلى العقل وإعمال العقل، فالعقل لا يمكن إهماله، والدين لا يقول للمسلم : لا تفكّر .

وتلاحظون أنّ أتباع أهل البيت عليهم السلام لا يخافون من أيّ نقاش وفي أيّ موضوع، ولو ذهبنا إلى المكتبات الشيعة في النجف الأشرف وقم المقدّسة لرأينا أنّ أكثر الكتب فيها هي كتب المدارس الأخرى، فالشيعة لا يخاف من كتب المدارس الأخرى؛ لأنّه مُحصّن عقائدياً وثقافياً وفكرياً، وعنده اطلاع على كتب المدارس الأخرى، وأتباع المدارس الأخرى محرومون من كتب مدرسة أهل البيت عليهم السلام، الكتب التي تحتوي على كنوز أهل البيت عليهم السلام .

إذن :

يوجد نوع آخر من الجهاد، وهو الجهاد العقائديّ التثقيفيّ، والمطلوب من المؤمن أن يتحرّك في هذا النوع من الجهاد، وهو واجب؛ لأنّه يؤثّر دائماً، نعم قد لا يؤثّر في كلّ فرد، ولكنّه يؤثّر في الآخرين على نحو المجموع، فالجهاد التثقيفيّ له تأثير في العالم، والوسائل الحديثة لا بدّ من أن نستفيد منها في نشر الثقافة الإسلاميّة، وهو ما يحصل في زماننا الحاضر، والمؤمنون في الفضائيات ووسائل الإعلام ووسائل الاتصالات الحديثة يقومون بدور تنقيف المؤمنين بدينهم، ففي الغرب والشرق يصنعون هذه الوسائل، والمؤمنون يستفيدون منها في نشر الدين في العالم، نعم المسلمون لم يبلغوا إلى درجة أنّهم يصنعون الوسائل بحيث ينافسون الغرب والشرق، ولكنّ الوسائل التي يصنعها الغربيّ والشرقيّ يمكن للمسلمين الاستفادة منها في الجهاد التثقيفيّ .

والجهاد التثقيفيّ مشروط باحتمال التأثير، نعم قد لا يؤثّر في الفرد الواحد، ولكن في التثقيف العامّ للمجتمع هو يقينيّ التأثير في بعض الأفراد قليلاً كانوا أم كثيراً، فالجهاد العقائديّ التثقيفيّ واجب دائماً؛ لأنّه يؤثّر ولو كان التأثير قليلاً .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ

عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" (١) .

(١) آل عمران : ١٠٤ .

والبعض يقومون بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأطلق عليهم القرآن لقب "الأمة"، وهم يشكّلون مجموعةً قليلةً من المسلمين، ويقومون بهذا الدور، وبعض المسلمين يتعلّمون ويتلقّون الدّين من هؤلاء، وأمّا أكثر المسلمين فيشكّلون الأغلبية الصّامتة، ولو حسبنا عدد الشّيعة الذين يتابعون القنوات الفضائيّة بحسب الاستقراء النّاقص لوجدنا أنّهم يشكّلون نسبةً قليلة، لذلك نجد أنّ المعلومات الموجودة عند أكثر المؤمنين بشكل عامّ هي معلومات ثابتة تقريبًا سنةً بعد سنة، نعم عند بعض الأفراد تزداد المعلومات ويتحقّقون دينيًا، ولكن لا بدّ من أن ينهض المسلمون من ناحية ثقافيّة أوّلاً، وبعض الأفراد يستفيدون من ناحية ثقافيّة، ولكن لا تشكّل ظاهرةً عامّةً، لذلك ما زالت أسئلة المؤمنين عن التقليد والنّجاسة والطّهارة والصّلاة والصّيام وغيرها من المسائل العمليّة، ولا يصعدون إلى درجة أعلى من المسائل العمليّة، فلا يصعدون إلى المسائل الاعتقاديّة والمسائل الأخلاقيّة، وبعض الأشخاص يذهبون إلى الحجّ في كلّ سنة، فالمفروض أن يكونوا خبراء في مسائل الحجّ، لا أنّهم في كلّ سنة يسألون نفس الأسئلة، وبدل أن يعلّم الآخرين هو ما زال يسأل نفس الأسئلة .

لا بدّ من أن يكون عند المؤمنين اهتمام أكبر بالدين، ترى مؤمنًا يذهب إلى المسجد يوميًا، وخلال أسبوع يسمع كثيرًا من المعلومات، ولكنّه بعد فترة ينسى هذه المعلومات إذا لم يكتبها، ومن الضّروريّ للمؤمن أن يكتب ما يتعلّمه، وخاصّة في زماننا، والعلماء يكرّرون

ويكرّرون المعلومات، وترى شخصًا يسأل سؤالًا اليوم، وبعد شهر يسأل نفس السؤال مرّة أخرى، ولو أنّه كتب السؤال والجواب عنده لما نسي .

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : "قيدوا العلم" . قيل : وما تقييده ؟ قال : "كتابتة" (١) .

عن الإمام الحسن عليه السّلام أنّه دعا بنيه وبني أخيه وقال : "إنّكم صغار قوم، ويوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين، فتعلّموا العلم، فمن لم يستطع منكم أن يحفظه فليكتبه، وليضعه في بيته" (٢) .

عن الإمام الصادق عليه السّلام : "القلب يتكل على الكتابة" (٣) .
عن الفضل بن عمر عن الإمام الصادق عليه السّلام : "اكتب وبثّ علمك في إخوانك، فإنّ متّ فأورث كتبك بنيك؛ فإنّه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه إلّا بكتبهم" (٤) .

والقول المأثور : "ما حُفِظَ فَرَّ، وما كُتِبَ قَرَّ" (٥) .

لا بدّ من أن يحصل عند المؤمنين اهتمام أكبر بطلب العلم، وطلب العلم مطلوب من كلّ مسلم .

(١) منية المرید في آداب المفید والمستفید للشّهد الثاني ص ٣٤٠ .

(٢) المصدر السّابق .

(٣) الكافي ج ٨ ص ٥٢ ح ١ .

(٤) منية المرید ص ٣٤١ .

(٥) آداب المتعلّمين للشّيخ نصير الدّين الطّوسي ص ١٢٢ .

عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : "طلب العلم فريضة على كلِّ مسلم
ومسلمة" (١) .

إنَّ طلب العلم واجب على كلِّ مسلم، وعليه أن يتعلَّم دينه،
وعلى الأقلِّ المسائل الابتدائية التي يُبتلى بها، وتفكير المؤمنين اليوم
بشكل عامٍّ في المسائل العملية فقط، والمفروض أن يصعدوا إلى
درجات أعلى من ذلك، يصعدون إلى المسائل الاعتقادية والمسائل
الأخلاقية القلبية، ولا يكون السؤال عن يجوز ولا يجوز فقط، والأسئلة
غالبًا ما تدور عن واجب أو حرام أو جائز .

يسأل : هل صلاتي صحيحة أو لا ؟

نقول : لا تسأل فقط عن صحّة الصلّاة وبطلانها، ولكن اسأل :

هل صلاتي مقبولة أو لا ؟

قد تكون الصلّاة من ناحية الفقه العمليّ صحيحة، ولكنها ليست
بالضرورة أن تكون مقبولةً من الله تعالى؛ لأنّ شروط صحّة العمل
تختلف عن شروط قبول العمل، ولا بدّ من أن يكون هدفنا هو قبول
الأعمال والعبادات لا صحّتها فقط، وإذا نظرنا إلى الرّسالة العمليةّ
لوحدها فإنّها لا تتكلّم عن قبول الصلاة، وإنّما تتكلّم عن صحّة
الصلاة فقط، وإذا أردت أن تكون عبادتك وأعمالك مقبولةً فلا بدّ
من أن تصعد إلى الفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ، وحينذاك لا تقول
فقط إنّ عبادتي صحيحة، بل تقول إنّ عبادتي مقبولة .

(١) بحار الأنوار ج ١ ص ١٧٧ ح ٥٤ .

ولا بدّ من أن تكون حريصًا على قبول جميع أعمالك بما فيها العبادات المخصوصة، نعم جزء من ديننا هو الرّسالة العمليّة، ولكنّ الرّسالة العمليّة متكفّلة بالعمل الخارجيّ فقط، تفعل أو لا تفعل، والرّسالة العمليّة لا تتكلّم عن علاقة الإنسان بالله تعالى ولا عن صفاته القلبيّة، وهذا يحتاج إلى أن يعرف المؤمن من ناحية عقائديّة كيف يقوّي علاقته بالله تعالى، ويعرف من ناحية أخلاقيّة ما هي صفاته النّفسيّة، وكيف يجعل صفاته القلبيّة صفاتٍ حسنةً صالحةً؛ لأنّ الأعمال الخارجيّة لأيّ شخص مترتبة على اعتقاداته وصفاته القلبيّة، لا أنّه مجرد عمل خارجيّ فقط، فيقول : أنا صلّيت، وأنا صمت، وأنا حججت، وأنا تصدّقت .

وخلال سنةٍ قد يقوم بكثير من الأعمال، ولكن نراه نسخة كربون عن نفسه من قبل سنة، وتعاشر بعض الأشخاص عشرين أو ثلاثين سنةً وتراه نفس الشّخص لم يتغيّر فيه شيء إلا شكله الخارجيّ، نفس أفكاره ونفس أقواله ونفس أفعاله، والمفروض أن يتغيّر الإنسان يومًا بعد يوم، وإذا تغيّر يظهر عليه التّغيّر خاصّةً أمام زوجته وأولاده وأهله وأصدقائه، فهؤلاء يلاحظون أيّ تغيّر يحدث له، ويسير بطريقة روتينيّة سنةً بعد سنةٍ فتصير لحيته بيضاء، ويكون نسخةً عن نفسه من قبل خمسين سنة، والمفروض أنّه كما يحدث تغيّر في الشّكل الخارجيّ كذلك لا بدّ من أن يحدث تغيّر في الشّكل القلبيّ الباطنيّ، والإنسان إذا كبر قد ينحف من حيث شكله الخارجيّ، ولكن لا بدّ من أن

تقوى علاقته بالله تعالى، فمع تقدّم العمر لا بدّ من أن تكون العلاقة عكسيّة بين الجسد والرّوح، فالجسد يضعف والرّوح تقوى، والمفروض أنّ الإنسان يتكامل يومًا بعد يومٍ، والإنسان من ناحية روحيّة معنويّة لا بدّ من أن يكون إنسانًا قويًّا وإن ضعف الجسد، والتّكامل مطلوب من كلّ إنسان، والجسد عبارة عن وسيلة بيد الإنسان؛ لأجل تقوية الرّوح .

إذن :

المطلوب من المؤمنين هو الجهاد التّثقيفيّ، وهذا تكليف على جميع المؤمنين في عصر الغيبة الكبرى .
وقوله تعالى : "وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ" .

لا تعني أنّ الآخرين ليس مطلوبًا منهم شيء، فمجموعة من المسلمين يقومون بهذا الدّور، ودائرة العاملين موجودة، وأنت بنفسك تختار أن تكون داخل الدّائرة أو خارجها، كما نقول إنّ أنصار الإمام عليه السّلام موجودون، ولكنّ السّؤال المهمّ هو : هل أنت ضمنهم أو لا ؟

وأنت بنفسك تختار أن تكون ضمنهم أو خارجًا عنهم .

اسأل نفسك : لماذا لا أصبح من الأنصار ؟

وهناك أشخاص يعملون في خدمة الدّين، ويجاهدون جهادًا ثقافيًّا،

ولا بدّ من أن تفكر أنّه كيف يمكن لك أن تساهم في عملهم ؟

ذاك يقوم بالدّور ويعمل، وأنت لا يمكنك أن تدخل العمل إذا

لم يوجد عندك الوقت الكافي، ولكن يمكنك أن تساهم بالعمل من ناحية مادية، والأموال متوفرة والله الحمد، ويمكنه أن يجعل جزءاً من معاشه الشهري في خدمة الدين قربةً إلى الله تعالى، لا أن التفكير يكون فقط في أنني حصلت على أموال ونحن في الصيف ولا بد من أن أسافر .

ويسافر مدة شهر واحد ويصرف خمسة آلاف دينار أو أكثر، لا بد من أن يكون التفكير أرقى من هذا، فالدين يقدم لك الجنة، ولكن لا يقدمه مجاناً، فالجنة محفوفة بالمكاره .

وإذا سألنا : هل تريد الجنة ؟

فكل شخص يقول : نعم .

ولا يوجد أحد يقول : لا .

وإذا أردت دخول الجنة فاعمل لها، ولا يكفي أن يقول : أنا مسلم أو أنا من أتباع أهل البيت عليهم السلام، والجنة مضمونة لي . وموالات أهل البيت عليهم السلام تعني أتباعهم، أي يوجد تطبيق لأحكام الدين، وإذا طبق أحكام الدين فإنه يدخل الجنة، وإذا لم يهتم بأن ينتشر الدين في العالم، ولم يعمل لنشر الدين - فالدين لا يقدم له شيئاً، اهتم بالدين فالدين بالمقابل يهتم بك، فلا بد من أن يكون عندك اهتمام بالدين، ومقدار اهتمامك بالدين يقدم لك الدين شيئاً بمقدار اهتمامك .

إذا كنت تصلي ألا يوجد عندك اهتمام بأن يصلي جميع الناس ؟

وحيثما تصلّي لا بدّ من أن يوجد في ذهنك أنّ جميع النّاس في العالم يصبحون مسلمين، ويصلّون كما تصلّي، طبعًا يصبحون مسلمين حقيقيّين لا بالظاهر فقط .

ومن يحمل همّ الدّين فهذا يكون مؤهّلًا لأن يكون من أنصار الإمام عليه السّلام، ومن لا يهتمّ بالدّين وانتشاره في العالم فهذا يستحيل أن يصبح من الأنصار، والإمام عليه السّلام حينما يختار شخصًا ليكون من الأنصار فهو يعلم أنّه يهتمّ بالدّين .

ومن لا يهتمّ بالجهاد التّقيفيّ فلا يُعلّم ولا يتعلّم فهو من الأغلبية الصّامّة الّذين لا يهتمّون بما يحدث في العالم، والمهمّ عنده هو أن يحصل على المال ويأكل ويشرب ويسافر، وتعيش زوجته وأولاده بنعمة وسعادة، ويشترى لأولاده الألعاب الحديثة بمئات الدنانير، وتنتهي القضيّة عند هذا الحدّ، ولا يأتي في ذهنه أنّ الأموال أمانة من الله تعالى، وهو مسؤول عن هذه الأموال، وكلّما زادت الأموال زادت المسؤوليّة وزاد الحساب، ويظنّ بأنّه إذا زادت المعاشات الشّهريّة فإنّه يزداد سعادة، والإنسان العاقل لا يشعر بالسّعادة؛ لأنّه سيقول : يا ربّي، لقد أعطيتني أموالًا أكثر فزادت مسؤوليّتي .

وأما التفكير بالسّفرة فقط فهذا ليس من تكاليف المؤمن، نعم إذا أردت أن تذهب مسافرًا لزيارة المشاهد المشرّفة فلا بدّ من أن تعرف شروط قبول الرّيادة قبل الدّهاب وأثناء وجودك هناك وبعد رجوعك، وبشكل عامّ لا يوجد في الأذهان تصوّر عن كيفيّة الرّيادة وشروط

القبول، فيذهب إلى الزيارة ويرجع إلى بلده ويكون كما هو هو، لم يتغيّر فيه شيء من صفاته القلبية .

ومن الممكن أنّ شخصاً يسلم على الإمام عليه السلام والإمام لا يرّد السلام عليه؛ لأنّ الإمام عليه السلام يعلم بأوضاعه، كالشخص الذي عنده معاصي ويبقى على معاصيه، ولا يريد أن يتوب، نعم إذا كان عنده معاصي وذهب للزيارة وكانت نيته أن يتوب فالإمام عليه السلام يرّد السلام عليه، وشخص يبقى ساعة في الحرم وثلاثة أيام في الأسواق، فهذا لم يذهب للزيارة، وإّما ذهب للتسوّق، ولا بدّ من أن يلتفت إلى أنّه ذهب إلى زيارة المعصوم عليه السلام، وقد دفع أموالاً، وبذل جهداً، وقطع المسافات، فهل يعرف من هو المعصوم عليه السلام ؟

لا بدّ من أن يكون عنده تصوّر عن النبيّ صلى الله عليه وآله وعن الأئمة عليهم السلام، ويعرف كيف تكون العلاقة بالمعصوم عليه السلام، وكيف يكون ارتباطاً مع المعصوم عليه السلام ؟ وكيف تكون علاقته مع الإمام الغائب عليه السلام ؟

وهذا كله يحتاج إلى تصوّر قبليّ، وإذا لم يوجد عند المؤمن تصوّر قبليّ عن هذه العلاقة فكيف يمكنه أن يكونها مع نبيّه صلى الله عليه وآله وإمامه عليه السلام ؟

والإمام عليه السلام موجود، وهو مطلع عليك، وصحائف الأعمال تُعرض على إمامك عليه السلام، فكيف تُقدّم صحيفتك إلى إمام

زمانك عليه السّلام ؟

والمؤمن لا بدّ من أن يلتفت من أوّل ما يستيقظ صباحًا إلى أن ينام ليلاً إلى أنه سيقدّم ملقّه في الليل إلى أمن الدّولة الشّرعيّ، فيكون حريصًا أشدّ الحرص على نظافة ملقّه، ولو كان يقدّم ملقّه إلى شخص آخر غير إمامه لكان حريصًا كلّ الحرص، ولكن في حالة كون هذا الملفّ يُقدّم إلى إمام الرّمان عليه السّلام يصبح من الغافلين، ويقوم بالأعمال المختلفة، ولا يلتفت إلى أنّ الإمام عليه السّلام يرضى بهذا العمل أو لا يرضى، وهل يقول عليه السّلام : أحسنت على هذا العمل أو أسأت بهذا العمل ؟

إنّ مهمّة المؤمنين في زماننا مهمّة كبيرة، وتارةً يكون الإمام المعصوم عليه السّلام موجودًا معك، فتكوّن معه علاقةً مباشرةً، وتارةً يكون الإمام عليه السّلام غائبًا، ولكنّه غائب حاضر، فحينما تذهب إلى الإمام الرضا عليه السّلام فهو موجود ويراك، وحينما تنظر إلى الضريح هو أيضًا ينظر إليك، فهو من ناحية الجسد انتقلت روحه، ولكنّه حيّ في عالم البرزخ، ويراك ويعلم بحالك، وحينما تدخل إلى الحرم الشّريف وترى الفوضى من النّاس والعراك والصّراع بينهم؛ لأجل لمس الشّبّاك، والبعض يرمي ولده فوق أكتاف النّاس ليصل إلى الشّبّاك، هل هم يتصوّرون أنّهم الآن في حضرة الإمام الرضا عليه السّلام ؟

ولو كان الإمام عليه السّلام حاضرًا وجالسًا أمامهم فهل يكون النّاس بهذه الفوضى أو أنّهم يدخلون إلى الحرم بوقار وسكينة ؟

حتى لو كان الإمام عليه السلام في قبره، ولكنه يرى الفوضى من الناس أمامه، فهل الناس يدركون أنّ إمامهم عليه السلام مطلع عليهم أو أنهم غافلون عن ذلك وكأهم داخلون إلى حلبة سباق ومصارعة ؟ إنّ من يريد أن يذهب إلى زيارة المعصومين عليهم السلام لا بدّ من أن يعرف شروط الزيارة، فتوجد مقدمات قبل الذهاب، وأثناء وجوده في الزيارة لا بدّ من أن يعرف أنّ الإمام عليه السلام موجود أمامه، وحينما يرجع إلى بلده لا بدّ من أن يعرف ما هو المطلوب منه بعد أن زار إمامه عليه السلام، ولا بدّ من أن يكون متأثرًا بزيارة المعصوم عليه السلام، وتظهر عليه آثار الزيارة، لا أنّه بمجرد ما يرجع انتهت القضية، والقضية لا تنتهي عند هذا الحدّ، فالأثر الذي حصل عليه من الزيارة لا بدّ من أن يبقى معه إلى آخر عمره، وقد يذهب إلى الحجّ أو الزيارة مرّة واحدة، ولكنّ الأثر يبقى طوال حياته، وقد لا يذهب إلى الحجّ أو الزيارة بسبب ظروفه الصعبة فيزور الإمام عليه السلام من بُعدٍ فيحصل على أثر الزيارة .

وهذه الأمور لا بدّ من أن تكون في أذهاننا حينما نريد أن نكون من أنصار الإمام عليه السلام، وهذه الدرّجة العالية إذا أردت أن تحصل عليها فلا بدّ من أن تفكّر في الطّرق التي توصلك إلى هذه الدرّجة، والقضية ليست حظّك يا نصيب، فتسحب ورقة مكتوب فيها أنّك من الأنصار، وشخص آخر يسحب ورقة وقد كتب فيها أنت لست من الأنصار، فالإنسان باختياره يصبح من الأنصار،

فتوجد دائرة وهي دائرة الأنصار، فإذا أردت أن تكون من الأنصار فعليك أن توفر في نفسك الشّروط التي تؤهّلك للدّخول في هذه الدّائرة، وإذا لم يحقّق شخص الشّروط فلا يدخل فيها، ولا يكون الدّخول فيها بالصدفة، فيقول : إن شاء الله الإمام عليه السّلام يختارني .

نعم إن شاء الله تعالى، ولكن مقدّمات الدّخول بيدك، فإذا حققت الشّروط في نفسك فالإمام عليه السّلام يختارك، والعملية ليست عشوائيةً، فالإمام عليه السّلام لا يختار أيّ شخص ليكون من الأنصار؛ لأنّه يعلم ما يوجد في نفس كلّ شخص أنّه مؤهّل لدخول دائرة الأنصار أو غير مؤهّل .

الإمام عليه السّلام يعلم ما في أنفسنا، فيختار لا على أساس العمل الخارجي فقط، فيصلّي ويصوم ويحجّ، وإمّا يرى تأثير العبادات على علاقته بالله تعالى وعلى صفاته القلبيةّة، فإذا صلّى المؤمن صلاةً تامّةً فإنّ علاقته بالله تعالى تصبح أقوى، وحالته القلبيةّة الإيمانية تكون أفضل بعد الصّلاة؛ لأنّه استفاد من الصّلاة، وإذا كان فكره أثناء الصّلاة ينتقل بمنه ويسرّة وينتهي من الصّلاة وهو في أثنائها قد فكّر في ثلاثين موضوعًا - فلا يوجد عنده إقبال القلب على الصّلاة، وإذا لم يحصل عنده إقبال لقلبه على الصّلاة فمعنى ذلك أنّه كان مشغول الفكر بمواضيع أخرى، ويحتاج إلى تهيئة قلبه قبل الدّخول إلى الصّلاة، ولكي يهيئ نفسه للدّخول إلى صلاة تستغرق عشر دقائق يحتاج إلى

عمل قلبي طوال اليوم، وإذا لم تتهيأ نفسه للدخول إلى الصلاة فإنه لا يستفيد منها، وإذا كان خلال اليوم يفكر بجمع المال، أو يفكر بأنهم سيزيدون معاشه الشهري أو لا - فلا يمكن أن يدخل إلى الصلاة وهو قد طرد أفكاره السابقة من تفكيره وقلبه، بل يستحيل ذلك، فإذا كان طوال اليوم يتعامل على أساس الأمور المادية ويريد أن يدخل إلى الصلاة ويصبح من الملائكة - نقول إن هذا مستحيل، فالتأثير المادي على قلبه يظل موجوداً، ولا يمكنه أن يطرد الأفكار بسهولة، فالعلاقات المادية الدنيوية التي كونها من الصباح إلى الظهر والآن يدخل إلى الصلاة ويريد أن يطرد جميع الأفكار عن ذهنه - لا يمكن طردها، فما دام أنه يكون علاقات قلبية مع الدنيا فيستحيل أن يكون علاقات مع الأمور الروحية، والصلاة أمر روحي، والشخص لا بد من أن يكون إنساناً روحياً من أول ما يستيقظ من النوم فيصل إلى الصلاة وهو إنسان روحي .

نعم يتحرك في الأمور المادية، فيأكل ويشرب ويذهب إلى العمل ويتعامل مع الناس، ولكن جميع هذه الأمور يكون لها ارتباط بالله تعالى، ولا يصبح من الغافلين، مثلاً حينما يذهب إلى العمل هل هو ملتفت إلى الله تعالى أو أن الله موجود معه في البيت وغير موجود معه في مكان العمل ؟

في كل حركة يقوم بها الله تعالى موجود معه، مثلاً هذا الشاب الذي يقود سيارته يشعر بالسعادة بسيارته الجديدة، وفي الشارع يزعم

النّاس، فيسرع ويذهب من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار بسرعة عالية، وحينما يسقط المطر تسمع أصوات السيّارت في الخارج التي (تُفَحِّصُ) أو (تُفَحِّطُ) في مواقف المدارس أو عند الإشارات، هذا الشّابّ هل هو ملتفت إلى الله تعالى حينما يقوم بهذا العمل ؟
الإنسان الذي يرتبط بالله تعالى لا يقوم بهذا العمل الطّفوليّ، ولا بدّ من أن يصعد الإنسان في الدرجات الإيمانيّة .
يقول البعض : إنّه يقوم بأعمال معيّنة صغيرة لا تؤثر على ارتباطه بالله تعالى .

نقول : ولكن لا بدّ من يلتفت إلى نفسه، فقد يقوم بأعمال أخرى كثيرة تدلّ أيضاً على عدم ارتباطه بالله تعالى .
وقد ترى شخصاً جالساً فتسأله : ماذا تفعل ؟ وبماذا تفكر ؟
يقول : لا يوجد عندي عمل أقوم به، ولا أفكر بشيء، فشاشة ذهني بيضاء فارغة من أيّ شيء .

نقول : إنّ المؤمن لا يكون من البطالين الذين لا عمل عندهم، ولا بدّ من أن يفكر المؤمن بشيء، فيمكنه أن يفكر بالله تعالى؛ لكي يقوّي علاقته بالله عزّ وجلّ، والتّفكر عمليّة مستمرّة عند المؤمن .
يقول القرآن الكريم :

"قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ خِزْفٍ ثُمَّ تَذْكُرُوا
... " (١) .

(١) سبأ : ٤٦ .

"إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ
لِّأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ
وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا
سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ" (١) .

وأنصار الإمام عليه السلام لا يكونون من الغافلين، فمن يريد أن
يكون من الأنصار فعليه أن يكون من الذاكرين لله عزّ وجلّ دائماً،
لذلك يوجد في العالم كلّ ثلاثمائة وثلاثة عشر شخصاً فقط يكونون
من القادة مع أنّ عدد السّكان سبعة مليارات إنسان، وقد يزيد عدد
السّكان إلى أكثر من ذلك قبل ظهور الإمام عليه السلام، والإمام
عليه السلام يختار منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر شخصاً، فيأتي السؤال :
ما هي الميزة الموجودة عند هؤلاء الثلاثمائة وثلاثة عشر دون باقي

النّاس ؟

الجواب :

باقي النّاس لم يسعوا لأجل أن يصلوا إلى مرتبة أنصار الإمام عليه
السلام، ولو كانوا يسعون لوصلوا، والتّيّ صلّى الله عليه وآله والأئمّة
عليهم السلام يقولون بوجود ثلاثمائة وثلاثة عشر؛ لأنّهم كانوا يعلمون
بالمستقبل، ولو كان العدد أكبر من ذلك لذكروه عليهم السلام، والتّيّ
صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام كانوا يخبرون عن المستقبل؛
لأنّه سيقع، فأخبروا عنه، لا لأنّهم أخبروا فيقع، فالتّيّ صلّى الله عليه

(١) آل عمران : ١٩٠-١٩١ .

وآله حينما يخبر عن ولادة الإمام المهديّ عليه السّلام في المستقبل
فكلامه صلّى الله عليه وآله ليس علّةً لولادة الإمام عليه السّلام، بل
لأنّه عليه السّلام سيولد فالنبيّ صلّى الله عليه وآله يخبر عن ذلك .
إذن :

الأنصار في زمان الغيبة يحملون همّ الدّين، وإذا أردت أن تكون
من الأنصار فاسأل نفسك : كم مقدار اهتمامي بالدّين ؟
خلال اليوم من وقت استيقاظك من النّوم صباحًا وإلى نومك ليلاً
كم أعطيت من نفسك ووقتك ومالك وجهدك للدّين ؟
تقول : أنا صلّيت وصمت .

نقول : صلاتك وصيامك ليسا خالصين للدّين؛ لأنّك تريد شيئاً
من الدّين في مقابل صلاتك وصيامك، فصلاتك وصيامك هما لك،
ومردودهما يرجع لك، ولكن ماذا قدّمت لأجل خدمة الدّين ؟
هذا السّؤال لا بدّ أن يوجّهه كلّ مؤمن لنفسه ويجب عليه .

ولا بدّ من أن نعرف أنّه بمقدار ما يخدم المؤمن الدّين فالإمام عليه
السّلام ينظر إليه، فيمكن أن يختاره ليكون من الأنصار، وأمّا إذا لم
يكن عنده اهتمام بالدّين، ولا يهتمّ بانتشار الدّين في العالم، ولا بما
يحدث للمسلمين - فلا يختاره الإمام عليه السّلام ليكون من
الأنصار، ويكون اهتمامه بالحصول على المعاش الشّهريّ وبكون
زوجته وأولاده فقط بخير، ولا يهتمّ بما يقع في العالم من أحداث، أي
أنّه يعيش الأنانيّة في حياته ضمن عائلته الصّغيرة، وقد لا ينظر إلى

عائلته الكبيرة من أبيه وأمه وإخوانه وأخواته، ومن تكون نظرتَه ضيقةً لا يمكنه الوصول إلى مرتبة الأنصار، ولا بدّ من أن نوسّع مداركنا واهتماماتنا إلى كلِّ العالم، ومن يكون من الأنصار يكون تفكيره في كلِّ العالم، ويهتمّ بانتشار العدل في العالم، وفكره لا يكون محدودًا ضمن دائرة ضيقة كمنطقة أو إقليم، بل يكون فكره في العالم كلّهُ، وهذا مطلوب من الإنسان المؤمن، فلا بدّ من أن يفكر بانتشار الدّين في العالم، ويكون اهتمامه اهتمامًا عالميًا لا محليًا أو إقليميًا فقط، وهذا الاهتمام العالميّ مطلوب من المؤمن؛ حتّى يختاره الإمام عليه السّلام ليكون من الأنصار، فيقول عليه السّلام: إنّ فلانا سيكون من أنصاري وأعواني والمجاهدين تحت لوائي .

والإمام عليه السّلام يعطيه الرّعاية الخاصّة، ويمهّد له الظروف والأمر، وقد يتدخّل الإمام عليه السّلام في بعض الأمور الخاصّة لهذا المؤمن؛ لأنّ هذا المؤمن أثبت أنّه مؤهّل ليكون من الأنصار، فالإمام عليه السّلام يزيح عنه العوائق، وقد يساهم في حلّ مشاكله بطريقة مباشرة أو غير مباشرة .

إذن :

دور المؤمن هو الجهاد التّثقيفيّ والاهتمام بالدّين والعمل على نشر الدّين في العالم .

والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين .

أسئلة وتعليقات الحاضرين :

سؤال من أحد الحاضرين :

بالنسبة للإمام المهديّ عليه السّلام في الروايات بأنّ أعمالنا تُعرضُ عليه، كيف يمكن تصوّر ذلك؟ فهل الله يعطيه الفيض والإمكانية بأن يعرف أعمال سبعة مليارات إنسان؟ كيف نتصوّر ذلك؟

جواب الشيخ محمّد أشكناني :

نريد أن نتصوّر كيف أنّ الإمام عليه السّلام يطّلع على أعمال جميع النّاس، الإمام عليه السّلام لا يقرأ من أوراق، وإنّما يعطيه الله تعالى القدرة على معرفة أحوال النّاس وأعمالهم فردًا فردًا، والنبيّ صلّى الله عليه وآله كان يعلم بما يوجد في نفوس النّاس، وهذا الاطّلاع اطلّاع غيبيّ بفيض من الله تعالى، وهذا نوع من المعجزة للنبيّ صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السّلام، فالله تعالى يعطيهم القدرة على العلم بما في نفوس النّاس؛ لأنّ دور الإمام عليه السّلام أن يهدي النّاس إلى الإسلام، ويريد أن يهدي جميع الأفراد حتّى من يوجد في الشّرق أو الغرب، لذلك لا بدّ من أن يعرف ما يوجد في نفس هذا الفرد وذاك الفرد حتّى يمكنه أن يهديه إلى الدّين .

ولا يوجد شخص في العالم لم تقم الحجّة عليه، فكلّ فرد في العالم في أيّ بقعة على الأرض ومن أيّ دين ومذهب كان تقوم الحجّة عليه بوجود الخالق، ولا يمكن لأحد أن يحتجّ على الله بأنّه سبحانه لم يعطه الدّليل على وجوده تعالى، فالله يعطي لكلّ إنسان دليلًا على وجوده

تعالى، وبالذليل تقام الحجّة على كلّ فرد وفرد، والأدلة مختلفة، ومن الأمثلة امرأة سافرة تذهب إلى الجمعية أو المستوصف أو السوق أو أيّ مكان آخر وترى طفلةً صغيرةً قد لبست حجاباً شرعيّاً، وقد تقول هذه المرأة : ما شاء الله، ما أجمل هذه الطفلة .

قول هذه المرأة يقيم الحجّة عليها، فهي رأت الحجاب الشرعيّ من طفلة أمامها، وأعجبت بها، فهنا قامت الحجّة عليها .
لا يمكن أن تقول : يا ربّي، لم أكن أعرف أنّ الحجاب فرض .
فيقال لها : إنّ هذه الطفلة حجّة عليك .

والآن القنوات الفضائية تقوم بإقامة الحجّة على جميع الناس، فالحجّة قائمة على كلّ إنسان، وأقلّ شيء حينما يمرض الإنسان فيذهب إلى البقرة أو القردة التي يقدّسها ولا يرى أيّ نتيجة، فيتعلّق قلبه بشيء غيبيّ يستطيع أن يشفيه، وهذا الشّيء الغيبيّ هو خالق الكون، والمسلمون يسمّونه الله عزّ وجلّ، وفي كلّ لغة يوجد اسم لخالق الكون .

والمريض يرى أنّ الطّبيب لا يستطيع أن يعالجه، فيصبح عنده تعلّق بقوة خفيّة، ويعتقد أنّ هذه القوّة الخفيّة يمكنها أن تشفيه من هذا المرض، وهذه القوّة الخفيّة هو الله تعالى الذي عنده القوّة والقدرة على شفاء الأمراض، وبهذا التعلّق القلبيّ بالقوّة الغيبيّة تقوم الحجّة عليه، وكلّ إنسان تقوم الحجّة عليه بطريقة ما .
والإمام عليه السّلام عنده الاطّلاع على نفوس البشر بطريقة غيبيّة .

والقرآن الكريم يقول :

"وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ اِلَى
عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" (١) .

الله تعالى ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْمُؤْمِنُونَ الْمُعَيَّنُونَ - وهم
الأئمة عليهم السلام - يرون أعمال جميع الناس، ويعلمون بما في
نفوسهم، وقلنا مؤمنون معيّنون؛ لأن ليس جميع المؤمنين عندهم القدرة
على رؤية أعمال جميع الناس، والله سبحانه رؤيته ذاتية، والرسول
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْمُؤْمِنُونَ الْمُعَيَّنُونَ رؤيتهم بالغير أي بواسطة الله
تعالى، والمؤمنون هم الأئمة عليهم السلام، وليس جميع المؤمنين يرون
أعمال الناس، فالأئمة عليهم السلام بما فيهم الإمام المهدي عليه
السلام مطّعون على أعمال جميع الناس ونفوسهم، والنبي صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْأئمة عليهم السلام علمهم من الله تعالى، فعلم النبي صَلَّى
الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْأئمة عليهم السلام ليس علمًا ذاتيًا، فهم يعلمون
الغيب بتعليم من الله تعالى، وفي كتب الروايات السنية والشيعية توجد
المغيبات التي أخبر بها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وهذا اطلاع على
الغيب، والعلم الذي كان موجودًا عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ انتقل
إلى الأئمة عليهم السلام واحدًا بعد الآخر، فالله يعلم علمًا ذاتيًا،
والعلم بواسطة الله تعالى موجود عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
عليهم السلام .

(١) التوبة : ١٠٥ .

وبعض النَّاسِ أحياناً يعلمون بحدث يقع في المستقبل في عالم الرؤيا، وهذا علم بالغيب أعطاهم الله تعالى في عالم الرؤيا، وهذا علم بالغيب محدود في حدث واحد .

ويقول القرآن الكريم :

"عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ .
.. " (١) .

وإذا أعطى الله القدرة على شيء لأيِّ إنسان فهذا الإنسان يكون قادرًا على هذا الشيء، وقدرته تكون محدودةً، ولكنَّ قدرة الله مطلقة لا يحدّها شيء، وأنت الآن عندك قدرة على رفع يدك وإنزالها، وهذه القدرة أعطاه الله لك، والله خلق الرّوح وأعطاه القدرة على تحريك الجسم، والجسم بلا روح لا يمكن أن يتحرّك بنفسه، وكلّهُ يكون بإذن الله تعالى، ولا يوجد شيء خارج عن قدرة الله عزّ وجلّ .

"إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ادْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ" (٢) .

(١) الجنّ : ٢٦-٢٧ .

(٢) المائدة : ١١٠ .

وفي الآية تكرر لقول الله تعالى : "بِإِذْنِي"؛ لكي لا يتصوّر أحد بأنّ عيسى عليه السّلام عنده القدرة الذاتيّة على قلب الطّين إلى كائن حيّ وشفاء المرضى وإحياء الموتى، وإمّا كلّه بإذن الله تعالى .
الحاجّ سلمان الحدّاد :

ذكرتم أنّ أنصار الإمام عليه السّلام يكونون من المؤمنين المجاهدين في سبيل الله تعالى، ويكون عندهم اهتمام بالدين، وسمعنا بأنّه في بعض الروايات من أنّ بعض الأنصار يكونون من المسيحيّين .
جواب الشيخ محمّد أشكناني :

إذا ثبتت هذه الروايات فهم من المسيحيّين الموحّدين لا المشركين، وهو الباقون على الدين الأصليّ لعيسى عليه السّلام، وإذا ظهر الإمام المهديّ عليه السّلام فإنّ هؤلاء المسيحيّين سيسلمون؛ لأنّ المسيح عليه السّلام سيصلّي خلف الإمام المهديّ عليه السّلام، فيكون المهديّ عليه السّلام هو الإمام، ويكون المسيح مأمومًا، وهؤلاء المسيحيّون سيسلمون ويصبحون من أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام، كما أنّ نبيّهم عيسى عليه السّلام يكون من الأنصار .

عميد الديوانيّة محمّد يوسف العيسى :

أنصار الإمام عليه السّلام الثلاثمائة وثلاثة عشر هل هؤلاء هم القادة فقط ؟

جواب الشيخ محمّد أشكناني :

هؤلاء هم القادة، ويوجد أنصار آخرون يشكّلون الجنود، فكلّ قائد

معهُ جنود، وتختلف الأقوال في عدد الجنود، ويقال سبعة آلاف أو سبعون ألفاً، فهناك تدرّج من القادة إلى القادة الفرعيّين، وتحت كلّ قائد فرعيّ يوجد مجموعة من الجنود .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٣١)

حاجة الجهاد إلى الأفراد الممحصين^(١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

ما زال الكلام في مواصفات أنصار الإمام المهدي عليه السلام، والمؤمن لا بدّ من أن يعرف صفات أنصار الإمام عليه السلام؛ حتى يمكنه أن يجسّد هذه الصفات في نفسه، وإذا لم توجد هذه المعلومات عند المؤمن فلا يمكنه أن يصل إلى مرتبة الأنصار، فالهدف في تحقيق هذه الصفات في نفسه أمر ضروري، ولا بدّ من أن يوجد عنده تصوّر مسبق عن صفات الأنصار، ومعرفة الناحية النظرية مهمّة للإنسان؛ حتى يمكنه أن يتحرّك إلى الناحية العملية التي تحقّق الناحية النظرية .

وكان الكلام عن أنّ المؤمن هل يعتزل أو يتحرّك ويكون من المجاهدين، وليس المقصود من الجهاد التّحرّك العسكريّ فقط، بل

(١) أُلقيت هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في دولة الكويت منطقة

بيان، الجمعة ١٠ رجب ١٤٣٣ هـ ، ١/٦/٢٠١٢ م .

يشمل التثقيف أيضاً، وهو الجهاد التثقيفيّ بالعمل على تثقيف الناس بشكل عامّ والمؤمنين بشكل خاصّ، وهو نوع من الجهاد، ويحتاج إلى بذل الجهد والمال والوقت من المؤمن لكي يتثقف الآخرون .

وكما هو مطروح يقسم الجهاد إلى قسمين : جهاد ابتدائيّ وجهاد دفاعيّ، وفي الجهاد الابتدائيّ يحتاج المسلمون إلى إذن المعصوم عليه السّلام؛ لأنّ المعصوم عليه السّلام يبدأ بجهاد أعداء الدّين، وينشر الإسلام بين غير المسلمين، وأمّا في الجهاد الدّفاعيّ فلا يحتاج المسلمون إلى إذن المعصوم عليه السّلام، فإذا هجم أعداء الدّين على بلدان المسلمين فيجب عليهم أن يهبتوا للدّفاع عن أنفسهم وبلدانهم .

وبالنّسبة للجهاد بين يدي الإمام عليه السلام فإنّه يحتاج إلى مواصفات عالية جدّاً، فيحتاج إلى أفراد ذوي إخلاص ممخّص، أي أنّهم مرّوا بمراحل من التّمحيص والابتلاءات، ونجحوا في هذه الابتلاءات، فنجاحهم يؤهّلهم لأن يكونوا من الأنصار .

عن أمير المؤمنين عليه السّلام : "أمّا بعد، فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة، فتحه الله خاصّةً أوليائه، . . ." (١) .

إنّ من يريد أن يجاهد بين يدي الإمام عليه السّلام لا بدّ من أن يكون من خاصّة الأولياء لا أولياء فقط، فيوجد أولياء وخاصّة الأولياء، وتكون صفات خاصّة الأولياء صفات عالية جدّاً، ولا يكونون أناس عاديين، فالإنسان العاديّ لا يمكنه أن يكون من

(١) بحار الأنوار ج ٩٧ ص ٧ ح ٢ .

المجاهدين بين يدي الإمام عليه السّلام، وهؤلاء الخاصّة من الأولياء وصلوا إلى الدّرجة الّتي يكونون فيها مؤهّلين للجهاد، وهم بمحض إرادتهم يختارون طريق الجهاد، وأمّا من لم يصل إلى هذه الدّرجة العالية فهو لا يرغب بالجهاد؛ لأنّه غير مؤهّل لذلك .

والجهاد بين يدي الإمام عليه السّلام مهمّة عظيمة جدًّا؛ لأنّ وظيفتهم مع إمامهم عليه السّلام هي نشر العدل في العالم، ومن يريد أن ينشر العدل في العالم لا بدّ من أن يكون عادلاً، لا عدالة ظاهريّة فقط، وإمّا عدالة واقعيّة، والحكم ليس حكماً ظاهريّاً .

مثلاً في الصّلاة تصحّ الصّلاة خلف الإمام العادل، وفي الرّسالة العمليّة نجد أنّ العادل هو من يفعل الواجبات ويترك المحرّمات، ويكفي حسن الظّاهر كما في المسألة، فتصليّ خلف إمام الصّلاة، ويكفي حسن ظاهره .

وأما من يريد أن يكون من المجاهدين بين يدي الإمام عليه السّلام فإنّه عليه السّلام لا يختاره بناءً على حسن ظاهره، بل يختاره على أساس الواقع الّذي يعيشه هذا المؤمن، هل واقعه أنّه مؤمن حقيقةً أو لا ؟

فالإمام عليه السّلام لا يختاره على أساس حسن الظّاهر، نعم في تعاملنا مع بعضنا البعض كأناس عاديين نتعامل على أساس الظّاهر، ولكنّ الإمام عليه السّلام يختار أنصاره على أساس واقعهم وحقيقتهم، ومن الممكن أنّ الإنسان لا يرتكب المعاصي أمام النّاس، ولكنّه حينما

يكون لوحده في غرفته قد يرتكب المعاصي، والإمام عليه السّلام يعرف حقيقة هذا الإنسان، فلا يختاره ليكون من الأنصار؛ لأنّه ليس مؤهّلاً لبلوغ هذه المرتبة العالية، فنفسيّته وواقعه وحقيقته لا تؤهّله للوصول إلى هذه المرتبة .

إنّ من يريد أن ينشر العدل في العالم لا بدّ من أن يكون متّصفاً بالعدالة بل بقمّة العدالة وفي أعلى درجات العدالة والإخلاص؛ حتّى يساهم في نشر العدل في العالم، فهو في خلواته يكون عادلاً أيضاً، فلا يرتكب المحرّمات في خلواته، لا أنّه يتظاهر بالعدالة أمام النّاس فقط، والإنسان الذي يكون حريصاً على ظاهره أمام النّاس فقط فإنّه إذا وقعت في يده أموال كثيرة فإنّه يختلس منها لنفسه؛ لأنّه لا توجد عنده تقوى حقيقيّة، ويمكن أن يبرّر لنفسه بأن يستدلّ بالقرآن، فيقول لنفسه بأنّه من العاملين عليها، ويقنع نفسه بهذا التبرير .

إذن :

الإمام عليه السّلام يختار أنصاره على أساس اتّصافهم بمواصفات عالية من قمّة الإيمان وقمّة العدالة وقمّة الإخلاص وقمّة التقوى، لا على أساس صفاتهم الظّاهريّة فقط، وإتّما على أساس صفاتهم الواقعيّة، والإمام عليه السّلام يتعامل مع النّاس على أساس واقعهم لا ظاهرهم فقط، وإذا أراد الإمام عليه السّلام أن ينشر العدل في العالم واختار على أساس حسن الظّاهر فقط فإنّ المشروع سيفشل قطعاً، والمهمّة العظيمة تحتاج إلى أناس عظماء بمستوى هذه المهمّة، ولا يمكن

الاكتفاء بحسن الظاهر فقط، أو يكتفي من يريد أن يكون من الأنصار بالتبريرات بأنّ هذا العمل جائز فأنا أقوم به بناءً على جوازه، وهذا تبرير، فالشخص يريد أن يأتي بالعمل لأنّه يرغب إليه، ولكنّه يجعله باسم الدّين فيقول : هذا الشيء مباح .

وقلنا بأنّ المؤمن لا يعمل بكلّ شيء جائز، فحينما يختار الأشياء فإنّه يختارها على أساس الإيمان والتقوى، والمتّقي لا يقوم بكلّ عمل مباح، بل ينتقي من الأعمال المباحة، وعمليّة الانتقاء تحتاج إلى مقياس، فيختار الأعمال المباحة التي تتناسب مع صفة التقوى، والمتّقي لا يكتفي بفعل الواجبات وترك المحرّمات فقط، وإمّا يصعد إلى المستحبّات والمكروهات، فيأتي بالمستحبّات ويترك المكروهات، بل يصعد إلى أكثر من ذلك، فيصعد إلى المباحات، فيأخذ المباحات التي ينبغي أن يأتي بها باعتبار أنّه إنسان متّقي، وتقريبه إلى الله تعالى، وتساهم في تكامله، ويصعد بواسطتها إلى درجة أعلى على درجات التقوى، ويترك المباحات التي لا ينبغي أن يأتي بها بناءً على تقواه؛ لأنّها لا تقربه إلى الله تعالى، ولا تساهم في تكامله، ويتعامل مع المباحات على أساس أنّها وسائل حركة إلى الله سبحانه، فيستفيد من المباحات، وأمّا المباح الذي يجعله واقفًا في مكانه أو المباح الذي لا يتناسب مع تقواه فإنّه يتركه .

ونذكر مثلاً لذلك، وهو التدخين على القول بجوازه .

وليسأل المدخّن نفسه : لماذا أدخّن ؟

هل التدخين يساهم في زيادة هداي وتقواي ؟

هل أنا أدخن؛ لأنّ التدخين مباح فقط ؟

هذا التفكير تفكير من الدّرجات الدّنيا من درجات الإيمان، وكلّما صعد الفرد في درجات الإيمان فحتّى المباحات يتعامل معها بطريقة خاصّة .

والفرد الذي يريد أن يكون في الدّرجات الدّنيا من الإيمان فإنّه يعمل بجميع المباحات، ولا يملك مقياسًا لاختيار المباح الذي يتناسب مع شخصيّة المؤمن الحقيقيّ، وسؤاله يدور دائماً حول "يجوز أو لا يجوز"، فإذا جاء الجواب بأنّه يجوز فإنّه يعمل به، ولكن لا بدّ من نصح في الدّرجات الإيمانيّة وننظر إلى "ينبغي أو لا ينبغي"، فنصعد إلى درجة أعلى من درجة المباح، ويكون السّؤال : أنا كإنسان أو من بالله تعالى، وعندني عقيدة التّوحيد : هل ينبغي أن أعمل بهذا المباح أو لا ينبغي ؟

والله تعالى يراني وأنا أدخن - من باب المثال -، وقس على ذلك أيّ مباح آخر .

وليتصوّر أنّ الإمام المعصوم عليه السّلام موجود معه في الغرفة،

فنسأله : هل تشرب الماء أمام الإمام عليه السّلام ؟

سيجيب : نعم أشرب الماء أمام الإمام عليه السلام .

نسأله : هل تدخن أمام الإمام عليه السّلام ؟

سيجيب : لا أدخن أمام الإمام عليه السلام .

نسأل : هو يدخن أمام زوجته وأولاده وأمام الناس فلماذا لا يدخن أمام الإمام عليه السّلام مع أنّه عمل مباح على القول بالإباحة ؟

لا يدخن أمام الإمام عليه السّلام؛ لأنّه تعامل مع هذا المباح بطريقة أخرى تختلف عن طريقة التّعامل مع المباحات الأخرى، فلا يدخن أمام الإمام عليه السّلام؛ لأنّه لا ينبغي له ذلك، فصار عنده مقياس آخر، وهو مقياس (ينبغي ولا ينبغي) لا مقياس (يجوز ولا يجوز)، ومقياس (ينبغي ولا ينبغي) هو مقياس المؤمن الذي يريد أن يتقرّب إلى الله تعالى، ويريد أن يتكامل، فيأخذ بعض المباحات؛ لأنّها تنبغي للمؤمن، ويترك بعض المباحات؛ لأنّها لا تنبغي للمؤمن .

والمؤمن عنده مقياس واحد أمام الناس وفي خلواته، ولا يوجد عنده مقياسان : مقياس أمام الناس، ومقياس آخر في خلواته، والمقياس هو (أن الله يراك) سواء كان أمام الناس أم كان لوحده في غرفته .

وهذا المقياس يأتي من قوله تعالى في القرآن الكريم :

"أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى" (١) .

وعن الإمام الصادق عليه السلام : "خَفِيَ اللَّهُ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ كُنْتَ لَا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، فَإِنْ كُنْتَ تَرَى أَنَّهُ لَا يَرَاكَ فَقَدْ كَفَرْتَ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ يَرَاكَ ثُمَّ اسْتَتَرْتَ عَنِ الْمَخْلُوقِينَ بِالْمَعَاصِي وَبَرَزْتَ لَهُ بِهَا فَقَدْ جَعَلْتَهُ فِي حَدِّ أَهْوَنِ النَّاطِرِينَ إِلَيْكَ" (٢) .

(١) العلق : ١٤ .

(٢) ثواب الأعمال للشيخ الصدوق ص ١٤٧ .

لذلك فالإنسان المؤمن تكون أعماله وأوراده كلّها وردًا واحدًا وفي اتجاه واحد، وهو اتجاه الله تعالى، فيقول كما في دعاء كميل بن زياد :
" . . . حتى تكون أعمالي وأورادي كلّها وردًا واحدًا . . . " .

فيسأل الله تعالى أن تكون أعماله وأوراده كلّها في طريق واحد، وهو طريق الله سبحانه، ففي الواجب والمحرم يكون نظره إلى الله تعالى، وفي المستحبّ والمكروه يقول بأنه يرى الله تعالى، فلماذا في المباحات لا يكون نظره إلى الله عزّ وجلّ؟!

سؤال : هل المباحات خارجة عن دائرة التوحيد ؟
الجواب :

لا، المباحات داخلية في دائرة التوحيد .

والله تعالى جعل المباحات؛ لكي يرى بأنّ الإنسان يختار المباحات على أيّ أساس ومقياس وميزان، فإذا كان على أساس المقياس التوحيدى فإنه يتعامل مع الأحكام الفقهيّة العمليّة بناءً على هذا المقياس، والمقياس ليس هو (ما ترغب إليه النفس)، فتكون حركة الإنسان حركة عشوائية، فتارةً يرى الله تعالى، وتارةً أخرى يرى نفسه، ومرةً يكون الإله هو الله عزّ وجلّ، ومرةً يكون الإله هو هواه وما تشتهيهِ النفس وتغرب إليه، والله تعالى جعل الإنسان حرّاً في اختيار المباحات، ولكنّ اختيار الإنسان لأيّ شيء لا بدّ من أن يكون على أساس ومقياس لا على أساس الرّغبة والهوى والمزاج، فيختار المباح الذي يتناسب مع كونه يرى الله تعالى، والمؤمن المتّقى كلّما صعد في

درجات الإيمان والتّقوى فإنّه يتحرك على أساس المقياس التّوحيديّ،
فيقيس الأشياء بمقياس الله تعالى، وعلى أساس التّوحيد يختار أعماله
وأفعاله .

وأنصار الإمام عليه السّلام عندهم هذا المقياس، فيتعاملون مع
الأحكام الفقهيّة على أساس النّظرة التّوحيديّة، والمؤمن لا تكون عنده
نظرتان حينما يتعامل مع الأحكام الشرعيّة، والرّؤية التّوحيديّة تجري
في كلّ شيء، فالمؤمن حينما يصادف أيّ شيء يسأل نفسه : هل الله
تعالى يريدّه أو لا يريدّه ؟

والمؤمن يجعل إرادته التّكوينيّة والأعمال التي يأتي بها على أساس
الإرادة التّشريعيّة لله تعالى، لذلك يعمل المؤمن ويتحرّك وتكون إرادته
التّكوينيّة مطابقةً للإرادة التّشريعيّة لله تعالى، فيصعد المؤمن ويكون
عمله متناسبًا مع الشّرع دائميًا، وإرادة الإنسان التّكوينيّة لا بدّ من أن
تتطابق مع الإرادة التّشريعيّة لله تعالى، فما يريدّه الله هو يريدّه، وما
يحبّه الله هو يحبّه، وما يبغضه الله هو يبغضه، فالمقياس مقياس إلهيّ،
وقد لا يحبّ شخصًا، ولو سأل نفسه : لماذا لا أحبّ هذا الشّخص
مع أنّه إنسان مؤمن ؟

الجواب :

لأنّ إرادته التّكوينيّة غير متطابقة مع الإرادة التّشريعيّة لله تعالى،
فإذا كان الله يحبّ هذا الشّخص فلا بدّ من أن تحبّه، تصبح انعكاسًا
لما يريد الله عزّ وجلّ، وحركتك تكون متوافقةً مع ما يريدّه الله تعالى .

وإذا وصل الإنسان إلى هذه المرتبة العالية فمعناه أنه قد وصل إلى درجة أنصار الإمام عليه السّلام، فيصبح مسيطراً على رغباته وشهواته، ويجعلها تحت إرادة الله تعالى، وهي عملية صعبة، وتحتاج إلى ممارسة؛ حتى يمكن للإنسان أن يصبح انعكاساً لله تعالى، وكأنّه انعكاس صورة في المرآة مع الحفاظ على الفرق بين المطلق والمحدود، فحينما تنظر إلى نفسك في المرآة فإنك ترى نفسك، ولا ترى شيئاً آخر، وكذلك أنت تريد أن تكون انعكاساً لما يريد الله تعالى، فحركتك تكون متوافقة مع ما يريد الله عزّ وجلّ، فإذا أراد الله شيئاً فأنت تريده، وإذا لا يريد الله فأنت لا تريده، وأنصار الإمام عليه السّلام يكونون بهذه الكيفيّة .

والإنسان المؤمن المتّقي هل يقيس الأشياء بمنظار الواجب والحرام فقط ؟

المفروض أن لا يقيس بهذا المقياس فقط .

سؤال : بماذا يتميّز الإنسان المؤمن المتّقي ؟

الجواب :

يتميّز في كفيّة التعامل مع المباحات، ففي المباحات يظهر تقوى المؤمن، فالواجب يأتي به كلّ مؤمن، ويكون نظره إلى الثّواب، والمحرم يتركه كلّ مؤمن، ويكون نظره إلى العقاب، وكذلك في المستحبّ والمكروه يوجد فيهما حرّيّة في الاختيار، ولكن نظر المؤمن يكون إلى الثّواب أيضاً، ولكن في المباحات يمكن للمؤمن أن يتقرّب إلى الله

تعالى باختياره مع أنّه في الأصل لا يوجد ثواب ولا عقاب في المباحات، ولكنّ المؤمن يطلب رضا الله وثوابه بواسطة المباحات، واختيار المؤمن ضمن دائرة المباحات يكون على أساس أنّه ينبغي للمؤمن أن يفعل هذا المباح؛ لأنّه يتناسب مع إرادة الله تعالى، وأن يترك المباح الآخر؛ لأنّ الله تعالى لا يريد من المؤمن أن يرتكب هذا المباح؛ لأنّه لا يتناسب مع شخصيّة المؤمن المتّقّي .

مثلا : هل يجوز للإنسان أن يأكل وهو يمشي ؟

الجواب :

نعم يجوز، ولا يفعله أمام النّاس؛ لأنّ فيه كراهة، ولكن نظر المؤمن المتّقّي يكون إلى أنّ المكروه لا يريده الله تعالى، فإرادة الله تعالى داخله في المعادلة .

وقد لا يأتي الإنسان بالعمل حياءً أو خجلاً من النّاس بدون النّظر إلى الله تعالى، وتكون النتيجة من حيث العمل الخارجي واحدة، فهذا لم يفعل، وذاك لم يفعل، ولكنّ الفرق في أنّ أحدهما لم يفعل تقرباً إلى الله تعالى، والآخر لم يفعل حياءً من النّاس، فالأول يحصل على الثّواب، والثاني لا يحصل عليه، مع أنّ العمل الخارجي واحد، ولكنّ النّيّة اختلفت، والثّواب والعقاب لا يترتبان على العمل الخارجي فقط، وإتّما الأساس هو العمل الباطنيّ، فعل لأنّ نظره كان التقرب إلى الله تعالى، فيحصل على ثواب، فالثّواب مترتب على قلب الإنسان لا على العمل الخارجي فقط، وإذا كان قلب الإنسان يتحرّك إلى الله

تعالى فيحصل على ثواب، وأمّا إذا لم يتحرّك إلى الله تعالى فلا يحصل على ثواب .

مثلا شخص يصلّي رياءً، فلا يحصل على ثواب، بل على العكس يحصل على ذنب، ويكون عمله باطلاً، وصلاته باطلة، ويجب عليه أن يعيدها في الوقت أو يقضيها خارج الوقت، مع أنه من ناحية خارجية هو أتى بالصلاة، ولكن من ناحية أخلاقية كان عنده الرياء، فالثواب يترتب على قلب الإنسان، ولا بدّ من أن نعرف أهميّة العمل الباطنيّ القلبيّ، فلا نقتصر على أداء العمل وصحّته من ناحية الفقه العمليّ، بل لا بدّ من أن نصعد في تقييمنا لأعمالنا، فلا بدّ من أن نرى تأثير العمل الخارجيّ على قلوبنا، فكلّ فرد لا بدّ من أن يسأل نفسه : هل هذا العمل يقربني إلى الله تعالى وأتكامل بواسطته أو لا ؟ نعم تؤدّي صلاتك، ولكن بعد الانتهاء من الصلاة اسأل نفسك : ما الذي استفدته من أدائي للصلاة ؟

إذا كان وضعه ثابتاً قبل الصلاة وبعد الصلاة وله حالة قلبيّة واحدة - فمعناه أنّه لم يستفد من صلاته، نعم أدّى العمل الخارجيّ من أقوال وأفعال، ولكن لا يوجد عنده عمل قلبيّ، فقلبه لم يتحرّك أثناء أدائه للصلاة، والثبات القلبيّ معناه أنّه لم يقترب من الله تعالى ولم يتكامل .

قال بلسانه : أصليّ قربةً إلى الله تعالى .

وهذا عبارة عن ألفاظ فقط، ولا بدّ من وجود حركة باطنيّة، فيتحرّك

قلبه مع الأفعال والأقوال؛ لكي يمكنه أن يستفيد من العبادات ومن غير العبادات .

وإذا لم توجد الحركة القلبية مع العبادات بل مع جميع الأفعال - فلا يمكن للمؤمن أن يصل إلى درجة أنصار الإمام عليه السلام؛ لأنّ درجة الأنصار درجة عالية جدًّا، والدّرجة العالية لا يحقّقها الإنسان الذي لا يبذل أقصى درجات جهده، فهو يكون ضمن مواصفات عالية، والمواصفات العالية يمكن الحصول عليها بطرق معيّنة لا بأيّ طريق، وأمّا إذا فقط صلّى وانتهى وصام وانتهى وأتى بالعبادات وانتهى فلا يستفيد منها، مثل الطّفل الذي يصلّي يقول : "الله أكبر"، وينتهي من الصّلاة بقول : "الله أكبر"، ولا يستفيد منها شيئًا .

ومقدار الاستفادة القلبية يعبر عن مقدار القبول، وقد تجد شخصًا عمره ٥٠ أو ٦٠ أو ٧٠ سنة، ولكنّه يؤدّي الصّلاة كما يؤدّيها الطّفل، فيأتي بالأقوال والأفعال الخارجيّة فقط من دون أن يتأثر بها قليًّا، وتظلّ حياته ثابتة كما هي لا تتغيّر، ويعيش نفس التّفكير الذي يكون عند الطّفل، ويعيش بنفس الطّريقة التي عاشها حينما كان طفلًا، فعنده نفس التّصوّرات الطفوليّة، وهذه التّصوّرات الطفوليّة تسير معه حتّى لو بلغ السبعين من عمره، فعلمه لا يزداد، ومن الطّبيعي أنّ العمل يتناسب مع العلم، فصاحب العلم القليل يكون عمله قليلًا، وإذا لا يسعى الإنسان إلى كسب العلم فذهنه في سنّ السبعين يكون ذهناً طفوليًّا، والقضيّة ليست قضيّة البدن، فهذا

أمر خارجي تكويني، فذهنه وإدراكه العقلي يكون ذهنًا وإدراكًا طفوليًا، فيدخل إلى الصلوة وعمره سبعين سنة، ولكنه لا يعرف كيف يستفيد من الصلوة .

نسأله : خلال سبعين سنة ماذا كنت تفعل ؟

كان يمارس العبادات كأقوال وأفعال خارجية فقط، فيصل إلى عمر السبعين ويموت ويُدفن ويُحاسبُ ويجد أنّ صحيفة أعماله فيها مقدار قليل من الصلوات؛ لأنّ تسجيل الأعمال لا يكون على العمل الخارجي فقط، بل على العمل الخارجي والعمل الباطني للإنسان .

نعم صلى ظاهريًا صلاة كثيرة، ولكنه في الواقع لم يستفد من الصلوات الاستفادة المطلوبة من التأثير القلبي، ومن لم يستفد قلبيًا فإنه لا يتغير، ومن لا يتغير لا تتغير حياته، بل يظل على وضعه الثابت كما كان وهو صغير، ويظل على نفس التصورات والأفكار ونفس طريقة التفكير ونفس الأعمال الخارجية، وتظل حياته كما هي ثابتة لا تتغير، لذلك كلما قام الإنسان بعمل فعليه أن يسأل نفسه : ماذا استفدت من هذا العمل من ناحية قلبية ؟

وإذا ذهب إلى الزيارة ورجع يسأل نفسه : ماذا استفدت من

الزيارة من ناحية قلبية ؟ وهل حصل عندي تأثير قلبي أو لا ؟

والقضية ليست في كثرة الصلوة أو الزيارة، فقد يذهب المؤمن إلى

الحجّ أو الزيارة مرّة واحدة فتتغير حياته، وتنقلب رأسًا على عقب .

والهدف من تكرار العبادات هو تغيير الإنسان وتكامله، فقد يتغير

من الإتيان بالعبادة مرّة واحدة، وقد يحتاج إلى إعادة العبادة مرّات
ومرّات؛ لكي يتغيّر، وقد لا يتأثر قلبياً بالعبادات، ولا تتغيّر حياته،
وهناك مؤمنون يذهبون إلى الحجّ في كلّ سنة، وهذا شيء جيّد، ولكن
حينما يرجعون من الحجّ لا بدّ من أن يسألوا أنفسهم : ماذا استفدت
من ذهابي المتكرّر إلى الحجّ ؟

وإذا تغيّر فالأشخاص المحيطون به يشعرون بتغيّره، وخاصّة الزّوجة
والأولاد، فالزّوجة تشعر بتغيّر زوجها، وكذلك بالعكس، فالزّوج يشعر
بتغيّر زوجته، وحياته وحياتها تتغيّران، وكلّ منهما يلاحظ التّغيّر إذا
حدث في الطّرف الآخر، وقد يعيش الزّوجان مع بعضهما البعض
٣٠ أو ٤٠ أو ٥٠ سنة ولا يشعر أيّ منهما بتغيّر الآخر، ويعيشان
بطريقة روتينيّة بدون أيّ تغيّر في حياتهما، فحياتهما تكون ثابتة لا
يوجد فيها شيء من التّغيير، والإنسان لا بدّ من أن يتغيّر في كلّ يوم،
والمقرّبون يشعرون بتغيّره .

وإذا لم يحصل عند الإنسان أيّ تغيّر فمعناه أنّه لم يستفد من
العبادة، وإذا استفاد من العبادة فالثمرة هي التّغيّر، فأفكاره تتغيّر،
وأقواله تتغيّر، وأفعاله تتغيّر، كان يقوم بفعل معيّن، والآن يكره ذلك
الفعل .

ونرى أن بعض المؤمنين يحفظون نتائج مباريات كأس العالم،
فيعرف من فاز في البطولة في سنة كذا، ويعرف نتائج المباريات، وكم
كانت نتيجة المباراة النهائيّة .

وأحد المؤمنين في هذه الديوانية قال : كنت أتابع مباريات كرة القدم لكأس العالم، والآن حينما أرى المباراة أشعر بكره لها؛ لأني ضيَّعت الكثير من وقتي .

وسأل : هل هذا شيء جيد ؟

قلت له : هذا معناه أنك تغيَّرت، كانت نظرتك هي الرغبة لمتابعة مباريات كأس العالم، والآن اسأل نفسك : لماذا تغيَّرت نظرتك ؟ تغيَّرت نظرتك؛ لأنك سعدت وتكاملت، والآن ترى أنّ هذه المباريات أمر تافه، والإنسان قد يعيش مع الشيء فيراه أمرًا مهمًّا، وحينما يتكامل ويصعد فإنه يرى هذا الشيء صغيرًا، مثلما إذا كنت واقفًا عند شجرة فإنك تراها شجرة كبيرةً، وكلّما ابتعدت عنها ترى أنّها تصغر وتصغر وتصغر إلى أن تختفي تمامًا، وهكذا إذا تكامل الإنسان وصعد في الدّرجات الإيمانية فإنّ بعض الأمور التي كان يعطيها اهتمامًا يراها الآن صغيرةً ليس لها قيمة، وأنّه كان يضيّع وقته على هذه الأمور التّافهة، ولو قلنا له في ذلك الوقت لا تتابع المباريات لقال بأنّه لا يستطيع .

وقد يؤخّر الشّخص صلاته؛ لأجل مشاهدة المباريات، وقد لا يذهب إلى المسجد لأنّه في نفس الوقت توجد مباراة معروضة .

ومرّة أحد رواد الديوانية جاء متأخرًا بعد انتهاء المحاضرة، فسألته :

لماذا تأخّرت ؟ عسى أن يكون المانع خيرًا ؟

فقال : كنت أتابع مباراة في دوري كأس العالم .

والإنسان إذا أعطى اهتمامًا لشيء فلا بدّ من أن يسأل نفسه :
لماذا أنا مهتمّ بهذا الشّيء ؟ وهل الله تعالى يريد منّي هذا الشّيء أو
لأنّ نفسي ورغبتى تريد هذا الشّيء ؟
ورغبات الإنسان لا بدّ من أن تكون بمقاييس الله عزّ وجلّ، وقد
يقول : هذه رغبتى فماذا أفعل ؟

نعم ترغب، ولكن رغبتك اجعلها تحت مقاييس الله تعالى، وتأني
بما ترغب؛ لأنّ الله تعالى يريد لا لأنك أنت تريد، والله يريد فأنت
تربح بما يريد الله، والله لا يريد فأنت لا ترغب بما لا يريد الله، فهل
الله يريد من الإنسان المؤمن الذي يريد أن يكون من الأنصار أن
يضيّع وقته في مشاهدة المباريات ساعات وساعات أمام التلفاز ؟
قطعاً الله لا يريد من المؤمن أن يضيّع وقته، طبعاً هذا مثال، وأنت
انظر إلى نفسك لترى ما هي الرغبات التي تحركك ولا يريدتها الله
تعالى .

ومواضيعنا ليست لتقييم الآخرين، وإنما لأجل أن تقيّم نفسك،
وقد يبدأ الشخص بمراقبة الآخرين، فيقول إنّ هذا المؤمن يفعل كذا،
وذاك المؤمن يفعل كذا، ولكنّه لا يراقب نفسه، وهكذا لا يستفيد من
المحاضرة، فليس الهدف مراقبة الآخرين وتقييمهم، بل الهدف هو أنّ
كلّ شخص يراقب نفسه ويقيّمها، فيأخذ المقاييس ثم يقيّم كلّ
شخص نفسه بهذه المقاييس .

فيسأل نفسه : هل أنا أطبق هذا المقياس أو لا أطبقه ؟

فيكون نظري إلى نفسي، ونساهم في مساعدة الآخرين بأن يأخذوا هذه المقاييس ويطبّقوها على أنفسهم، وهذا طبعًا بعد أن تقتنع بأنّ هذه المقاييس مقاييس صحيحة، وأنّ هذه المحاضرات نافعة ومفيدة، فتأخذ المقياس وتحاول أن تنقل هذا المقياس إلى الآخرين، ومن يقتنع بفكرة معيّنة فإنّ هذه الفكرة تصبح فكرته ما دام أنّه مقتنع بها، ومن تصبح هذه فكرته فإنّه يحاول أن ينشرها؛ لأنّه يحبّ أن تنتقل هذه الفكرة إلى الآخرين، والإنسان الفاسد يحبّ أن ينتشر الفساد في العالم، لذلك ينشئ موقعًا على الإنترنت ويحاول بمختلف الطرق أن ينشر الفساد، والأشخاص المؤمنون الصّالحون الذين اقتنعوا بالإسلام لماذا لا تكون عندهم همّة كهمة الفاسدين المفسدين؟!

والمفروض أن تكون همّة المؤمنين أكبر من همّتهم، فهم نظرهم إلى الدّنيا فقط، ونظر المؤمنين يكون إلى الآخرة، وعملهم عمل أخرويّ، فالمفروض أن تكون همّتهم أضعاف أضعاف همّة المفسدين، ولكن للأسف أنّ الواقع ليس هكذا، فالمؤمنون بشكل عامّ لا توجد عندهم هذه الهمة العالية، وانظر إلى الشباب الذين عملوا معك في دورة أو نشاط سترى أنّهم في البداية يعملون بكلّ حماس، ولكن بعد مرور عدّة أشهر ترى أنّ همّتهم ونشاطهم قد نقصا .

وإذا كان العمل لله تعالى فلماذا تقلّ الهمة بعد مرور أشهر؟ وأين أصبح الله تعالى في المعادلة؟

إذا كان الله تعالى موجودًا في المعادلة فالله عزّ وجلّ موجود أيضًا

فيها بعد أشهر أو سنوات من العمل، والمفروض أن العمل لا يبقى على نفس المستوى، وإنما يصعد فوق المستوى يوماً بعد يوم وشهراً بعد شهرٍ وسنةً بعد سنةٍ، ولا بدّ من أن يزداد العمل ويصعد في الدّرجات يوماً بعد يوم .

والهمّة لا تزداد؛ لأنّ العاملين لم يدخلوا الله سبحانه في مبادئ العمل، فالله تعالى هو المبدأ الوحيد الأصيل في العمل، وباقي المبادئ عبارة عن فروع، والله عزّ وجلّ يدخل في تقيّمنا للأعمال، والله هو المقيم الأعلى والمهيمن والمثل الأعلى، وإذا كان الأمر كذلك فالإنسان يتكامل قطعاً، وأعماله تتكامل أيضاً، وسيصل تدريجياً إلى مرتبة الأنصار، والعمل يحتاج إلى جهود مضاعفة، ولا يمكن أن يكون من الأنصار من يتكاسل عن الصّلاة مثلاً، فمن يكون عنده اهتمام بالصّلاة فإنك تراه ينتظر أوّل الوقت؛ لكي يذهب إلى إقامة الصّلاة في بداية الوقت، فيكون من المصلّين في أوّل الوقت؛ لأنّ إمامه عليه السّلام يصلّي في أوّل الوقت، فالإمام عليه السّلام يقف للصّلاة، والأنصار المنتشرون في العالم يصلّون مع إمامهم عليه السّلام في نفس الوقت، وكأَنَّها صلاة جماعة، ولكن كلّ شخص في بقعة من العالم، فصلاة الإمام عليه السّلام تصعد إلى الله تعالى، وصلوات الأنصار تصعد أيضاً إلى الله تعالى في نفس الوقت، ولا تتوقّع من شخص يريد أن يكون من الأنصار فيسمع الأذان ولا يقوم إلى الصّلاة، ويبرّر بأنّه من ناحية الفقه العمليّ يجوز تأخير الصّلاة، فيصلّي في آخر الوقت،

وتراه جالسًا على فراشه ولا يهتم بأول الوقت، ولا يهتم بأوقات الصلوات، فلا يعرف مواقيت الصلاة، ولا يعرف أنّ وقت الصلاة قد دخل، وقد مرّت ساعة أو ساعتان على بداية وقت الصلاة، وتبريره بأنه لا يعرف دخول الوقت غير مقبول؛ لأنّ الرّوزنامات منتشرة، وأوقات الصلاة موجودة في الهاتف النّقال، ويمكنه أن يفعل الأذان مع دخول الوقت، وبمجرّد دخول الوقت يسمع الأذان من نقله، وفي عصرنا لا يوجد عذر لمن يقول بأنّه لا يعرف مواقيت الصلاة، ولا يوجد بيت في بلدنا إلّا ويسمع أهله صوت الأذان من المساجد المحيطة بهم .

ومن يريد أن يكون من الأنصار عنده اهتمام بالصلاة، والصلاة عمود الدّين، فإذا كان عنده اهتمام بعمود الدّين فعنده اهتمام بباقي العبادات، وهذا مقياس اجعله بيدك، فالمؤمن الذي يهتم بالصلاة يهتم بباقي العبادات؛ لأنّ الصلاة عمود الدّين، ومن يهتم بالعمود فإنّه يهتم بالفروع .

ومقدار اهتمام الفرد بالصلاة يظهر له مستوى إيمانه وفي أيّ درجة إيمانيّة هو، فإذا عنده اهتمام بالصلاة بنسبة ١٠٠% فدرجته الإيمانيّة ١٠٠%، وليس المقصود من الصلاة ظاهرها أي الأقوال والأفعال فقط، بل تشمل أيضًا الحركة الباطنيّة له أثناء الصلاة، وقد يذهب شخص إلى المسجد ويصلي صلاة جماعة، ويأتي بالصلاة الظاهرية، ولكن درجته الإيمانيّة تكون عبر السّنوات ثابتة لا تتغيّر، ويذهب

يومياً إلى المسجد ويرجع إلى البيت، ولكن وضعه الإيمانيّ ثابت، هو
أتى بالعمل الخارجيّ، ولكنّه لم يَسْتَفِدْ من ناحية قلبيّة .

ونظرنا إلى العبادات لا بدّ من أن تكون بالنّظرة الشّموليّة للدين،
ونظرة المسلمين اليوم إلى العبادات هي بالنّظرة التجزيّية للدين،
فينظرون إلى الفقه العمليّ فقط دون ربطه بالفقه العقائديّ والفقه
الأخلاقيّ، وسبب ذلك هو التّعامل مع الرّسالة العمليّة فقط، فيأتي
بالصّلاة المركّبة من أقوال وأفعال فقط مع أنّ أحكام الصّلاة شاملة
للأحكام الفقهية العمليّة الخارجيّة، وشاملة للأحكام الفقهية
العقائديّة، وشاملة للأحكام الفقهية الأخلاقيّة القلبيّة الباطنيّة .

إنّ كلّ عمل يقوم به الإنسان له الأحكام الثلاثة، حكم فقهيّ
عمليّ على أساس الرّسالة العمليّة، وحكم قلبيّ باطنيّ على أساس علم
الأخلاق، وحكم عقائديّ على أساس علم العقائد، مثلاً الصّلاة لها
هذه الأحكام الثلاثة، ولكنّ المشكلة هي أنّ تعامل المسلمين مع
الصّلاة على أساس الفقه العمليّ فقط دون النّظر إلى الفقه العقائديّ
والفقه الأخلاقيّ، فلا يربطون الصّلاة الخارجيّة بالعقائد ولا بالصفّات
القلبيّة، وهذا سببه التّركيز على الرّسالة العمليّة فقط دون الرّسالة
العقائديّة والرّسالة الأخلاقيّة، وأذهان المؤمنين بشكل عامّ مرتبط
بالرّسالة العمليّة فقط، فدائماً يسألون : هل هذا العمل يجوز أو لا
يجوز ؟ وهل هذا الشيء حلال أو حرام ؟

وهذا على أساس العمل الخارجيّ فقط، ولكنّ العمل الخارجيّ له

انعكاس على قلب الإنسان، وإذا لم يوجد عند الإنسان تصوّر عن الانعكاس القلبيّ فحينما يصلّي يأتي بالعمل الخارجيّ فقط، ولا يأتي بالعمل القلبيّ، وهذا الشخص لا يتغيّر خلال حياته؛ لأنّه لا يوجد عنده اطلاع على العمل الباطنيّ القلبيّ وعلى الأحكام القلبيّة المرتبطة بالعبادات وبغير العبادات من الأعمال العاديّة التي يقوم بها، فلا يعرف الأحكام القلبيّة المرتبطة بالصلاة ولا بالصيام وغيرهما .

ويأتي شهر رمضان ويذهب الشّهر وأوضاع المسلمين بشكل عامّ ثابتة لا تتغيّر، وإذا لم تتغيّر أوضاعهم الخارجيّة فسبب ذلك أنّهم لا يتغيّرون قلبيّاً من ممارسة العبادات وغير العبادات، وقد تكون أوضاع المسلمين لا أنّها ثابتة فقط بل تتردّى يوماً بعد يوم إلى الأسوأ، وأفراد المسلمين يشكّلون المجتمع، وكلّ فرد يساهم في المجتمع بدرجة، وإذا كان جميع الأفراد أقوياء فالمجتمع يكون قوياً بنسبة ١٠٠%، وإذا كان نصف المسلمين أقوياء فالمجتمع يكون قوياً بنسبة ٥٠%، ويكون ضعيفاً بنسبة ٥٠%، والمجتمع الذي يكون ضعيفاً بنسبة ٥٠% فإنّه يعتبر مجتمعاً ضعيفاً، فكلّ فرد يساهم في قوّة المجتمع أو ضعفه، وكلّ فرد عليه تكليف فرديّ وتكليف اجتماعيّ، فتكليفه الفرديّ أن يكون قوياً، وتكليفه الاجتماعيّ أن يساهم في تقوية الأفراد الآخرين؛ لكي يصبح المجتمع قوياً بنسبة ١٠٠% .

والله تعالى يعلم إلى أيّ حدّ يساهم كلّ فرد من المسلمين في ظهور الإمام المهديّ عليه السّلام، وهذا تكليف على كلّ فرد فرد من

المسلمين، ومن الممكن أن يعيش الإنسان الأنانيّة، ولا يهتمّ بما يحدث في العالم، فلا يساهم في ظهور الإمام عليه السّلام، ولا يصل إلى درجة الأنصار .

إنّ مهمّة المؤمنين مهمّة عظيمة في عصرنا؛ لأنّ أمامهم ظهور الإمام عليه السّلام، والعالم كلّه ينتظر الظهور الشّريف، لا فقط الشيعة ينتظرون، بل العالم كلّه ينتظر، فأتباع كلّ دين ومذهب ينتظرون المصلح العالميّ الذي سيصلح أوضاع العالم، والبوذيّ يعتقد أنّ المصلح العالمي يكون بوذيّاً، ومن يقدّس البقرة أو القرد يعتقد بظهور المصلح العالميّ، وأنّ النّاس بعد ظهوره يقدّسون البقرة أو القرد، فكلّ شخص يعتقد بالمصلح العالميّ، فهو يرى المشاكل في العالم، ويأس من الحلول المطروحة، فينتظر الفرج، وهذا غير مقتصر على ديننا أو على مذهبنا، بل يشمل جميع الأديان والمذاهب، فيعتقدون بإنسان مصلح أو المسيح، والمسيح بمعنى المخلّص، فكل إنسان يعتقد بالمصلح، وينتظر الفرج؛ لكي يعمّ السّلام والعدل والأمان في العالم، وكلّ إنسان يريد أن يشعر بالأمان حينما يخرج من بيته، وحينما يسافر ويترك بيته يرجع ويرى بيته كما تركه، ويمكنه أن يسافر من غير أن يتعرّض له أحد حتّى لو كان مسافراً سيراً على الأقدام .

عن الإمام الباقر عليه السّلام قال : "يقاتلون والله حتى يوحد الله، ولا يشرك به شيئاً، وحتّى تخرج العجوز الضّعيفة من المشرق تريد المغرب ولا ينهاها أحد، ويخرج الله من الأرض بذرها، وينزل من

السَّماء قطرها . . . " (١) .

والحيوانات لا تتعرّض لبعضها البعض؛ لأنّ العدل والسّلام سينتشر حتى بين الحيوانات، وحتى الجمادات ستشعر بالعدل .

مثلاً الأرض التي تُزرع الآن بالمخدّرات ستزرع بالمحاصيل التي تنفع الناس، وزراعتها بالمخدّرات خلاف العدل بالنّسبة لهذه الأرض، والأرض ستستفيد من العدل، فتُزرع بالخضروات والفواكه وما يحتاج النّاس إليها، لذلك فالخيرات ستعمّ الأرض، ويوجد فائض بحيث إنّ الإنسان لا يضطرّ إلى تخزين الطّعام في بيته، وبيت المال مفتوح لجميع النّاس، ولكن لا أحد يذهب ليأخذ منه، فالخيرات تزيد؛ لأنّ الأراضي يُستفاد منها .

وترون في الجرائد صوراً لفواكه وخضروات بأحجام كبيرة كالقرع أو الطّماطم، والبشريّة ستستفيد من الأراضي في زيادة المحاصيل الزراعيّة، وترى بعض الدّول اليوم عندها ماء وأراضي صالحة للزّراعة، ولكن شعبها يعاني من الفقر، وتتعبّج من أين يأتي الفقر إذا وُجد الماء والأرض الصّالحة للزّراعة!؟

والدّولة إذا زرعت الأراضي الصّالحة فإنّها ستحصل على الاكتفاء الدّائيّ، وتستغرب من انتشار الفقر والمجاعة في دولة يوجد فيها أرض وماء، فالوضع ليس طبيعيّاً، وتوجد عوامل مختلفة داخلية وخارجية تساهم في هذه الأوضاع السيّئة للبلدان .

(١) تفسير العياشي ج ٢ ص ٦١ .

خلاصة الموضوع :

أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام لا بدّ من أن يكونوا بصفات معيّنة، فيكونون مخلصين ممخّصين، أي مرّوا بتجارب وابتلاءات ونجحوا فيها، وأثبتوا إخلاصهم وجدارتهم وإيمانهم القويّ، فأبى مصيبة تأتي عليهم ينجحون فيها مهما كان نوع البلاء، وإذا أثبتوا جدارتهم فإنّ الإمام عليه السّلام سيختار هؤلاء المخلصين الممخّصين؛ لكي يساهموا معه في نشر العدل في العالم، فهم في قمة العدالة، واختيار الإمام عليه السّلام للأنصار ليس اختياراً عشوائياً، بل هو اختيار لمن يحقّق في نفسه هذه الصّفات، والباب مفتوح لجميع المؤمنين بأن يصبحوا من الأنصار، وليس حكراً على أشخاص معيّنين، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، والطّريق مفتوح أمامك، فإذا كنت تريد أن تكون من الأنصار فاعرف مواصفات الأنصار وحقّقها في نفسك فتصبح منهم، والإمام عليه السّلام سيختارك، ويكونون من الأشخاص الذين يُفقدون من فرشهم أو الذين يطّيرون في السّحاب، فيجدون أنفسهم في مكّة المكرّمة في يوم الظّهور، وهؤلاء يعلمون أنّهم من الأنصار، وتوجد علامات سابقة لهم من الإمام عليه السّلام، وهم لا يعملون بشكل عشوائيّ، فهم قد حقّقوا المواصفات في أنفسهم، وينتظرون اختيار الإمام عليه السّلام لهم، وينتظرون هذا الأمر، والإمام عليه السّلام لا يختار أنصاره على أساس أوراق اليانصيب، فيسحب منها وصدفةً يكون فلان أو فلان من الأنصار، فالعمل ليس عشوائياً،

فالإمام عليه السّلام يعلم بأحوال النّاس، فيعلم أنّ فلاناً قد حقّق المواصفات في نفسه فيختاره ليكون من الأنصار، وفلاناً لم يحقّق المواصفات في نفسه فلا يختاره ليكون ضمن الأنصار، والإمام عليه السّلام يختار ضمن هذه المواصفات، فمن يحقّق قَمّة العدالة في نفسه فالإمام عليه السّلام يختاره، فالإمام عليه السّلام يختار الأنصار على أسس وقواعد لا بطريقة عشوائية .

فَسأَل : هل تريد أن تكون من الأنصار ؟

إنّ المواضيع الّتي نطرحها في المحاضرات تحتاج إلى تفكير، وحينما ترجع إلى البيت إلى الأسبوع القادم فكّر في هذه المواضيع، وقم بتحضير بعض الأسئلة؛ لكي يتحرّك المجلس ضمن السّؤال والجواب، ولا تكونوا مستمعين فقط، وليكن التّفكير مستمرّاً معك؛ لأنّك تريد أن تكون من أنصار الإمام عليه السّلام، ولا يوجد أحد يقول بأنّه لا يريد أن يكون من الأنصار، ومن يريد أن يكون من الأنصار فلا بدّ من أن يعمل بجدّ؛ لكي يصل إلى هذه المرتبة العالية، والعمل كبير وكثير وصعب، ولا يمكن أن يكون من الأنصار من لا يعمل بجدّ، فلا بدّ من أن يعيش تصوّرات الأنصار، ويقوم بأعمال مترتّبة على هذه التّصوّرات، ولا بدّ من أن يكون محيطاً بالإسلام، ويعرف ماذا يريد الدّين منه أن يحقّقه، وبدون علم يستحيل أن يصبح من الأنصار، فالأنصار لا يكونون من الجهلاء، لذلك يقال بأنّ أكثر الأنصار يكونون من العلماء، ولا يمكن لإنسان جاهل أن يبلغ مرتبة الأنصار،

والإمام عليه السّلام لا يختار الجاهل ليكون من أنصاره، وكلّما تعلّم دينه أكثر يكون مؤهّلاً ليصبح من الأنصار، ومن يقول بأنّه لا شأن لي بعلم العقائد ولا بعلم الأخلاق ولا بالرسالة العمليّة فهذا يستحيل أن يصبح من الأنصار، والمؤمن يحتاج إلى العلم؛ لكي يتحرّك، فيحتاج إلى الفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ والفقه العمليّ، بالإضافة إلى مفاهيم الدّين، وهي مهمّة جدًّا، وهي ما نطرحها في محاضرات الديوانيّة .

مثلاً يحتاج إلى تصوّرات عن التّوحيد، يقول إنّ الله سبحانه واحد، فما معنى أنّ الله واحد؟

إذا لم يوجد عنده اطلاع عن كون الله واحداً فإنّه يحصل عنده تصوّر أنّه لا يوجد إله ثانٍ، وهذا مقدار بسيط، وتوجد معانٍ أخرى . ونقول إن صفات الله تعالى عين ذاته، فما معنى هذه العبارة؟

وإذا لم توجد عنده تصوّرات عن الله سبحانه فإنّه يصل إلى التّجسيم؛ لأنّه لا يمكنه أن يتصوّر الأمور المجرّدة عن الجسميّة، والإنسان الذي لا يأخذ العلم من أهل البيت عليهم السّلام فإنّه في آخر المطاف يصل إلى تجسيم الله سبحانه .

وكذلك لا يمكنه أن يتصوّر صفات الله تعالى، فيتصوّر صفات الله عزّ وجلّ كما يتصوّر صفات الإنسان، فالإنسان العالم كان جاهلاً ثم صار عالماً، فيتصوّر أنّ علم الله تعالى صفة زائدة عليه سبحانه، وإذا كان العلم صفةً زائدةً فنسأل : هل هذه الصّفة كانت موجودةً مع الله

تعالى منذ الأزل أو أنّها استجدّت على الله عزّ وجلّ بعد ذلك فتكون
صفة إضافية على الله سبحانه ؟

وإذا قلنا بأنّ الصّفة كانت موجودةً مع الله منذ الأزل فيصبح عندنا
إلهان : الله وهذه الصّفة كالعلم .

وإذا قلنا بأنّها صفة إضافية فمعناه أنّ الله كان ناقصاً ثمّ صار
كاملاً، وهذا نقص في الله سبحانه، والإله الذي فيه نقص ليس هو
الله الذي نعتقد به .

وهذه معلومات بسيطة، ولكنّ الإنسان يحتاجها حتّى يكون
مُوجِّداً، ولا بدّ من أن يعرف معنى التّوحيد، وكذلك يحتاج إلى
تصوّرات عن التّبوّة وعن الإمامة وعن المعاد .

وإذا لم يدرس علم العقائد ويستوعب هذه المعلومات تنشأ عنده
تصوّرات خاطئة، نعم هو مسلم يصلّي، ولكن تصوّره عن الله تعالى
تصوّر خاطئ، وحينما يقول : أصليّ قربةً إلى الله تعالى - يتصوّر الله
سبحانه في مكان وهو يقترب إلى ذاك المكان، كما يصوِّرون الإله في
الرّسوم المتحرّكة أنّه رجل جالس على العرش فوق السّحاب، وله لحية
بيضاء طويلة، وعلى رأسه تاج، وبيده صولجان، وهذا التّصوّر الطّفوليّ
للإله قد يستمرّ حتّى مع الإنسان الكبير السنّ، فقد يتصوّر أنّ الإله
جالس على عرش فوق السّماوات السّبع، وينظر إلى الأرض، وهذا
تصوّر طفوليّ، قد يكون كبيراً في العمر، ولكن عنده هذا التّصوّر
الخاطئ عن الله سبحانه .

وبعض مذاهب المسلمين تقول بأن الله له جسم، ولكنّه لا كالأجسام، وله يد، ولكن ليست كالأيدي، وهذا التّصوّر للإله تصوّر طفوليّ، فإنسان عمره سبعون سنة، ولكن لا يمكنه أن يتصوّر أن الله سبحانه ليس بجسم، وإذا كان له جسم فهو مثلك يحده زمان ومكان، والإله الحقيقيّ يكون فوق الزّمان والمكان؛ لأنّه خلقهما، فيستحيل أن يحده زمان أو مكان .

وهذه معلومات أوّليّة في العقائد، ولكنّ المسلم يحتاجها، فإذا لم يدرس علم العقائد الصّحيحة فإنّه يصل إلى التّجسيم، وإذا لم يدرس علم الأخلاق فلا يمكنه أن يستفيد من العبادات، ولا يعرف أنّ عبادته مقبولة أو غير مقبولة، وإذا لم يدرس الرّسالة العمليّة فلا يعرف أن عمله صحيح أو باطل .

وهذه المعلومات من العلوم الثلاثة : العقائد والأخلاق والعمل، مندمجة في العمل الواحد، ولا يمكن الفصل بين الأحكام في العلوم الثلاثة في أيّ عمل من الأعمال التي يقوم بها الإنسان، ويحتاج إلى معرفة مفاهيم الدّين؛ حتّى يمكنه أن يربط بين العلوم الثلاثة في العمل الواحد، وإذا لم يوجد عنده الجوانب المفهوميّة من الدّين فلا يمكنه أن يربط بين المسائل الدّينيّة، وهذه هي حاجة الإنسان إلى المفاهيم .

وفي محاضرات الدّيواتيّة نطرح المواضيع التي تبين للمؤمن دينه، ويستفيد المؤمنون منها، والحجّة قائمة عليهم، فيجب أن يتعلّموا معالم دينهم، والشّخص الذي لا يحضر مجالس العلماء، ولا يستمع إلى

محاضراتهم لا يكون معذورًا، وبعض المؤمنين لا يحضرون مجالس العلماء، والمعلومات لا بدّ من أن تنتشر بين المؤمنين؛ حتى يمكن أن تحدث عندنا حركة لا على نحو الأفراد والحركة الفردية فقط، بل أيضًا على نحو الجماعة الإيمانية والحركة الجماعية الإيمانية، ونتعاون ونساهم جميعًا في ظهور الإمام المهدي عليه السلام .

والحمد لله رب العالمين وصلّى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

أسئلة وتعليقات الحاضرين :

الحاج عادل الحداد :

بالنسبة للتزكية هل هناك من يزكي ويرشّح هذا الإنسان أو هناك أعمال معينة تؤهله أو هناك برامج معينة يسير عليها؛ لكي يكون من أنصار الإمام عليه السلام ؟

وذكرتم موضوع التغيير، وعادةً ما يُطرح في المجتمع التغيير من الناحية الحياتية أو الناحية المادية أو من ناحية التطوير والتنمية وغيرها من العناوين .

ويُجرّ هذا المصطلح في اتجاه معيّن، مثلاً في فترة الانتخابات ونزول المرشّحين يطرح هذا المصطلح من أغلب المرشّحين، ولكنكم تطرحون التغيير من زاوية أخرى وجانب آخر مهمّ، ويغفل عنه قطاع كبير من الناس، فهل التغيير هو ما يطرحه المرشّحون في برامجهم الانتخابية أو التغيير يكون في جانب آخر ؟

جواب الشيخ محمد أشكناني :

برنامج التزكية للإنسان هو الالتزام بجميع أحكام الدين لا الأحكام الموجودة في الرسالة العملية فقط، وإنما الالتزام بالأحكام العقائدية والأحكام الأخلاقية والأحكام العملية، فيلتزم بالأنواع الثلاثة من الأحكام مع وجود الجانب المفهومي في عملية الربط بين الأحكام المختلفة، ويتكامل تدريجياً من خلال استفادته من المعلومات ويصعد إلى الله تعالى، والتكامل يكون عن طريق الاستفادة من المعلومات عن حركة المؤمن، وإذا لم يعرف كيفية الاستفادة من المعلومات فلا يمكنه أن يتكامل .

وهذا مثل الإنسان الذي تقدّم له سيارة، ولكنه لا يعرف كيف تعمل هذه السيارة، فيصعد فيها، ولكنه يقف في مكانه ولا يتحرك إلى الأمام، ولا يقطع المسافات، ولا يستفيد منها في الحركة .

والمؤمن عنده وسائل للحركة، كالصلاة، فإذا لم يعرف كيف يستفيد من الصلاة؛ لأجل أن يتحرك بواسطتها فإنه يقف في مكانه، ولا يتحرك، ولا يتكامل، ولا يصعد إلى الله تعالى، فيأتي في الصلاة بالأقوال والأفعال، ولكنه يكون ثابتاً في مكانه، ولا يتكامل، لذلك فإنّ كيفية تشغيل العبادات أمر مهمّ للمؤمن؛ حتى يمكنه أن يتحرك ويتكامل، وهذا أمر مهمّ جداً في أنّه كيف يمكن لك أن تُفعل الصلاة في حياتك بحيث تستفيد منها في التقرب إلى الله تعالى وفي عملية التكامل؟

وهذا أمر مهم جداً، فقد يصلي الشخص ولا يعرف كيف يستفيد من الصلاة، قد يصلي ٣٠ أو ٤٠ سنة، ويهتم بالجانب العملي الخارجي فقط، وهذا المقدار لوحده لا يحرك الإنسان، فالجانب العقائدي والجانب القلبي أثناء القيام بالعمل يحركان المؤمن، فيحتاج إلى جميع أحكام الدين في الجوانب الثلاثة .

ولا يمكن لنا تركية الآخرين ولا تركية الآخرين لنا؛ لأننا لم نطلع على بواطن الآخرين، ولا هم مطلعون على بواطننا .

مثلاً إذا رأيت عامل نظافة فهل يمكنك تقييمه؟ وهل يمكن أن تقول: أنا أفضل منه عند الله تعالى؟

لا يمكن أن تقول ذلك، ولا تعرف منزلته عند الله تعالى، والناس عادة ما يستخفون به، ولكن لا نعلم قيمته عند الله عز وجل، وقد يكون أفضل منا عند الله تعالى، حتى لو كانت عندك معلومات أو كنت معممًا؛ لأن قيمة الإنسان ليست بكثرة المعلومات في الذهن، وإنما بمقدار الاستفادة من المعلومات، فعامل النظافة إنسان بسيط، ولكنه قد يكون ولياً من أولياء الله تعالى .

ولا يمكننا تقييم الآخرين، ولا يمكن أن تقول إن من يعمل طبيياً أو مهندساً أفضل منه عند الله تعالى، نعم الطبيب والمهندس ومن يلبس العمامة تكون معلوماتهم أكثر، ولكن يأتي السؤال التالي: هل عملهم أكثر بحيث يتناسب مع كمية معلوماتهم؟

ولا يدخل أحد المسجد ويصيبه العجب والغرور .

ويقول : أنا أفضل الموجودين في المسجد .

هنا هو يقيّم الآخرين، ولكن تقيّمه لا يكون صحيحًا؛ لأنّه غير مطّلع على بواطنهم، ولكنّ الإمام عليه السّلام عنده اطلاع على البواطن، فيمكنه أن يقيّم ويركّي، ولا يمكن لغير المعصوم عليه السّلام أن يقيّم النّاس ويركّيهم، فلا يمكن أن يقول : هذا أفضل من ذاك، أو يقول : أنا أفضل من فلان، أو يقول : هذا من الأنصار، وذاك ليس من الأنصار .

وبالنّسبة للتّغيير توجد أنواع للتّغيير، مثلاً العالم الآن متغيّر من ناحية التّطوّر المدنيّ، ولكن من ناحية التّغيير الأخلاقيّ فالعالم في تديّي وتسافل، فإذا كان تقيّمنا من ناحية التّغيير الخارجيّ على أساس الاختراعات فنقول بأنّ العالم قد وصل إلى القمّة، ولكنّ الآن بالنّظر إلى التّغيير الباطنيّ القلبي هل العالم يعيش التّكامل أو التسافل ؟

التّسافل بلا شكّ، فمن ناحية أخلاقيّة يعيش العالم اليوم في تسافل، فمن ناحية المدنيّة يعيش العالم التّطوّر، ولكن إذا أردنا أن نقارن بين المدنيّة والحضارة فالعالم يعيش المدنيّة، ولكنّه لا يعيش الحضارة، والحضارة يدخل فيها الدّين والأخلاق، وأحياناً يستعملون كلمة "الحضارة" بدل "المدنيّة" .

يقال : حضارة القرن الواحد والعشرين .

نقول : هذه مدنيّة وليست حضارة؛ لأنّ الدّين والأخلاق يدخلان ضمن الحضارة، فالمدنيّة مع الدّين والأخلاق تنقلب إلى حضارة .

والفساد منتشر اليوم في العالم بشكل كبير جداً، حتى أننا عُزِينَا في
عقر دارنا، وتجد كثيراً من القنوات الفضائية الفاسدة في بلدان
المسلمين .

ومن ناحية الحضارة فالعالم يعيش اليوم في الحضيض، وسينزل إلى
حضيض أكثر، والأرض ستمتلئ بالظلم والجور، وسيأتي الإمام
المهدي عليه السلام ليملاًها قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت ظلمًا وجورًا،
والظلم سينتشر في العالم، ولكن هذا لا يعني أنه لا يوجد مؤمنون،
يوجد مؤمنون، وسيخرج منهم أنصار الإمام عليه السلام، والدّين
موجود اليوم على التّحو الأفراديّ لا على التّحو الجماعيّ .

والتّغير المطلوب أوّلاً هو التّغير القلبيّ، وإذا تغيّر الإنسان من
ناحية قلبية وكان يتقرّب إلى الله تعالى فالتّغير الخارجيّ يكون أمرًا
طبيعيًا مترتبًا على التّغير القلبيّ .

والاختراعات في عصر الإمام المهديّ عليه السلام ستكون أضعاف
أضعاف ما نعيشه اليوم من اختراعات، بل في بعض الروايات أنّ
العوالم تفتح على بعضها البعض، ومعنى ذلك أنّ المؤمن في زمان
الإمام عليه السلام يرى الملائكة، والملائكة تتعامل معه، ويرى
الملائكة؛ لأنّ طبيعة الإنسان أنّه حينما يتكامل ويتكامل فإنّه يصبح
إنسانًا ملائكيًا، فيمكنه التّواصل مع الملائكة، ولا يكون إنسانًا
دنيويًا، نعم يأكل ويشرب ويأخذ من الدّنيا ما يحتاجه من مادّيّات،
ولكنّه لا يعيش حالة العبوديّة للدّنيا، فيصعد من ناحية قلبية باطنيّة

روحية ويصبح مثل الملائكة، وبطبيعته الملائكية يمكن أن يتكلم مع الملائكة، وفي الرواية : "لصافحتم الملائكة" .

عن سلام بن المستنير قال : كنت عند أبي جعفر عليه السلام فدخل عليه حمران بن أعين وسأله عن أشياء، فلما همّ حمران بالقيام قال لأبي جعفر عليه السلام : أخبرك - أطال الله بقاءك لنا وأمتعنا بك - أننا نأتيك، فلما نخرج من عندك حتى ترقّ قلوبنا، وتسلو أنفسنا عن الدنيا، ويهون علينا ما في أيدي الناس من هذه الأموال، ثم نخرج من عندك فإذا صرنا مع الناس والتجّار أحببنا الدنيا . قال : فقال أبو جعفر عليه السلام : "إنما هي القلوب مرة تصعب ومرة تسهل" . ثم قال أبو جعفر عليه السلام : أما إن أصحاب محمد صلى الله عليه وآله قالوا : يا رسول الله، نخاف علينا التفاق . فقال : ولم تخافون ذلك ؟ قالوا : إذا كنّا عندك فذكرتنا ورعبتنا وجلنا ونسينا الدنيا وزهدنا حتى كأننا نعاين الآخرة والجنة والنار ونحن عندك، فإذا خرجنا من عندك ودخلنا هذه البيوت وشمنا الأولاد ورأينا العيال والأهل يكاد أن نحول عن الحال التي كنّا عليها عندك وحتى كأننا لم نكن على شيء، أفتخاف علينا أن يكون ذلك نفاقاً ؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله : "كلا، إنّ هذه خطوات الشيطان، فيرغبكم في الدنيا، والله لو تدومون على الحالة التي وصفتم أنفسكم بها لصافحتم الملائكة ومشيتم على الماء، . . ." (١) .

(١) الكافي ج ٢ ص ٤٢٣-٤٢٤ ح ١ .

الحاج عادل الحدّاد :

توجد نظرة وهي أنّه إذا لم يكن الإنسان مع المدنيّة فهو إنسان متخلّف، وهذه النظرة مطروحة، مثلاً إذا لم يتعامل مع الأجهزة الحديثة والتّقنيّة فهو متخلّف .

جواب الشّيخ محمّد أشكناني :

لا يوجد الآن إنسان لا يتعامل مع الأجهزة، ولا يوجد شخص يريد أن يعيش في كوخ .

سؤال : ما هي النظرة الإسلاميّة الإيمانيّة للاختراعات ؟

الجواب :

تستفيد من الاختراعات بما يقربك إلى الله تعالى، فتتكامل بواسطة استعمالك للجهاز، والإسلام ليس ضدّ الاختراع، اعطني جهازاً أو آلة بشرط أن ينشر العدل في العالم، نعم الجهاز له جهتان : جهة صلاح وجهة فساد، وأنت تستفيد من الجهاز في جهة الصّلاح، والمؤمن ليس ضدّ الاختراعات، ولكنّه ضدّ الاختراع الذي يساهم في فساد الإنسان، ومع الاختراع الذي يساهم في صلاح البشر، والإسلام ضدّ القنبلة الدّريّة؛ لأنّها تدمّر دماراً شاملاً، وتؤدّي إلى قتل الآلاف بل الملايين من البشر، وتوجد أنواع من القنابل تقتل البشر ولا تؤثّر على الجمادات من الأبنية وغيرها، ولا تؤدّي إلى صلاح البشريّة، فالإسلام يؤيّد كلّ ما يساهم في صلاح البشريّة، ويعترض على كلّ ما يساهم في فساد البشريّة .

سؤال : هل يوجد فرق أمام الله تعالى أن يصلي المسلم على سجادة من حصير أو سجادة حديثة ؟ وهل تساهم السجادة الحديثة في زيادة الخشوع أثناء الصلاة ؟

الجواب :

لا يوجد فرق أمام الله تعالى إذا صلى على سجادة من حصير أو سجادة حديثة، فالمهم هو أن تكون صلاته صحيحةً ومقبولةً صلى على أيّ منهما .

سؤال : هل يفرق عند الله تعالى إذا تحدّث للناس مع مكبر الصوت أو بدون مكبر الصوت ؟

الجواب :

لا يوجد فرق عند الله عزّ وجلّ .

إذن :

إن الاختراع بما هو اختراع لا يؤثّر في علاقة الإنسان بالله تعالى، نعم يمكن أن يكتسب ثوابًا أكثر بواسطة الجهاز أو الآلة .

مثلاً العالم في المسجد يجيب عن أسئلة عشرة أشخاص، والآن يستفيد من الوسائل الحديثة ويجيب عن أسئلة الناس في العالم، والأسئلة تأتيه من الشرق والغرب، ويساهم في هداية الناس وتقوية إيمانهم وتعليمهم دينهم، وهو يمكنه أن يزيد من قوّة علاقته بالله تعالى، فإذا استفاد الإنسان من الاختراع في تقوية علاقته بالله عزّ وجلّ فهذا الاختراع مطلوب .

الحاج عادل الحدّاد :

تأتي هنا مسألة الضّمان، والمشكلة أنّه إذا لم تكن الجوانب الثلاثة من أحكام العقائد والأخلاق والعمل واضحةً عند الشّخص فيكون الضّمان مفقودًا، هو يشتري الجهاز، فما هو الضّمان في أنّه يستعمل الجهاز في الجانب الإيجابيّ ويتعد عن الجانب السّلبيّ؟

جواب الشّيخ محمّد أشكناني :

الضّمان يأتي أولاً عن طريق تعلّم أحكام الإسلام، وثانيًا تطبيق هذه الأحكام، وإذا كان يعرف الأحكام ويعمل على أساسها فيمكنه الاستفادة من كلّ شيء موجود في الكون، ولكن إذا فقد الإنسان العلم ولم يطلّع على أحكام الدّين فمن الطّبيعيّ أنّه ينحرف بواسطة هذه الأجهزة؛ لأنّه لا يوجد عنده تقوى وورع، والشّيطان شاطر في هذه القضايا، فيستفيد الإنسان من الأجهزة في تحقيق رغباته الشّيطانيّة الموجودة عنده، ولا يستفيد منها في تحقيق الرّغبات الإلهيّة؛ لأنّه لا يعرف الأحكام الإلهيّة، وإذا لم يعرف الأحكام الدّينيّة فمن الطّبيعيّ أنّه لا يوجد ضمان في استعمال الجهاز في الطّريق الخاطئ والطّريق المنحرف وطريق الضّلال، وهذه هي نتيجة طبعيّة لمن لا يعرف أحكام الدّين .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٣٢)

الأنصار الممخّصون^(١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطيّبين الطاهرين .

كان الكلام عن مواصفات أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام، وذكرنا شروط الجهاد، وأنّ الجهاد يحتاج إلى أفراد ممخّصين مرّوا بتجارب وابتلاءات كثيرة ونجحوا فيها، وأنصار الإمام عليه السّلام لا بدّ من أن يكونوا ضمن مواصفات عالية، كما كان أصحاب النّبّيّ صلى الله عليه وآله الذين كانوا ضمن هذه الصّفات العالية، كسلمان الحمّديّ والمقداد وأبي ذرّ وعمّار، هم مجموعة من الأصحاب الذين كانوا يحيطون بالنّبّيّ صلى الله عليه وآله، وأثبتوا جدارتهم من خلال الابتلاءات في ذلك الزّمان، فالجهاد يحتاج إلى صفات من الدّرجة العالية؛ لأنّ أنصار الإمام عليه السّلام على عواتقهم مهمّة عظيمة،

(١) أُلْفِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيواتيّة الأسبوعيّة في دولة الكويت منطقة

بيان، الجمعة ١٧ رجب ١٤٣٣ هـ ، ٨/٦/٢٠١٢ م .

ولا بدّ من أن تكون صفاتهم بعظمة هذه المهمة التي هي نشر العدل في العالم، ونشر العدل في العالم ليس أمرًا سهلاً، والأشخاص الذين يقومون بهذه المهمة العظيمة لا بدّ من أن يكونوا من العظماء بقدر عظمة هذه المهمة، ونشر العدل في العالم مهمة كبرى تقوم على أكتاف الممحصين إيمانياً، ومن ينشر العدل لا بدّ من أن يكون عادلاً في أعلى درجات العدالة والإخلاص وإلا فإنّ نشر العدل في العالم سيفشل .

والنبيّ صلى الله عليه وآله كان يحارب أعداء الدّين بالمؤمنين القلّة والثلّة منهم، وهم الذين كانوا معه ويعتمد عليهم، وعلى رأسهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهما السّلام، وكانوا يشكّلون بعضاً من الذين أسلموا، وهؤلاء القلّة توقّرت فيهم الصّفات المطلوبة، واستطاعوا الانتصار مع قلّتهم، ولكن درجاتهم الإيمانيّة العالية جعلتهم مستعدّين للتضحية بأرواحهم في سبيل الله تعالى دفاعاً عن دينهم ونيّهم صلى الله عليه وآله، ومن يضحيّ بنفسه في سبيل الله تعالى لا يمكن أن تكون صفاته عاديّة كباقي النّاس؛ لأنّ حياة الإنسان غالية عنده، ولا يمكن أن يتنازل عنها وعن الدّنيا بسهولة، فمن يضحيّ بنفسه يتنازل عن حياته، وهذا أمر مهمّ وهو أنّ من يضحيّ بنفسه عنده صفات معيّنة بحيث يسترخص نفسه في سبيل حفظ الدّين .

وهؤلاء القلّة هم الذين استوعبوا القضيّة الإسلاميّة، وأمّا الأکثريّة من المسلمين فكان المحرّك لهم العاطفة الإيمانيّة ووجود النبيّ صلى الله

عليه وآله معهم؛ لأنهم لم يمروا بمراحل التّمحيص، ولم يوجد عندهم الوعي الكافي بالإسلام، فوجود النبيّ صلى الله عليه وآله أعطاهم العاطفة الجياشة، وفي حروب النبيّ صلى الله عليه وآله كان الأكثرية يهربون من المعركة، ومع وجود النبيّ صلى الله عليه وآله والعاطفة الإيمانية عندهم كانوا يتحرّكون في البداية معه صلى الله عليه وآله، ولكن حينما يشتدّ البلاء تجد أنّ المحيطين به صلى الله عليه وآله قلّة قليلة، ونحن هنا لا نطرح شيئاً جديداً، فهو مذكور في كتب التاريخ .

والمحيطون بالنبيّ صلى الله عليه وآله كانوا على درجات إيمانية مختلفة، فمنهم من كان في الدّرجة العالية، ومنهم من كان في الدّرجة الدّنيا، وعادةً من يكونون في الدّرجات العالية هم القلّة، ويتفاوت باقي المسلمين في الدّرجات الإيمانية من الدّرجة الدّنيا إلى الدّرجة العليا، والأكثرية من المحيطين بالنبيّ صلى الله عليه وآله لم يمروا بالتّمحيص الكافي حتّى يثبتوا جدارتهم، نعم القلّة نجحوا في الامتحانات والابتلاءات .

وبمجرّد استشهاد النبيّ صلى الله عليه وآله خفّت العاطفة الإيمانية عند أكثر المسلمين تدريجياً؛ لأنّ وجود النبيّ صلى الله عليه وآله كان يعطيهم الزّخم العاطفيّ، وبمجرّد استشهاده صلى الله عليه وآله انقطع هذا الزّخم العاطفيّ، وهؤلاء المهاجرون والأنصار كانوا مستعدّين للتّضحية في سبيل الله تعالى مع وجود النبيّ صلى الله عليه وآله، والبعض من الأنصار قال بما معناه بأنّه لو نشرنا وقتلنا ونموت ونحيا

ويفعل بنا ذلك سبعين مرّة لما تركنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ،
فهؤلاء لماذا تغيّروا بعد استشهاد النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؟
تغيّروا؛ لأنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كان مصدر العاطفة الإيمانيّة،
وبمجرّد فقْدِ المصدر انتهت هذه العاطفة .

والنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كان يرسل السّرايا إلى الفرس والروم،
وأرسل سرّيّة أسامة بن زيد في آخر حياته، وحشد فيها المسلمين،
والعاطفة الإيمانيّة كانت موجودةً عند المسلمين، ولكن بعد استشهاد
النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تحوّلت الغزوات إلى مكاسب تجاريّة مادّيّة
دنيويّة، والتّاريخ ينقل أنّ البعض بعد وفاته كان عنده من الذهب ما
يُكسّر بالفؤوس، وكان عند البعض كثير من الأموال التي دخلت
عليهم من الغزوات، والبعض كان عنده كثير من الأنعام، وكانت
الحروب في زمن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في سبيل الله تعالى ونشر
الدّين في العالم، ولكن بعد استشهاد النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تحوّلت
الحروب إلى مكاسب مادّيّة، والتّاريخ ينقل ذلك .

وأنصار الإمام المهديّ عليه السّلام لا بدّ من أن يكونوا من ممخّصي
الإيمان، ويكونون قد مرّوا بابتلاءات ممحصّتهم، وأثبتوا إيمانهم، وأنهم
مستعدّون للتّضحية في سبيل الله تعالى، والإمام عليه السّلام حينما
يظهر فإنّ أنصاره يكونون من المؤمنين من الطّراز الأوّل الذين تتوقّر
فيهم الصّفات الإيمانيّة العالية؛ لأنّهم ممخّصو الإيمان والإخلاص،
وعندهم الوعي الكافي بالقضيّة الإسلاميّة، ويعرفون ماذا يريد الإسلام

منهم، وعندهم العلم بما يريده الدّين، ويعرفون تكاليفهم قبل الظهور
وبعد الظهور .

ومرور البشريّة بالظروف القاسية والتّجارب الطّويلة الصّعبة من وفاة
النّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى ظُهُور الإمام عليه السّلام - يساهم في
إنتاج هؤلاء الأنصار بالصفّات المطلوبة، وفي عصر الغيبة الكبرى يمرّ
المؤمنون بالابتلاءات، وكلّ شخص يكون قد مرّ بتجارب كثيرة، ولا
بدّ من أن ينجح في الامتحان إذا أراد أن يكون من أنصار الإمام
عليه السّلام، والعملية صعبة جدًّا، فالإنسان الذي يريد أن يكون من
الأنصار لا بدّ من أن توجد فيه مواصفات عالية، أي يكون مثل
سلمان المحمّديّ وأبي ذرّ وعمّار، وقرأ عن حياة سلمان المحمّديّ
وانتقاله من بلاد فارس إلى وصوله إلى المدينة المنوّرة، وسترى أنّه كم
عانى إلى أن وصل إلى النّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وقرأ عن معاناته
حينما كان في زمان النّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وكان سلمان المحمّديّ
بتلك الصّفات الإيمانيّة العالية، ومن يريد أن يصبح من أنصار الإمام
عليه السّلام فمعناه أنّه يريد أن يكون سلمان زماننا أو أبا ذرّ زماننا
أو عمّار زماننا أو مقداد زماننا، وتحقيق هذه الصّفات في النّفس
ليست عمليّة سهلة؛ لأنّ المطلوب من الإنسان النّجاح في جميع
الأمر الدّنيويّة المحيطة به، والمفروض أنّ القلب لا يكون متعلّقًا
بالدّنيا، وإذا كان عنده شيء من التّعلّق الدّنيويّ فيستحيل أن يصبح
مثل أبي ذرّ، ولا بدّ من أن يتخلّص من التّعلّق القلبيّ بالدّنيا ليصبح

سلمان الزّمان، والإنسان يأخذ من الدّنيا ما يحتاجه، ولكن بدون أيّ تعلق قلبيّ، والإنسان يأكل لأنّه يحتاج إلى الأكل، وتكليفه أن يأكل، ولكن أيّ مقدار يأكل، ونحن مقبلون على شهر رمضان، والسّفرة ستكون ممدودةً بمختلف أنواع الطّعام والشّراب، والإنسان الذي يكون في بيته مثل هذه المائدة لا يمكن أن يصبح من الأنصار، ولا يمكنه أن يحقق صفات الأنصار وهو من أوّل النهار يفكّر بما سيأكله في الإفطار، وبعد ما ينتهي الإفطار يفكّر في طعامه في السّحور، ومن يكون من الأنصار تفكيره لا يدور مدار الطّعام والشّراب، فعنده مهمّة أكبر، وكلّ إنسان يراجع نفسه ليرى مقدار تعلقه بالدّنيا وبكلّ مصاديق الدّنيا، والمقياس في شهر رمضان هو بم تفكّر؛ لأنّ الأفكار التي تدور في ذهن الإنسان تعبّر عن شخصيّته، وبممكنك أن تعرف شخصيّتك بمراجعة أفكارك، فما هي الأمور التي تفكّر بها ؟

وكلما كانت أفكار الإنسان عاليةً فشخصيّته تكون عاليةً؛ لأنّ شخصيّة الإنسان مركّبة من أفكاره، ويراجع أفكاره لأجل أن يعرف الأفكار التي فيها تعلّقات قلبية بالدّنيا، ويسعى إلى تغيير هذه الأفكار، والأفكار تؤثر على قلبه ونفسه، وبمجرد ما تخطر فكرة في الدّهن فهذه الفكرة تؤثر على روح الإنسان، والإنسان يتفاعل مع أفكاره، فلا بدّ من أن يغيّر أفكاره، وبمجرد ما يغيّر أفكاره بأفكار أخرى فالأفكار الجديدة تعبّر عن شخصيّته الجديدة، وشخصيّة الإنسان يمكن معرفتها من خلال أفكاره واعتقاداته واهتماماته

ورغباته، فراجع أفكارك واعتقاداتك، وانظر إلى اهتماماتك ورغباتك،
ورغبات الإنسان تعبّر عن شخصيّته، فيأتي السؤال التالي : إلى ماذا
ترغب ؟

وهل الإنسان اليوم يرغب في انتشار العدل في العالم ؟
إنّ انتشار العدل في العالم لازمه أنّ المعاش الشهريّ الموجود بيدك
قد لا تستحقّه كلّهُ؛ لأنّ هناك حقوق للمحتاجين في هذا المعاش،
والإنسان يفرح إذا كان معاشه ألفاً أو ألفين أو سبعة آلاف، ويرغب
بالحصول على أكثر من ذلك، ولكن من الممكن أنّ بعض هذه
الأموال ليست من حقّه؛ لأنّه ما دام يوجد فقراء في البلد - وهنا لا
نقول فقراء العالم - فكلّ فرد في البلد مسؤول عنهم، فجزء من
معاشك الشهريّ يكون حقّاً لهؤلاء الفقراء .

مثلاً مؤمن لا يملك جهاز تكييف في بيته في صيفنا الحارّ جدّاً،
أنت مسؤول عنه، ولا يمكن أن تقول بأنّه لا شأن لك به؛ لأنّه ما دام
هناك فقير في البلد فكلّ مؤمن مسؤول عنه، وبعض الأشخاص تقول
له بأنّه يوجد فقراء في بلدنا، فيقول بأنّه لا يوجد، وليس من المعقول
أنّه لا يعرف وجود فقراء في بلده، والبعض يقول بأنّ عنده صدقات
للفقراء، فأقول له بأن يوصل الصدقات إلى الفقراء بنفسه، فيقول بأنّه
لا يعرف أحداً من المحتاجين في البلد، هو يعيش في بلدنا ولا يعرف
أنّه يوجد مستحقّون موجودون هنا، ونطلق عليهم (مستحقّون)؛ لأنّهم
من المستحقّين فعلاً، سواء على مستوى بلدنا أم على مستوى عالم

المسلمين، والمسلمون مسؤولون حتى عن الإنسان الفقير الموجود في الشرق والغرب حيث توجد مسؤوليّة علميّة على الفرد المسلم، ومن يريد أن يصبح من الأنصار فلا بدّ من أن يكون شعوره عالميًا، حتى لو كان الإنسان كافرًا ويعيش فقيرًا في الدّنيا فلا بدّ من أن يشعر المسلم بمسؤوليّة تجاهه .

ولا تقل : لا شأن لي به، وليذهب إلى جهنّم .

هذا الإنسان الكافر من الممكن أنّه لم يسمع بالإسلام، أو سمع بالإسلام المشوّه بسبب الإرهابيين، فالإرهابيون شوّهوا الإسلام، فلا بدّ من أن توصل إليه الدّين الصّحيح الذي هو دين السّلام لا دين الإرهاب، والأصل في الإسلام هو السّلام، والإسلام مشتقّ من السّلام، والحرب أمر فرعيّ استثنائيّ في وقت الضّروة، والأصل هو أنّ المسلمين يتعاملون مع الآخرين على أساس السّلام، والإسلام دين السّلام، وهذا هو الأصل، ونحتاج إلى الجهاد المسلّح كاستثناء، والإرهابيون الأصل عندهم القتل، لذلك فإنّ شعارهم هو القتال والقتل والنّحر وقطع الرّؤوس، والأصل هو أنّ نشر الإسلام يكون بالطّرق السّلميّة، وبواسطة الفكر والإقناع والنّقاشات العلميّة، وتكليفنا أن ننشر الدّين عن طريق السّلام في العالم كلّ .

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : "ألا أخبركم بخير أخلاق أهل الدّنيا والآخرة؟" قالوا : بلى يا رسول الله . فقال : "إفشاء السّلام في العالم" .

وعنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : "إِنَّ السَّلَامَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى،
فَأَفْشُوهُ بَيْنَكُمْ" .

وعنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : "أَفْشِ السَّلَامَ يَكْثُرُ خَيْرٌ بَيْتِكَ" .

عن الإمام الباقر عليه السَّلَام : "إِنَّ اللهَ يَحِبُّ إِطْعَامَ الطَّعَامِ وَإِفْشَاءَ
السَّلَامِ" (١) .

مع زوجتك وأولادك في البيت ومع الأقارب والأصدقاء وأفراد
المجتمع تعيش بسلام، وإذا رأيت داخل البيوت صياحًا ومشاكل دائمةً
فهذا خلاف الدين، وإذا كانت المشاكل موجودةً بين الزوجين دائماً
فهذا مخالف لتعاليم الدين، والأصل أن يعيش جميع الناس في سلام،
لذلك بعد الظهور سيعيش الناس في سلام تحت ظلّ الإمام عليه
السَّلَام، والسَّلَام سينتشر في جميع أرجاء العالم .

وبعد الظهور لا توجد حروب، وكلّ إنسان سيحصل على
حقوقه، والنفسيات المريضة لن يكون لها أيّ أثر عمليّ بعد الظهور،
وقد يوجد أناس يريدون السيطرة على العالم بسبب نفسياتهم المريضة،
وهؤلاء مع وجود الإمام عليه السَّلَام لا يستطيعون تحويل نفسياتهم
المريضة إلى آثار عملية خارجية؛ لأنّه لن يحصل على أتباع إلا القليل
الذين لا يكون لهم تأثير، والآن الحاكم الظالم هو شخص واحد، ولو

(١) الروايات من ميزان الحكمة للشيخ محمد الرّيشهريّ ج ٢ ص ١٣٤٨ -

١٣٤٩ . إفشاء من أفشى : نشر .

يظلّ لوحده فإنّه لا يستطيع السيطرة على البلد، ولكنّ المشكلة هي أنّه يحصل على أتباع مرضى مثله، لذلك فالحاكم الظالم ينشر الظلم بواسطة الأتباع، فهو قابع في قصره، ولكنّه يصدر الأوامر إلى أتباعه الذين ينفذون أوامره، فيقتلون ويسجنون ويعذبون، ولكن في زمان الإمام عليه السّلام حتّى لو كان عند الشّخص نفسيّة مريضة فلن يحصل على أتباع إلاّ القليل؛ لأنّ المنتشر بين النّاس هو حبّ السّلام والعدل .

والعدل يؤدّي إلى الإضرار بالمصالح الشّخصيّة في أخذ ما ليس حقّاً للشّخص، ومن يقول بأنّه يرجو أن ينتشر العدل في العالم لا بدّ من أن يعرف بأنّ العدل يضرّ بمصالحه الشّخصيّة، والأموال التي تدخل عليه قد يأخذ الإمام عليه السّلام جزءاً منها؛ لأنّها ليست من حقّه، والبيت الذي يسكن فيه من المحتمل أنّ الإمام عليه السّلام يأخذ جزءاً منه .

مثلاً زوج وزوجته وعندهما ولدان وبيته مكّون من سرداب وثلاثة طوابق، هم لا يحتاجون جميع الطّوابق، وقد يأتي الإمام عليه السّلام ويعطيه طابقاً واحداً ويعطي ثلاثة طوابق لأناس محتاجين إلى السّكن، فهل يرضى الشّخص في بلدنا أن يتنازل عن ثلاثة طوابق ؟

إذا رضي فمعناه أنّه ينتظر ظهور الإمام عليه السّلام انتظاراً حقيقيّاً، وإذا لم يرضَ بذلك فانتظاره ليس انتظاراً حقيقيّاً، والانتظار الحقيقيّ ليس انتظاراً نظريّاً فقط، وكلّ مؤمن يدعو الله تعالى أن يعجّل في

ظهور الإمام عليه السّلام، ولكن كم واحد منهم مستعدّ بأن يضحّي
بماله ونفسه والمال قبل النّفس ؟

فإذا كان مستعدّاً فهو ينتظر الظّهور، والكلام بتعجيل الفرج سهل
على اللّسان، وجميع المؤمنين يدعون بتعجيل الفرج، ولكن من يملك
الملايين من الدّنانير حينما يدعو بتعجيل الفرج هل هو مستعدّ بأن
يتنازل عن جزء من ملايينه ؟

ونحن على مستوانا نتنازل عن بعض ما نملك، وبعض من أتباع
أهل البيت عليهم السّلام يقولون بأننا كنّا مظلومين على مرّ التّاريخ،
فالمفروض بعد الظّهور أن يكون لدينا بيتان بدل بيت واحد، ويظنّون
بأنّ الشّيعه سيستفيدون من ظهور الإمام عليه السّلام استفادةً مادّيّةً،
فالإمام عليه السّلام سيعطينا كلّ شيء .

نقول : بل من الممكن أنّ الإمام عليه السّلام يأخذ منك جزءاً ممّا
تملك، فهل أنت مستعدّ لذلك ؟

إنّ الشّيعيّ الذي ينتظر انتظاراً حقيقيّاً يكون مستعدّاً للتّضحية
بكلّ ما يملك، وسيأخذ مقدار الحاجة فقط، فالسّفرة الممدودة أمامه
في شهر رمضان بمختلف أنواع الأطعمة والأشربة لا يحصل عليها بعد
الظّهور، ولا نظراً بأننا سنعيش المتع الدنيويّة بعد الظّهور .

عن المفضّل قال : كنت عند أبي عبدالله عليه السّلام بالطّواف،
فنظر إليّ، وقال لي : "يا مفضّل، ما لي أراك مهموماً متغيّر اللون ؟" .
فقلت له : جُعِلْتُ فدّاك، نظري إلى بني العباس، وما في أيديهم من

هذا الملك والسلطان والجبروت، فلو كان ذلك لكم لكننا فيه معكم .
فقال عليه السلام : "يا مفضل، أما لو كان ذلك لم يكن إلا سياسة
الليل وسياحة النهار وأكل الجشب ولبس الحشن، شبه أمير المؤمنين
عليه السلام وإلا فالنار، فَرُويَ ذلك عَنَّا فصرنا نأكل ونشرب، وهل
رَأَيْتَ ظلامَةً جعلها الله نعمةً مثل هذا؟" (١) .

وبعد الظهور يبدأ العمل الجدِّي، ولن توقع على ورقة الحضور في
بداية العمل ثم تذهب إلى البيت، وترجع في نهاية العمل وتوقع ورقة
الانصراف، بل توقع على ورقة الحضور وتبقى في العمل؛ لأجل أن
تنتج، ولن تحصل على أوراق المرضيات المزيفة، فهذه الأمور لن تراها
بعد الظهور .

إنَّ زمان الإمام المهديّ عليه السلام هو زمان العمل الجدِّي، لذلك
تنتشر الخيرات الكثيرة، فالأرض يُستفادُ منها أقصى استفادة، وتُزرَعُ
بمختلف المحاصيل، ويُفضَى على زراعة المخدرات والمحاصيل غير
النّافعة، والآن الأراضي في العالم قابلة للزراعة، وتتعجّب من بلد فيها
الماء والأراضي الصّالحة للزراعة والنّاس يشكون من الفقر.

مثلاً السودان عندهم نهر وأراضي صالحة للزراعة، ومع ذلك يعيش
النّاس الفقر، وكذلك في مصر والعراق، والسبب هو عدم الاستفادة
من الطّاقة الموجودة في الأراضي الصّالحة للزراعة، والأرض الخصبة
مستعدّة للزراعة والماء متوفّر، وتحتاج إلى حرث الأرض ورمي البذور

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٥٩ ح ١٢٧ .

والله تعالى يتكفل بالباقي، فدور الإنسان أن يضع البذور في الأرض ويسقيها بالماء، والله عزّ وجلّ يتكفل بنموّ هذه البذرة حتى تصبح شجرةً وتنتج الثمار، والأرض في زمان الإمام عليه السّلام ستزرع على أفضل ما يكون، ووسائل الإنتاج سيتمّ تطويرها، لذلك فالصناعات ستتطوّر في زمانه عليه السّلام، والأرض يستفاد منها، والعوالم ستنتفتح على بعضها البعض، وقد يكون الوصول إلى الكواكب الأخرى أمرًا سهلاً، والبعض ينكر هبوط الإنسان على القمر، وقد وصلت مركبة فضائية إلى المريخ صوّرت وأرسلت الصّور إلى الأرض، والبعض ينكر ذلك ويعتقد بأنّ الإنسان لم يصل لحدّ الآن إلى المريخ، ولكن في زمان الإمام عليه السّلام السّفر عبر الكواكب يكون سهلاً كما نرى في الأفلام الخياليّة عن الفضاء، وقد توجد مركبات فضائية تسير بسرعات عالية جدًّا، والعلوم الموجودة عند الإمام عليه السّلام بيّنها للنّاس، وستبدأ الصناعات التي لم تخطر على البال، وفي بعض الروايات بما معناها أنّ بعض علماء الغرب يندمون أنّهم لم يفتحوها على الإسلام ولم يحصلوا على العلوم الموجودة عند الإمام عليه السّلام .

والمسلمون اليوم لا تهّمهم العلوم، فهم شعوب مستهلكة لا منتجة، فالغرب والشرق ينتجون والمسلمون يستهلكون، ولكن في زمان الإمام عليه السّلام المسلمون سيكونون من المنتجين؛ لأنّ الإمام عليه السّلام يستفيد من الطّاقات الموجودة عند المسلمين، والمسلمون اليوم عندهم طاقات هائلة، ولكن لا يُستفاد منها، فترى شخصًا متخصصًا في

الهندسة الصنّاعيّة، ولكنّه يعمل في غير مجال تخصّصه، مع أنّه يمكن أن ينتج الكثير في مجال تخصّصه، وكذلك بالنّسبة إلى المتخصّصين في المجالات الأخرى، فطاقات المسلمين مهدورة .

والتّجربة الطّويلة التي تمرّ فيها البشريّة سوف تنتج أنصار الإمام عليه السّلام، فمن يستفيد من التّجارب والابتلاءات وينجح فيها يصبح من الأنصار، والباب مفتوح أمام الجميع لمن يريد أن يكون من الأنصار .

وبعض الرّوايات تذكر أسماء الأنصار، ولكن لا يعتمد عليها لضعف أسانيدها، فلا تياس من أنّ اسمك غير موجود في هذه الرّوايات، ومن المحتمل أنّك ضمن قائمة أسماء الأنصار الموجودة عند الإمام عليه السّلام، ولكن عليك أن تعمل وتبذل جهدك؛ لكي تصل إلى مرتبة أنصار الإمام عليه السّلام .

إنّ التّجربة الطّويلة للبشريّة تنتج الأنصار، والإمام عليه السّلام حينما يظهر سينتصر؛ لأنّ عوامل النّصر متوقّرة في أنصاره، فأوّل الرّسالة العالميّة جاهزة للتّطبيق، وهي الإسلام، والآن نحتاج إلى بحوث حتّى نثبت أنّ الإسلام دين عالميّ وأنّه صالح لكلّ زمان ومكان، ويمكنه مصارعة جميع الأفكار والمدارس الفكرية الموجودة عند البشر، وعلماء الدّين يقومون بهذا الدّور، فيبيّنون أفكار الدّين التي تحلّ مشاكل البشريّة، والبحوث مستمّرة عند العلماء، وثانيًا القائد العالميّ جاهز، وهو القائد الأمثل، وهو الإمام المهديّ عليه السّلام، وبمجرّد

ما يحصل على الإذن الإلهي فإنه يظهر وينشر العدل في العالم، وثالثاً الشرط الناقص للظهور هو وجود الأنصار بالكم والكيف المطلوبين، وتحقيق الشرط الناقص بأيدي المؤمنين، وإذا أردنا أن نعجل في ظهور الإمام عليه السلام فلا بد من أن نعمل، وطالما أنّ المؤمنين لم يحققوا هذا الشرط فيكون التقصير من المؤمنين، ولو كان المؤمنون يعملون بكل طاقاتهم وجهودهم لظهر الإمام عليه السلام؛ لأنهم يريدون تحقيق الشرط الثالث، وبإمكان المؤمنين تحقيق هذا الشرط، طبعاً مع توفر الظروف الموضوعية والتمهيد العالمي للظهور، ويكون سكان العالم مستعدين لظهور الإمام عليه السلام، وبمجرد ما يظهر الإمام عليه السلام يكون الجميع مستعدين حتى غير المسلم، فالمشاكل التي تعصف بالبشرية أدت إلى يأس الناس من الحل، وبمجرد ما يظهر الإمام عليه السلام ويبين أطروحاته ويرى الناس أنّ العدل يتحقق في العالم فالتاس يصحون مستعدين لقبول الحل بعد يأسهم .

وفي الرواية أنّ الشعب الياباني يكون مستعداً لقبول الأطروحة بكل سهولة .

فالشعب الياباني مهياً لقبول الحق، ومع وجود الصناعات عندهم إلا أنّهم يعيشون مشاكل اقتصادية وإن كان يوجد عندهم التطور، ويعيشون مشاكل اجتماعية، ولا يخلو أي مجتمع من المشاكل الاجتماعية، والمشاكل موجودة حتى في بلدان المسلمين، والحلول الإسلامية موجودة، ولكنّ الناس غير مهتمين لقبول الحلول، فأبي

مشكلة اجتماعية بين الناس وحتى بين الأزواج يمكن طرح مسألة شرعية لحلها، ويمكن بيان الحل للزوجين خلال ثلاثين ثانية، ولكن المشكلة أنّ كليهما لا يقبلان الحلّ أو أحدهما لا يقبل الحلّ، والحلّ سهل، ولكن تقبل النفس للحلّ أمر صعب، وأيّ مشكلة اجتماعية يمكن بيان حلّها بسهولة، وأيّ مشكلة اقتصادية يمكن حلّها بالقواعد الدنيوية، ولكن المشكلة هي أنّ الحلّ لا يُقبل .

مثلاً في البنوك الربوية يمكن طرح الحلول الإسلامية لحلّ مشكلة الربا، وبعض البنوك تحاول تطبيق الإسلام، ولا ينتشر الحلّ الإسلامي في العالم مع أنّ السمعة الطيبة وتحقيق الأرباح موجودان للبنوك الإسلامية، ولكنّ العالم غير مستعدّ لتطبيق الحلول الدنيوية؛ لأنّه بمجرد ما يقبل البنك اللاربيوي فمعنى ذلك أنّه يعترف بالإسلام، وأعداء الدّين يستحيل أن يقبلوا الطّرح الإسلاميّ للحلول؛ لأنّ معنى ذلك أنّهم يسلمون بأحكام الدّين، ويوجد أناس ملحدون أو علمانيون لا يريدون أن يسلموا بالحلول الدّينية حتى لو كانوا يدركون صحّة الحلّ الإسلاميّ؛ لأنّه بمجرد التسليم بالحلّ الإسلاميّ معناه أنّهم اعترفوا بالإسلام، ولا يريدون أن يعترفوا بالأديان بل يريدون أن ينشروا الإلحاد في العالم .

إذن :

الشّروط الناقص الآن لظهور الإمام عليه السّلام هو وجود الأنصار، وتحقيق وجود الأنصار بأيدي المؤمنين، وبقدر ما يسعى المؤمنون فإنّهم

يوقرون هذا الشرط، فيتحقق ظهور الإمام عليه السلام، ولا يكفي الدعاء لوحده، بل لا بدّ معه من العمل الجادّ، وجميع المؤمنين يدعون بتعجيل الفرج، ولكن لا يتحقق تعجيل الفرج؛ لأنّ تعجيل الفرج يحتاج إلى عمل، وهذا مثل الإنسان الذي يجلس في بيته ولا يسعى لتحصيل رزقه، ويقول : يا ربي، ارزقني .

يقال له : اعمل لتحصل على الرزق، فتحصيل الرزق مشروط

بالسعي إلى العمل .

فمع الدعاء لا بدّ من العمل، والدعاء بتعجيل الفرج يحتاج إلى عمل، وليس عملاً هيئناً، وإثماً يحتاج إلى أعمال مضاعفة، ومقدار العمل لا بدّ من أن يتناسب مع متعلّق الدعاء، والدعاء بتعجيل الفرج معناه الدعاء بنشر العدل في العالم، وهذا أمر عظيم، ومن يدعو إلى نشر العدل في العالم لا بدّ من أن يكون عادلاً، وإذا لم يحقق العدل في نفسه فهذا الدعاء ليس له قيمة؛ لأنّ نشر العدل في العالم يحتاج إلى عدول ينشرون العدل، فغير العادل كيف يمكنه أن يحقق نشر العدل في العالم؟!!

إنّ نشر العدل في العالم يحتاج إلى أفراد عدول، وفاقد الشيء لا يمكن أن يعطي هذا الشيء، وعلى الأقلّ يحقق أقلّ مراتب العدالة في نفسه، أي الالتزام بالواجبات وترك المحرّمات، ولكنّ العدالة عبارة عن صفة نفسانيّة قلبيّة لا عمل خارجي فقط، وهذه الصّفة القلبيّة تنتج أعمالاً خارجيّة من الالتزام الخارجي بالواجبات وترك المحرّمات،

والعدل في أصله صفة قلبيةّة، وكلّ إنسان لا بدّ من أن ينظر إلى نفسه هل هو يتّصف بالعدالة أو لا، والإنسان مطّلع على شؤون نفسه، فهل أنت بينك وبين الله تعتبر نفسك عادلاً أو لا ؟

حاكم نفسك واحكم عليها بالحكم المناسب وأنت عندك يقين بصفاتك القلبيةّة، فهل أنت عادل أو لا ؟ وهل يمكن أن تقف على السجادة وتقول للناس صلّوا خلفي أو لا ؟

وإذا لحدّ الآن لم نحقق العدالة في أنفسنا فمعنى ذلك أنّ الدّعاء بتعجيل الفرج لن ينتج أثراً خارجياً، فالدّعاء ليس عبارة عن ألفاظ ينطق بها اللسان فقط، بل لا بدّ من أن تعبّر هذه الألفاظ عمّا يوجد في القلب، فإذا كانت صفته القلبيةّة هي العدالة فإنّه يدعو بتعجيل الفرج ويدعو إلى نشر العدل في العالم، وإذا لم يكن عادلاً فالألفاظ لا تعبّر عن واقعه وحقيقته القلبيةّة، ألفاظ على اللسان فقط، والألفاظ اللسانية لا يستجيب الله تعالى لصاحبها، فالله عزّ وجلّ لا يستجيب للألفاظ فقط، فلا بدّ من وجود التّرادف بين ألفاظ اللسان ومعاني القلب حيث توجد علاقة بين اللسان والقلب .

عن أمير المؤمنين عليه السلام : "لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه" .

وفي رواية أخرى عنه عليه السّلام : "قلب الأحمق في فيه، ولسان العاقل في قلبه" ^(١) .

(١) بحار الأنوار ج ١ ص ١٥٩ ح ٣٣ . فيه : فمه .

إنّ ألفاظ العاقل تعبّر عمّا في قلبه، والإنسان حينما يريد أن يتكلّم لا بدّ من أن تكون الألفاظ معبّرة عن المعاني القلبية، لا ألفاظ جوفاء فقط، والإنسان الذي يعلم بمعاصيه وهو متيقّن بأنّه غير عادل فدعاؤه بتعجيل الفرج ألفاظ لا تعبّر عن واقعه، والدّعاء الذي لا يعبّر عن واقع الإنسان لا يُستجاب .

والأدعية الكثيرة من المؤمنين لماذا لا تكون مستجابة ؟

لأنّ أكثرها لا تعبّر عن واقع، ونحن غير مؤهلين لأن ندعو بهذا الدّعاء، فهو مجرد ألفاظ، وإذا كانت مجرد ألفاظ فلا تُستجاب .
وجميع المؤمنين يدعون بتعجيل الفرج فلماذا لا يستجيب الله تعالى ؟
لأنّه مجرد ألفاظ، وهذه الألفاظ لا تعبّر عما يوجد في القلوب .

إذن :

المهمّة العظيمة التي تقع على عاتق المؤمنين اليوم هي إيجاد الأنصار بالكمّ والكيف المطلوبين، وكلّ مؤمن لا بدّ من أن يسعى لتحقيق هذا الأمر، وهذا بأيدي المؤمنين، وكلّ مؤمن لا بدّ من أن يحاسب نفسه هل استطاع أن يصبح من الأنصار أو لا، وإذا لحدّ الآن لم يحقّق ذلك فعليه أن يسعى ويتحرّك لا أن يقف في مكانه، فيحتاج إلى حركة وعمل .

أولاً يتحرّك لمعرفة صفات أنصار الإمام عليه السّلام، وثانياً لا بدّ من أن يعرف كيفية تحقيق هذه الصّفات في نفسه، فيعرف الأعمال التي يؤدّيها ليصبح من الأنصار، وبدون العلم والمعرفة لا يمكن

للإنسان أن يحقق الوجود الخارجي للأنصار، والآن المؤمنون عندهم قلة في العلم والمعرفة، ولا يمكن لأحد أن ينكر ذلك، فالمؤمنون بشكل عام يعيشون قلة العلم وقلة المعرفة وقلة الوعي، وبشكل عام يوجد جهل بالأحكام الدينيّة، وبشكل خاص نحتاج إلى معرفة صفات أنصار الإمام عليه السّلام .

ولا يحسّ المؤمنون بأهميّة مثل هذه المحاضرات، والعلماء يشتكون من قلة حضور المؤمنين عندهم للاستماع إلى محاضراتهم ودروسهم، وفي شهر محرّم يحضرون المجالس الحسينيّة إلى ليلة العاشر، وفي ليلة الحادي عشر من المحرمّ تجتمع قلة من الحاضرين، فيحضرون في الليالي العشرة الأولى بسبب العاطفة فقط، وهذه العاطفة تحرك المؤمنين، والعاطفة بدون فكر لا يمكن أن تنتج، فلا بدّ من العاطفة والفكر معاً، فالإمام الحسين عليه السّلام عبّرةٌ وعبرةٌ .

ونحتاج إلى الفكر، فالمؤمن عليه أن يعرف لماذا يحضر إلى الحسينيّة في شهر محرّم، والمفروض أنّه يريد أن يكسب العلم والمعرفة من المساجد والحسينيّات، ونرى أنّ هذا الهدف لا يوجد بعد اليوم العاشر، وفي الأيام العشرة الأولى يتحرّكون تحرّكاً عاطفياً فقط بدون فكر، والعاطفة حينما تدفعهم إلى الحسينيّة فمعنى ذلك أنّهم يريدون البكاء فقط، ولكن لا يعرفون لماذا يبكون، فيبكي على الإمام الحسين عليه السّلام ولا يعرف أهداف الإمام الحسين عليه السّلام، والأهداف إذا عرفها المؤمن فالعاطفة والفكر يسيران معاً، فالعاطفة

لوحدها لا تنتج، والفكر لوحده لا ينتج، ولا بدّ من العاطفة والفكر حتى ينتج أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام .

والعاطفة تنتهي بمجرد ما يزول سبب العاطفة، مثلما يرى الإنسان فيلماً هندياً حزيناً، فبمجرد ما ينتهي الفيلم ينتهي الحزن عنده، ولا يستمرّ الحزن؛ لأنّه عاطفة لحظيّة، لذلك ترى في الحسينيّات بعض الأشخاص بمجرد ما يخرجون من الباب يضحكون، فتساءل عن سبب ضحكهم مع أنّهم قبل قليل كانوا يبكون .

وتتساءل : لماذا لم يستمرّ الحزن عندهم ؟

لأنّه لا يدري لماذا كان يبكي قبل قليل، لذلك فالحالة العاطفيّة انتهت عنده بمجرد ما انتهى الخطيب من قراءة مصيبة الإمام الحسين عليه السّلام، ولكن لو أنّ الفكر كان يسير مع العاطفة لوصل إلى البيت وهو حزين، وللاحظ زوجته وأولاده الحزن عليه، وكذلك يظهر الحزن على الأمّ والأولاد إذا ذهبوا إلى الحسينيّة ورجعوا إلى البيت، فالحزن يستمرّ معهم، لذلك كان الحزن يستمرّ مع الإمام الصّادق عليه السّلام من أوّل يوم من شهر محرّم، فإذا كان اليوم العاشر فهو يوم مصيبته، أي يكون يوم حزنه الأشدّ، وهؤلاء هم الأئمّة القدوة، وهذه الحالة الموجودة عند المعصومين عليهم السّلام لا بدّ من أن تنعكس في أنفسنا، فنعيش كما يعيشون، نعم لا نصل إلى مراتبهم، ولكن بعض الأمور التي كانوا يقومون بها هي حالة عامّة عندهم عليهم السّلام وعند جميع المؤمنين، وليست حالة خاصّة للمعصومين

عليهم السّلام، فالحزن مطلوب من المعصوم عليه السّلام ومن المؤمن أيضاً، والأئمة عليهم السّلام كانت لهم حالات خاصّة، والحالات الخاصّة لا توجد عند غير المعصوم، ولكنّ المعصوم عليه السّلام كان يقوم ببعض الأعمال العامّة باعتبار أنّه مؤمن، فهي حالة عامّة لجميع المؤمنين، وهذا مطلوب من جميع المؤمنين .

والمعصوم عليه السّلام حينما يقوم بأيّ عمل فالأصل فيه أنّه ينطلق من كونه مؤمناً لا من كونه إماماً، ويكون العمل مطلوباً من جميع المؤمنين إلّا إذا ورد دليل على أنّ هذا العمل خاصّ بالمعصوم عليه السّلام، فالأصل هو أنّ ما يقوم به النّبّي صلّى الله عليه وآله والأئمة عليهم السّلام هو لجميع المؤمنين إلّا إذا جاء دليل يدلّ على أنّه عمل خاصّ بهم، وبعض المؤمنين يظنون أنّ الأصل هو عكس ذلك، وأنّ أيّ عمل يقوم به المعصوم عليه السّلام فالعمل خاصّ به ولا يعمّ المؤمنين، فالأصل أنّ أفعال المعصومين عليهم السّلام هي أفعال لجميع المؤمنين .

النتيجة :

دور المؤمنين هو تحقيق وجود الأنصار في زماننا؛ حتّى يمكن أن نساهم في تعجيل فرج الإمام المهديّ عليه السّلام، وبفرجه عليه السّلام يحصل الفرج لنا، وينتشر العدل في العالم .
والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطيّبين الطّاهرين .

أسئلة وتعليقات الحاضرين :

الأستاذ عبدالمجيد بو مجداد :

نقرأ في الروايات أنّ هناك أشخاصًا تشرفوا بقاء الإمام المهديّ عليه السلام، ونسمع ذلك من الخطباء، ولكن في هذه الفترة لا نسمع عن ذلك، فهل هناك أشخاص تشرفوا بقاء الإمام عليه السّلام، ولكنهم لا يرغبون في أن يبيّنوا ذلك ؟

جواب الشيخ محمّد أشكناني :

قطعا هناك أشخاص تشرفوا بقاء الإمام عليه السّلام، ولكنهم لا يعلنون ذلك، والشخص الذي ينشر كثيرا أنّه التقى بالإمام عليه السّلام عادةً ما يكون من المدّعين؛ لأنّه يريد أن يجعل لنفسه إعلاناً ودعايةً حتّى يمشّي بضاعته، ولكن من يلتقي بالإمام عليه السّلام لا ينشر ذلك، واللّقاء يكون خاصّاً، لذلك لا نسمع عن ذلك؛ لأنهم لا يقولون إلّا إذا رأهم شخص صدفةً ونشر ذلك .

مثل السيّد محمد مهدي بحر العلوم رضوان الله عليه رآه شخص حينما التقى بالإمام عليه السّلام، ولو لم ينشر هذا الشخص لما عرفنا خبر لقائه به عليه السّلام، واشترط السيّد بحر العلوم على هذا الشخص أن لا ينشر شيئاً أثناء حياته .

فهناك من يلتقي بالإمام عليه السّلام، ولكنّه لا ينشر؛ حتّى لا يجعل لنفسه مكانةً بين المؤمنين، ومن ينشر يريد أن يصنع لنفسه مكانةً؛ لأجل أن يقلّده الناس مثلاً أو لأغراض أخرى .

الأستاذ عليّ عباس :

في قضية السّلام دائماً أسمع روايات، وأسمع في المجالس كثيراً من المتحدّثين يصوّرون ظهور الإمام المهديّ عليه السّلام بصورة مشوّهة من القتل ونشر الإسلام بالسّيف، ورأيي الشّخصيّ أنّ الإمام عليه السّلام يسير على سيرة جدّه رسول الله صلّى الله عليه وآله، وتكون رسالته رسالةً سمحاء، وليست بالصّورة التي يصوّرونها .

جواب الشيخ محمد أشكناني :

الأصل حتّى في رسالة الإمام المهديّ عليه السّلام هو رسالة السّلام، والإمام عليه السّلام لا يقاتل من لا يقاتله، وفي بداية الظهور القوّة الموجودة عند الأعداء كلّها ستكون في محاربة الإمام عليه السّلام، والإمام عليه السّلام يحاربهم من باب الاضطرار، ولو أنّهم سلّموا للإمام عليه السّلام فلن يحاربهم، فهم يبدؤون بالقتال فالإمام عليه السّلام عليهم سيردّ عليهم، فهم يحملون السّلاح ويحاربون فالإمام عليه السّلام يقاتلهم بالسّلاح، وأعداء الدّين هم قلة في العالم، والإمام عليه السّلام بمجرد ما ينتهي في حركته من أعداء الدّين الذين قاتلوه فإنّ حركته ستستمرّ بالسّلام، فالأصل في الإسلام هو السّلام ونشر السّلام في العالم حتّى عند الإمام المهديّ عليه السّلام، والحرب والقتال هو استثناء، ولكنّ الإمام عليه السّلام في بداية ظهوره يحتاج إلى الاستثناء؛ لأنّ الأعداء يبدؤون بالقتال، وبمجرد ما ينتهي من الاستثناء يرجع إلى الأصل، والأصل هو السّلام .

الأستاذ عليّ عباس :

ذكرتم بأنه يتوقّر في أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام الكميّة والتّوعية، وعلى فرض أنّ الكميّة والتّوعية لم تتوقّرا على مرّ الزمن، فهل هذا سبب في أنّ الإمام عليه السّلام لا يظهر ؟

جواب الشيخ محمّد أشكناني :

نعم سبب، لذلك سيأتي زمان يتوقّر فيه الأنصار كمّا وكيفًا، وظهور الإمام عليه السّلام من المحتوم، وسيظهر في زمان ما، فما دام أنّ الظهور من المحتومات فبمجرّد ما يظهر الإمام عليه السّلام فمعنى ذلك أنّ شرط الأنصار توقّر، ولا نعلم متى يظهر عليه السّلام، فإذا وقّر المؤمنون هذا الشرط مع توقّر الظروف العالميّة المناسبة فإنّ الإمام عليه السّلام يظهر، وإذا لم تتوقّر الشّروط فالإمام عليه السّلام لا يظهر، ولكنّها ستوقّر في وقت ما، وعلينا أن نسعى؛ لكي نعبّل في ظهوره عليه السّلام، والوقت المحدّد للظهور لا نعلم به، وتكليفنا توفير شرط الأنصار، فإذا ظهر عليه السّلام نعلم بتحقيق جميع الشّروط .

الأستاذ حسين الحدّاد :

نسمع في الرّوايات أنّ عدد الأنصار ثلاثمائة وثلاثة عشر، وكلامكم كان عن الأنصار، فهل يوجد فرق بين الأنصار والأصحاب ؟

جواب الشيخ محمّد أشكناني :

أنصار الإمام عليه السّلام هم أصحابه، وأنصار الإمام عليه السّلام ينقسمون إلى مراتب، والمقرّبون منه عليه السّلام هم ثلاثمائة وثلاثة

عشر قائداً، والقائد يحتاج إلى جيش مكوّن من أفراد، فكلّ قائد عنده أفراد وكتائب بحسب التّقسيمات الموجودة في جيوش العالم، والإمام عليه السّلام يكون على رأس الهرم، وتحتّه القادة وهم الثّلاثمائة وثلاثة عشر، وتحت القادة يتدرّج الأنصار بأعداد ومراتب مختلفة .
والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٣٣)

أفضليّة أنصار

المهديّ عليه السّلام

حاجة الجهاد إلى القائد (١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطيّبين الطّاهرين .

ما زال الكلام عن أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام، ونسأل السّؤال التّالي :

من هم الأفضل : أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام أو المعاصرون للنبيّ صلى الله عليه وآله ؟

الفكرة المطروحة هي أنّ المعاصرين للنبيّ صلى الله عليه وآله أفضل من غيرهم في أيّ زمان آخر .

إنّ المعاصرين للنبيّ صلى الله عليه وآله كانوا على درجات مختلفة،

(١) أُلقيت هذه المحاضرة في الدبواتية الأسبوعية في دولة الكويت منطقة

بيان، الجمعة ٢٤ رجب ١٤٣٣ هـ ، ١٥/٦/٢٠١٢ م .

منهم المؤمنون في الدرجات العالية، مثل سلمان المحمديّ الذي له مكانة خاصة .

عن الحسين بن صهيب عن أبي جعفر عليه السلام قال : ذُكِرَ عنده سلمان الفارسيّ، فقال أبو جعفر عليه السلام : "مه، لا تقولوا سلمان الفارسيّ، ولكن قولوا سلمان المحمديّ، ذاك رجل منا أهل البيت" (١) .

والمعاصرون للنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى درجات مختلفة، فيهم العالي في الإيمان، وفيهم الداني في الإيمان، وفيهم المنافقون، وفيهم مرضى القلوب، ويوجد من المعاصرين للنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ المشركون والكفّار واليهود والنصارى .

والزّمان بما هو زمان لا يؤثّر في إيمان الشّخص وعدم إيمانه، ووجود الإنسان في زمان النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لا يدلّ على أنّه أفضل من جميع الناس في كلّ زمان، فحتى في زمان النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ من يتمسّك بالدين يكون إنساناً مؤمناً، ومن لا يتمسّك بالدين لا يكون مؤمناً .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِبْحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ " (٢) .

(١) بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٣٤٩ ح ٦٧ .

(٢) الحجرات : ٦ .

هذه الآية الكريمة تتحدّث عن شخص موجود في زمان النّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، والله تعالى يشهد بفسقه مع أنّه من الذين اتقوا بالنّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وأصحاب النّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هم المؤمنون الملتزمون برسالته، وتختلف التعاريف بشأن أصحاب النّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

إذن :

وجود الإنسان في زمان النّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لا يعطيه ميزةً خاصّةً إلاّ بقدر ما يكون متمسكاً بالدين، فقيمة الإنسان تكون بمقدار تمسكه والتزامه بالدين، ومن يلتقي بالنّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ له قيمة، ولكن بقدر ما يؤمن برسالة النّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وحتى الكفار والمشركون واليهود والنصارى اتقوا بالنّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وعاصروه، فكانوا مع النّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في زمان واحد، وأكثر من ذلك فإنّ حمار النّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كان معه في زمان واحد، فليس بمجرد أن يكون الشّيء مع النّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في زمان واحد نعطيه قيمةً سواء كان إنساناً أم حيواناً أم جماداً، فالمعيّة لا تعطي قيمةً إلاّ بقدر ما يكون الإنسان ملتزماً بالدين، فإذا التزم بالدين نقول عنه بأنّه كان مع النّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وأنّه استفاد من النّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بأن آمن بالإسلام وتمسك بنبيّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وتمسك بالقرآن الكريم، وبكلّ ما أمر به النّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ من أن يُتَمَسَكَ به كعترته وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام

كما في حديث الثقلين .

عن جابر قال : قال أبو جعفر عليه السّلام : دعا رسول الله صلّى الله عليه وآله أصحابه بمضى فقال : " يا أيّها النّاس، إنّني تارك فيكم الثّقين، أما إن تمسّكنم بهما لن تضلّوا : كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردّ عليّ الحوض " . . . (١) .

نأتي إلى السّؤال السّابق :

من يكون من أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام هل جميعهم أفضل من أصحاب النّبّي صلّى الله عليه وآله أو جميع أصحاب النّبّي صلّى الله عليه وآله أفضل من جميع أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام ؟
الجواب :

أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام أفضل من أصحاب النّبّي صلّى الله عليه وآله في الأعمّ الأغلب، فمن أصحاب النّبّي صلّى الله عليه وآله من يكون أفضل من بعض أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام إذا كان ملتزمًا برسالة النّبّي صلّى الله عليه وآله وكان يعمل على خدمة الدّين، ومن الأنصار من هو أفضل من بعض الأصحاب، ولا إشكال في ذلك إذ أنّ أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام هم أنصار النّبّي صلّى الله عليه وآله وأنصار سيّدة نساء العالمين فاطمة الزّهراء عليها السّلام وأنصار الأئمّة عليهم السّلام؛ لأنّهم يقاتلون في سبيل الله ونصرة دين الله ونشر عدل الله في العالم، والفاصل الزمّنيّ ليس له تأثير

(١) بحار الأنوار ج ٢٣ ص ١٤٠-١٤١ ح ٩١ .

في التفرقة بين أنصار النبي صلى الله عليه وآله وأنصار السيدة الزهراء عليها السلام وأنصار الأئمة عليهم السلام، وقد يكون في زماننا الحالي بعض المؤمنين أفضل من بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله، ويكونون من أنصار الإمام المهدي عليه السلام في زمان الغيبة الكبرى، فجميع الأنصار في كل زمان ومكان يسرون في نفس الاتجاه ويخدمون نفس القضية .

وأنصار الإمام المهدي عليه السلام سيساهمون في نشر العدل في العالم، وقبل ذلك لم تكن الأرضية مهيأة لنشر العدل، وكانت البشرية قاصرة غير مهيأة لنشر العدل العالمي؛ إذ لم تمر البشرية في التمهيد بحسب التخطيط الإلهي لإنتاج أنصار الإمام المهدي عليه السلام المستعدين والمتهيئين لنشر العدل في العالم، وقبل الظهور ستهيأ الأرضية في العالم لتقبل العدل، والمؤمنون قبل الظهور سيساهمون في تمهيد الأرضية لاستقبال إمام الزمان عليه السلام، ويجب على المؤمنين أن يساهموا في التهيئة القبلية، والتخطيط الإلهي هو تهيئة البشرية للعدل، فتمر البشرية بابتلاءات ومشاكل ومصاعب، والابتلاءات تساهم في إنتاج أنصار الإمام عليه السلام وتهيئة الأرضية لتقبل الناس في العالم للعدل واستقبال الإمام عليه السلام، ودور المؤمن أن يستفيد من جميع ما يقع في العالم من ابتلاءات حتى يصل إلى درجة أنصار الإمام عليه السلام، والمشاكل التي تجري على البشرية من الاستعمار والحروب والأمراض والمجاعات تهيب الناس لتقبل العدل حين الظهور .

والحاكم الظالم يعتقد أنه يحارب الدين ويظنّ أنه سيقضي على الدين وأنصار الدين، نقول بالعكس هو يساهم في إنتاج أنصار الدين، وهو يحاول أن يقضي على المؤمنين ويهجرهم، ويظنّ أنه سيقضي عليهم، بالعكس هو يساهم في نشر الدين في العالم، فما فعله الصنم هو تهجير العراقيين إلى جميع بقاع العالم، والآن تجد في كل بقعة من بقاع العالم رايةً للإمام الحسين عليه السلام، هو ساهم في نشر الدين، ولم يستطع أن يقضي على الدين، وساهم في تقوية الدين ونشر مدرسة أهل البيت عليهم السلام في العالم، فكان يقوم بأعمال خلاف الغرض الذي يريده، كان غرضه القضاء على الدين، فوقع خلاف ما يريد، فانتشر الدين في العالم، ولا نقول : جزاه الله خيراً .

ويقال إنّ نقض الغرض من العاقل الملتفت قبيح، والعاقل الملتفت يسعى إلى تحقيق غرضه، وإذا قام بأعمال خلاف الغرض فهذا أمر قبيح، وهذا يدلّ على أنّ الصنم لم يكن عاقلاً ولا ملتفتاً إلى نتائج أعماله .

والحكّام الظالمون يغفلون عن أنّهم يساهمون في نشر الدين، فما يفعلونه يساهم في تقوية المؤمنين وإنتاج الأنصار وتهيئة الأرضية لظهور الإمام عليه السلام، وهي شروط ظهوره عليه السلام، فالظالمون يحقّقون شروط الظهور ويعجّلون في ظهور الإمام عليه السلام .

والاستعمار الغربيّ ساهم في إنتاج الأنصار، والتخطيطات الشيطانية التي يقومون بها من أجل القضاء على الدين تقوّي المؤمنين، والدليل

الوجدانيّ على ذلك ما نراه في العالم من أنّ المؤمنين صاروا أقوى من السابق، وكلّما ضغطوا على المؤمنين أكثر فإنّ المؤمنين يصبحون أقوى وأقوى .

نعم بعض المؤمنين يفشلون في الابتلاءات، وهذا أمر طبيعيّ، وحتى لو فشل الأكثر فهذا لا يضرّ بالقضيّة المهدويّة، ونظرنا يكون إلى القلّة والثلّة من المؤمنين الذين يشكّلون أنصار الإمام عليه السّلام، وهذا الإنتاج هو المهمّ، فسواء فشل أقلّ المؤمنين أو أكثر المؤمنين في الابتلاءات فهذا لا يضرّ بأنصار الإمام عليه السّلام، والذين يفشلون لم يقووا أنفسهم في مواجهة الابتلاءات، والمشكلة موجودة فيهم، ولا بدّ من أن يلتزم المؤمن بالدين حتّى يمكنه أن ينجح في الابتلاءات، وإذا لم يعمل على نفسه فمن الطّبيعيّ أنّه يفشل، وفشله يدعو إلى مراجعة نفسه؛ لكي يقوى أكثر وأكثر، وبذلك يكون من النّاجحين، وتدرّيجاً سيصبح من الأنصار .

والروايات في المصادر الشّيعيّة والمصادر السنّية تبين أنّه في الزّمان المستقبليّ سيكون هناك أشخاص أفضل من أصحاب النّبّي صلى الله عليه وآله .

المصادر الشّيعيّة :

في المستقبل يكون المؤمن الصّابر على دينه أفضل من خمسين من أصحاب النّبّي صلى الله عليه وآله .

عن النّبّي صلى الله عليه وآله : " يأتي على النّاس زمان الصّابر منهم

على دينه له أجر خمسين منكم" . قالوا : يا رسول الله، أجر خمسين منّا؟! قال : "نعم، أجر خمسين منكم" . قالها ثلاثاً (١) .

عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : "سيأتي قوم من بعدكم الرجل الواحد منهم له أجر خمسين منكم" . قالوا : يا رسول الله، نحن كنا معك بيدر وأحد وحنين، ونزل فينا القرآن . فقال : "إنكم لو تحمّلوا لما حُمّلوا لم تصبروا صبرهم" (٢) .

نحن نعيش في عصر غيبة الإمام عليه السلام، ومن يتمسك بالدين مع غيبة إمامه عليه السلام يكون أفضل؛ لأنه في زمان أصحاب النبي كان صلى الله عليه وآله معهم، والمفروض أنه مع وجود النبي صلى الله عليه وآله يكون تمسكهم بالدين أكثر، ولكن البعض منهم لم يكن تمسكهم بالدين قوياً .

وما جرى مع الأئمة عليهم السلام هو امتداد لما جرى بعد النبي صلى الله عليه وآله من أحداث، وما يجري الآن في زماننا هو امتداد

(١) بحار الأنوار ج ٢٨ ص ٤٧ ح ١٠ .

(٢) المصدر السابق ج ٥٢ ص ١٣٠ ح ٢٦ . فيه تصحيف من الكتاب، والصحيح أن يقال : "لو تحمّلون"، فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، ويقال : "ما حُمّلوا"، بدون لام الجر؛ لأنّ الفعل "تحمل" يتعدى إلى المفعول به بنفسه لا بواسطة حرف الجر، فيقال : تحمّل الحقيية، ولا يقال : تحمّل للحقيية .

لما جرى على الأئمة عليهم السلام من أحداث، وما يحدث في أيّ زمان هو نتيجة لإرهاصات الأحداث التي جرت قبله .

والبحث التاريخي مفتوح أمام الجميع، وإذا أثبت شخص أمرًا معيّنًا من خلال بحثه التاريخي في جميع مصادر المسلمين فهذا يكون متبناه الذي أثبتته بواسطة الدليل، ولا يوجد في مدرسة أهل البيت عليهم السلام غلق باب الاجتهاد وحرّية البحث العلمي، وباب البحث العلمي وباب الاجتهاد مفتوح، ولا توجد آراء وأفكار مُسلّم بها لا تُناقش، فكلّ فكرة قابلة للنقاش، نعم ما قام عليه الدليل اليقيني نسلم به، وحتى أنّه بعض اليقينيّات التي ثبتت بالبحث التاريخي يتبيّن أنّها ظنيّات قابلة للنقاش .

مثلاً : بنات النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَمْ عَدَدَهُنَّ ؟

الثابت الآن أنّ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كانت عنده بنت واحدة فقط، وهي فاطمة الزّهراء عليها السلام، وأمّا البنات الأخريات فهنّ ربائب للنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، كنّ بنات هالة أخت أمّ المؤمنين خديجة عليها السلام، وبعد وفاة هالة انتقلن إلى حجر خديجة عليها السلام، وثبت ذلك الآن بالبحث العلمي^(١) .

والبعض يستدلّ بأنّ بعض علمائنا السابقين كانوا يقولون بأنّهنّ بنات للنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

(١) بنات النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أم ربائبه ؟ للسّيّد جعفر مرتضى العامليّ رضوان الله تعالى عليه .

نقول : نعم ذلك ثبت بمقدار البحث التاريخي الذي كان موجوداً في أزمنة أولئك العلماء، والبحوث التاريخية في زماننا تفتح لنا أبواباً جديدة، فنصل إلى نتائج جديدة، فبعض الأحداث والأمور التي كنا نسلم بها سابقاً يتبين أنها ليست من المسلّمات من خلال البحوث التاريخية والبحوث العلميّة، فالبحث العلميّ مفتوح حتى لو كانت النتائج مخالفةً لبعض المسلّمات، ونحن نأخذ بالنتيجة التي نصل إليها من خلال الدليل، ومن الممكن أنهم اعتمدوا على رواية ضعيفة السند أو حدث تاريخي غير ثابت، والآن العالم يبحث ويثبت ضعف هذه الرواية أو عدم ثبوت الحدث التاريخي، وتكون النتائج المترتبة على الرواية الضعيفة أو الحدث التاريخي غير الثابت نتائج لا يعتمد عليها، ونأخذ بالنتائج الجديدة المترتبة على الروايات الصحيحة والأحداث التاريخية الثابتة، فالبحث العلميّ والبحث التاريخيّ مفتوح، وفي مدرسة أهل البيت عليهم السلام البحوث مفتوحة دائماً، ولا يوجد عندنا غلق البحث العلميّ وسدّ باب الاجتهاد .

وعلماؤنا يردّون على آراء بعضهم البعض، والردّ على الرأى لا يعني الطعن في صاحب الرأى، فالعلماء يناقشون آراء الشيخ مرتضى الأنصاريّ رضوان الله عليه مع أنّ آراء الشيخ الآن مدار أبحاث الأصوليين والفقهاء، والأصوليون والفقهاء اليوم تلامذة للشيخ الأنصاريّ رضوان الله عليه، ويناقشون آراء صاحب الكفاية الآخوند الخراسانيّ رضوان الله عليه، ويناقشون آراء شيخ الطائفة الشيخ المفيد

رضوان الله عليه، ولا يوجد عند علمائنا أنه إذا قال أيّ عالم فقلوه مسلم غير قابل للبحث العلميّ، فجميع أقوال العلماء تقع تحت مجهر البحث العلميّ والأخذ والردّ، نعم يسلم العلماء بالرأي إذا كان يوجد معه دليل، وإذا ثبت دليل آخر يدلّ على رأي مخالف فإنهم يأخذون بالرأي المخالف، والعالم له مكانته وقدسيتها، ولكنّ الرأي غير مقدّس، وهو قابل للبحث العلميّ، والردّ لا بدّ من أن يكون بالدليل، ومن عنده رأي يعرض أدلّته، والعلماء يبحثون في الأدلّة، وقد يقبلون الرّأي أو يرفضونه، وقد يقبل البعض ويردّ البعض الآخر بالدليل أيضاً .

المصادر السنيّة :

عن عبدالله بن مسعود عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال :
"إنّ من ورائكم زمانٌ صَبْرٌ للمتمسك فيه أجر خمسين شهيداً" . فقال
 عمر : يا رسول الله، منّا أو منهم ؟ قال : **"منكم"** ^(١) .

يأتي زمان يكون للمتمسك بدينه أجر خمسين شهيداً من شهداء
 أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وآله .

عن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله
 وسلّم : **"إنّ من ورائكم أيام الصبر، الصبرُ فيهن كقبض على الجمر،
 للعامل فيها أجرٌ خمسين"** . قالوا : يا رسول الله، أجر خمسين منهم أو
 خمسين منّا ؟ قال : **"خمسين منكم"** . رواه البزار والطبرانيّ بنحوه إلاّ
 أنه قال : **"للمتمسك أجر خمسين شهيداً"** . فقال عمر : يا رسول

^(١) المعجم الكبير للطبرانيّ ج ١٠ ص ١٨٢ ح ١٠٣٩٤ .

الله، منّا أو منهم؟ قال: "منكم". ورجال البيّار رجال الصّحيح غير سهل بن عامر البجليّ وثقه ابن حبان (١).

سيأتي زمان للمتمسك بدينه أجر خمسين شخصاً من أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وآله، ولكنّ بعض أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وآله - كسلمان المحمديّ - أفضل من الأشخاص الموجودين في زماننا وفي المستقبل.

حاجة الجهاد إلى القائد :

ما هو مذكور في الكتب أنّ الجهاد ينقسم إلى قسمين :

القسم الأوّل : الجهاد الدّفاعي :

وهنا لا توجد حاجة إلى إذن المعصوم عليه السّلام، فإذا كان هناك هجوم من أعداء الدّين على المسلمين فيجب عليهم الدّفاع عن أنفسهم، وهذا مسموح للمسلمين ولغير المسلمين، فكلّ إنسان إذا وقع هجوم عليه من عدوّه فإنّه يقوم بالدّفاع عن نفسه، وهذا دفاع مشروع لجميع النّاس من أيّ دين أو مذهب كانوا، فكلّ إنسان حقّ الدّفاع عن النّفس والعرض والمال .

القسم الثّاني : الجهاد الابتدائيّ :

وهذا يحتاج إلى إذن المعصوم عليه السّلام، فهو عليه السّلام يبادر إلى الجهاد لأجل نشر الدّين، كما كان النبيّ صلّى الله عليه وآله،

(١) مجمع الزوائد للهيثميّ ج ٧ ص ٢٨٢ .

فالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي بَعْضِ حُرُوبِهِ كَانَ مَدَافِعًا، وَفِي بَعْضِ حُرُوبِهِ كَانَ يَبْتَدِئُهَا فِيهَا جَمِ الْآخِرِينَ، وَالْمَعْصُومِ عَلَيْهِ السَّلَامِ لِأَجْلِ نَشْرِ الدِّينِ يَجَاهِدُ، فَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَرْسَلَ الْكُتُبَ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ وَكَسْرَى فَارِسَ، وَتَنْقَلُ كُتُبَ التَّارِيخِ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ فِيهَا: "أَسْلِمَ تَسْلَمٌ".

وَإِذَا لَمْ يَسْتَسْلِمُوا كَانَ يَبْعَثُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْجِيُوشَ إِلَيْهِمْ، فَحُرُوبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَعْضُهَا دَفَاعِيَّةٌ وَبَعْضُهَا ابْتِدَائِيَّةٌ هُجُومِيَّةٌ.

وَهَذَا رَأْيٌ مَطْرُوحٌ مَذْكُورٌ فِي الْكُتُبِ، وَلَكِنْ بَعْدَ الْبَحْثِ يَتَبَيَّنُ أَنَّ حُرُوبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَلَّمَا كَانَتْ حُرُوبًا دَفَاعِيَّةً، فَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمْ يَبْتَدِئْ بِقِتَالِ قَطٍّ، وَإِنَّمَا كَانَ فِي مَوْقِفِ الْمَدَافِعِ فَقَطٍّ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَا يَخَالِفُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ، وَأَيَاتِ الْقِتَالِ كَلَّمَا تَأْتِي فِي سِيَاقِ الدَّفَاعِ عَنِ النَّفْسِ وَقِتَالِ وَجِهَادِ مَنْ يَقَاتِلُ الْمُسْلِمِينَ وَعَدَمِ الْبَدْءِ بِالْقِتَالِ.

إِنَّ "قَاتَلَ وَقِتَالَ وَمُقَاتَلَةً" وَ"جَاهَدَ وَجِهَادَ وَمُجَاهَدَةً" عَلَى وَزْنِ "فَاعَلَ وَفَعَالَ وَمُقَاعَلَةً"، وَالْأَلْفُ فِيهَا هِيَ "أَلْفُ الْمَفَاعَلَةِ"، وَأَلْفُ الْمَفَاعَلَةِ مَعْنَاهَا أَنَّهُ يَوْجَدُ طَرَفَانِ فِي الْقِتَالِ وَالْجِهَادِ، مِثْلًا فِي الْمَصَارَعَةِ يَوْجَدُ طَرَفَانِ يَتَصَارِعَانِ، فَفِي آيَةِ أَوْ رَوَايَةٍ إِذَا قَرَأْنَا كَلِمَةَ "قِتَالَ وَقَاتَلَ" وَ"جِهَادَ وَجَاهَدَ" فَلَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَوْجَدَ طَرَفَانِ يَتَقَاتِلَانِ، وَالْجِهَادُ يَقَعُ ضِدَّ طَرَفٍ آخَرَ مَعْتَدِيٍّ، وَالْقِتَالُ يَقَعُ فِي سَاحَةِ الْقِتَالِ.

"وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ" (١) .

"وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ . . . كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ" : يوجد طرفان : الطرف الأول من المسلمين، والطرف الآخر من المشركين .

"يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ" (٢) .

"جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ" : أي الذين يقاتلون المسلمين، فالجهاد يحتاج إلى طرف آخر .

"وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَاقتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمُ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ" (٣) .

"وَقَاتِلُوا . . . الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ" : والقتال يحتاج إلى طرفين، ولا قتال للمسلمين إلا مع المقاتلين، وأما غير المقاتلين فلا قتال معهم .

(١) التوبة : ٣٦ .

(٢) السورة السابقة : ٧٣ .

(٣) البقرة : ١٩٠-١٩٤ .

"وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقَفْتُمُوهُمْ" : ففي ساحة المعركة كل طرف يحاول

قتل الطرف الآخر، واقتلوا الذين يقاتلونكم فقط لا مطلق الناس .

"فَإِنْ اعْتَرَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا . . . فَإِنْ لَمْ يَعْتَرِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَاخْذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقَفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا" (١) .

إذا اعتزلوا ولم يقاتلوا وأرادوا السلام فلا يوجد للمسلمين عليهم سبيل، أي لا يقاتلونهم ولا يقتلونهم، فإن لم يعتزلوكم وقاتلوكم ولا يريدون السلام ولم يكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث تقفتموهم، وهذا القتل يكون للمقاتلين فقط، ولا يشمل غير المقاتلين، ويحرم قتل الأشخاص غير المقاتلين، ويحرم الهجوم على من لا يقاتل من الرجال والنساء والأطفال، ويحرم قصف المدن الآمنة الأهلة بغير المقاتلين .

"فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ" : إن قاتلوكم هم أي أنّ الطرف الآخر بدأ بالقتال، فيحرم البدء بالقتال، ولا يجوز للمسلمين أن يبدؤوا بقتال أي أحد، يقاتلون من يقاتلهم فقط، والطرف الآخر يبدأ بالقتال، والمسلمون يدافعون عن أنفسهم فيقاتلونهم، والمسلمون لا يبدؤون بقتال، ويكون دور المسلمين هو الدفاع فقط .

"أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَ اللَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمْ

(١) النساء : ٩٠-٩١ .

اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ . . . أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ" (١) .

"أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا . . . وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ" : فالطرف الآخر هو الذي بدأ بالقتال .

"قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ" : قاتلوا الذين بدؤوكم بالقتال، ويحرم البدء بالقتال .

"وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ" : جاهدوا في ساحة القتال، ودور المسلمين هو أن يدافعوا حينما يبدأ الطرف الآخر بالقتال .

إنّ الحروب الإسلاميّة والقتال الإسلاميّ والجهاد الإسلاميّ كلّها دفاعيّة، ولا توجد حروب ابتدائيّة ولا جهاد ابتدائيّ هجوميّ، ودور المسلمين هو الدّفاع عن النّفس إذا قاتلهم الآخرون، ولا يبدأون بالقتال، وأدلتنا على هذه التّيجة أدلّة قرآنيّة .

"وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ" (٢) .

ليس معنى هذه الآية إرهاب الأعداء بالهجوم والاعتداء عليهم وقاتلهم وقتلهم، وإنّما إعداد القوّة بحيث تكون للدّولة الإسلاميّة هيبه، فلا يفكر العدوّ بدخول حرب مع المسلمين أو التّحرّش بهم لأنّ الدّولة الإسلاميّة قويّة مُهَابَة .

(١) التّوبة : ١٣-١٦ .

(٢) الأنفال : ٦٠ .

إنّ غير المقاتلين لا يكونون مشاركين في الحروب، ويحرم التّعريض للمسلمين، فدماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم محفوظة لا يجوز التّعريض لها بأيّ حال من الأحوال .

وأما في ساحة المعركة فيجوز قتال المقاتلين وأخذ الغنائم منهم، هذا في ساحة المعركة فقط، ولا يجوز التّعريض لنساء المقاتلين ولا لأطفالهم ولا للرجال الذين لم يشاركوا في القتال، ويحرم تدمير الممتلكات العامة، وتجب المحافظة على الممتلكات العامة في جميع الدول .

"وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ" : فيحرم البدء بالقتال والاعتداء، والحروب الابتدائية الهجومية والجهاد الابتدائي عبارة عن اعتداء على الآخرين، وهذه قاعدة قرآنية تجري في جميع الآيات من أول القرآن إلى آخره في أيّ موضع يوجد فيه قتال، فالله لا يحبّ المعتدين دائماً .

"فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ" : الاعتداء على الطرف الآخر يكون بمقدار ما اعتدى عليكم لا أكثر من ذلك، والزيادة في الاعتداء خلاف التقوى، فيحرم الاعتداء على العدو المعتدي بأكثر من مقدار اعتدائهم على المسلمين، ويحرم الاعتداء على نفس ومال وعرض أيّ شخص من أيّ دين كان حتّى لو كان ملحدًا إذا لم يكن مقاتلاً .

هذه قوانين الحرب والقتال والجهاد في القرآن الكريم، ونأتي الآن إلى

قوانين الحرب في الروايات الشريفة .

عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أراد أن يبعث سريةً دعاهم فأجلسهم بين يديه ثم يقول : "سيروا بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله، لا تغلّوا (أي لا تأخذوا من الغنائم لأنفسكم)، ولا تمثّلوا (أي بالجنث، مثلاً يقطع رأسه ويعلقه)، ولا تغدروا، ولا تقتلوا شيخاً فانياً (أي كبيراً في العمر) ولا صبياً ولا امرأةً (أي من غير المقاتلين، فلا تتعرض لهم)، ولا تقطعوا شجراً إلا أن تضطروا إليها، وأيّما رجل من أدنى المسلمين أو أفضلهم (كان جندياً أو قائداً) نظر إلى رجل من المشركين (أي نظر نظرة إشفاق إلى حال هذا المشرك، وطلب الأمان من المسلم، فأعطاه الأمان) فهو جائز (أي يجيزه من القتل) حتى يسمع كلام الله، فإن تبعكم فأخوكم في الدين، وإن أبي فأبلغوه مأمنه (ما دام أنّه أعطاه الأمان فيوصله إلى مكان يكون فيه الأمان له من القتل) . . . (١) .

عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : "نهى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يُلقَى السّمّ في بلاد المشركين" (٢) .

عن أبي عبدالله عليه السلام قال : "إنّ النّبّيّ صلى الله عليه وآله كان إذا بعث أميراً له على سرية أمره بتقوى الله عزّ وجلّ في خاصّة

(١) الكافي ج ٥ ص ٢٧-٢٨ ح ١ .

(٢) المصدر السابق ج ٥ ص ٢٨ ح ٢ .

نفسه ثمّ في أصحابه عامّةً" . ثمّ يقول : "اغزُ بسم الله وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله (بشرط أن يكونوا من المقاتلين لأنّ "قاتل" فيه ألف المفاعلة التي تحتاج إلى طرفين، وهؤلاء الكفار هم الذين بدؤوا بالقتال، والمراد ليس مطلق الكفار هنا أي جميع الكفار، بل الكفار المقاتلين، فيقاتلون الكفار المقاتلين فقط، فيقاتل الكافر المقاتل أي الكافر الحربيّ فقط، ويحرم الاعتداء على الكافر غير المقاتل، فالكافر المسلم يحرم التعرّض له)، ولا تغدروا ولا تغلّوا ولا تمثّلوا ولا تقتلوا وليدًا (فيحرم قتل الأطفال) ولا مُتَبَتِّلًا في شَاهِق (المتبتّل هو العابد المنقطع عن الدنّيا، والشاهق هو الجبل، والمراد به الرهبان الذين انقطعوا للعبادة، وهم ليسوا من المقاتلين)، ولا تحرقوا النخل، ولا تغرقوه بالماء، ولا تقطعوا شجرةً مثمرةً، ولا تحرقوا زرعًا؛ لأنكم لا تدرون لعلكم تحتاجون إليه، ولا تعفروا من البهائم ممّا يُؤكّل لحمه إلّا ما لا بدّ لكم من أكله (أي لا تقتلون جميع الحيوانات إلّا ما يؤكل، وتذبجون ما يُؤكّل للضرورة فقط، وأنتم في ساحة المعركة تأخذون من حيواناتهم، وهي غنائم، وإذا احتجتم للأكل فتذبجون بقدر الاضطرار، وأمّا المسلمون فيحرم الاعتداء على مزارعهم وبساتينهم ومحاصيلهم وحيواناتهم، فهذه أملاكهم، فيحرم الاعتداء على المسلمين والتّعدي على ممتلكاتهم)^(١) .

عن الإمام الصادق عليه السّلام في طعام الأسير : "إطعامه حقّ على

(١) الكافي ج ٥ ص ٢٩ ح ٨ .

من أسره وإن كان يريد قتله من الغد، فإنه ينبغي أن يُطعمَ ويُسقى ويُظَلَّ (أي يجعل له ظلًّا، ولا يتركه في الشَّمس يعاني الحرارة)، ويرفق به كافرًا كان أو غيره (كافرًا أو غير كافر ، فيتعامل معه برفق) (١) .

كان عليّ أمير المؤمنين عليه السّلام يأمر في كلِّ موطن لقينا فيه عدونا فيقول : " لا تقاتلوا القوم حتّى يبدؤوكم، فإنكم بحمد الله على حجة، وترككم إيّاهم حتّى يبدؤوكم حجة لكم أخرى، فإذا هزمتموهم فلا تقتلوا مُدبرًا (أي هاربًا)، ولا تجهزوا على جريح، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثلوا بقتيل" (٢) .

"لا تقاتلوا القوم حتّى يبدؤوكم" : هذا تطبيق للآية القرآنيّة : "أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا . . . وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ" (٣) .

عن مالك بن أعين قال : حرّض أمير المؤمنين عليه السّلام النّاس بصفين فقال : " . . . ولا تمثلوا بقتيل، وإذا وصلتكم إلى رجال القوم فلا تهتكوا سترًا، ولا تدخلوا دارًا، ولا تأخذوا شيئًا من أموالهم إلا ما وجدتكم في عسكرهم (أي تأخذون الأموال الموجودة في ساحة المعركة فقط كغنائم حرب)، ولا تهيجوا امرأة بأذى وإن شتّمن أعراضكم وسببن أمراءكم وصلحاءكم . . ." (٤) .

(١) الكافي ج ٥ ص ٣٥ ح ٤ .

(٢) المصدر السابق ج ٥ ص ٣٨ ح ٣ .

(٣) التّوبة : ١٣ .

(٤) الكافي ج ٥ ص ٣٩ ح ٤ .

"فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ
وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" (١) .

"فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ" : أي المشركين الذين
يقاتلونكم لا مطلق المشركين، ولا تعني اقتلوا جميع المشركين، ولا تعني
أن أيّ مشرك في العالم تعرض عليه الإسلام فإذا لم يقبل الإسلام
تقتله، فالمشرك المسلم ليس من حقّ أحد أن يقتله، نعم يدخل معه في
نقاش علمي، اقتنع أو لم يقتنع، وإذا لم يقتنع يتركه ولا يتعرّض له
بشيء، وليس من حقّه أن يقتله .

إذن هذه الآية : "فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ" ليست
على إطلاقها، وإنما اقتلوا المشركين الذين يقاتلونكم في ساحة القتال
بدلالة الآيات الأخرى .

والقواعد القرآنيّة هي أنّ القتال يكون مع من يقاتل المسلمين،
والمسلمون لا يبدؤون بقتال، ولا يعتدون على أحد أبداً، وبعد تثبيت
قواعد القتال وقوانين الحرب وآدابها في القرآن نذهب إلى الروايات
ونطبّق هذه القواعد عليها .

إنّ الجهاد يحتاج إلى الأفراد الممحصّين الذين نجحوا في الابتلاءات،
ويحتاج أيضاً إلى القائد الذي عنده القابليّات والاستعدادات الخاصّة
لنشر العدل الكامل في العالم كلّه، ونحن كأناس عاديين يمكن أن ننشر

(١) التّوبة : ٥ .

العدل في العالم بنسبة من النسب وبمقدار ما عندنا من عدالة، ولكنّ العدل الذي يريده الله تعالى لا يتحقّق إلا في زمان الإمام المهديّ عليه السّلام، وهو العدل المطلق، وكلّ إنسان يحصل على حقّه، ولا يوجد ظلم وفقر ومجاعة في العالم، وصاحب المليارات لا يستحقّ كلّ المبالغ الموجودة عنده، وبعض الشّركات الغريّبة أرباحهم السنويّة الصّافية سبعة مليارات دولار، وبعضهم يقدّم مليار لأفريقيا، والمطلوب منه أكثر من هذا المبلغ .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ" (١) .

ونحن الآن لا نعيش في زمان العدل، فالإنسان يظنّ أنّ الأموال ملك له، ولكن في الواقع هذه الأموال ملك لله تعالى، وهي أمانة بيد الإنسان، والله تعالى يحدّد مصارفها، وكلّما زدت الأموال عند الشّخص زادت مسؤوليّاته، ولا يظنّ أنّه يرتاح أكثر إذا ملك أموالاً أكثر، نعم من الممكن أنّه يرتاح في الدّنيا، ولكنّ الحساب في الآخرة حساب عسير لكلّ فلس فلس، والإنسان الفقير الذي لا يملك شيئاً في الدّنيا يقول يوم القيامة : يا ربّي، على ماذا تحاسبني وأنت لم ترزقني شيئاً؟! .

لذلك حساب الفقير أهون من حساب الغنيّ؛ لأنّ الغنيّ سيُسأل : هذا المال من أين اكتسبته ؟ وفيم أنفقته ؟

(١) المعارج : ٢٤-٢٥ .

والفقير يقول : أنا لم أكتسب شيئاً حتى أنفق .
ونلتفت إلى أن الإنسان كلما امتلك أموالاً أكثر فإنّ مسؤولياته
تصبح أكبر .
نرجع إلى موضوعنا :

هذا القائد الذي يكون مؤهلاً ومعه الأنصار الذين نجحوا في
الابتلاءات سينشرون العدل في العالم، والأمة تحتاج دائماً إلى قائد
وإلى أفراد مخصّين، ومع القائد المؤهّل يكون الجهاد واجباً، ويكون
القتال مع الأعداء المحاربين للإسلام ضربة استباقية، ويحتاج إلى إذن
المعصوم عليه السّلام .

وأما الجهاد الدفاعي الذي لا يكون واجباً على كلّ الأمة فلا يحتاج
إلى القائد ولا إلى الأفراد المخصّين؛ لأنّ الهدف هو الحفاظ على
بيضة الإسلام، ولكنّ التاريخ أثبت فشل المسلمين في الحروب
الدفاعية بدون القيادة والوعي والأفراد المخصّين، فالأمة لا يمكن أن
تتحرك تحركاً صحيحاً بدون قيادة صالحة واعية وأفراد مخلصين، وبدون
القيادة تفشل الأمة في المواجهة، وبسبب فشل الأمة في المواجهة
بدون قيادة وبدون الأفراد المخلصين تمّ غزونا من قبل أعداء الدّين في
عقر دارنا، وسيطروا على بلدان المسلمين وعلى مواردها الطّبيعية، فلا
يوجد القائد الصّالح الواعي ولا الأفراد المخصّين بالعدد الكافي، وإذا
توقّر القائد الصّالح الواعي والأفراد المخلصين بالعدد الكافي والكيف
المطلوب والسّلاح فإنّ الأمة ستنتصر في كلّ مواجهة مع الأعداء .

والقائد الإسلاميّ يتجسّد في الإمام المهديّ عليه السّلام الذي سينشر الدّين والعدل في العالم عن طريق الجهاد، فيملأها قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلمًا وجورًا، والبشريّة ستكون منهيّة لاستقبال القائد العالميّ والدّين العالميّ والعدل العالميّ، وتتهيأ البشريّة من خلال التّخطيط الإلهيّ الموجود من زمن آدم عليه السّلام وإلى ظهور الإمام عليه السّلام، وهذا كلّه يقع ضمن التّخطيط الإلهيّ، ولا يخرج أيّ حدث عن عين الله سبحانه، وحينما خلق الله تعالى آدم عليه السّلام فالتّخطيط الإلهيّ لليوم الموعود كان قد بدأ، بل بدأ قبل خلق آدم عليه السّلام .

فقبل خلق آدم عليه السّلام قال الله تعالى للملائكة :

"إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً" (١) .

والإنسان المنحرف الضّالّ الفاسد ليس خليفة الله في الأرض، وإمّا المؤمن الصّالح هو خليفة الله في الأرض، والمؤمنون الصّالحون سيرثون الأرض .

"وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ" (٢) .

إنّ الأرض سيرثها عباد الله الصّالحون الذين نجحوا في الابتلاءات وأثبتوا جدارتهم، وجعل الله تعالى الأرض ميراثاً لهؤلاء الصّالحين، وما

(١) البقرة : ٣٠ .

(٢) الأنبياء : ١٠٥ .

دام أتهم صالحون فإنهم سيتعاملون مع الميراث بشكل صالح،
ويساعدون الإمام عليه السّلام في نشر العدل في العالم، وهذا هو
الصّلاح المتوقّع منهم .

والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد
وآله الطّيبين الطّاهرين .

أسئلة وتعليقات الحاضرين :

الحاجّ عادل الحدّاد :

ذكرتم معيار القوّة، وأشرتكم إلى أنّه متى يكون الإنسان من أنصار
الإمام عليه السّلام، وذكرتم بعض الروايات في أفضليّة أنصار الإمام
المهديّ عليه السّلام على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله،
وهناك معيار آخر وهو معيار الأخوّة .

والآية الكريمة تقول : "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ" . . . (١) .

ورسول الله صلى الله عليه وآله اتّبع هذه الطّريقة بعد الهجرة،
فآخى بين المهاجرين والأنصار، وآخى بينه وبين عليّ عليه السّلام .
وعن الإمام عليّ عليه السّلام : التّاس صنفان : إمّا أخ لك في
الدّين أو نظير لك في الخلق .

وشرط الأخوّة ركّزت عليه الآية الكريمة وسيرة النّبىّ صلى الله عليه
وآله والأئمّة عليهم السّلام، وتصور أنّ هذا موضوع مهمّ يحتاج إلى
تسليط الضّوء عليه .

(١) الحجرات : ١٠ .

فهل مبدأ الأخوة يُعْتَمَدُ عليه في اختيار أنصار الإمام عليه السلام ؟

جواب الشيخ محمد أشكناني :

ارتباط مبدأ الأخوة باختيار أنصار الإمام عليه السلام غير واضح عندي، نعم هي نقطة مهمّة، ولكن موضوعنا ليس عن هذا الجانب، ويمكن ربط هذا المبدأ بموضوع آخر، وعندني بحث عن "الخلافات بين المؤمنين"، لماذا تنشأ الخلافات بين المؤمنين ؟

ولعلّ في بعض الأسابيع مستقبلاً نتناول هذا الموضوع، وهو موضوع طويل، ونطرح فيه الأسباب والنتائج والحلول .
ومن الحلول قوله تعالى : "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ" .

وهذه الآية الكريمة حلّ من حلول المشكلة، ولا بدّ من معرفة معنى الأخوة، ومعرفة اللّوازم التي تترتّب على الأخوة بين المؤمنين .

الحاجّ عادل الحدّاد :

في رواية أخرى أنّ من يأتي في زمان المستقبل يشير النّبّي صلّى الله عليه وآله إلى أنّهم إخوان له، لا فقط أنّهم أنصار، وإنّما يصفهم بأنّهم إخوان .

جواب الشيخ محمد أشكناني :

قلنا بأنّ عامل الزّمن ليس له قيمة في بعض الأمور، وإذا قال النّبّي صلّى الله عليه وآله بأنّهم إخوان له - فمعنى ذلك أنّهم في مراتب عالية من الإيمان، والنّبّي صلّى الله عليه وآله آخى بينه وبين الإمام عليّ عليه

السّلام، فحينما يقول صلّى الله عليه وآله : إخواني - أي عندهم مواصفات خاصّة، فليس جميع المؤمنين يكونون إخواناً للنبيّ صلى الله عليه وآله بالمعنى الخاصّ للأخوة، نعم توجد أخوة عامّة بناءً على الآية الكريمة : "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ" .

والنبيّ صلّى الله عليه وآله عندما يقول : إخواني - فهو يقصد نوعاً خاصّاً من الأخوة، وهي الأخوة الخاصّة، كما كانت بينه وبين الإمام عليّ عليه السّلام، فالأخوة العامّة موجودة بين جميع المؤمنين بما فيهم النبيّ صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السّلام، ولكنّ الأخوة الخاصّة للنبيّ صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السّلام تكون مع المؤمنين الذين يكونون في درجات عالية من الإيمان، وتوجد رابطة مع جميع المسلمين بشكل عامّ، وهي رابطة الدّين، فيوجد نوعان من الأخوة : الأخوة العامّة والأخوة الخاصّة، وتنشأ الأخوة الخاصّة بين المؤمنين الذين يكونون في مرتبة عالية من الإيمان بحيث يكونون إخوةً من نوع خاصّ .

وتشير الرّوايات إلى الأخوة العامّة بين المؤمنين، منها :

عن أبي عبد الله عليه السّلام : "المؤمن أخو المؤمن، عينه ودليله، لا يخونه، ولا يظلمه، ولا يغشّه، ولا يعده عدة فيخلفه" (١) .

وتذكر الرّوايات صفات أخرى للمؤمنين بالأخوة العامّة .

وتوجد روايات تشير إلى الأخوة الخاصّة بين المؤمنين، منها :

(١) الكافي ج ٢ ص ١٦٦ ح ٣ .

عن أبان بن تغلب قال : كنت أطوف مع أبي عبدالله عليه السّلام فقلت : أخبرني عن حقّ المؤمن على المؤمن . فقال : " يا أبان، دَعُهُ لا تَرِدْهُ" . قلت : بلى جُعِلْتُ فداك . فلم أزل أُرَدُّ عليه، فقال عليه السّلام : " يا أبان، تقاسمه شطر مالك؟" . ثمّ نظر إليّ فرأى ما دخلني، فقال : " يا أبان، أما تعلم أنّ الله عزّ وجلّ قد ذكر المؤثرين على أنفسهم؟" . قلت : بلى، جُعِلْتُ فداك . فقال : " أمّا إذا قاسمته فلم تؤثره بعد، إمّا أنت وهو سواء، إمّا تؤثره إذا أنت أعطيته من التّصف الآخر" (١) .

عن محمّد بن عجلان قال : كنت عند أبي عبدالله عليه السّلام فدخل رجل فسلمّ، فسأله عليه السّلام : " كيف من خلفت من إخوانك؟" . قال : فأحسن الثّناء وزكى وأطرى . فقال له : " كيف عيادة أغنيائهم على فقرائهم؟" . فقال : قليلة . قال : " وكيف مشاهدة أغنيائهم لفقرائهم؟" . قال : قليلة . قال : " فكيف صلة أغنيائهم لفقرائهم في ذات أيديهم؟" . فقال : إنّك لتذكر أخلاقاً قلّ ما هي فيمن عندنا . فقال : " فكيف تزعم هؤلاء أنّهم شيعة" (٢) .

عن سعيد بن الحسن قال : قال أبو جعفر عليه السّلام : " أجيبي أحدكم إلى أخيه فيدخل يده في كيسه فيأخذ حاجته فلا يدفعه؟" .

(١) الكافي ج ٢ ص ١٧١-١٧٢ ح ٨ .

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ١٧٣ ح ١٠ . أطرى : مدحه بأكثر ممّا فيه .

الإطراء : مجاوزة الحدّ في المدح . في بعض النسخ : يزعم .

فقلت : ما أعرف ذلك فينا . فقال أبو جعفر عليه السّلام : " فلا شيء إذن " . قلت : فاهلاك إذن ؟ فقال : " إنّ القوم لم يُعْطُوا أحلامهم بعدُ " (١) .

وهذه أخوة خاصّة لا توجد بين جميع المؤمنين، والبعض يقول بأنّه لا يمكن فعل ذلك الآن، فلا نرى أنّ المؤمن إذا احتاج يمدّ يده في جيب أخيه فيأخذ ما يحتاج، والمؤمن الآخر لا يعترض عليه .

نقول : نعم، هذا لا يمكن ضمن الأخوة العامّة ، ولكنه يمكن أن يقع ضمن الأخوة الخاصّة، فمن الممكن أنّ اثنين من المؤمنين يتفقان على أنّه إذا احتاج أحدهما إلى شيء يأتي إليه فيأخذ منه ما يحتاج، ويقول : كلّ ما عندي لك، وكلّ ما عندك لي .

ولا يمكن فتح الباب لجميع المؤمنين بأن يأخذ كلّ مؤمن ما يحتاجه من جيب الآخر بلا أيّ حساب، فلا يقع ذلك ضمن الأخوة العامّة، ولكنّه يقع ضمن الأخوة الخاصّة .

ولا نجد أنّ المؤمن يسعى في قضاء حوائج المؤمنين مع توقّر المال عنده، ومعرفته بحاجة المؤمن الآخر، وإمّا يصرف أمواله في شراء الكماليّات التي لا يحتاجها، كأن يشتري حقيبةً غالية السّعر؛ لأنّها ماركة، فيدفع آلاف الدنانير لشراء سلع لها ماركات معيّنة، مع أنّه يعرف بوجود مؤمنين فقراء في بلده لا يحصلون على قوت يومهم،

(١) الكافي ج ٢ ص ١٧٣-١٧٤ ح ١٣ . لم يُعْطُوا أحلامهم : لم تُكْتَمِلْ عقولهم .

ولكنّه لا يهتمّ بذلك، ولا يهتمّه أمر المؤمنين المحتاجين، ولا يسعى في قضاء حوائجهم .

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : "المؤمن مرآة لأخيه المؤمن . .
" (١) .

والمرآة تعكس إيجابيّات وعيوب من ينظر فيها، وإذا مدحت أحد المؤمنين فإنّه يقبل مدحك، وإذا نصحته فإنّه يستاء منك ولا يقبل نصيحتك، وقد يردّ عليك بجفاء؛ لأنّ الأخوة الخاصّة غير موجود بينكما، والرّواية تبينّ الأخوة الخاصّة بأنّ المؤمن كالمرآة تعكس إيجابيّات وسلبيّات الطرف الآخر، ولو كانت الأخوة الخاصّة موجودة بينكما لناقشك فيما طرحت من سلبيّات؛ ليرى أنّها موجودة فيه فعلاً أو لا، وقد تكون التّصيحة في مكانها، وعلى أساس نصيحتك يصلح وضعه .

إذن :

"إنّما المؤمنون إخوة" تعني الأخوة العامّة بين المؤمنين، وبعض الرّوايات تشير إلى الأخوة الخاصّة بين المؤمنين، وما طرحه الآيات أو الرّوايات لا تكون على معنى واحد .

مثلاً بعض الرّوايات تذكر بأنّ الإيمان على درجات، وفي كلّ درجة يكون للمؤمن صفات معيّنة، وإذا صعد إلى الدّرجة الثّانية فإنّ صفاته تصبح أفضل؛ لأنّه يتكامل، وكلّما تكامل صعد إلى درجة أعلى،

(١) بحار الأنوار ج ٧١ ص ٢٣٣ ح ٢٩ .

فيحصل على صفات أفضل وأكمل، وهكذا الإنسان المؤمن يصعد درجةً بعد درجة، والنبي صلى الله عليه وآله يصعد في الدرجات ويتكامل إلى أن يصبح "الإنسان الكامل" الذي لا يوجد أكمل منه، بحيث يكون قاب قوسين أو أدنى من جهة معنوية لا مادية، فمن حيث المعنويات وصل النبي صلى الله عليه وآله إلى أعلى درجة، ولا يصل إلى هذه الدرجة أي إنسان آخر، فالنبي صلى الله عليه وآله هو الإنسان الكامل .

وأسأل الله تعالى أن يوفقنا في بعض المحاضرات؛ لكي نبين صفات الإنسان الكامل، ولا بدّ من أن يكون نظر جميع الناس إلى الإنسان الكامل؛ حتى يسعوا إلى تحقيق هذه الصفات في أنفسهم، وكلّ إنسان يرغب في أن يكون الإنسان الكامل من ناحية معنوية، ولا بدّ من أن يكون النظر إلى الأمور المعنوية لا الأمور المادية فقط .

وبعض الشباب يذهبون إلى النادي ويرفعون الأثقال، ويكون نظرهم إلى أجسامهم فقط، فهم يريدون أن يبنوا عضلاتهم، والبعض منهم لا يهتمون بالدين، فقد لا يستيقظ لصلاة الصبح، فهو قام بتقوية بدنه، ولكنّه لم يقم بتقوية روحه .

ويقول البعض بأنّه يذهب إلى النادي لكي يقوي بدنه؛ حتى يكون من أنصار الإمام عليه السلام، والأنصار لا بدّ من أن تكون أجسامهم قوية؛ حتى يمكنهم أن يحاربوا الأعداء، وهذه فكرة جيّدة، ولكن لا بدّ من أن يقوي النواحي المعنوية فيه، والناحية المعنوية هي

المهمّة، وقد تجد شخصًا نحيفًا، ولكن إرادته تكون مثل الجبال، والإمام عليه السّلام حينما يختار أنصاره فإنّه يختار هذا الشّخص النّحيف؛ لأنّ إرادته قويّة، والإمام عليه السّلام يحتاج إلى أصحاب الإرادة القويّة .

وفي الجهاد لا يحتاج الإمام عليه السّلام إلى الجسم فقط، وإنّما يحتاج إلى الرّوح، فكم من الشّهداء في سبيل الله تعالى كانوا من النّحاف القصيري القامة، ويمكنهم أن يجاهدوا؛ لأنّ القضية ليست قضيّة عضلات فقط، وإنّما قضيّة الرّوح والنّفس القويّة، فصفاهم المعنويّة القلبيّة تهيوهم لأن يصبحوا من المجاهدين في سبيل الله تعالى، وترى في صور الشّهداء شخصًا طويل القامة مفتول العضلات وإلى جانبه شخص نحيف قصير القامة، وكلاهما من المجاهدين في سبيل الله تعالى .

ومن يريد أن يكون من الأنصار فمن الجيّد أن يسعى لتقوية جسمه، ولكن أوّلًا يقوّي الأمور المعنويّة عنده، وكما يقوّي عضلاته لا بدّ من أن يقوّي معنويّاته، ويصعد إيمانًا ومعنويًا يومًا بعد يوم مثلما يقوّي عضلاته يومًا بعد يوم، ولا يكون نسخة كربون لنفسه عبر السّنوات، ويكون هو نفس الشّخص الّذي كان قبل عشر سنوات وعشرين سنة، وقد يصبح مفتول العضلات، ولكن معنويّاته لم تتكامل، فالمؤمن يقوّي بدنه، ويقوّي أيضًا الرّوحانيّات والمعنويّات الموجودة عنده، والرّوحانيّات هي المهمّة، وقد يوجد شخص مريض،

ولكنّه من ناحية روحانيّة قلبيّة معنويّة يكون من أقوى الأقوياء وأفضل المؤمنين .

والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطيّبين الطّاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٣٤)

عدم اشتراط القائد والأفراد الممحصين في الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر^(١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

كان الكلام عن أنصار الإمام المهدي عليه السلام، وعن شروط الجهاد، وقسمنا الجهاد إلى قسمين : جهاد ابتدائي و جهاد دفاعي، ومن أنواع الجهاد الجهاد التتقيفي، وتكلمنا عن شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان من شروط الجهاد وجود القائد الذي يتولى قيادة الجيش إذا كان الجهاد جهاداً عسكرياً، وقلنا إن الإمام عليه السلام يحتاج إلى الأفراد المؤمنين الممحصين أي الناجحين في الابتلاءات بحيث يصلون من خلال النجاح إلى الدرجات العالية من الإيمان، وتكون لهم مواصفات خاصّة، والإمام عليه السلام لا يختار

(١) أُلقيت هذه المحاضرة في الديوانية الأسبوعية في دولة الكويت منطقة

بيان، الجمعة ١ شعبان ١٤٣٣ هـ ، ٢٢/٦/٢٠١٢ م .

أيّ شخص ليكون من أنصاره، وإنما يختار الذين يكونون ضمن مواصفات إيمانيّة عالية، ويكونون قد نجحوا في ابتلاءات مختلفة، والإنسان لا يخلو من ابتلاء أو أكثر خلال السنّة، والمهمّ أنّ المؤمن ينجح في البلاء، ويصعد تدريجيًّا إلى الدّرجات العالية من الإيمان .

نأتي إلى الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، ويأتي السّؤال التّالي : هل يحتاج أداء الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر إلى القائد وإلى الأفراد المخصّصين ؟

الجواب :

لا يحتاج أداء الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر إلى القائد ولا إلى الأفراد المخصّصين، فكلّ فرد من المسلمين مهما كانت درجته الإيمانيّة حتّى لو كان في أدنى درجات الإيمان - عليه تكليف وجوب الأمر بالمعروف ووجوب النّهي عن المنكر مع توفّر الشّروط التي مر ذكرها، فالقيام بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر يحتاج إلى معرفة الحكم الشرعيّ مع احتمال التّأثير وعدم احتمال وقوع الضّرر على من يقوم بهما، ولا يحتاج المسلم في أداء الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر إلى قائد لممارسة هذين الواجبين، ولا يحتاج إلى شرط الإيمان المخصّص الذي يكون ضمن مواصفات عالية، فيجب على كلّ مسلم أداء هذين الواجبين، ومن يريد أن يمارس هذين الواجبين لا بدّ من أن يعرف الحكم الشرعيّ، فلا يمكن لمن لا يعرف الحكم الشرعيّ أن ينطلق من جهل، فيجب معرفة الحكم الشرعيّ، وهذا هو الشّروط

الأول، والشّروط الثّاني هو احتمال التّأثير، فيحتمل أنّه يؤثّر في الطّرف المقابل، والشّروط الثّالث هو عدم وقوع الضّرر عليه أو على غيره، ومع توفّر الشّروط يمكنه أداء هذين الواجبين .

إنّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر من الواجبات الكفائيّة، والواجب الكفائي هو الواجب الذي إذا قام به البعض سقط عن البعض الآخر، ولكن عدد الذين يقومون بالواجب الكفائيّ يعتمد على حسب المورد، ففي بعض الواجبات يحتاج القيام بها إلى شخص واحد كما في الصّلاة على الميت، فيكفي أن يصلّي عليه مسلم واحد، وبعض الواجبات تحتاج إلى عدد أكبر لأدائها، فمورد الواجب هو الذي يحدّد عدد المسلمين الذين يجب أن يقوموا بهذا الواجب الكفائيّ، فقد يحتاج القيام به إلى عشرة أشخاص، وقد يحتاج إلى مائة شخص، وقد يحتاج إلى آلاف، وقد يحتاج إلى ملايين من المسلمين، والكميّة تتحدّد بحسب المورد، وإذا قام به العدد المطلوب سقط عن الباقيين .

إنّ الهدف من الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر هو حفظ مجتمع المسلمين من السّقوط في الرّذيلة والضلال، وإذا علّم مسلم شخصاً كيفيّة الوضوء والصّلاة فقد أدّى تكليفه، وإذا منع شخصاً فاسقاً يؤثّر في فساد المجتمع فقد أدّى تكليفه، والمجتمع لا يسقط في الرّذيلة، نعم أدّى العمل المنحرف شخص واحد، ولكن هذا الشّخص يؤثّر على مجموعة، والإنسان الذي يؤدّي المعصية في بيته ولا أحد يعلم به

يؤثر على نفسه فقط، ولكن المعصية حينما تكون في المجتمع ويسلّط عليها الأضواء من قِبَل الفضائيات - توجد قابلية في أنّ هذه المعصية تنتشر أكثر في المجتمعات .

ويقال إنّّه في أحد المجتمعات في بداية مجيء الاستعمار كان المجتمع محافظاً على الحجاب، وحاول المستعمرون كسر تمسك النساء بالحجاب، ولم يستطيعوا أن يفعلوا ذلك مباشرةً، فاستأجروا امرأة كانت وظيفتها أن تخرج من مكان وتذهب إلى مكان آخر يوميًا، وفي البداية كانت هناك احتجاجات على هذه المرأة السافرة، ومع مرور الوقت خفّ الاحتجاج، وتدرّجياً تأثرت بعض النساء بها، وبدأت امرأة واحدة بخلع الحجاب، وهذه الواحدة أثرت على امرأة أخرى، واستمرّ التأثير على باقي النساء، فكان هدف الاستعمار كسر تمسك النساء بالحجاب، واستطاعوا أن يكسروا هذا التمسك بالحجاب .

والسّفور المنتشر اليوم بين نساء المسلمين بدأ بامرأة واحدة، والمعصية تنتشر إذا لم يوجد بين المسلمين التّهي عن المنكر، والمعصية مثل التّفاحة الفاسدة إذا تُركت في الصّندوق فإنّها تؤثّر على باقي التّفاح السّليم، والجرائد والمجلاّت والفضائيات الفاسدة تقوم بكسر الحواجز، وهدفهم نقل الأخبار والحصول على قرّاء ومشاهدين أكثر، ولكنّ النّقل يساهم في كسر الحواجز الإسلاميّة الموجودة عند المسلمين، مثلاً كثرة نقل أخبار العاصين الزّناة يشجّع الناس على الزّنا، وبعض وسائل الإعلام هدفها النّقل المتعمّد في مجتمعات

المسلمين لأخبار الفساد والمعاصي والانحراف، وخاصةً ما يكون مخطّطاً له من الاستعمار، ومن الضّروري المحافظة على الحواجز الإسلاميّة، حتّى الأب المؤمن في بيته يمارس نفس الدّور، فيمنع دخول المعاصي إلى بيته، ويمنع أيضاً دخول أخبار المعاصي؛ لكي لا يسمع أولاده بالمعاصي، وطبعاً مع وجود الهواتف النّقالة صار الأمر صعباً جدّاً، وتصعب السّيطرة بأن لا يسمع الأولاد بما يجري في العالم من أحداث، فمن الصّعب منع أخبار المعاصي التي تُرتكّب في العالم، حتّى بالنّسبة للأولاد حيث يمكنهم الدّخول إلى أيّ موقع من مواقع الإنترنت، ومن المهمّ زرع الوازع الدّينيّ في الأولاد والخوف من الله تعالى، فتصبح عنده رقابة ذاتيّة على نفسه بحيث لا يدخل إلى المواقع الفاسدة، ودور الأب أن يمارس تكليفه، والولد قد يستجيب أو لا يستجيب للأب، فهذا يكون تكليفاً على الولد .

والشّخص الذي يؤدّي واجب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر سيدخل في الابتلاء والتّمحيص، ويكون أمام امتحان بسبب وجود الصّعوبة في تطبيق الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر؛ لأنّ الطّرف المقابل قد لا يتقبّل منك، وهذه حالة عامّة عند النّاس في عدم تقبّل النّصيحة، نعم قد تجد قليلاً من النّاس يشكرونك على النّصيحة، ولكنّها ليست حالةً عامّةً عند النّاس، وخاصةً كبار السنّ إذا كان النّاصح صغير السنّ .

فيقول له : أنت صغير السنّ وتريد أن تعلّمني .

إنّ من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يكون ضمن امتحان، ولكي ينجح في الامتحان لا بدّ أوّلاً من أن يعرف الأحكام الشرعيّة، وثانياً يحدّد تكليفه الشرعيّ، وثالثاً يطبّق هذا التّكليف، وسيجد صعوبةً في تقبّل النَّاس لكلامه، والصّعوبة عبارة عن امتحان وابتلاء للمؤمن، فيمارس تكليفه رغماً عن الظّروف الصّعبة، فهو يعرف أنّ الشّخص المقابل لا يتقبّل منه، ولكنّه مع ذلك يمارس تكليفه، وإذا استطاع أن ينجح في الابتلاء ينتقل من درجة إيمانيّة أقلّ إلى درجة أعلى، ومن يترك الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر فإنّه يفشل في الامتحان والابتلاء .

ومن يقوم بوظيفة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر يدخل ضمن التّمحيص وإن كانا ضمن دائرة صغيرة، فيمرّ بدورة تدريبيّة على المستوى الفرديّ حينما يمارسهما مع فرد واحد في أمر بسيط، وتدرجياً حينما يمرّ في ابتلاء وينتقل إلى ابتلاء آخر فإنّه يكتسب الخبرة والتّدريب والتّربية والنّجاح من خلال التّمحيص الذي دخل فيه حتّى لو أنّ الطّرف المقابل لم يقبل منه، فهو الآن مارس دوره وتكليفه، ونجح في أداء تكليفه، وممارسة التّكليف غير متوقّفة على قبول الطّرف المقابل، فهو يتحرّك ويمارس دوره على أساس احتمال القبول، وتكليف الطّرف الآخر أن يتقبّل كلامك، وإذا لم يتقبّل كلامك فهو لم يؤدّ تكليفه، وعدم أداء تكليفه لا يؤثّر على أداء تكليفك، والمهمّ للمؤمن أن يؤدّي تكليفه حتّى لم لو يتقبّل الآخرون، وعدم أداء

الآخرين لتكليفهم لا يؤثر في قبول عملك من الله عزّ وجلّ، فأوّلًا حدّد تكليفك، وثانيًا قم بأداء تكليفك، وأنت لست مسؤولًا عن تحقّق النتيجة في الخارج؛ لأنّ النتيجة الخارجيّة ليست باختيارك، فالنتيجة الخارجيّة متوقّفة على العوامل الخارجيّة، والعوامل الخارجيّة بيد الأشخاص الآخرين، فإذا قاموا بتكليفهم بالتقبّل فإنهم يحقّقون العوامل الخارجيّة، وبالتالي تتحقّق النتيجة الخارجيّة .

وعدم تقبّل الآخرين قد يثبّط بعض المؤمنين عن أداء تكليفهم، فنقول له بأن يمارس دوره ويؤدّي تكليفه حتّى لو أنّ الآخرين لم يؤدّوا تكليفهم، فعليه أن يؤدّي تكليفك على أيّ حال .

وتحديد التّكليف يكون على أساس الحكم الشرعيّ، وتمارس تكليفك قرابةً إلى الله تعالى، وتكون قد أفرغت ذمّتك من خلال عملك، وعلينا أن لا نجعل تحقّق النتيجة الخارجيّة عاملاً من عوامل أداء التّكليف الشرعيّ، فتمارس دورك حتّى لو لم يتأثر بعملك أحد أو تأثر به عدد قليل من الناس .

مثلاً من يقيم الدّورات الشبائبة الصّيفيّة أو الدّورات خلال السنّة يشارك فيها أعداد قليلة من الشّباب كخمسين شابّاً أو أقلّ أو أكثر، ونسأل : كم من هؤلاء الشّباب سيكونون من المؤمنين الصّالحين فيما بعد ؟

أنت لا تدري، ولكن تتوقّع أنّ بعضهم سيكونون من المؤمنين الصّالحين في المستقبل، وأنت تعمل مع مائتي شخص، ولكن تتوقّع

أنَّ عشرةً منهم سيكونون صالحين، وهذا لا يكون عامل تثبيط لهُمَّتكَ، فإذا عملت مع مائتي شخص وأنتجت عشرةً فهذا شيء جيّد، وحينما يقوم المؤمن بعمل في المجتمع فعمله لا يتوقّف على كم يؤثّر وما هو العدد الذي يتأثّر بعمله، فيمارس تكليفه حتّى لو لم يتأثّر بعمله أحد، وكان إنتاجه الخارجي صفرًا .

وعلماء الدّين في بعض المجتمعات يمارسون دورهم ويؤدّون تكليفهم، وقد لا يوجد لهم تأثير على النَّاس، وعدم التأثير لا يوقف العالم عن أداء تكليفه، فيستمرّ في أداء دوره دون كلل أو ملل .

مثلاً الإمام الخمينيّ رضوان الله تعالى عليه حينما قام بحركته في السّتينيات من القرن الماضي مارس دوره رغم الصّعوبات الكثيرة الّتي كانت تحفّ به، ولم يكن من المتوقّع أنّه سيؤسّس دولةً في يوم ما، وكان احتمال تأسيسه لدولة احتمالاً يقرب من الصّفر، وكان تكليفه أن يتحرّك ويعمل، فتحركّ والله عزّ وجلّ بارك حركته، وبعد عشرين سنةً من التّحرك والانتقال من بلد إلى آخر استطاع أن ينتصر وأسس الجمهورية الإسلاميّة .

والإنسان قد لا يتوقّع من عمله أيّ نتيجة خارجيّة، ولكن إذا كان عنده تحرك اجتماعي وفي وقت العمل لا ينتج شيئاً - فإنّ الله عزّ وجلّ قد يبارك عمله ويحصل على النتيجة بعد ثلاثين أو أربعين أو خمسين سنةً، فلا يكون عدم النّتاج اللحظي عامل تثبيط بالنسبة له، ولا تتوقّع في الأعمال الاجتماعيّة أن تحصل على نتيجة فوريّة،

فالقضايا الاجتماعية تتدخل فيها كثير من العوامل، وبعض العوامل تكون بيدك، وبعض العوامل ليست بيدك، فتعمل وتتحرك بناءً على العوامل التي تحت يدك، وبالنسبة للعوامل الأخرى فهي ليست تحت سلطتك .

والإنسان إذا كان مخلصاً في عمله لله تعالى فالله يبارك في عمله، والشجرة التي عمل على غرسها قد تنتج الثمار بعد ثلاثين سنة، والإنسان حينما يزرع شجرة فإنه يجعل البذرة في الأرض ولا يتوقع أن يحصل على النتائج بعد شهر، ولكنه يستمر في سقيها ورعايتها سنوات طويلة إلى أن تنتج، وبعض الأشجار تحتاج إلى عشر أو عشرين سنة؛ لأجل أن تنتج الثمار، وهكذا الإنسان في الأعمال الاجتماعية لا بدّ من أن يتوقع النتائج بعد سنوات، وتبقى الآثار لهذا الإنسان، وهذه الآثار يبارك الله تعالى بها، وقد تنتج الثمار بعد موت الإنسان، ففي القضايا الاجتماعية لا بدّ من الصبر وعدم الاستعجال في تحصيل النتائج .

مثلاً طالب الحوزة حينما يبدأ بدراسته نتوقع منه الإنتاج الفعليّ بعد عشر سنوات، نعم في السنوات الأولى يشارك في الدورات الشبائية، ولكن الإنتاج الفعليّ يأتي بعد أن يقطع شوطاً في الحوزة العلمية، ويبدأ الإنتاج بعد عدّة سنوات، ولا نتوقع منه أن يرجع بعد أوّل سنة ويكون قادراً على الإنتاج الفعليّ، نعم ينتج بمقدار ما درسه، وبعض الطلبة يحتاجون إلى مدّة أطول، والقضية ليست فقط في

الدّروس الحوزويّة من النّحو والمنطق والأصول والفقه وغيرها، بل يحتاجون أيضًا إلى القضايا الفكرية، وهذه يحصل عليها من قراءته خارج الدّروس الحوزويّة، فيتعب على نفسه ويذلّ جهده في الاستفادة من بعض العلماء الذين يكتبون في القضايا الفكرية، وعلى أساسها يتحرّك في الأمور التي تكون خارج دروس الحوزة كالمواضيع الفكرية، والحوزة العلميّة تعطي الطالب الأدوات والوسائل لفهم الآيات والرّوايات، مثل النّجّار حينما يتعلّم كيفية استعمال أدوات النّجارة عليه أن يبذل جهده في إتقان العمل .

وطالب الحوزة حينما يلقي محاضرةً لا يشرح مطالب النّحو والمنطق، والمجتمع يريد منه القضايا الدّينية الفكرية والثّقافية والمفهوميّة، نعم يريد المسائل الفقهيّة في العقائد والأخلاق والعمل أيضًا، وطالب الحوزة لا بدّ من أن يبذل جهده في القضايا الفكرية حتّى ينتج ويكتب ويحاضر فيها، وإذا ظلّ في إطار النّحو والمنطق والفلسفة فلا يمكنه أن ينتج مع المجتمع، وما يدرسه في الحوزة عبارة عن أدوات يطبّقها على الآيات والرّوايات؛ لكي يمكنه أن ينفع مجتمعه .

وهؤلاء الذين يدخلون في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر سينجحون في الابتلاءات والامتحانات، وتدرّيجًا يزدادون خبرةً وتدرّيبًا، وإذا ازدادوا خبرةً وتدرّيبًا فإنّ ذلك يؤهّلهم للنّجاح في ابتلاءات أشدّ وتحمل مسؤوليات أكبر، ويصلون أخيرًا إلى الإخلاص المخصّص ممّا يؤهّلهم لأن يصبحوا من أنصار الإمام المهديّ عليه

السّلام، ويختارهم الإمام عليه السّلام ليساهموا معه في المهمّة العظيمة، وهي نشر العدل في العالم، وقبل أن يصلوا إلى مرتبة الأنصار لا بدّ من أن يمارسوا واجب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر في نطاقه الضيّق من الزّوجة والأولاد والعائلة، ثمّ يتدرّج إلى النّطاق الأوسع في مجتمعه والعالم، وبذلك يمكنه أن ينجح في الابتلاءات الأكبر، وإذا لم يمارس الإنسان دوره في الأمور الصّغيرة فلا يمكنه أن ينجح في الأمور الكبيرة، ولا يمكنه الصّعود إلى درجات أعلى، ولا يمكن أن يقفز الإنسان ليكون فجأةً من الأنصار، فلا توجد قفزات فجائية بل لا بدّ من أن يتدرّج في الحركة؛ لأجل أن يصل إلى مرتبة الأنصار .

ولا بدّ من أن يكون عنده العلم الكافي بما يحتاجه في حركته، وحينما يكون في الدّرجة الأولى من الإيمان يحتاج أن يعرف ما يوجد في الدّرجة الثّانية وكيف يمكنه أن يصعد إليها، ومن يجهل بما يوجد في الدّرجة الثّانية ولا يعرف كيفيّة الصّعود فلا يمكن أن يرتفع إلى الدّرجة الثّانية، لذلك فالعلم ضروريّ لمن يريد أن يكون من الأنصار؛ لكي يتحرّك، فيعلم بالأحكام الشرعيّة ويعرف كيفيّة الصّعود إلى الدّرجة الثّانية، والآيات والرّوايات تتكفّل ببيان ذلك، ويحتاج المؤمن إلى الاطّلاع على هذه الآيات والرّوايات التي تساعد على الحركة والانتقال من درجة إلى درجة أعلى، ومن يريد الصّعود من درجة إيمانيّة إلى درجة إيمانيّة أعلى هو مثل الإنسان الذي يصعد على درجات السّلم حيث ينتقل من الدّرجة الأولى إلى الدّرجة الثّانية، وفي

كلّ صعود من درجة إلى درجة أعلى يرفع قدمه ليضعها على الدّرجة الأعلى، ويعرف أنّ قدمه تنتقل من هذه الدّرجة إلى الدّرجة الأخرى، وعنده علم بالدّرجة الثّانية ويعرف كيف يرفع قدمه بكلّ يقين من الدّرجة الأدنى ويضعها على الدّرجة الأعلى، فيحتاج إلى حركة وجهه عضليّ .

وقسّ على هذا المثال المادّي المثال المعنويّ في الدّرجات الإيمانيّة، فتحتاج إلى العلم بالدّرجة الثّانية، وتحتاج إلى حركة وصعود إلى الدّرجة الثّانية، وتعلم أنّك ترفع قدمك بكلّ يقين من مكان وتجعلها في مكان أعلى، وتحتاج إلى مجاهدة رويّة، ففي السّلم تحتاج إلى الجهد العضليّ، وفي الصّعود الإيمانيّ تحتاج إلى الجهاد المعنويّ والمجاهدة الرّويّة؛ لكي تصعد إلى الدّرجة التّالية، فالمؤمن لا بدّ من أن يكون عنده اطلاع على هذه الأمور؛ لأجل أن يصعد ويتكامل، وبدون اطلاع على النّاحية النّظريّة لا يمكن لأيّ إنسان أن يتحرّك، فالعمل والتحرّك لا يكون عشوائيّاً .

عن أمير المؤمنين عليه السّلام : " . . . ، يا كميل، ما من حركةٍ إلّا وأنت محتاج فيها إلى معرفة، . . . " (١) .

يقول الشّخص : إن شاء الله أصبح من الأنصار .

نقول : هذه ال"إن شاء الله" يحتاج تحقيق متعلّقها إلى مقدّمات بيد الإنسان، فمشيئة الله تعالى لكي تتحقّق تتوقّف على مشيئة الإنسان،

(١) بحار الأنوار ج ٧٤ ص ٤١٢ ح ٣٨ .

والله تعالى يشاء أن يكون كلّ مؤمن من الأنصار، ولكن تحقق مشيئة الله تعالى في الخارج متوقّف على مقدّمات يكون تحقيقها بيد الإنسان، فإذا حقّق الإنسان المقدّمات فإنّ مشيئة الله تتحقّق في الخارج، فكون المؤمن من الأنصار ليس فيه إجبار من قبل الله تعالى، فالمؤمن باختياره يسعى ليصبح من الأنصار .

أولاً يحتاج إلى الرّغبة، فهل يرغب بأن يكون من الأنصار أو لا ؟ ولا يوجد مؤمن يقول بأنّه لا يرغب بأن يكون من الأنصار، ولكن تحقيق هذه الرّغبة يحتاج إلى معرفة النّاحية النّظريّة في كينيّة الوصول إلى هذه المرتبة، ويحتاج أيضاً إلى عمل، والمقدّمات ليست نظريّة بحتة، بل لا بدّ من أن تتحوّل إلى عمل، فالمطلوب من المؤمن أن يصليّ، فعنده علم نظريّ بأنّ الصّلاة واجبة في مواعيد معيّنة، والنّاحية العمليّة هي أن يأتي بالصّلاة في أوقاتها المعيّنة، وإذا كان عنده النّاحية النّظريّة، ولكنّه لا يلتزم بالعمل بها في مواعيدها بدون عذر فهذا لا يمكنه أن يصبح من الأنصار، فيلتزم بالواجبات والمستحبّات ويترك المحرّمات والمكروهات .

والمباحات قسّمناها إلى قسمين : ما تنبغي وما لا تنبغي، ومن يريد أن يصبح من الأنصار لا يشغل أوقاته بالمباحات التي لا تنبغي للمؤمن أن يأتي بها، والمؤمن كلّما صعد في الدّرجات الإيمانيّة فإنّه يتخلّى عن كثير من المباحات، وهذه المباحات تشغل وقت المؤمن وفكره، فبدل أن يجعل الوقت في مستحبّ يجعله في مباح .

مثلاً النَّاسُ يَنشغَلون بِمُتَابَعَةِ مَبَارِيَاتِ كَأْسِ الْعَالَمِ، أَحَسِبِ الْأَوْقَاتِ
الَّتِي تُضَيِّعُ فِي مَشَاهِدَتِهَا .

وَإِذَا سَأَلَ : هَلْ يَجُوزُ أَنْ أَشَاهِدَ الْمَبَارِيَاتِ ؟
فَيُقَالُ لَهُ : جَائِزٌ .

وَنَقُولُ : وَلَكِنْ تَصَوَّرْ أَنَّ شَخْصًا يَرِيدُ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَنْصَارِ الْإِمَامِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ جَالِسٌ أَمَامَ التَّلْفَازِ وَيَتَابَعُ جَمِيعَ مَبَارِيَاتِ كَأْسِ الْعَالَمِ،
وَتَضْيِيعَ الْوَقْتِ لَا يَتَنَاسَبُ مَعَ شَخْصِيَّةِ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَرِيدُ أَنْ يَصْبِحَ
مِنَ الْأَنْصَارِ، فَهَذِهِ الْمَبَارِيَاتُ لَا تَهْمُهُ فِي شَيْءٍ، فَهِيَ لَا تُسَاهِمُ فِي
تَكَامُلِهِ وَصُعُودِهِ فِي دَرَجَاتِ الْإِيمَانِ، نَعَمْ هُوَ مَبَاحٌ، وَلَكِنْ يَعِيقُهُ عَنِ
كَثِيرٍ مِنَ الْمُسْتَحَبَّاتِ، فَفِي مَقَابِلِ هَذَا الْوَقْتِ الَّذِي يُضَيِّعُهُ فِي
الْمُبَاحَاتِ يُضَيِّعُ عَلَى نَفْسِهِ كَثِيرًا مِنَ الْمُسْتَحَبَّاتِ، وَعَلَى الْأَقْلَى يُمْكِنُهُ
أَنْ يَكْتَسِبَ الْعِلْمَ فِي مَعْرِفَةِ كَيْفِ يَعْمَلُ وَيَتَحَرَّكُ، وَطَلِبَ الْعِلْمَ
مَطْلُوبٌ مِنَ الْمُؤْمِنِ، فَحِينَمَا يَنشغَلُ بِالْمُبَاحَاتِ سَيَتْرَكَ فِي الْمَقَابِلِ بَعْضَ
الْمُسْتَحَبَّاتِ، وَلَا نَقُولُ الْوَاجِبَاتِ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَتْرَكَ الْوَاجِبَاتِ، وَإِذَا
تَرَكَ الْمُسْتَحَبَّاتِ فَإِنَّهُ يُضَيِّعُ عَلَى نَفْسِهِ الثَّوَابَ، وَالْمُسْتَحَبَّاتِ تُسَاهِمُ فِي
تَكَامُلِ الْمُؤْمِنِ وَحَرَكَتِهِ الْقَلْبِيَّةِ؛ لَكِي يَصْبِحَ مِنَ الْأَنْصَارِ .

وَمَنْ تَكُونُ عِنْدَهُ الرَّغْبَةُ فِي أَنْ يَكُونَ مِنَ الْأَنْصَارِ فَلَا بَدَّ مِنْ أَنْ
يَعْمَلَ عَلَى تَحْقِيقِ رَغْبَتِهِ، وَلَا تَتَحَقَّقُ رَغْبَتُهُ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ الْمَقْدَمَاتِ الَّتِي
بِوَسْطَتِهَا يَصْبِحُ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَالنَّاحِيَةُ الْعِلْمِيَّةُ النَّظَرِيَّةُ ضَرُورِيَّةٌ
لِلْمُؤْمِنِ، وَكَذَلِكَ مِنَ الْمَهْمِّ مَعْرِفَةَ كَيْفِيَّةِ تَحْوِيلِ النَّظَرِيَّاتِ إِلَى عَمَلٍ،

وهذان الأمران يحتاجهما من يريد أن يصبح من الأنصار، والإمام عليه السّلام يختار من يكون فيه مواصفات عالية، والإمام عليه السّلام مطّلع على نفوس جميع البشر، ولا يجري عليه السّلام قرعةً لاختيار أنصاره بحيث إنّ من تقع عليه القرعة يكون من الأنصار، ومن لا تقع عليه القرعة لا يكون من الأنصار .

إنّ الإمام عليه السّلام يختار الأشخاص الذين تتوفّر فيهم المواصفات العالية، وهؤلاء هم أنصار الإمام عليه السّلام، ودور كلّ مؤمن أن يحصل على الصّفات الإيمانيّة العالية حتّى يكون مؤهّلاً للمساهمة في نشر العدل في العالم، وهذه مهمّة عظيمة تحتاج إلى أفراد عظماء ضمن مواصفات عظيمة .

ونطرح من باب المثال أنّه لا يمكن أن نتصوّر أنّ شخصاً يكون مدار حياته حول مباريات كأس العالم ويضيع أوقاته ويريد أن ينشر العدل في العالم، ومع الظّهور يريد أن يشاهد المباريات ويترك الإمام عليه السّلام .

ويقول : أذهب إلى الإمام عليه السّلام بعد نهاية المباريات؛ لأجل أن أنشر العدل في العالم .

والمباريات مثال تقريبيّ، وقد يضيّع بعض النّاس أوقاتهم في أمور أخرى غير نافعة، والبعض قد يجلس بلا عمل، ولا يفكر في شيء، وتكون صفحة ذهنه بيضاء، والمؤمن لا يجلس بلا عمل، فالمؤمن لا يكون من البطّالين الذين لا عمل لديهم، نعم قد لا يقوم بأيّ نشاط

عضليّ، ولكنّه يقوم بنشاط عقليّ فكريّ ذهنيّ، ولا تكون شاشة ذهنه بيضاء، والنشاط الفكريّ مطلوب من المؤمن، فالمؤمن يفكر دائماً .

والارتباط بالإمام المهديّ عليه السّلام عمليّة مستمرّة مع المؤمن في عصر الغيبة الكبرى، فلا يغفل عن إمام زمانه عليه السّلام، وكلّ ما يحصل للمؤمن لا بدّ من أن يربطه بالإمام عليه السّلام، وكلّ عمل تريد أن تقوم به لا بدّ من أن تربطه بالإمام عليه السّلام؛ لأنك تريد أن تكون من أنصاره، وأنت جالس لا بدّ من أن يصبّ تفكيرك في هذا الاتجاه، ولا تفكر في أمور ليس لها علاقة بإمامك عليه السّلام، ففكر دائماً في كيف يمكن أن تصبح من الأنصار، ولا تضيع تفكيرك في أمور لا تساهم في تكاملك .

مثلاً البعض عنده ساعة في اليوم، فيقول : لا يوجد عندي شغل في هذا الوقت، ولا أدري كيف أضيّع هذا الوقت .

وبعض النّاس يذهبون إلى المجمّعات التجاريّة في كلّ يوم بلا هدف؛ لأجل تضييع ساعات وساعات من أعمارهم مع أنّهم يعيشون الآن في عصر الغيبة الكبرى، وهؤلاء لا يعيشون هدف ظهور الإمام عليه السّلام، ولا يفكرون في أن يصبحوا من أنصار الإمام عليه السّلام، ولا يفكر بأنّه توجد عليه مسؤوليّات وتكاليف في عصر الغيبة، وهذه التكاليف يجب أن يعرفها حتّى يمكنه أن يؤدّيها، ويؤدّي دوره في عصر الغيبة الكبرى .

عن الإمام الرضا عليه السلام : "لتأمرنّ بالمعروف ولتنهّن عن المنكر أو ليستعملنّ عليكم شراركم، فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم" (١) .

ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا لم يبدأ بها في الدائرة الصغيرة، وتتسع هذه الدائرة تدريجيًا إلى قضايا المجتمع - فمعنى ذلك أنّ الظالمين يصبحون هم الحكام، ويتولّون أمور المجتمعات، والأخيار لا يستطيعون أن يمارسوا دورًا عمليًا، فيتجهون إلى الدّعاء، وبالذّعاء لوحده بلا عمل لا يحصل الإنسان على نتيجة، فالذّعاء مع عمل مرادف ينتج، فلا يستجاب لهم؛ لأنّ الأمر يحتاج إلى عمل لا إلى دعاء فقط، فالذّعاء لوحده لا يكفي .

يقول : اللهم ارزقني .

ولكنّه لا يسعى إلى رزقه .

يقول : اللهم عجل فرج وليك القائم .

وجميع المؤمنين يدعون بتعجيل الفرج، ولكن كم من المؤمنين يقومون بأعمال تناسب مع هذا الدّعاء ؟

إذا لم ينتشر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين المسلمين فإنهم تدريجيًا يصلون إلى مرحلة التّخاذل، وبذلك يحكمهم الظّالم وهم ساكتون؛ لأنهم تعودوا على عدم الإنكار على أحد، ولم يشعروا بالمسؤوليّة تجاه الآخرين، وكلّ فرد يعيش الأنانيّة في حياته بحيث يهتمّ بنفسه فقط، ولا يوسّع اهتمامه للآخرين، ومن يريد أن يكون من

(١) بحار الأنوار ج ٩٧ ص ٩٣ ح ٩٠ .

الأنصار لا بدّ من أن يكون سعة اهتمامه وشعوره بالمسؤوليّة بسعة العالم؛ لأنّه يؤمن برسالة عالميّة، والمتخاذلون لن ينكروا على الظالم؛ لأنّهم تعوّدوا على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الأمور الصّغيرة والفرديّة للمسلمين، وهكذا يستمرّون بنفس ما تعوّدوا عليه إلى أن يحكمهم الظالم، بل يتمّ غزوهم في عقر دارهم وهم ساكتون متخاذلون، وإذا وصل الأمر إلى هذه المرحلة فإنّ دعاء الأخيار لا يُستجاب؛ لأنّ الدعاء لوحده بدون العمل الموازي له لا ينتج نتيجة، فالدعاء مع العمل له نتيجة، وأمّا الدعاء الذي هو عبارة عن كلمات فقط بدون قيام المسلمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنّه لا ينتج أيّ نتيجة خارجيّة؛ لأنّ النتيجة الخارجيّة مترتبة على العمل الخارجيّ .

إذن :

أولاً لا بدّ من أن يعرف المؤمن تكاليفه في عصر الغيبة .

سؤال : كم من المؤمنين يعرفون هذه التكاليف بالتفصيل ؟

استقرئ آراء المؤمنين، وستجد الجواب بأنّ التكاليف هي الصلّاة والصيام والحجّ وغيرها، وهذه التكاليف عامّة لكلّ زمان، ففي زمان النبيّ صلّى الله عليه وآله وزمان الأئمّة عليهم السّلام يمارس المؤمن هذه الأعمال العامّة .

والسؤال هو : ما هي التكاليف الخاصّة في عصر الغيبة الكبرى ؟

وكما على المؤمن أن يعرف التكاليف العامّة لكلّ زمان لا بدّ من

أن يعرف التكاليف الخاصة في زمن الغيبة الكبرى، ففي زمان كلِّ إمام عليه السَّلام توجد تكاليف عامَّة وتكاليف خاصَّة، والمؤمن الذي يكون في زمن الإمام الصَّادق عليه السَّلام دوره في المجتمع يختلف عن دور المؤمن في زمن الإمام الكاظم عليه السَّلام، فالإمام الكاظم عليه السَّلام كان مسجوناً، وكان زمانه زمان التَّقِيَّة للمؤمنين، ومع الإمام الصَّادق عليه السَّلام كان الزَّمان زمان العلم، وكذلك يختلف دور المؤمن في كلِّ زمان، ونحن الآن نعيش في عصر الغيبة الكبرى وإمامنا عليه السَّلام غائب عنَّا فعلىنا تكاليف خاصَّة بالإضافة إلى التَّكاليف العامَّة، والمؤمن يجب أن يعرف التَّكاليف العامَّة والتَّكاليف الخاصَّة، وإذا لم يعرف التَّكاليف الخاصَّة لا يمكنه أن يتحرَّك ويعمل، فيتحرَّك على أساس الجهل بدون علم ونظريَّات .

وعلى المؤمن أوَّلاً أن يتعلَّم معالم دينه، وثانيًا لا بدَّ من أن يعرف تكاليفه؛ لكي يتحرَّك ويعمل، وإذا لم يربط أعماله بإمامه عليه السَّلام فإنَّ أعماله تكون بطريقة عشوائِيَّة بلا هدف، والأعمال التي يقوم بها لا بدَّ من أن تصبَّ في اتجاه الإمام عليه السَّلام .

والحمد لله ربَّ العالمين وصلَّى الله على سيِّدنا أبي القاسم محمَّد وآله الطَّيِّبين الطَّاهرين .

أسئلة وتعليقات الحاضرين :

عميد الدِّيوانِيَّة الحاجَّ محمَّد يوسف العيسى :

ما هي التَّكاليف التي يؤدِّيها المؤمن؛ لكي يصبح من أنصار الإمام

المهديّ عليه السّلام ؟

وهل المرأة يمكن أن تصبح من أنصار الإمام عليه السّلام أو لا يمكن ؟

جواب الشيخ محمد أشكناني :

جواب السّؤال الثّاني هو نعم هناك نساء من أنصار الإمام عليه السّلام كما هو مذكور في بعض الروايات، طبعاً لا يدخلن في الجهاد العسكريّ، ولكن لهنّ دور في الجهاد التّثقيفيّ وتربية البنات والنّساء، فالباب مفتوح أمام النّساء؛ لكي يصبحن من أنصار الإمام عليه السّلام .

وجواب السّؤال الأوّل هو ما ذكرناه خلال المحاضرات السّابقة، وما سنذكره في المحاضرات القادمة إن شاء الله تعالى .

سؤال من أحد الحاضرين :

هل وظيفتنا كمؤمنين هي العزلة عن المجتمع أو أن نكون فعّالين في المجتمع ونظهر وننشط نشاطاً دعويّاً ونهديّ الشّباب؛ لكي نكون أقرب للإمام المهديّ عليه السّلام ؟ فأيّ الطّريقين أصحّ ؟

جواب الشيخ محمد أشكناني :

في بعض المحاضرات القادمة سيكون العنوان "أنصار الإمام عليه السّلام بين الحركة والعزلة"، ونبيّن الأحكام الشرعيّة المرتبطة بالعزلة والمرتبطة بالحركة، وعلى أساس الأحكام الشرعيّة يمكن للمؤمن أن يحدّد تكليفه في أن يعتزل المجتمع أو يتحرّك في المجتمع .

سؤال من أحد الحاضرين :

إذا كان الشخص يتابع نتائج المباريات بدون الدّخول في التّفاصيل، وهدفه أن يعمل جسراً للتّواصل مع الآخرين، مثلاً يوجد أشخاص يتابعون المباريات، ولكي تذهب إلى جهتهم تحتاج إلى أن تعرف عن الكرة وأسماء اللّاعبين، ويمكن أن تفتح معهم مواضيع وتتكلم في أمور أخرى .

جواب الشيخ محمد أشكناني :

إذا كان هناك هدف ديني لأيّ عمل كهداية الآخرين فإنّ المباح ينقلب إلى مستحبّ، ولكن مع الموازنة بين الأمور، فما دام أنّه صار مستحبّاً فيقوم بمتابعة المباريات، وتحويل المباح إلى مستحبّ يكون بقدره وبمحدود معيّنة لا أن يكون الباب مفتوحاً على مصراعيه، فيكون مستحبّاً بالمقدار الذي تحتاجه، فيكفي معرفة النتيجة دون الدّخول في التّفاصيل كما قلتم، وعلى المؤمن أن يوازن بين الأمور، ولا بدّ من أن يعرف مقدار الاستحباب في العمل المباح، فيصبح المباح مستحبّاً بمقدار معيّن لا أكثر من ذلك .

سؤال من أحد الحاضرين :

الملاحظ في زمن الغيبة الكبرى وخصوصاً من العاملين الذين يدعون إلى الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر - أنّهم يعيشون حالة من الفرقة وتمزيق المجتمع بطريقةٍ حتّى أنّ عوامّ النّاس ينفرون منهم ويتعدون عنهم .

وهناك رواية بمعنى لو أنّ أشياعنا كانوا على اجتماع من قلوبهم لما تأخّرنا باليمن عن لقائهم (١) .

وأعتقد أنّ التفات العاملين إلى مسألة (الوحدة) ستعطيهم قوّة كبيرة في المجتمع، كما حصل مع الإمام الخميني رضوان الله عليه الذي كان ملتفتاً إلى هذه النقطة .

جواب الشيخ محمد أشكناني :

من يريد أن يتحرّك أيّ تحرّك اجتماعيّ أولاً لا بدّ من أن يعرف الأحكام الشرعيّة المرتبطة بالعمل الاجتماعيّ؛ فكما يوجد في الدين فقه العبادات كذلك يوجد الفقه الاجتماعيّ، فالعمل الاجتماعيّ يحتاج إلى أحكام شرعيّة تضبطه من جميع جوانبه، ولا نجد كتاباً خاصّاً بالفقه الاجتماعيّ إلّا ما ندر مع أنّه توجد أحكام مرتبطة بالعمل، والمؤمنون حينما يُقدّمون على العمل عادةً لا يوجد عندهم الاطلاع الكافي على الأحكام الشرعيّة، فيُقدّم على العمل من باب الحماس، ولكنّ الإقدام على العمل الاجتماعيّ لا بدّ من أن يسبقه معرفة الأحكام الشرعيّة المتعلّقة بالعمل؛ لأنّه بمجرد ما يقع في خلاف

(١) الرواية هي ما ورد عن الإمام المهديّ عليه السّلام : " . . . ولو أنّ أشياعنا - وفّقهم الله لطاعته - على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لما تأخّر عنهم اليمن بلقائنا، ولتعجّلت لهم السّعادة بمشاهدتنا على حقّ المعرفة وصدقها منهم بنا، فما يجسنا عنهم إلّا ما يتّصل بنا ممّا نكرهه ولا نؤثره منهم . . . " . بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٧٧ .

مع الآخرين فمعناه أنه توجد مخالفة لبعض الأحكام الشرعية من أحد الطرفين أو من كليهما، فيجب أن يعرف المؤمنون الأحكام الشرعية الخاصة بالعمل الاجتماعي، وهذا يحتاج إلى بحوث في هذا الجانب، ولا توجد في المكتبة الإسلامية بحوث كافية في مجال "فقه العمل الاجتماعي"، فنحتاج إلى كتابات من العلماء في هذا النوع من الفقه، ومن يدخل في العمل الاجتماعي تحصل عنده خبرة، ومنهم من عمل خمسين سنة أو أقل أو أكثر، ولكن لم يفكر أحدهم بأن ينقل خبرته إلى كتابات؛ لأجل أن ينفع المؤمنين العاملين في هذا المجال، وتستفيد الأجيال القادمة من خبرتهم الطويلة في العمل الاجتماعي، لذلك من يريد أن يبدأ العمل الاجتماعي فإنه يبدأ من الصفر، وأي جماعة تريد أن تعمل فإن أفرادها يبدؤون من نقطة البداية، ولكن إذا كل شخص دخل في العمل الاجتماعي وكتب ما اكتسبه من خبرة فإن الخبرات تتراكم من العاملين، ويستفيد منها العاملون الجدد .

مثلاً دار القرآن الكريم عندهم خبرة في مجال تدريس الأطفال والكبار، وهذه الخبرة لا بد من أن يدونها القائمون على هذا العمل، فمن يأتي فيما بعد ويريد أن يؤسس داراً للقرآن يستفيد من خبرات الذين سبقوه في العمل، وتوجد دورات شبابية استمرت عشرين سنة أو أكثر، ويأتي شخص يريد أن يؤسس دورة جديدة للشباب فيستفيد من خبرات القائمين على الدورات السابقة .

وإذا وقع العاملون في خلافات فالحلافات بين المؤمنين ليست علامة

صحيّةً، نعم قد توجد جماعة يسرون في الطّريق الصّحيح على أساس الأحكام الشّرعيّة، وتأتي جماعة أخرى تهاجم الجماعة الأولى فالجماعة الأولى لا لوم عليها، وأمّا إذا كان الطّرفان يطعنان ببعضهما فمعنى ذلك أنّ الطّرفين لم يراعوا الأحكام الشّرعيّة المرتبطة بالعمل الاجتماعيّ، ومنها مسألة الغيبة والنّميمة، فهاتان المسألتان مرتبطتان بالعمل الاجتماعيّ، وفي الغيبة قد يكون الطّرفان فردين أو جماعتين .

وبعض الأحكام الشّرعيّة لا بدّ من أن تُعرَفَ من قِبَلِ من يريد أن يدخل في العمل الاجتماعيّ، ويحتاج إلى مقدّمات نظريّة قبل الدّخول في العمل، ولا تجد هذه الأحكام في كتاب واحد، نعم قد تجد هذه الأحكام في أبواب متفرّقة في كتب الفقه العمليّ، فنحتاج إلى كتابات تعكس خبرات العاملين .

وأسأل الله تعالى أن يوفّقنا لطرح بعض المحاضرات عن موضوع "الخلافات بين المؤمنين : أسباب ونتائج وحلول"، ونطرح بعض الحلول المستنتجة من الآيات والرّوايات، فقد طرح القرآن الكريم والمعصومون عليهم السّلام الحلول لجميع المشاكل .

والبحث طويل، وفي الدّيوانية نطرح المواضيع ضمن بحوث في محاضرات متسلسلة، ولا نطرح الموضوع في محاضرة واحدة، وبعض المواضيع تمتدّ إلى ثلاثين أو أربعين محاضرة أو أكثر من ذلك، فنتناول الموضوع ضمن نقاط، وكلّ نقطة نبينها في محاضرة أو أكثر، وتكون مثل حبّات الخرز بالنّسبة للمسباح، ونصل في الختام إلى موضوع

متكامل، ويحتاج إلى استمرار الحاضرين والمستمعين في الاستماع إلى جميع المحاضرات من أولها إلى آخرها، والبعض يستمع إلى بعض المحاضرات فلا يخرج بالصورة الكاملة للموضوع .

سؤال من أحد الحاضرين :

إذا قرأنا عن ظهور الإمام المهديّ عليه السّلام تصيينا حالة من الرّعب، ونقرأ عن جيش السّفيانيّ وعن المعارك، فنحن أين نكون في الزّمن الذي يقع فيه القتال بين الإمام عليه السّلام وأعدائه ؟ وهل من الضّروريّ أن نفكر بهذه الأمور ؟ وهل يجب أن نشعر بالرّعب من الأحداث التي ستقع ؟

جواب الشيخ محمّد أشكناني :

في أيّ حدث من الأحداث يوجد على المؤمن تكليف معيّن، كان في وقت التّرف والهدوء أو في وقت الضّجّة والحروب، فالمؤمن عليه تكليف، لذلك عليه أن يعرف تكليفه الشرعيّ، وعلى أساس تكليفه يتحرّك حتّى لو كان في زمن الحروب، وعليه أن يُبريئ ذمّته، نعم يوجد خوف ورعب، ولكن أوّلاً على المؤمن أن يحدّد تكليفه، ثمّ يتحرّك على أساس التّكليف، ففي زمن الخوف والحروب يوجد تكليف على المؤمن، لا أنّه يخاف فقط، وإنّما يعمل بتكليفه حتّى مع وجود الخوف، والأحداث التي تقع مع جيش السّفيانيّ تستمر سبعة أو تسعة أشهر، وتوجد مواجهة وحروب بين الحقّ والباطل، ومع الظّهور سيدخل الإمام عليه السّلام في حروب مع أعدائه الذين سيبدؤون الحرب عليه؛

لكي ينشر العدل في العالم، والحرب ستكون حرباً عالميّةً، فكلّ من يحارب الإمام عليه السّلام فالإمام عليه السّلام سيواجهه، والإمام عليه السّلام مع أنصاره سيواجهون أعداء الدّين، والأعداء سيضمّرون عن سواعدهم، وكذلك الإمام عليه السّلام وأنصاره، وسينتصر الإمام عليه السّلام مهما عمل الأعداء، فأعداء الدّين كانوا سابقاً ينتصرون، ولكنّ انتصارهم كان في جولة، ولكنّ المعركة الحاسمة ستكون بيد الإمام عليه السّلام، نعم هو عصر خوف، وكلّ مؤمن لا بدّ من أن يفكّر كيف يمكنه أن يكون من الأنصار، والمؤمن سيكون له قوّة أربعين رجلاً، والإمام عليه السّلام سيعطي قوّة لقلب المؤمن الذي يسير معه عليه السّلام .

والمؤمن لا بدّ من أن يربّي نفسه؛ لكي يحصل على القوّة في وقت الحاجة، وقوّة الشخص تتناسب مع قوّة إيمانه، والله تعالى يعطي المؤمن قوّة قلبيةً؛ ليكون مستعدّاً للمواجهة، وتوجد عناية إلهية خاصّة للمؤمنين، نعم هو عصر خوف، ولكنّ المؤمن يحصل على العناية الإلهية بقدر اتّصاله وعلاقته بالله تعالى، والإمام عليه السّلام موجود معهم، ولن يترك المؤمنين بدون الرّعاية الإماميّة الخاصّة منه عليه السّلام .

وليكن عند المؤمنين اطمئنان في قلوبهم بأنّ الله قادر على كلّ شيء، وهو عليم حكيم، وعنده عناية خاصّة بالمؤمنين، وهناك ملائكة في خدمة المؤمنين، ويقومون بحفظ المؤمنين والعناية بهم، ولا

بد من أن نلتفت إلى الأمور الغيبية التي نعتقد بها، ولا بد من أن تكون تحت أنظارنا، ولا نكون من الغافلين عن الأمور الغيبية .

سؤال من أحد الحاضرين :

هل الإمام المهدي عليه السلام سيُقتل بعد ظهوره ؟

جواب الشيخ محمد أشكناني :

ما يوجد بعد الظهور متروك للإمام عليه السلام وبما يقدره الله تعالى، ودورنا هو أن نعرف الأمور التي تقع قبل الظهور، ونعرف تكاليفنا، وأما ما يحدث بعد الظهور فنتركه لذلك الوقت، وكم يعيش الإمام المهدي عليه السلام، وهل هناك أئمة من بعده أو لا، هذا نتركه للإمام عليه السلام بعد أن يظهر .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد

وآله الطيبين الطاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٣٥)

العمل والحركة

أو

السلبية والعزلة (١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

كنا نتكلم عن نقطة من النقاط المهمة جداً، وهي أنّ أنصار الإمام المهدي عليه السلام هل المطلوب منهم التحرك في العمل الاجتماعي أو المطلوب منهم العزلة ؟

وأحد الإخوة الأعزاء سأل في الأسبوع الماضي : هل المطلوب منا أن نتحرك أو نعتزل ؟

وتوجد بعض الروايات التي من خلالها يُفهم بأنّ المطلوب من المؤمنين الاعتزال وعدم الدخول في شيء، وسنقرأ بعض الروايات إن

(١) أُلقيت هذه المحاضرة في الديوانية الأسبوعية في دولة الكويت منطقة

بيان، الجمعة ٨ شعبان ١٤٣٣ هـ ، ٢٩/٦/٢٠١٢ م .

شاء الله تعالى .

سنتكلم عن العزلة والسلبية، هل هي صفة مطلوبة أو غير مطلوبة
للمؤمن ؟

وهذا البحث يأتي ضمن بحوث الفقه الاجتماعي في الإسلام؛ لأنّ
العمل الاجتماعي يكون تحت الأحكام الشرعية، وفي كلّ عمل يقوم
به الإنسان توجد مسائل شرعية تحكم هذا العمل، لا أنّ الأمر متروك
للإنسان ليتحرّك على مزاجه، فشخص يقول بوجوب العمل،
وشخص آخر يقول بوجوب العزلة، والوجوب يكون على أساس
استنباط الحكم الشرعي، وهذا وظيفة الفقهاء، وليس من حقّ العوامّ
استنباط الأحكام الشرعية، فكما يوجد في الدّين "فقه العبادات"
كالصّلاة والصّيام والحجّ كذلك يوجد "فقه المعاملات" من تجارة
وإجارة وغيرهما، ويوجد أيضا "فقه الاقتصاد"، فتوجد مسائل شرعية
تحكم الاقتصاد بحيث يكون عندنا "اقتصاد إسلامي" ضمن القوانين
الإسلامية، مثلاً حرمة الرّبا قانون من قوانين الاقتصاد الإسلامي،
ويوجد "فقه السياسة"، و"فقه العلاقات الدوليّة" بين البلدان
المختلفة، وكلّ ذلك يحتاج إلى استنباط الفقهاء لهذه الأحكام، ونحن
نعتقد أنّ الإسلام يدخل في كلّ شيء، ولا يوجد شيء بلا أحكام
دينية .

وأحكام العمل الاجتماعي والعزلة الاجتماعيّة من حيث الوجوب
والحرمة والجواز تدخل في الفقه الاجتماعي، فلا بدّ من أن يوجد

عندنا كتب بعنوان "الفقه الاجتماعي"، ومن ضمنه فقه العمل الاجتماعي، وقد لا يوجد الآن كتاب بهذا العنوان، ولكن توجد مسائل متفرقة في الرسالة العمليّة، مثلاً باب النكاح والطلاق يتكلّم عن أمر اجتماعي، فهذا الباب يدخل في الفقه الاجتماعي، فبعض الأبواب في الرسالة العمليّة تدخل في "مباحث الفقه الاجتماعي في الإسلام"، لذلك فالباحث في أحكام العمل الاجتماعي يدخل في الفقه الاجتماعي، ولعلّ مستقبلاً بعض العلماء يكتبون بالتفصيل في مثل هذه المسائل المتعلقة بالفقه الاجتماعي .

وإذا قلنا تحرك وعمل وعزلة وسليبيّة فتأتي الأحكام الشرعيّة الخمسة، فهل التّحرّك واجب أو مستحبّ أو مكروه أو حرام أو مباح؟ وكذلك بالنسبة للعزلة هل هي واجبة أو مستحبة أو مكروهة أو محرّمة أو مباحة؟

واستنباط الأحكام وظيفة الفقهاء، وهنا نطرح العناوين العامّة للعمل والعزلة، ولكن في تحديد أيّهما هو تكليف المؤمن في عصر الغيبة الكبرى فهذا بيد الفقهاء، فهم يشحّصون أنّ الظروف مناسبة للتّحرّك أو للعزلة، كما حصل في إنشاء الجمهوريّة الإسلاميّة، فالفقهاء يحدّدون أنّ الرّمن هو زمن العمل والتّحرّك أو زمن التّقية والعزلة، وبعض المناطق يكون المطلوب فيها هو التّحرّك والعمل، وبعض المناطق يحتاج فيها المؤمن إلى التّقية والعزلة، وهنا نطرح الأحكام الشرعيّة العامّة المتعلقة بالتّحرّك والعزلة .

معنى السلبية والعزلة :

نسأل أولاً : ما معنى السلبية والعزلة ؟

الجواب :

معنى السلبية والعزلة هو عدم القيام بأيّ تحرّك سواء بعنوان الجهاد أم بعنوان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ بسبب وجود الموانع الخارجية التي تمنع المؤمن من القيام بهذه المهام العظيمة، فالسلبية والعزلة هي عدم الحركة لأسباب خارجية بحيث إنّ المؤمن لا يمكنه أن يتحرّك، فبمجرد ما يتحرّك ويعمل يتعرّض للضرر أو الاعتقال أو السجن سواء وقع الضرر عليه أم على أهله أم على باقي المؤمنين، فيحتاج أن يعتزل، وأن يمارس السلبية بسبب الموانع الخارجية .

وتوجد حالات تحرم فيها العزلة والسلبية، وحالات تجوز فيها العزلة والسلبية، وحالات تجب فيها العزلة والسلبية، وفي حالات تكون مستحبة، وفي حالات تكون مكروهة، فتأتي الأحكام الشرعية الخمسة في العزلة والسلبية، ولا بدّ للمؤمن من أن يميّز بين الحالات المختلفة، ويشخص الظروف الخارجية بدقة؛ حتى يمكنه أن يعرف بالضبط تكليفه في عصر الغيبة الكبرى، فيعرف متى يتحرّك ومتى يقف، والمسألة ليست مزاجية، وإّما المسألة مسألة التكليف الشرعيّ، وتحديد التكليف الشرعيّ ليس أمرًا سهلاً مع كثرة العوامل الداخلة في تحديد التكليف، والتي لا بدّ من أن يُحسب لها الحساب، وعلى أساس هذه العوامل يتمّ تحديد التكليف بدقة .

مثلاً حينما نريد أن نقيم دورةً صيفيّةً للشباب يجب أن نلتفت إلى الأحكام الشرعيّة المتعلقة بهذا العمل، ولا بدّ من أن يكون عندنا تصوّر بأنّ قيامنا بالدورة الصيفيّة هل هو عمل واجب أو مستحبّ أو أنّ الأفضل ترك هذا العمل أو أنّه مباح بحيث يمكن أن تشارك ويمكن أن لا تشارك؟

هذا الموضوع مهمّ جدّاً لمن يريد أن يتحرّك في المجتمع، والعمل لا يكون بدون أحكام وأسس وقواعد، وأشكال التّحرّك وأساليب العمل مختلفة، فلماذا نختار هذا الشّكل والأسلوب دون الشّكل والأسلوب الآخر؟

والمسألة ليست مزاجيّة .

فيقول شخص : أنا أختار الأسلوب الأوّل؛ لأنّه يتوافق مع مزاجي .

وشخص آخر يقول : أنا أختار الأسلوب الثّاني؛ لأنّه يناسب مزاجي .

لا بدّ من أن يكون الأسلوب ضمن الأحكام الشرعيّة، فلا بدّ أوّلاً من أن يعرف الأحكام الشرعيّة، والأحكام الشرعيّة قد تختلف في الظّروف المختلفة، ففي ظرف يكون الحكم هو الوجوب، وفي ظرف آخر يكون الحكم هو الحرمة، فكلّ ظرف يُدرّسُ بدقّة، ويكون بأيدينا الحكم الشرعيّ مع ظروفه الخاصّة بحيث إنّهُ في الظّرف الأوّل يتطلّب من المؤمن الحركة ، وفي ظرف آخر يتطلّب منه الوقوف والسلبية .

ولو راجعنا حياة النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْأئِمَّةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لوجدنا أن النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بدأ الدَّعوة سرًّا ثمَّ جهر به، وأمير المؤمنين عليه السَّلَامُ سكت عن المطالبة بحقه، والإمام الحسن عليه السَّلَامُ صالح، والإمام الحسين عليه السَّلَامُ خرج للجهاد، والإمام الصادق عليه السَّلَامُ تحرك عن طريق نشر العلم، والقضية ليست مزاجيةً، فالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْأئِمَّةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يتحرَّكون على أساس تكاليفهم الشرعية، فيكون المطلوب منه شرعا التحرك أو الوقوف، ولو كان الإمام الحسن عليه السَّلَامُ موجودًا في زمان الإمام الحسين عليه السَّلَامُ لقام بالجهاد، والأمر ليس متعلِّقًا بالشخص، وإنما الأمر متعلِّق بالتكليف في الظرف المعين، والإمام الحسين عليه السَّلَامُ حينما يخرج إلى الجهاد فهذا تكليفه الشرعي في ظرفه المعين، والإمام الحسن عليه السَّلَامُ في ظرفه المعين كان الصَّالح هو تكليفه، وأمير المؤمنين عليه السَّلَامُ في ظرفه كان هذا تكليفه، ولو كنَّا في زمان الإمام الحسن عليه السَّلَامُ لكنَّا مطيعين له طاعةً كاملةً حينما صالح، ولا نكون مثل ذلك الشَّخص الخارجي الذي خاطب الإمام الحسن عليه السَّلَامُ بقوله : السَّلَامُ عليك يا مدلَّ المؤمنين .

قال هذا الكلام؛ لأنَّه يظنُّ بأنَّ الإمام الحسن عليه السَّلَامُ شخص عاديّ، وأنَّه حينما يقرَّر أمرًا فإنَّه عليه السَّلَامُ يقرَّر على أساس رأيه الشَّخصي لا على أساس عصمته، والمعصوم عليه السَّلَامُ لا يخطئ في معرفة تكليفه وتطبيقه للحكم الشرعيّ، ونحن قد نخطئ في معرفة

تكليفنا، ولكن الإمام عليه السلام أولاً يعرف الحكم الشرعي المناسب، وثانياً يطبق الحكم الشرعي في موضعه، ونحن قد يكون عندنا اطلاع على المسائل الشرعية، ولكننا نخطئ في تطبيق الحكم .

مثلاً يشك بين الثلاث والأربع في ركعات الصلاة الرباعية، فإذا كان جاهلاً بالحكم الشرعي فإنه يقوم بعمل معين، فقد بيني على ثلاث ركعات ويكمل صلاته، وبعد ذلك يسأل عن الحكم، ويتبين له أن الحكم هو البناء على الأربع والإتيان بركعة احتياط، فأولاً يجب أن يعرف الحكم الشرعي، وثانياً لا بد من أن يعرف كيفية تطبيق الحكم الشرعي في موضعه، والإمام عليه السلام عنده الاطلاع على الحكم الشرعي، ولا يخطئ في التطبيق، ونحن قد يكون عندنا الجهل بالحكم، وقد يكون عندنا العلم بالحكم، ولكن نخطئ في التطبيق، فالإمام عليه السلام عنده التقطتان : العلم بالحكم الشرعي، والتطبيق الذي لا يخطئ؛ لأنه معصوم .

وبالنسبة لنا لا بد من أن نحدد تكليفنا بالضبط بحيث إنّه في هذا الظرف المعين يكون المطلوب متى أن أتحرّك أو أن أعتزل ولا أخلط حتى بالمؤمنين، ولكن في تحديد التكليف الشرعي في العمل الاجتماعي الأمر ليس سهلاً؛ بسبب وجود عوامل كثيرة تدخل في تحديد التكليف، والعوامل ليست محلية أو إقليمية فقط، وإنما هي عالمية، واليوم حينما يتخذ المؤمن موقفاً معيناً فهذا الموقف لا بد من أن يراعي فيه الظروف العالمية، فنحن اليوم لسنا في مكان معزول عن

العالم، وإذا أراد أحد العلماء أن يصدر حكمًا معيّنًا فهذا الحكم ينتشر في العالم خلال دقائق .

ومثاله مسألة الهلال أو العيد، فإذا حكم أحد العلماء بأنّه في اليوم التالي يكون بداية شهر رمضان أو يكون العيد فإنّك ترى أنّ الخبر ينتشر في العالم خلال دقائق معدودة عن طريق الفضائيات ووسائل التّواصل .

وعالم الدّين الآن حينما يقرّر أمرًا معيّنًا فعليه أن لا ينظر إلى القرية التي يعيش فيها، بل لا بدّ من أن يكون نظره إلى العالم، وهذا ما يحدث الآن مع العلماء، فنظرهم إلى كل العالم، لذلك يحسبون حسابًا دقيقًا للعوامل العالميّة؛ لأنّ الفتوى تؤثر في العالم .

وإذا كان المؤمن يقوم بدور في منطقة معيّنة فيكون تكليفه على مستوى هذه المنطقة، ويحسب حساب العوامل الداخليّة فقط، ولكن لنفرض أنّ أحد المؤمنين يقوم بعمل في منطقة معيّنة بحيث إنّ عمله يؤثّر على المؤمنين في بلدان أخرى فلا بدّ من أن يحسب حساب العوامل الداخليّة والعوامل الخارجيّة معًا .

إنّ دراسة جميع العوامل مهمّة جدًّا؛ لكي يمكن للمؤمن أن يقرّر بالضبط ما هو تكليفه في عصر الغيبة الكبرى، وتدخل العوامل العالميّة في تحديد التّكليف الشّرعيّ، بالإضافة إلى العوامل المحليّة والعوامل الإقليميّة، فتأثير عمله يكون على مستوى العالم لا على المستوى المحليّ والمستوى الإقليميّ فقط .

سؤال : تحديد التّكليف الشّرعيّ بالضّبط هل يُترك بيد المؤمن العاديّ
أو يجب الرّجوع إلى العلماء ؟

الجواب :

المؤمن قد تكون عنده نظرة ضيّقة في حدود منطقته فقط، وأمّا العلماء بسبب اطلاعهم على الأحكام الشّرعيّة يمكنهم تحديد التّكليف في كلّ بقعة من بقاع العالم، لذلك يجب الرّجوع إلى العلماء في تحديد تكاليفنا الشّرعيّة في عصر الغيبة الكبرى، لا أنّ كلّ شخص يحدّد تكليفه بمزاجه، وخاصّةً في العمل الاجتماعيّ الذي له تأثير على المؤمنين الآخرين .

تارةً يقوم بعمل يكون تأثيره على القائم به فقط، كمن يصلّي في بيته، يصلّي كما يريد، ولا يحدّه شيء، وتارةً يكون العمل مؤثراً على غيره، كمن يذهب إلى المسجد فإنّه لا يتحرّك بحريّته الكاملة، فتوجد قيود بسبب وجوده في المسجد، فدخلت عوامل أخرى بسبب وجود المؤمنين معه في المسجد، فتحدّ حركته، ويصلّي صلاة الجماعة فتسقط عنه الفاتحة والسّورة بسبب وجود إمام الصّلاة الذي يتحمّل قراءة الفاتحة والسّورة عن المأمومين، وفي البيت يمكنك أن ترفع صوتك في صلّاتك، ولكن في المسجد يكره رفع الصّوت وإزعاج المؤمنين، فيوجد تكليف آخر في المسجد بحيث يراعي وجود مؤمنين آخرين معه .

وعلى نطاق المجتمع العمل الذي يقوم به المؤمن يجب أن يراعي به الظّروف، فإذا أراد أن يكتب مقالةً في جريدة فهذه المقالة ستنتشر

داخل البلد وخارجه، فلا يكتب أيّ شيء بدون مراعاة الظروف المحيطة به، قد يكتب لشخص شيعيّ مثله فيتكلّم بكلمات تختلف عمّا يكتبه لأشخاص من المذاهب الأخرى أو لأشخاص مسيحيّين أو لأشخاص ملحدين، فلا يكتب العقائد الخاصّة بالشيعة في جريدة عامّة يقرأها أشخاص من المذاهب الأخرى والأديان الأخرى أو من الملحدين، فيكتب في مواضيع عامّة أو مشتركة، نعم بيدي وجهة النظر الشيعيّة إذا كان هدف المقالة هو المقارنة بين الآراء المختلفة في الأديان والمذاهب أو إذا أراد أن يحلّل وضعًا معيّنًا، ولكن يلتفت أنّه إذا أراد أن يتكلّم مع ملحد فلا يكتب قال الله تعالى في القرآن الكريم ويستدلّ عليه بأية كريمة؛ لأنّ الملحد لا يعتقد بالقرآن، أو يكتب قال الإمام الصّادق عليه السّلام إذا أراد أن يستدلّ على شخص من المذاهب الأخرى، فهو لا يعتقد بجعفر الصّادق عليه السّلام كإمام معصوم، فلا بدّ من أن يحسب حساب من يقرأ ومن يسمع، فيدرس وجوده ضمن ظرف معيّن، وحينما يتكلّم أو يفعل فيكون الكلام أو الفعل على أساس الظرف الذي يعيش فيه، وهذه قاعدة عامّة تشمل الجميع، فشخص من المذاهب الأخرى يريد أن يكتب أو يتكلّم فيقول إنّ زيارة القبور شرك، وهو لا يتكلّم مع شخص مثله، بل يكتب لأشخاص من جميع الأديان والمذاهب، فيقرأه الإنسان البوذيّ الذي يزور قبر بوذا، وقد يقول إنّ من يذهب إلى زيارة القبور مشرك يجب قتله، ويقرأ الجريدة هذا البوذيّ، فالتصوّر الذي يحدث عنده هو

أنّ الإسلام دين القتل، فلا بدّ من أن يلتفت إلى من يقرأ أو يسمع، فهو تارةً يكتب لمن يكون بنفس توجّهاته، وتارةً أخرى يكتب والجريدة يقرأها أشخاص من مذاهب وأديان مختلفة، وتصل الجريدة إلى جميع أنحاء العالم، ويظنّ النّاس بأنّ هذا هو رأي الإسلام، لذلك يصفون الإسلام بأنّه دين الإرهاب بناءً على هذه المقالة، وينتشر في العالم بأنّ المسلم إرهابيّ، فهم حينما يتكلّمون لا يراعون الظروف التي تحيط بالكلام .

وبناءً على الظروف المختلفة ماذا نكتب ؟ وماذا نقول ؟

شخص يريد أن يتكلّم مع مسيحيّ فيقول له مباشرة : أنت مشرك، أو يقول : أنت كافر - فهذا المسيحيّ لن يستمع إليه، فلا بدّ من أن يبدأ معه بالنقاط المشتركة بين الإسلام والمسيحيّة التي يعتقد بها، ويأتي بالآيات الكريمة التي تتوافق مع كلمات الإنجيل، ويدخل منها إلى نقاط الاختلاف، ولا يستدلّ بآيات قرآنيّة، وإتّما يستدلّ بالإنجيل لكي يقتنع، ويستدلّ بالأدلة العقليّة التي يعتمد عليها جميع البشر، ويثبت له على أساس الدليل العقلي أنّه يستحيل أن يكون الإله مركّباً من ثلاثة أشياء، وإتّما هو إله واحد، ويثبت أنّ المسيح عليه السّلام من البشر، وبهذا الطريق يمكن أن يتكلّم مع المسيحيّ، وقسّ على ذلك النّقاش مع أيّ دين أو ملّة أو مذهب .

إذن :

لا بدّ من مراعاة الظروف في الكلام والفعل، والكلام نوع من

العمل الاجتماعي، فمن يريد أن يكتب في الجرائد والمجلات لا بدّ من أن يراعي هذا الجانب، وبعض كتّاب الجرائد والمجلات لا يوجد عندهم اطلاع على الأحكام الشرعيّة، فيأتي برواية ويستنبط منها حكماً شرعياً خاطئاً، ونرى أنّ الجميع يتكلّمون في الدّين .

الخلاصة :

في تحديد التّكليف يجب الرّجوع إلى الفقهاء والعلماء، وكلّ مؤمن يرجع إلى مرجعه في التّقليد، وكلام المرجع يحدّد التّكليف الشرعيّ بالنّسبة للعمل والعزلة، وما هو المطلوب من المكلف، والمرجع قد يطلب منهم العمل والتّحرّك في بقعة معيّنة؛ لأنّ الظروف مناسبة للتّحرّك، وفي بقعة أخرى يطلب منهم السّلبية والعزلة؛ لأنّ الظروف لا تساعدهم على التّحرّك، فمحاورنا هم العلماء فقط و فقط، ولا نرجع إلى شخص ليس عالماً بحيث نأخذ منه تكليفنا الشرعيّ، وإنّما الرّجوع يكون إلى العلماء فقط، فهم محاور الأئمة، ولا يوجد عندنا محاور أخرى غير العلماء .

حرمة السّلبية :

الآن نأتي إلى السّؤال التّالي :

متى تكون العزلة والسّلبية محرّمة ؟

الجواب :

نريد هنا أن نطرح الأحكام الشرعيّة العامّة بالنّسبة لحرمة العزلة، وعلينا أن نرجع إلى العلماء في تحديد الأحكام في الظروف المختلفة .

تكون العزلة والسلبية محرمة في الحالات التالية :

الحالة الأولى :

إذا وجب العمل الإسلامي الذي يتحدّد بحدود التعاليم الإسلامية، فيكون المطلوب من المؤمن أن يتحرّك، ويكون التحرك واجباً عليه، ووجوب العمل الإسلامي من عدمه في ظرف معيّن يحدده الفقهاء .

الحالة الثانية :

إذا وجب الجهاد العسكريّ أو الجهاد التثقيفيّ مع توفر الشروط، والجهاد العسكريّ يكون مع المعصوم عليه السلام أو مع نائب المعصوم عليه السلام، أي النائب الخاصّ أو النائب العامّ، والنائب العامّ هو الفقيه المرجع، فإذا هجم أعداء الدّين على بلاد المسلمين وأصدر الفقيه حكماً بالجهاد ففي هذه الحالة يجب على المسلمين أن يجاهدوا الأعداء، وهنا يحرم على المسلم العزلة والجلوس في البيت وأن يقول : لا شأن لي .

فنقول : لك شأن؛ لأنّه صدر حكم بالجهاد من الفقيه، والفرار من الزحف من أكبر المحرّمات عند وجوب الجهاد .

"وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ" (١) .

وإذا وجب الجهاد التثقيفيّ فعلى المؤمنين أن ينشروا الثقافة الدّينية بين المؤمنين وغير المؤمنين، ففي هذه الحالة لا تجوز العزلة، بل يجب

(١) الأنفال : ١٦ .

التَّحَرُّكُ ضمن الجهاد التَّثْقِينِيّ، والفقيه يحدّد أنّه يجب الجهاد العسكريّ أو الجهاد التَّثْقِينِيّ أو العمل الإسلاميّ، وأنّه يحرم على المؤمنين العزلة، فيجب على المؤمنين أن يتحرّكوا ويعملوا ولا يعتزلوا .
الحالة الثالثة :

إذا وجب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، ويكون المطلوب من المؤمنين إصلاح المجتمع، وترك الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر في حالة وجوبهما محرمّ مع توقُّر شروطهما التي ذكرناها سابقاً، من العلم بالحكم الشرعيّ واحتمال التّأثير وعدم الوقوع في الضّرر، ومع توقُّر الشّروط يجب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وتحرم العزلة والسلبيّة، ويجب على المؤمنين الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، ويحرم ترك الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وإذا قال شخص بأنّه لا يريد أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فنقول إنّ القضية ليست مزاجيّة، وإمّا هي قضية تكليف شرعيّ .

عن النّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : " لا يزال النّاس بخير ما أمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، وتعاونوا على البرّ، فإذا لم يفعلوا ذلك نُزِعَتْ عنهم البركات، وسُلِّطَ بعضهم على بعض، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السّماء" (١) .

أنت تقوم بأمر ونهي ضمن الحدود الفرديّة، ولكن هذا له تأثير على الأُمَّة، فإذا قام كلّ مسلم بوظيفته في الأمر بالمعروف والنّهي عن

(١) بحار الأنوار ج ٩٧ ص ٩٤ ح ٩٥ .

المنكر فإنّ الأُمَّة تصبح بخير، وإذا لم يَقم المسلمون بوظيفتهم في حالة الوجوب ينزع الله تعالى منهم البركات، ويسلّط بعضهم على بعض، وإذا تقاعس كلّ مسلم عن أداء وظيفته وأخذ شخص حقوق الآخرين ولم يعترض أحد فإنّ كلّ واحد منهم يكون مسلّطاً على الآخر، ولا يحصلون على النّصرة في الأرض؛ لأنّ كلّ شخص ترك الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، ولا يحصلون أيضاً على النّصرة من الله تعالى؛ لأنّهم تقاعسوا عن الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، فلا يوجد إمداد غيبيّ لهم من الله تعالى؛ لأنّ الله تعالى يمدّ يد الغيب لمن يرتبط به، وحتّى المؤمن العاديّ إذا كانت علاقته بالله جيّدة ففي بعض الرّوايات أنّ الله تعالى يجعل الملائكة في خدمة المؤمنين، طبعاً المؤمن الحقيقيّ .

عن الإمام محمّد الباقر عليه السّلام : " . . . وما خلق الله عزّ وجلّ خلقاً أكرم على الله عزّ وجلّ من المؤمن؛ لأنّ الملائكة خدّام المؤمنين، . . . " (١) .

فالملائكة خدّم للمؤمنين الحقيقيّين، فيقضون حوائجهم ويدفعون عنهم الأضرار، وإذا وقع في بلاء فإنّهم يساعدونه على الخروج منه، ولكن لا بدّ من تكوين العلاقة الطّيّبة مع الله عزّ وجلّ، فاجعل علاقتك بالله تعالى جيّدة والله عزّ وجلّ سيجعل علاقتك مع النّاس جيّدة .

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : " من انقطع إلى الله كفاه كلّ

(١) الكافي ج ٢ ص ٣٣ ح ٢ .

مؤونة، ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها، ومن حاول أمراً بمعصية الله كان أبعد مما رجا وأقرب مما اتقى، ومن طلب محامد الناس بمعاصي الله عاد حامده منهم ذاماً، ومن أرضى الناس بسخط الله وكله الله إليهم، ومن أرضى الله بسخط الناس كفاه الله شرهم، ومن أحسن ما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن أحسن سريره أصلح الله علانيته، ومن عمل لآخرته كفى الله أمر دنياه" (١) .

عن أمير المؤمنين عليه السلام : "من أصلح ما بينه وبين الله سبحانه أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله له أمر دنياه، ومن كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ" (٢) .

إذن :

ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حالة وجوبها محرّم، وتأتي الآثار التي نراها اليوم بين المسلمين، وهي الآثار الوضعية التي تترتب على ترك الواجبين : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وتأتي العناوين العامة في مسألة حرمة السلبية والعزلة، والنقاط التي طرحناها هي : حرمة السلبية في حالة وجوب العمل الإسلامي، وفي حالة وجوب الجهاد التتقيفي أو الجهاد العسكري، وفي حالة وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ففي هذه الحالات لا يجوز للمؤمن أن يعتزل، والتشخيص يكون بأيدي الفقهاء والعلماء، فيشخصون أنّ

(١) بحار الأنوار ج ٧٤ ص ١٧٨ .

(٢) المصدر السابق ج ٦٨ ص ٣٦٧ ح ١٧ .

هذا الظرف تحرم فيه العزلة أو تجب فيه الحركة .

وفي المحاضرة القادمة نبحث في حالات وجوب السلبية والعزلة على عكس ما بحثناه هنا من حرمة العزلة، فالمؤمن يعتزل ولا يشارك في شيء، وسأعرض لموضوع "التقية" بحيث تكون واضحة، ويكون عندنا اطلاع على معنى التقية، ونقرأ بعض الروايات الشريفة التي تتحدث عن التقية .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

أسئلة وتعليقات الحاضرين :

المهندس فوزي الصراف :

موارد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هل تكون بفتوى من المجتهد؟

جواب الشيخ محمد أشكناني :

تكون الفتوى من المجتهد في معرفة موارد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتوجد أحكام عامة فيهما، وفي تطبيق بعض الأحكام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون التشخيص بيد المكلف .
مثلاً شخص لا يصلي أو لا يتوضأ بشكل صحيح هنا يكون الأمر بالمعروف على نحو فردي، فالفرد يقوم بوظيفته في الأمر بالمعروف، وهذا على المستوى الفردي .

ويوجد مستوى آخر، وهو على مستوى المجتمع، ففي هذه الحالة في

تحديد أنّ هذا المورد من موارد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون تشخيص المورد بيد الفقيه، فيحدّد أنّه في المجتمع نحتاج إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذا المورد المعين أو لا نحتاجهما .
إذن :

تارةً يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على المستوى الفرديّ، فيكون تشخيصه بيد المؤمن الذي يحدّد تكليفه، وتارةً يكونان على المستوى الاجتماعيّ، ويؤثّر تحرك الفرد على باقي المؤمنين وعلى أماكن أخرى في العالم، وفي هذه الحالة يشخص العلماء أنّ هذا المورد يدخل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو لا يدخل .

وفي كلّ عمل نرجع إلى المرجع في تحديد الحكم الشرعيّ، وتعليم الجاهل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيه حكم شرعيّ من الوجوب أو الاستحباب، والمسألة الشرعيّة موجودة دائماً، ولا يوجد أيّ عمل يقوم به الإنسان إلّا ويوجد فيه حكم شرعيّ، فلا بدّ من أن يعرف المؤمن الحكم الشرعيّ قبل الإقدام على العمل، والبعض يُقدّم على العمل ولا يعرف الحكم الشرعيّ، وبعد أن يعمل يسأل عن تكليفه الشرعيّ، وقد يكون قد ارتكب محرّماً من المحرّمات حينما أدّى هذا العمل .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطيّبين الطاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٣٦)

التَّقِيَّةُ ووجوب السَّلْبِيَّةِ والعزلة وجوازهما ^(١)

أعوذ بالله من الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَي سَيِّدِنَا أَبِي الْقَاسِمِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ
الطَّاهِرِينَ .

ما زال الكلام عن أنصار الإمام المهديّ عليه السَّلَام بين العمل
والحركة وبين السَّلْبِيَّةِ والعزلة، فهل المطلوب من الأنصار أن يكونوا
متحرِّكين عاملين في المجتمع أو يكونوا سلبيين منعزلين عن المجتمع ولا
يتدخّلون بشيء ؟

طرحنا في المحاضرة السابقة عن حرمة السَّلْبِيَّةِ والعزلة في بعض
الحالات، ونتكلّم في هذه المحاضرة عن وجوب السَّلْبِيَّةِ والعزلة وجواز
السَّلْبِيَّةِ والعزلة في بعض الحالات الأخرى .

وما دام أنّ الكلام عن الوجوب والحرمة والجواز فنرجع إلى الفقيه
المرجع في معرفة الحكم الشرعيّ، والمطلوب من المؤمن أنّه قبل أن يقوم

^(١) أُلْفِيَتْ هذه المحاضرة في الدِّيَوَاتِيَّةِ الأَسْبُوعِيَّةِ في دولة الكويت منطقة

بيان، الجمعة ١٥ شعبان ١٤٣٣ هـ ، ٦/٧/٢٠١٢ م .

بأيّ عمل يجب أن يعرف تكليفه بالضبط، وعلى أساس التّكليف يتحرّك المؤمن بعد أن يعرف الحكم الشرعيّ .

وخلاصة الكلام عن حالات حرمة السّليبيّة والعزلة التي ذكرناها سابقاً هي :

الحالة الأولى :

أن يكون العمل الإسلاميّ واجباً، ومرجع التّقليد هو الذي يقول بوجود الحركة والعمل، ففي هذه الحالة تجب الحركة وتحرم السّليبيّة والعزلة .

الحالة الثانية :

إذا وجب الجهاد العسكريّ في مورد فيه خطر على العالم الإسلاميّ وصدر الحكم من المرجعيّة بوجود الجهاد العسكريّ ففي هذه الحالة كلّ من يستطيع أن يجاهد عليه أن يحمل السّلاح ويخرج إلى الجهاد إذا كان الحكم فرض عين على جميع المسلمين، وإذا كان فرضاً كفائياً فالبعض بالعدد الكافي يهتّبون إلى الجهاد .

وكذلك إذا وجب الجهاد التّثقيفيّ في حالة وجود نقص في التّقافة الدّينيّة في المجتمع، فيجب على من يَعْلَمُ أن يُعَلِّمَ الآخرين، وهذا هو دور العلماء في السّعى إلى تعليم الآخرين، فيكون من باب وجوب تعليم الجاهل، وتوجد حاجة هنا إلى الجهاد التّثقيفيّ، وأطلقنا عليه جهاداً؛ لأنّ من يريد أن يُعَلِّمَ الآخرين يتنازل عن أجزاء من وقته وماله، وي بذل جهده، لذلك نطلق عليه "الجهاد التّقافيّ" .

الحالة الثالثة :

إذا وجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع توقّر شروطهما .
في هذه الحالات يجب على المؤمن أن يتحرّك ويعمل، وتحرم عليه
السلبية والعزلة .

وجوب السلبية والعزلة :

نأتي الآن إلى الحالات التي تكون فيها العزلة والسلبية واجبة على
المؤمن، وهي :

الحالة الأولى :

إذا كان ترك العمل الإسلامي واجبًا، وذلك بسبب وجود مخاطر
على المؤمنين، فإذا تحرك المؤمن يمكن أن يسبب خطرًا عليه أو على
غيره من المؤمنين، ففي هذه الحالة يجب أن يعتزل ولا يعمل .

الحالة الثانية :

إذا قام بالجهاد بدون إذن الإمام عليه السلام أو النائب الخاصّ أو
النائب العامّ للإمام عليه السلام أو الحاكم الشرعيّ للدولة الإسلاميّة،
فإذا لم يصدر أحد من المراجع حكمًا بالجهاد فلا يجوز لأحد أن
يجاهد ويحمل السلاح .

الحالة الثالثة :

إذا لم يكن هناك احتمال للتأثير أو كان العمل مستلزمًا للوقوع في
الضرر أو إلقاء نفسه أو نفس أخيه المؤمن في التهلكة عند القيام
بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ففي هذه الحالة يجب على المؤمن

أن يتوقّف ولا يُقدِّمَ على العمل والحركة بسبب عدم توقُّر شروط الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر .

والسّليبيّة تترتب عليها مصالح للمؤمنين، فتوجد مصلحة للمؤمنين المحصّنين النّاجحين في الابتلاءات، والمصلحة هي في حفظ العامل لنفسه؛ حتّى لا تكون التّضحية في غير موضعها، فبمجرّد ما يتحرّك يقع في التّهلكة، وجهود هذا المؤمن نحتاجها في موضع آخر، فلا يتحرّك على أساس الجهاد ولا الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر .

ويفتح له أبواباً أخرى للتّحرّك، فيفكر كيف يمكنه أن يتحرّك ضمن هذا الجوّ الخطر، فيجد وسائل وأساليب أخرى، وظاهره أنّه إنسان سلبيّ لا يتحرّك، ولكن لا بدّ من أن يبحث عن طريقة أخرى في التّحرّك، فيحافظ على نفسه ولا يضحّي بها؛ حتّى يجعل جهوده في مجالات أخرى لخدمة الدّين بحسب الفسحة المتوقّرة أمامه، فيتحرّك بطريقة بحيث إنّ لا يقع في الخطر والتّهلكة، ويبحث عن طرق أخرى للعمل والحركة، هذا بالنّسبة للمؤمنين المحصّنين الذين يسعون لأن يصبحوا من أنصار الإمام عليه السّلام، ويكون المؤمنون المحصّنون قليلين، فيحافظون على أنفسهم، ويجعلون جهودهم في مجالات أخرى بحيث لا يكشفهم الأعداء .

وأما بالنّسبة للمؤمنين غير المحصّنين فإنّهم على أيّ حال غير مستعدّين للتّضحية؛ لأنّ عندهم ضعفاً في درجتهم الإيمانيّة وفي قوّة إرادتهم، نعم عليهم تكليف وهو أن يعملوا على زيادة إيمانهم وتقوية

إرادتهم والنّجاح في الابتلاءات؛ لكي يصلوا إلى درجة الممّخّصين الّتي تؤهّلهم للتّضحية في سبيل الله تعالى وخدمة الدّين بالجهد والوقت والمال والنّفس .

الحالة الرّابعة :

السّكوت والسّلبية والتّحرّك السّلمي يكون أحياناً حلاً في مواجهة الظّالم، ولا يحتاج إلى المواجهة المباشرة، وذلك إذا كانت السّلبية تتضمّن المقاومة أو المعارضة الصّامتة ضدّ الأوضاع الظالمة، والصّمت ضدّ الظالم يكون في بعض الأحيان عملاً اجتماعياً مؤثّراً، وتلاحظون أنّه في بعض الدّول يتحرّك الشعب تحرّكاً سلمياً، ويكون لهم صيتاً دولياً، والأمم المتّحدة ولجان حقوق الإنسان تصدر بيانات بأنّ هذا الشعب أعزل فلماذا تواجههم الحكومة بالعنف والسّلاح !؟

إنّ التّحرّك السّلمي يكون نافعا للمؤمنين، والعالم سيلتفت إليهم، فمن الممكن أن تصدر قرارات من المنظّمات الدّوليّة بحيث تلفت الأنظار في العالم إلى أوضاع المؤمنين في هذه الدّولة، فهم شعب مسلم ولا يحمل السّلاح ولا يدمّر الممتلكات العامّة، ومع ذلك يواجههم الحاكم الظّالم بالعنف والسّلاح، فالتّحرّك السّلمي يعتبر عملاً سلبياً، ولكنّه عمل مؤثّر .

ولا بدّ من أن يكون الصّمت والتّحرّك السّلمي مدروساً دراسةً جيّدةً بحيث تكون مناسبةً للظّروف الموضوعيّة الّتي يعيش فيها المؤمنون، وقرار تشخيص التّحرّك المناسب يرجع للعلماء، ويندرج

تحت الجهاد وإن كان جهادًا صامتًا .

وقد يأتي شخص ويقول : أنا أحمل السلاح .

ويأتي شخص آخر ويقول : أنا أواجه مواجهة سلمية .

نقول : يجب الرجوع إلى علماء البلد لتشخيص الوضع، والعلماء

يقررون نوعية التحرك .

وفي حركاتنا الفردية والاجتماعية يجب الرجوع للعلماء، فشخص

جاهل قد يقرر كيفية التحرك في المجتمع، فنقول بأنه لا بد من الرجوع

إلى علماء البلد في تشخيص كيفية التحرك في الوضع المعين، وإذا

اختلفت الأوضاع في البلد تختلف كيفية التحرك .

وبعض المراجع كانت تصلهم أسئلة عن التحرك المناسب في بلد

معين، فكان المرجع يجيبهم بأن يرجعوا إلى علماء بلدهم في التشخيص

واتخاذ الموقف المناسب .

إن علماء كل بلد هم الأقدر على تشخيص الأوضاع في بلدانهم

وتشخيص التحرك الأنسب في هذا الوضع، فعلماء كل بلد هم المحاور

في إدارة شؤون المؤمنين في هذا البلد، والتاس يعرفون تكاليفهم

الاجتماعية بالرجوع إلى العلماء في بلدهم؛ لكي لا يصبح تحرك

الأفراد في المجتمعات تحركًا عشوائيًا، وإذا قرر كل فرد في المجتمع تحركًا

معينًا فإن الفوضى تحدث، ولا بد من أن يرجع الناس إلى العلماء في

تقرير المصير؛ لكي يضمن الفرد أن هذا هو تكليفه الشرعي، لا أن

كل فرد يشخص بنفسه تكليفه الشرعي في القضايا الاجتماعية أو

السياسية .

وقد تسمع شاباً عمره ستّ عشرة سنةً يقول : إنّ هذا تكليفي .
فنقول له : وأنت بهذا العمر لا تكون مؤهلاً لتشخيص تكليفك
الشرعيّ .

وقد يرجع هذا الشابّ إلى جاهل مثله، وبعض المؤمنين قد
يتصدّون في القضايا الاجتماعية أو السياسية، ولكنهم غير مؤهلين
لتشخيص أوضاع المجتمع واتخاذ القرار بالتحرّك المناسب، وفي كلّ
مجتمع يوجد أفراد ليسوا من العلماء ولا من طلبة العلوم الدنيّة على
الأقلّ حتّى يمكنهم أن يقرّروا مصير الأمة، بل يجب عليهم أن يرجعوا
إلى العلماء، ولكنّ البعض منهم يأخذ مكان العالم، والعلماء هم
الذين يوجّهون المؤمنين لاتخاذ الموقف المناسب من الحركة والعمل أو
السلبية والعزلة .

إنّ السلبية تعتبر نوعاً من الجهاد الصّامت، وفي بعض المجتمعات
السلبية والعزلة لا تكون مناسبةً، بل يحتاج المؤمنون إلى اتّخاذ موقف
من نوع آخر .

يقول القرآن الكريم :

" . . . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ
بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ" (١) .

(١) التوبة : ١٢٠ .

والآية الكريمة تتكلم عن إصابة المؤمنين بالظمأ والنصب أي التعب الشديد والمخمصة أي الجوع الشديد، وأثم يطؤون موطئًا يغيظ الكفار، وكأنَّ إغاظه الكفار مطلوبة، والمراد هو الكافر الحربي الذي يحمل السلاح أو يخطط ضدَّ الإسلام والمسلمين لا مطلق الكفار، فمن الأهداف إغاظه الكافر المحارب للإسلام والمسلمين بإظهار أنك مؤمن قويّ، والكافر المسلم لا نحتاج إلى إغاظته؛ لأنّه يعيش حالة السّلام مع المسلمين، فيوجد مسيحيّون ويهود وغيرهم من الأديان الأخرى مسلمون يعيشون في مجتمعات المسلمين، ولا يتعاونون مع أعداء الدّين، فليس من حقّ أحد من المسلمين أن يتعرّض لهم بإساءة أو يستولي على أموالهم أو يتعرّض لأعراضهم ولا أن يقتلهم، فهؤلاء مسلمون، وأمّا الكافر الحربيّ فيتصدّى له المسلمون، وإذا أرادوا قتل المسلمين ففي هذه الحالة يواجهونهم، وإذا حملوا السلاح وبدؤوا بالقتال فإنّ المسلمين يواجهون السلاح بالسّلاح والقتال بالقتال، والمسلمون لا يبدؤون أحدًا بالقتال .

والمراد من الجهاد والعمل الصّالح هو إغاظه الكفار الحربيين والنّيل من الأعداء سواء كان العمل حركيًّا إيجابيًّا أم ساكنًا سلبيًّا، والصّمت في وقته المناسب له دور في إغاظه العدو، فالأعداء يريدون أن يواجهوا المؤمنين بالسّلاح؛ لكي يرفع المؤمنون السّلاح، وبالتالي يقضون على المؤمنين، ويكون لهم التبرير أمام العالم، والصّمت كإضراب السّجناء عن الطّعام، فإنّ ذلك يلفت أنظار العالم إليهم، ويكون لهم تأثير

إعلامي عالمي، والتحرّك السلمي يغيظ العدو؛ لأنّه لا يوجد عندهم مبرر للقضاء على المؤمنين، والقنوات الفضائية تنشر الأخبار، ويلتفت العالم إلى مظلوميّة المؤمنين، وبعض لجان حقوق الإنسان ستصدر بيانات عن مظلوميّة هؤلاء وظلم الأعداء لهم وقتلهم للمؤمنين وتعذيبهم بلا أيّ مبرر .

الحالة الخامسة :

إذا خاف الفرد على نفسه الانحراف لعدم كونه قويًّا للمواجهة حتّى يحافظ على عقيدته وعمله، ولكن ذلك لا يعني اعتزال المجتمع تمامًا، بل الواجب اعتزال التّيار الذي يخاف منه على نفسه أو على دينه، واعتزال المجتمع تمامًا غير جائز إذا كان يوجد مجال للعمل الإسلامي .

النتيجة :

توجد عدّة حالات لوجوب السلبية، وعلى المؤمن أن يحافظ على نفسه، ويرى أنّه هل توجد طرق أخرى لمواجهة العدو أو لا، وإذا لم يجد طرقًا أخرى للمواجهة ففي هذه الحالة يسلك السلوك السليبي، ولكن مع المحافظة على دينه وإيمانه، لا أنّه تدريجيًّا يتخلّى عن دينه، فتكليفه أن يكون سلبياً صامتاً مع المحافظة على دينه، وحينما تأتي الفرصة المناسبة للتحرّك فإنّه يتحرّك ويعمل، ويكون تكليفه في هذه الفرصة هو التحرّك، ويكون المؤمن مستعدًّا لجميع الظروف، فإذا كان الحكم هو وجوب السلبية فإنّه يتوقّف عن العمل، وإذا كان الحكم هو حرمة السلبية فيتحرّك ويعمل، فالتكليف الشرعيّ يتحدّد بناءً على

الظروف الموضوعية التي تحيط بالمؤمن، فيدرس الظروف الموضوعية، وبناءً عليها يحدّد تكليفه الشرعيّ من الحركة أو السلبية .

جواز السلبية :

نأتي الآن إلى جواز السلبية، وذكرنا حالات حرمة السلبية وحالات وجوب السلبية، والآن نذكر الحالات التي تجوز فيها السلبية وتجوز فيها الحركة، وكلّ مؤمن يختار بحيث يرى أنّه يتكامل مع السلبية أو الحركة، فالمؤمن الأوّل يتكامل عن طريق السلبية، والمؤمن الآخر يتكامل بواسطة الحركة، والاختيار في حالات الجواز لا تقوم على أساس المزاج والعشوائية، وقلنا بأنّه في المباحات لا تكون القضية مزاجية، وإنما يختار المؤمن من المباحات ما يساهم في تكامله وحركته باتجاه الله سبحانه، فيأخذ المباحات التي تنبغي، ويترك المباحات التي لا تنبغي، فبعض المؤمنين لا يناسبهم التّحرّك، وبعض المؤمنين لا يناسبهم السلبية، بل الحركة والعمل تزيد في إيمانه وتكامله، وعلى المؤمن أن يحدّد بدقّة ما يساهم في تكامله، فيوجد عند المؤمن مقياس في اختيار المباحات، فينبغي له أن يتحرّك ويعمل أو ينبغي له أن يقف ويعتزل، واختيار المباحات لا يكون على أساس أنّي أرغب أو لا أرغب، وأشتهي أو لا أشتهي، والتّكليف الشرعيّ موجود في جميع الأحكام حتّى في المباحات .

ومن حالات جواز السلبية إذا كان العمل الاجتماعيّ جائزاً فتركه يكون جائزاً، هذا على فرض أنّ العمل الاجتماعيّ جائز التّرك، ولكن

عادةً العمل الإسلامي يكون بين الوجوب والاستحباب، طبعًا مع توقّر الظروف المناسبة، وهذا هو الأصل، وفي الواقع لا يوجد عمل إسلامي جائر الفعل والتّرك، فالعمل الإسلامي يكون واجبًا فلا يجوز تركه، أو يكون مستحبًا فتكون العزلة مرجوحَةً، والمرجوح لا يُقدّم على الرّاجح، وحالات وجوب العزلة والسّليبيّة هي استثناء من الأصل، فالظّروف تدعو إلى ترك العمل الإسلامي مؤقتًا، وانتظار الوقت المناسب للعودة إلى العمل والحركة .

وتوجد بعض الرّوايات الدّاعية إلى العزلة، وسنبحث أنّه كيف نفهم هذه الرّوايات، وبشكل عامّ روايات العزلة تتكلّم عن حالات وجوب العزلة؛ لأنّ الظّروف الخارجيّة لا تساهم في تحرك المؤمن، ففي هذه الحالات يجب على المؤمن الاعتزال؛ لأجل المحافظة على نفسه ودينه، فهذه الرّوايات تتكلّم عن وجوب العزلة في ظروفها، ولا تتكلّم عن حالات وجوب العمل أو حالات جواز العمل، فتجب العزلة على المؤمن في بعض الحالات .

ونقرأ بعض الرّوايات في وجوب العزلة في عصر الغيبة الكبرى، والعزلة تجب في الظّروف التي تجبر المؤمن على العزلة وعدم المشاركة في أيّ عمل .

من الرّوايات الشّريفة :

عن جابر عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السّلام قال : يا ابن رسول الله، فما أفضل ما يستعمله المؤمن في ذلك الزّمان ؟ قال عليه

السَّلام : " حفظ اللسان، ولزوم البيت " (١) .

عن أبي بصير عن الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السَّلام قال :
" . . . وإذا كان ذلك فكونوا أحلاس بيوتكم، وألبدوا ما ألبدنا، فإذا
تحرك متحركنا فاسعوا إليه ولو حَبْوًا، . . . " (٢) .

عن أبي بصير عن الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السَّلام . . . ثم
قال : " فإذا كان ذلك فالزموا أحلاس بيوتكم حتى يظهر الطاهر ابن
الطاهر المطهر ذو الغيبة . . . " (٣) .

وفي جواز السلبية أو العمل بعض المؤمنين صفاتهم الإيمانية تؤهلهم
للتحرك، فيختارون الحركة والعمل، والذين يستطيعون المواجهة
يواجهون، وبعض المؤمنين الذين صفاتهم الشخصية لا تؤهلهم للحركة
يختارون السلبية، والذين يخافون الانحراف والضلال يعزلون، فإذا
اشترك في عمل إسلامي فإنه قد يفسد بدل أن يصلح، والمطلوب من
هذا المؤمن أن يعتزل ولا يشارك في العمل إلى أن يربي نفسه ويقوي
إيمانه ويتعلم كيفية إدارة العمل الإسلامي، فحينذاك يمكنه أن يتصدى
للعمل، والمؤمن المؤهل من ناحية علمية ومن ناحية إدارية هذا المؤمن

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١٤٥ ح ٦٦ . في ذلك الزمان : أي زمان
الغيبة الكبرى .

(٢) المصدر السابق ج ٥٢ ص ١٣٥ ح ٤٠ . حلس بالمكان : أي لرق به،
والمراد لزوم البيت وعدم الخروج منه . حَبْوًا : زحفاً .

(٣) المصدر السابق ج ٥٢ ص ١٢٦-١٢٧ ح ١٩ .

المطلوب منه أن يساهم في الحركة في المجتمع، وهذا الكلام يأتي أيضاً في الدورات الشبابية، فإذا دخل شاب الدورة وكان يفسد من خلال بعض تصرفاته التي تصدر منه ويوجد صغار مشاركون - فمن المفروض أن لا يشارك في الدورة، والشاب الذي صفاته جيدة يكون قدوةً صالحةً لهؤلاء الصغار، والمطلوب من أمثال هذا الشاب المشاركة في الدورات، وحينما تُعرض المشاركة على أي شخص لا بدّ من أن يرى أنّ صفاته تؤهله أو لا تؤهله للمشاركة، نعم المطلوب من الشخص غير المؤهل أن ينمي صفاته الحسنة؛ لكي يصبح مؤهلاً، ولكنه الآن بوضعه الحالي هو غير مؤهل للمشاركة، وعليه أن يسعى في تربية نفسه وتقوية إيمانه، وأن يتعلم كيفية إدارة الدورات الشبابية، وبعد ذلك يشارك، ولا يظلّ الإنسان على صفاته السيئة إلى آخر عمره، فيكون واقعاً في مكانه ولا يتكامل، بل لا بدّ من أن يصعد في الدرجات الإيمانية، ويكتسب الصفات الحسنة .

التقية :

أشير هنا سريعاً إلى موضوع التقية، ويحتاج الموضوع إلى تفصيل، وفي حالة حرمة الحركة على المؤمن أن يعتزل ويكون سلبياً ويترك العمل الاجتماعي أو السياسي، فيأتي موضوع "التقية" .
من الروايات الشريفة :

عن الإمام علي الرضا عليه السلام : "لا دين لمن لا ورع له، ولا إيمان لمن لا تقية له، إن أكرمكم عند الله عز وجل أعملكم بالتقية قبل

خروج قائمنا، فمن تركها قبل خروج قائمنا فليس منا" (١) .

من لا ورع له ولا تقوى فإنّه لا دين له، فمن لا يخاف من الله تعالى فلا دين له حتى لو كان يأتي بالأعمال؛ لأنّ الدين في المقام الأوّل هو دين باطني قلبي، وعلى أساس الدين الباطني يصبح لديه دين خارجي، فيأتي بمظاهر العبادات، ولا إيمان لمن لا تقية له، فإذا تحرك وعمل في حالات وجوب التّقيّة فهذا خلاف تكليفه الشرعي، فإذا كان تكليفه العزلة وهو يريد أن يتحرك فهو قد عمل بخلاف تكليفه، وإذا كان يعرف أنّ تكليفه هو التّقيّة وكان يتحرك فمعنى ذلك أنّه لم يعمل بالحكم الشرعيّ متعمّداً، ومن لا يعمل بالحكم الشرعيّ متعمّداً لا إيمان له؛ لأنّ العمل بالحكم الشرعيّ من الإيمان، فإيمانه يدعوّه إلى العمل بالحكم الشرعيّ، والمؤمن يلتزم بالأحكام والتكاليف الشرعيّة .

والرّواية لا تتكلّم عن جميع الظروف، وإمّا تتكلّم عن خصوص الظروف التي تتطلّب فيها التّقيّة، أي في حالات وجوب العزلة، فتكليفه الشرعيّ أن يعتزل ولا يتحرك، وأمّا إذا كان الظرف مناسباً للحركة فيجب على المؤمن أن يتحرك ويعمل؛ لأنّ الحركة هي تكليفه الشرعيّ، فتأتي الأحكام الشرعيّة المختلفة في الظروف المختلفة، وكلام الإمام عليه السّلام عن الظروف التي تكون التّقيّة فيها واجبة، وتكليفه الشرعيّ هو التّقيّة، وإذا لم يعمل بالتّقيّة فلا إيمان له .

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٢١ ح ٢٩ .

والرّوايات الّتي تتكلّم عن التّقية لا تُطبّق في جميع الظروف والحالات، فالحكم لا يكون دائماً شاملاً لجميع الظروف، ففي ظروف تجب التّقية إلى قيام القائم عليه السّلام، وفي ظروف أخرى تجب الحركة .

ويختلف الحكم الشرعيّ من زمان إلى آخر ومن مكان إلى آخر ومن بلد إلى آخر على حسب ظروف البلد، ففي بلد يمكنه الكلام في كلّ موضوع، وفي بلد آخر لا يمكنه أن يتكلّم في أيّ موضوع، وفي بلد لا يستطيع أن يقول إنّه شيعيّ أو يقوم بالشّعائر الخاصّة بالشيعة، فعلى حسب ظروف البلدان، ففي بعض البلدان المطلوب من المؤمن التّقية، وفي بعض البلدان الأخرى تسمح الظروف للمؤمن أن يتحرّك ويعمل اجتماعياً أو سياسياً .

عن الإمام الباقر عليه السّلام : "التّقية من ديني ودين آبائي، ولا إيمان لمن لا تقية له" (١) .

عن الإمام الصادق عليه السّلام : ". . . ، إنّ تسعة أعشار الدّين في التّقية، ولا دين لمن لا تقية له، . . ." (٢) .

سؤال : ماذا نفهم من التّقية ؟

الجواب :

للتّقية مدلولان :

(١) بحار الأنوار ج ٧٢ ص ٤٣١ ح ٩٢ .

(٢) المصدر السابق ج ٧٢ ص ٤٢٣ ح ٨٢ .

المدلول الأول :

المحافظة على النفس من الأضرار، والقضية ليست الحرص على الحياة فقط، بل حفظ الحياة لأجل مهمّة أكبر، ويكون المؤمن مستعدًّا في أيّ وقت للحركة إذا سمحت الظروف للتحرّك، والمطلوب من المؤمن أن يحافظ على حياته؛ لأجل أن يحافظ على عدد المؤمنين، ولا يحدث نقص في عددهم، والمؤمنون أمامهم مهمّة عظيمة، فيجب عليهم أن يحفظوا حياتهم .

المدلول الثاني :

إخفاء الأعمال الاجتماعيّة والسياسيّة الصّالحة التي يكون في كشفها نقصانٌ لنتائجها أو اجتثاثُ جذورها، وظاهر المؤمن أنّه سلبيّ متوقّف عن العمل، ولكنّه في الواقع يتحرّك بالخفاء بالمقدار الذي يمكنه أن يتحرّك بدون أن ينكشف أمام العدو، والإمام عليه السّلام حينما كان يعمل بالتقيّة كان محجورًا في بيته، ولكنه مع ذلك كان عنده اتّصال مع القاعدة الشّعبيّة بالخفاء .

مثلاً إذا أراد أحد أصحابه أن يوصل إليه الحقوق كان يجعلها في كيس فيه دهن ويدخل إلى الإمام عليه السّلام، أو يرى بائعًا فيطلب منه أن يبيع له بضاعته وملابسه فيشترها منه، ويدخل بهذه الطّريقة إلى بيت الإمام عليه السّلام، كأنّه صاحب بضاعة ويريد أن يبيع للإمام عليه السّلام، كانت الطّروف ظروف تقيّة، ولكن يمكن التّحرّك بشكل سرّي مخفيّ بحيث لا يشعر به العدو، فيظنّ الأعداء أنّه

ساكت منعزل عن المجتمع، ولكنّه في الواقع يتحرّك بشكل سرّي غير منكشف للعدوّ .

إذن :

التّقية لا تعني الاعتزال التّام وعدم الحركة، وإنّما تعني العمل السّري غير المكشوف للعدوّ، وليست التّقية ترك جميع الأعمال، فيمكن للمؤمن أن يقوم بالعمل بدون أن يشعر به العدوّ، وإذا لم يمكن القيام بأيّ عمل فتكليفه يكون ساقطاً، ولكن إذا كان يوجد مجال للقيام بالأعمال السّريّة فتكليفه الحركة بهذه الطّريقة غير المكشوفة، فتكليفه أن يتحرّك تحرّكاً سرّياً بحيث لا يشعر به الظّالمون، وهذه هي سيرة الأئمّة عليهم السّلام وطريقة أصحاب الأئمّة عليهم السّلام، وحتى النّبّي صلّى الله عليه وآله حينما كان في بدايات الدّعوة في الثّلاث سنوات الأولى كانت دعوته سرّيّة، فكان صلّى الله عليه وآله يتحرّك بالمقدار الممكن بدون أن يشعر به مشركو قريش، فتوجد حركة حتّى في حالات وجوب العزلة، ولكن بالمقدار الذي تسمح به الظّروف الموضوعيّة، وقد تسمح الظّروف لبعض المؤمنين لا جميعهم، فتكليف بعض المؤمنين أن يعتزلوا ولا يتحرّكوا أيّ تحرّك في ظروف التّقية، ولكن تكليف بعض المؤمنين أن يتحرّكوا في حالات وجوب التّقية بالمقدار الذي تسمح به الظّروف لا أن يتركوا العمل تماماً، فالتّقية لا تعني العزلة التّامة فقط، بل تعني أيضاً العمل السّري لمن يمكنه أن يساهم بالتحرّك غير المكشوف أمام العدوّ .

وفي حالات وجوب التَّقيَّة يجب أن يعمل المؤمنون بالتَّقيَّة؛ لأنَّ عدم الأخذ بالتَّقيَّة يؤدي إلى تقلص عدد المؤمنين الممَّحَّصين وبطء وجود العدد الكافي من المخلصين الممَّحَّصين الَّذِينَ يمثِّلون أنصار الإمام المهديِّ عليه السَّلام، فمن الممكن أن يقلَّ عددهم، لذلك يجب على المؤمنين المحافظة على حياتهم وأرواحهم .

سؤال : إذا دار الأمر بين الجهاد المستعجل في بقعة من الأرض وبين الجهاد المؤجَّل في كلِّ الأرض فأيهما يُقدَّم ؟

الجواب :

يُقدَّم الجهاد المؤجَّل بحسب التَّخطيط الإلهيِّ .

فيقال له : لا تجاهد الآن الجهاد المحدود، وانتظر إلى وقت الجهاد

العالميِّ .

فإذا أراد المؤمن أن يجاهد في بقعة معيَّنة فلا بدَّ من أن يلتفت إلى أنَّه : هل ممكن أن يحافظ على حياته إلى وقت الجهاد الَّذي يشمل كلِّ الأرض ؟

وهذا المؤمن لا بدَّ من أن يكون عنده اطلاع على أنَّه في المستقبل يوجد شيء حتَّى يحافظ على حياته من أجل هذا الشَّيء، ولكن إذا كان تكليفه بحسب تشخيص الفقهاء أن يجاهد في هذه البقعة فيجب أن يجاهد فيها، وإذا كان في حالات التَّقيَّة فيجب أن يحافظ على نفسه حتَّى يحافظ على عدد المؤمنين الممَّحَّصين الَّذِينَ يشكِّلون أنصار الإمام عليه السَّلام .

النتيجة :

العمل السريّ مطلوب في حالات التقيّة بالمقدار الذي تسمح به الظروف في أيّ بلد من البلدان، فبعض المؤمنين يتحرّكون ويعملون حتى في ظروف التقيّة بسبب وجود مواصفات خاصّة في هؤلاء المؤمنين .

مثلاً لا بدّ من أن تتوفّر فيهم القوّة، فإذا قبضَ عليهم فالمفروض أن لا يعترفوا على الآخرين، ولا يكون ضعيفاً حينما يدخل إلى مجال العمل، فبمجرّد ما يُقبَضُ عليه يذكر أسماء من يعمل معهم .

وكلّ شخص يراجع نفسه ليرى أنّ صفاته تؤهّله للدخول في الحركة والعمل أو لا، لا أنّه بمجرّد ما يسمع بوجود حركة وعمل يسعى للمشاركة، فلا بدّ من أن يراجع نفسه ليرى أنّه مؤهّل لهذا العمل أو غير مؤهّل، ومن خلال صفاته يتحرّك ويعمل أو لا، ومن لا تكون عنده الصّفات المطلوبة فلا يتحرّك، وإتّما يكمل التّواقص الموجودة عنده، وإذا أكمل التّواقص وتوقّرت فيه الصّفات المطلوبة فإنّه يبدأ بالحركة والعمل .

الخلاصة :

إنّ التقيّة لا تعني وجوب العزلة التّامة لمن لا يستطيع المواجهة العلنيّة، بل تعني العمل السريّ غير المكشوف حيث تظنّ السّلطات الظّالمة بأنّه معتزل، ولكنّه في الواقع يعمل بمقدار ما تسمح له الظروف بالحركة والعمل .

وقد تكلمنا إلى هنا عن وجوب العزلة وحرمة العزلة وإباحة العزلة والحركة، وتحديثنا عن التقيّة .

والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا أبي القاسم محمد وآله الطيّبين الطّاهرين .

أسئلة وتعليقات الحاضرين :

تعليق من أحد الحاضرين :

بخصوص العزلة ليس بالضرورة أن يكون العمل اجتماعيًا أو أنّه يُدرّس أو يلقي محاضراتٍ، في العزلة قد يؤلّف كتبًا إذا كان عنده علم، أو يؤسّس مواقع على الإنترنت، أو يحمّل برامج على المواقع، فيتحرّك على أساس ظروفه، وبعض الأشخاص طبيعتهم أنّهم انعزاليّون غير اجتماعيين، ففي هذه العزلة يمكنه أن يخدم .

جواب الشيخ محمد أشكناني :

هذا نوع من التّحرّك والعمل الاجتماعيّ وإن كان جالسًا في بيته، فهو يفيد الآخرين، ويمارس دورًا اجتماعيًا بوسيلة أخرى، وهذا قصدنا من وجود طرق وأساليب أخرى للحركة، وقلنا إنّّه يدرس الظروف ويرى التّحرّك المناسب لظروفه .

سؤال من أحد الحاضرين :

في زمان ظهور الإمام المهديّ عليه السّلام هل توجد التّقيّة ؟

جواب الشيخ محمد أشكناني :

في زمان الإمام عليه السّلام لا توجد تقيّة؛ ففي بداية الظّهور يبدأ

الجهاد العامّ، والجهاد العامّ معناه عدم وجود التّقية، وهنا المؤمن لا يتّقي، بل يُظهِرُ نفسه حتّى يساهم في بدايات التّحرّك مع الإمام المهديّ عليه السّلام، والجوّ العامّ ليس جوّ تقيّة، وبعد الظّهور لا توجد التّقية عند المؤمنين قطعاً، بل الجوّ العامّ سيكون بالعكس حيث يكون الجوّ العامّ داعياً للتّقية عند من يخالف المؤمنين .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٣٧)

استفادة المؤمن من الظلم^(١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

نتكلّم في هذه المحاضرة عن التّكليف السّادس للمؤمن في عصر الغيبة الكبرى، وهو :

التّكليف السّادس : الاستفادة من الظّلم :

لا أحد يمكنه أن ينكر أنّ الظّلم منتشر في العالم كلّه، ويوجد الآن ظلم في كلّ بقعة من بقاع الأرض .

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : "أبشركم بالمهديّ، يُبعثُ في أمّتي على اختلاف من الناس وزلزال، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما مُلئتُ جوراً وظلماً، . . ." (٢) .

(١) أُلقيت هذه المحاضرة في الدّيواتيّة الأسبوعيّة في دولة الكويت منطقة

بيان، الجمعة ٢٢ شعبان ١٤٣٣ هـ ، ١٣/٧/٢٠١٢ م .

(٢) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٧٤ ح ٢٣ .

الظلم لا يشمل الظلم المادّي فقط، بل يشمل أيضًا الظلم المعنويّ غير المادّي، والآن بعض القنوات الفضائيّة تساهم في الظلم حينما تنشر الأخبار الكاذبة، هذا نوع من الظلم وإن لم يكن ظلمًا مادّيًا، وإتّما هو ظلم معنويّ يقع على النّاس حيث لا يمكنهم أن يعرفوا الحقيقة، سواء كانت قنوات الغريبيّن أم قنوات المسلمين، فحسب الظّاهر يُطلَقُ عليها قنوات إسلاميّة، ولكنّها في الواقع تساهم في تشويه المدارس والمذاهب الأخرى للمسلمين .

سؤال : الإنسان المؤمن ضمن هذا الوضع العالميّ كيف يمكنه أن يستفيد من الظلم حتّى يصل إلى درجة أنصار الإمام المهديّ عليه السلام ؟

الجواب :

أوّلًا لا بدّ من أن يشعر بأنّ الظلم واقع عليه، مثلًا الإنسان الغنيّ قد لا يشعر بالظلم لمجرّد أنّه يملك الأموال الكثيرة، فيظنّ بأنّ الظلم ينحصر في الظلم المادّي فقط .

نقول : حتّى الإنسان الغنيّ الذي يستمع إلى القنوات الفضائيّة يقع عليه الظلم أيضًا، وهو الظلم الإعلاميّ في تشويه الحقائق ونشر الأكاذيب وعدم إيصال الحقّ إليه .

وكلّ مؤمن لا بدّ من أن يشعر بالظلم الواقع عليه؛ حتّى يمكنه أن يستفيد من الظلم، ولا يوجد الآن إنسان غير مظلوم في هذا العالم إلّا القلّة القليلة، حتّى هؤلاء القلّة الذين يشكّلون طبقة الظالمين هم

مظلومون أيضاً، فهم قد ظلموا أنفسهم، فلا يوجد إنسان في العالم غير مظلوم؛ إمّا من قِبَلِ الآخرين وإمّا من قِبَلِ نفسه، فهذا الظلم ظلم منتشر في العالم، والطبقة الظالمة تشكّل نسبةً قليلةً جدًّا من عدد سكّان العالم، والأكثرية مظلومون .

وفي القنوات الفضائية حينما يعرضون الأخبار تشاهدون الحروب المنتشرة في العالم، وتسمع أنّ بعض الدّول فيها حروب أهليّة، وهؤلاء الذين يتقاتلون تجد أنّهم من الشّعوب الفقيرة التي لا يملك أفرادها قوت يومهم .

ومن الطّبيعي أن تتساءل : من أين يحصلون على الأسلحة حيث إنّهم لا يملكون المال لشراء الطّعام؟! .

إنّ مصانع السّلاح تزوّد الطّرفين المتقاتلين بالأسلحة، وإذا انتصر طرف من الطّرفين فيكون لهم الفضل، وبذلك يمكنهم الدّخول إلى البلد والحصول على المعادن من مناجمه من الذهب وغيره من المعادن، فأيّ طرف ينتصر سيمنّد يده إلى دول الاستعمار، فدول الاستكبار العالميّ يستفيدون من أيّ طرف ينتصر .

إذن :

هذا الظلم الواقع على الإنسان أوّلاً لا بدّ من أن يشعر به .
وثانياً لا بدّ من أن يستفيد من الظلم الواقع عليه، والتّخطيط الإلهيّ للكون والإنسان موجود من قِبَلِ الله تعالى، وجعل الله تعالى في الكون إنساناً قوياً وإنساناً ضعيفاً، ولكنّه سبحانه حينما أعطى القوّة

لأشخاص كان الهدف الإلهي أنّ القويّ يعطي حقّ الضعيف لا أنّ القويّ يستولي على حقّ الضعيف، والإنسان يمكنه أن ينشر العدل أو ينشر الظلم في العالم، والله أعطى الإنسان العقل، ولكنّه تعالى طلب من الإنسان أن يستفيد من عقله في نشر العدل وردّ الحقوق وإنتاج الصناعات التي تنفع البشرية، ولم يجعل الله العقل ضمن التخطيط الإلهي لأجل أن يستفيد الإنسان من العقل بطرق خاطئة، وكلّ ما هو موجود في الكون يكون ضمن التخطيط الإلهي، فالتخطيط الإلهي يشمل كلّ شيء، حتّى وجود الظالمين يكون ضمن التخطيط الإلهي؛ لأنّ الظالمين يساهمون في تقوية المؤمنين، فتوجد فائدة وإيجابية من وجود الظالمين، نعم الظلم محرّم، وما دام أنّ الظلم يقع - والله لا يرضى عن الظلم - فالمؤمنون يستفيدون من وقوع الظلم عليهم بأن يصبحوا أقوى من السابق، فالعزلة والجهاد يقعان ضمن التخطيط الإلهي، ولهما علاقة بالتمحيص الإلهي لجميع الناس، فإذا كان تكليف المؤمن هو العزلة أو الجهاد فإنّهما يقعان ضمن التخطيط الإلهي، فالظلم والظروف الصعبة التي يعيشها المؤمنون لها دور كبير في تمحيصهم وغربلتهم وتقوية عقيدتهم وزيادة هدايتهم، ويكتشف المؤمن نفسه من أنّه قويّ أو ضعيف، وتجد أشخاصًا يتحدثون عن الجهاد، والكلام سهل، ولكن حينما يحتاج الأمر إلى جهاد حقيقيّ تجد أنّهم يهربون من المواجهة، والتمحيص واقع على كلّ إنسان في العالم، وكلّ ما يقع على الإنسان عبارة عن ابتلاء وامتحان؛ لكي يكتشف نفسه،

والادّعاء سهل على اللسان .

إذن :

الظلم يساهم في تمحيص المؤمنين وتقوية بعضهم واكتشاف البعض الآخر ضعفهم وأنهم لم يصلوا إلى المستوى المطلوب من الاستعداد للجهاد، ومن يستفيد من الظلم في تقوية إيمانه وعقيدته يزداد هدى فوق هداه .

بعض الاستفادات التي يستفيدها المؤمن من الظلم :

إنّ كلّ إنسان مظلوم من قِبَل نفسه أو من قِبَل غيره، والفرد يمكنه أن يستفيد من ظلم الآخرين له، وفرد آخر يجاري الظلم ويساهم بنشر الظلم ويساعد الظالم في ظلم الآخرين، فمن يكون من جنود الظالم يكون أداة بيد الظالم، والظالم يأخذ نصيب الأسد، ويعطي لأعوانه الفتات، مع أنّ الأعوان هم الذين يمارسون الظلم عملياً، والظالم يصدر الأوامر فقط، والظالم لو لم يجد له أعواناً لا يمكنه أن يظلم؛ لأنّه يكون لوحده، ولكنّه يحصل على أعوان إمّا عن طريق التّغيب وإمّا عن طريق التّرهيب، فإمّا أن يعطي أموالاً للأعوان وإمّا أن يهدّدهم بسجنهم أو قتلهم أو قتل أهله وأولاده، فهم يساهمون في الظلم رغبةً أو رهبةً .

والمؤمن في عصر الغيبة الكبرى من خلال ردّة فعله التّفسيّة والعقائديّة والعملية يستفيد من الظلم الواقع عليه نفسياً أو عقائدياً أو عملياً، وبذلك يصل إلى درجة أنصار الإمام عليه السّلام .

واستفادات المؤمن من الظلم الواقع عليه هي :

الاستفادة الأولى :

أخذ العبرة من الظلم عقائدياً وتطبيقياً وعملياً؛ لأنّ الظلم مثال سيئ يجب تجنبه والابتعاد عن المساهمة فيه، ويأخذ الإنسان العبرة والعظة من مصير الظالمين، وفي زماننا الحالي رأيتهم بأعينكم النهاية المساوية لبعض الحكام الظالمين، ولم يكونوا يتوقعون بأنّ نهايتهم ستكون بهذه الطريقة، فندرك بأنّه لا يوجد ظالم في مأمن .

يقول : أنا بقوّتي وقدرتي لا يمكن أن ينتصر عليّ الضّعفاء .

نقول له : يمكن ذلك، فالله تعالى بطريقة ما يجعل النصر لهؤلاء

الضّعفاء وإن كان عن طريق الاستعانة بظالم آخر .

فينتصر الضّعفاء، ويصبح الضّعفاء حكاماً، ولكن قد ينقلب الضّعفاء إلى حكام ظالمين إذا لم يكونوا أصحاب تقوى وخوف من الله تعالى، وتدور الدائرة عليهم، ويجري ما جرى على أسلافهم، ويقعون في نفس المصير الأسود، وهكذا تسير الأمور، فإمّا أن ينشروا العدل وإمّا أن يذهب ظالم ويأتي ظالم آخر يحلّ محلّ الظالم السابق، وقد يأتي إنسان عادل فيساهم في نشر العدل في المجتمع، ولكنّ العدول قلة وثلة قليلة .

والظالم يُفلسفُ ظلمه، فيطرح فلسفةً ونظريةً خاصةً، مثلاً الرأسمالية أو الاشتراكية أو أيّ أطروحة أخرى يبيّنون كلامهم بواسطة فلسفة ونظرية، ويؤسسون عقيدةً معينةً، ويترتب على النظرية والعقيدة سلوك

عمليّ معيّن، فالظلم له فلسفة ونظريّة وعقيدة، لا أنّه يظلم فقط، بل يأتي عن طريق فلسفة ونظريّة، مثلاً يقول الظالم بأنّ الله قدّر لكم أن أكون أنا الحاكم وأن تكونوا أنتم المحكومين، فيأتي من باب القضاء والقدر، فيبرّر فعله عن طريق الفلسفة والنظريّة، ويستغلّ الدّين في تبرير ظلمه إذا كان النّاس مسلمين، ويأتي عن طريق فلسفة ونظريّة أخرى دينيّة أو غير دينيّة إن لم يكونوا مسلمين، ومن خلال الفلسفة والنظريّة يبرّر ظلمه للآخرين .

والظالم الذي يطرح الفلسفة والنظريّة لتبرير ظلمه تكون نظريّته ناقصة معيوبة، ولا يمكن للظالم أن يستتر نواقص نظريّته ومعاييرها، ونتيجة للتّمحيص تظهر أساليب الظلم وخداعه ومكره وما فيه من نقاط الضّعف، ولا يوجد العلم الصّحيح الصّافي إلّا من منبع أهل البيت عليهم السّلام .

قال أبو جعفر الباقر عليه السّلام لسلمة بن كهيل والحكم ابن عتيبة : "شَرِّقًا أو غَرَبًا فلا تجدان علمًا صحيحًا إلّا شيئًا خرج من عندنا" (١) .

وفي رواية أخرى : " . . . فليشرّق الحكم وليغرب، أما والله لا يصيب العلم إلّا من أهل بيت نزل عليهم جبرئيل عليه السّلام" (٢) .
لا يمكن لأيّ إنسان أن يطرح نظريّة صحيحةً بدون الرجوع إلى

(١) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٣٣٥ ح ٢١ .

(٢) المصدر السابق ج ٤٦ ص ٣٣٥ ح ٢٢ .

النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَهْلُ بَيْتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَجَمِيعِ النَّظَرِيَّاتِ الَّتِي لَا تَكُونُ مُسْتَقَاءً مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَرَوَايَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعَتَرَتِهِ الطَّاهِرِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ تَكُونُ نَظَرِيَّاتٍ خَاطِئَةً، وَنَتِيجَةً لِلتَّخْطِيطِ الْإِلَهِيِّ فَإِنَّ هَذِهِ النَّظْرِيَّةَ سَيُظْهِرُ نَقْصَهَا مَعَ الْوَقْتِ، نَعَمْ قَدْ يَطْبُقُوهَا لِمُدَّةٍ مِنَ الزَّمَانِ، وَلَكِنَّهَا تَفْشَلُ، مِثْلًا الْإِشْتِرَاكِيَّةَ طُبِّقَتْ خَمْسِينَ أَوْ سِتِّينَ سَنَةً أَوْ أَكْثَرَ، وَلَكِنْ بَعْدَ ذَلِكَ سَقَطَتْ هَذِهِ النَّظْرِيَّةُ، وَبَقِيَتْ النَّظْرِيَّةُ الرَّأْسِمَالِيَّةُ، وَفِي وَقْتٍ مَا سَتَسْقُطُ؛ لِأَنَّهُ لَا تَوْجُدُ نَظْرِيَّةً عَبْرَ التَّارِيخِ إِلَّا وَقَدْ مَرَّتْ بِالتَّمْحِيصِ، وَظَهَرَ أَنَّهَا نَظْرِيَّةٌ نَاقِصَةٌ، فَهَذِهِ النَّظَرِيَّاتُ لَا يَوْجُدُ فِيهَا اتِّصَالٌ إِلَهِيٌّ وَخَلْقِيَّةٌ شَرْعِيَّةٌ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَأْتِيَ النَّظْرِيَّةُ الصَّحِيحَةُ إِلَّا عَنِ طَرِيقِ الْوَحْيِ الْإِلَهِيِّ فَقَطْ، فَالنَّظْرِيَّةُ النَّاجِحَةُ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَأْتِيَ إِلَّا عَنِ طَرِيقِ الْوَحْيِ .

إِنَّ هَدَفَ النَّظَرِيَّاتِ - بِحَسَبِ ادِّعَاءِ أَصْحَابِهَا - أَنَّهَا تَرِيدُ أَنْ تَنْشُرَ السَّعَادَةَ فِي الْعَالَمِ، وَلَكِنْ بَعْدَ تَطْبِيقِهَا لِعَدَّةِ سِنَوَاتٍ يَتَبَيَّنُ أَنَّ الطَّبَقَةَ السَّعِيدَةَ هِيَ ١% مِنْ سَكَانِ الْعَالَمِ فَقَطْ، وَ ٩٩% مِنْ سَكَانِ الْعَالَمِ طَبَقَةٌ مُسْتَضْعَفَةٌ يَشْتَكُونَ مِنَ التَّعَاسَةِ، لِدَرَجَةِ أَنَّهٗ فِي عَقْرِ دَارِ الرَّأْسِمَالِيَّةِ يُخْرِجُ النَّاسَ فِي مَظَاهِرَاتٍ اِحْتِجَاجًا عَلَى هَذِهِ النَّظْرِيَّةِ، وَأَعْلَبُ النَّاسِ فِي الْعَالَمِ لَمْ يَسْتَفِيدُوا مِنَ النَّظْرِيَّةِ الرَّأْسِمَالِيَّةِ، وَهَذِهِ النَّظْرِيَّةُ سَيَتَبَيَّنُ خَطُوهَا تَدْرِيجِيًّا، وَفِي آخِرِ الْمَطَافِ سَتَسْقُطُ بَعْدَ أَنْ يَذُوقَ الْعَالَمُ الْوَيْلَاتِ مِنْهَا، وَسَتَأْتِي نَظَرِيَّاتٌ أُخْرَى، وَلَكِنْ كُلُّهَا سَتَبُوءُ بِالْفَشْلِ إِلَى أَنْ يَظْهَرَ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالنَّظْرِيَّةِ الْكَامِلَةِ الَّتِي فَعَلًا

ستنشر العدل والسعادة في العالم ، ولا يمكن قبل ظهور الإمام عليه السلام أن ينتشر العدل والسعادة في جميع أرجاء الأرض .

والظالمون حينما يرون أنّ هناك نقصاً في نظريّاتهم يحاولون إكمالها وإصلاح الخلل فيها وتطويرها وتغيير سلوكهم وأساليبهم، ولا يوجد ظالم بلا نظريّة تبرّر ظلمه، فيكتشفون نواقص في النظريّة ويقومون بتعديلها بإضافة بعض النّقاط عليها، لذلك نرى بأنّ القوانين الوضعيّة في تغيير دائم، ولا توجد قوانين وضعيّة ثابتة في جميع الدّول حتّى الدّول المتقدّمة الشّرقية والغربيّة، وجميع الدّول تقوم بتنقيح الدّستور وتغيير القوانين من وقت لآخر؛ لأنّه يتبيّن لهم أنّه يوجد نقص وخلل فيها، فيطالبون بتعديلها، والبعض قد يعدّل القانون لأجل مصلحته الشخصيّة، فالطبقة الحاكمة تغير القوانين بما يصبّ في مصالحها، وكلّ يجزّ القرص إلى صحنه، وما دام أنّ الإنسان لا توجد عنده علاقة مع الله تعالى فتكون علاقته مع الدّنيا والشيطان - فمن الطّبيعي أن يغيّر القوانين لمصلحته الدّنيويّة، حتّى لو كان يدّعي أمام النّاس بأنّه إنسان متديّن .

وواقع التجربة يثبت أنّ أصحاب النّظريّات التي تدعو إلى العدل والمساواة والحريّة وسعادة البشريّة ينشرون الظّلم في العالم بعد أن ينتصروا ويحكموا، وهذه هي طبيعة الحركات التي ترونها في العالم، فبعد أن كانوا طبقة مستضعفةً يصبحون هم الأغليّة، ويصلون إلى الحكم، فيبدؤون بالظّلم بعد أن كانوا مظلومين، فتبدّل الأفتنة فقط؛ لأنّهم

من أهل الدّنيا ولا علاقة لهم بالله تعالى .
إذن :

الظّالمون يحاولون تطوير نظريّاتهم، ولكن تدريجيّاً جميع النّظريّات ستبوء بالفشل وتسقط قبل ظهور الإمام المهديّ عليه السلام .
والحاكم الظّالم يكون له مجموعة من "وعّاظ السّلاطين" من علماء الدّين المزيّفين، ونطلق عليهم "وعّاظ السّلاطين"، ولكنهم لا يعطون الحاكم الظّالم، بل دورهم أن يبرزوا للنّاس في وسائل الإعلام أعماله السيّئة ومنكراته، وحينما يخرج النّاس المظلومون في مظاهرة يسمّونهم "إرهابيّون" أو "طغمة فاسدة" أو "همجيّون"، وغيرها من الألقاب .
ويعطي وعّاظ السّلاطين للحاكم الظّالم بعض الألقاب كماؤمن والعاذل والمجاهد والعابد والزّاهد وقاضي حوائج الفقراء وراعي الأيتام، وتلتقط وسائل الإعلام له الصّور مع اليتامى وكبار السنّ وهو يزور دور الرّعاية الاجتماعيّة، ويقدمّ لهم الهدايا، ويتسم لهم ويحضنهم، ويضعون الصّور في الصّفحة الأولى من الجرائد؛ حتّى يظهر للنّاس أنّه مملوء بالحنان والرّقة والرّحمة، والصفّات التي تكون على عكس واقعه، وهو يريد أن يوهم النّاس بهذه الصفّات، والكثيرون ينخدعون به، وفي المجتمع يوجد أشخاص مصلحيّون يقيّمون الأشياء بحسب مصالحهم الشخصيّة، ويوجد أشخاص سدّج ينخدعون بالمظاهر الخدّاعة، ولكن توجد طبقة في المجتمع لا ينخدعون بهذه المظاهر، ويعرفون الحاكم على حقيقته، وهم يملكون الوعي الكافي، ويشكّلون طبقة أنصار

الإمام المهديّ عليه السّلام أو أئمّه مؤهّلون لأن يكونوا من أنصار الإمام عليه السّلام .

النتيجة :

الاستفادة الأولى من الظلم هي أخذ العبرة، وذلك بأن لا نكون من الطبقة الظّالمة، ولا أن نساهم في نشر الظلم، ولا أن نكون من وعّاظ السّلاطين، ولا أن نكون من النّاس السّدج الذين ينخدعون بالمظاهر، وإمّا لا بدّ من أن يكون عندنا الوعي الكافي بحيث يمكننا أن نميّز بين الحقّ والباطل، ولا ننخدع بمظاهر الظّالمين، وإمّا نأتي إلى أغوار ما ينشر عن الظّالم حتّى نقرأ ما بين السّطور بحيث يمكننا أن نميّز بين أنّ هذا هو صاحب الحقّ وأنّ ذاك هو صاحب الباطل، وهذا يحتاج إلى وعي واطّلاع على السنن التّاريخيّة، ومن خلال قراءة القرآن الكريم ترى أنّه توجد سنن تاريخيّة، وهذه السنن التّاريخيّة موجودة في جميع الأقسام، ففي كلّ قوم هناك طبقة ظالمة مستكبرّة وطبقة مظلومة مستضعفة، وطبقات أخرى .

ولعلّ الله تعالى يوفّقنا إلى طرح موضوع عن طبقات المجتمع ودور كلّ طبقة، طبقة حاكمة ظالمة، وطبقة المملأ الذين يحيطون بالحاكم، وطبقة المستضعفون، وطبقة وعّاظ السّلاطين، وطبقة الإعلاميين وأبواق السّطان، وغيرهم، ومن خلال قصص القرآن الكريم يمكن معرفة هذه الطبقات ومميّزاتها في الأقسام السّابقين، وقصص القرآن لم يذكرها الله تعالى عبثًا، والله عزّ وجلّ حينما ذكر قصّة في القرآن فإنّه

تعالى له هدف من ورائها، مثلاً قصّة بني إسرائيل تتكرّر كثيراً في القرآن، وفي كلّ مجموعة من الآيات حينما تذكر بني إسرائيل تطرح جانباً معيّنًا، وهذا الجانب المعين لا بدّ من أن يعرفه المسلمون حتّى لا يقعوا فيما وقع فيه بنو إسرائيل، والإنسان يأخذ العبرة من قصّة فرعون الظالم حتّى لا يصبح فرعون زمانه، ولا يكون من الظالمين .

والظلم له أنواع ودرجات، فالإنسان قد يظلم من يعيش معه في بيته، وليس بالضرورة أن يصبح حاكمًا لكي يظلم، ومن يريد أن يكون عادلاً عليه أن يبدأ في بيته أولاً، فيكون عادلاً في بيته، وبعد ذلك ينطلق إلى المجتمع، لا أنّه يفكر في نشر العدل في العالم ويكون ظالماً في بيته لزوجته أو أولاده أو خادمتهم، ومن يريد أن يكون عادلاً لا بدّ من أن يكون عادلاً في كلّ شيء، لا أن يكون عادلاً في جانب، وفي جانب آخر يكون غير عادل، بل حتّى أكثر من ذلك، لا يكون ظالماً لنفسه، فالإنسان الذي يرتكب المعاصي يكون ظالماً لنفسه، حتّى هذا المقدر مطلوب من الإنسان، فالمطلوب من الإنسان أن لا يظلم نفسه بارتكاب المعاصي، لذلك لا بدّ من أن يفتح صفحةً جديدةً مع الله تعالى، ويرفع الظلم عن نفسه أولاً .

ومن يريد أن ينشر العدل في العالم لا بدّ من أن يكون عادلاً، لا أنّه يقتصر على فعل الواجبات وترك المحرّمات فقط، فالصفات المطلوبة لأنصار الإمام المهديّ عليه السّلام ليست صفاتٍ من الدّرجة الثانية والثالثة، بل صفاتهم تكون من الدّرجة الأولى؛ فقيادة أنصار الإمام

عليه السّلام هم ثلاثمائة وثلاثة عشر، وهؤلاء يكونون خلاصة العالم، وعدد سكّان العالم يصل إلى سبعة مليارات تقريبًا، وتتمّ عمليّة تصفية لهذا العدد، وَيُسْتَبَعَدُ الظّالمون لأنفسهم والظّالمون لغيرهم، والله تعالى يستخلص أفضل ثلاثمائة وثلاثة عشر من سبعة مليارات، والنّسبة قليلة جدًّا، وأنت تريد أن تصبح من هؤلاء القادة، فهم من الطّبقة العالية من المؤمنين، وصفاتهم من الصّفات العالية، فأفضل الصّفات موجودة فيهم، ولا يكونون مؤمنين عاديين، بل يكونون كسلمان المحمّديّ والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر وأبي ذرّ، وتكون لهم صفات أنصار الإمام الحسين عليه السّلام .

ولا يحصل الإنسان على هذه الصّفات بالتّميّ، ولا بـ "إن شاء الله" بدون عمل وسعي، والله تعالى لا يجعل الشّخص من الأنصار بطريقة سحرية، بل الإنسان يختار بنفسه طريقًا يوصله إلى مرتبة الأنصار، فباختياره يصل إلى درجة الأنصار، فعليه أن يدرس السنن التاريخية، ويرى بأنّه كان مع الأنبياء عليهم السّلام مجموعة من الأصحاب المقربين، فيدرس صفات هؤلاء المقربين، ويأتي إلى النّبويّ صلّى الله عليه وآله ويدرس صفات أصحابه المقربين المخلصين، ويدرس صفات الأصحاب المقربين للأئمّة عليهم السّلام، ويستقرئ جميع الصّفات، ثمّ يجسّد هذه الصّفات في نفسه، وبهذه الطّريقة يمكنه أن يصبح من أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام، لا أنّه يقول : إن شاء الله يختارني لأصبح من الأنصار - وهو لا يقوم بأيّ عمل، ولا

يبدل أيّ جهد، نعم إذا حقّق الصّفات في نفسه فإنّ الله تعالى يختاره،
وإذا كان سيّئاً فالله عزّ وجلّ لا يختاره .

ويقول : أنام في الليل وإذا استيقظت فالله تعالى يجعلني صباحاً
من الصّالحين .

نقول : ليس الأمر بهذه الطّريقة ولا بطريقة سحرية، وإمّا يجسّد
الإنسان هذه الصّفات في نفسه، وحينذاك ينظر الإمام عليه السّلام
إليه، ويرى أنّ هذا الفرد فيه صفات الأنصار فيختاره الإمام عليه
السّلام، ويجعله من القادة الثّلاثمائة وثلاثة عشر، والاختيار لا يكون
عشوائياً .

فادرس حياة أصحاب الأنبياء والأئمّة عليهم السّلام، وخاصّةً
أصحاب الإمام الحسين عليه السّلام كأوضح مثال، وأهل البيت
عليهم السّلام ركّزوا على قضية الإمام الحسين عليه السّلام؛ لأجل
هذا الهدف .

وأنصار الإمام المهديّ عليه السّلام هم كأنصار الإمام الحسين عليه
السّلام في صفاتهم، فلهم صفات عالية، وهم مستعدّون للتّضحية
بأنفسهم وبكلّ ما يملكون، وأنصار الإمام المهديّ عليه السّلام عندهم
الاستعداد للتّضحية في سبيل الله تعالى؛ لأجل الدّين وإمامهم عليه
السّلام، والإمام عليه السّلام رمز الدّين، وهو قطب الرّحى في الدّين،
فيأتون إلى المعركة فداءً لإمامهم عليه السّلام أي فداءً للدّين في سبيل
الله تعالى .

وهذه هي الاستفادة الأولى من الظلم الواقع على المؤمن، وهي
أخذ العبرة من الظلم عقائديًا وعمليًا .
وتأتي الاستفادة الأخرى في محاضرات قادمة إن شاء الله تعالى .
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد
وآله الطيبين الطاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٣٨)

مواجهة الانحراف العالمي^(١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

ما زال الكلام في تكاليف المؤمن في عصر الغيبة الكبرى، والإنسان قبل أن يقوم بأي عمل لا بدّ من أن تكون عنده الخلفية النظرية لهذا العمل .

مثلاً من يريد أن يصبح نجاراً من الدرجة الأولى كم من السنوات يحتاج لأن يعمل حتى يتقن عمله ؟

يحتاج إلى سنوات طويلة، وقبل هذا لا بدّ من أن يعرف كيفية استعمال أدوات التجارة؛ حتى يصبح نجاراً من الدرجة الأولى .

وكذلك من يريد أن يكون مهندساً من الطراز الأول يحتاج أن يدرس من الابتدائي وينتهي من الجامعة، وبعد تخرجه من الجامعة

(١) أُلقيت هذه المحاضرة في الديوانية الأسبوعية في دولة الكويت منطقة

بيان، الجمعة ٤ ذو القعدة ١٤٣٣ هـ ، ٢١/٩/٢٠١٢ م .

يحتاج أن يعمل سنوات طويلة؛ حتى يمكن أن يكون مهندسًا ناجحًا من الدرجة الأولى .

وبالتسبة لنا أيّ مؤمن يريد أن يصبح من أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام كم من السّنوات يحتاج؛ لأجل أن يعرف إمامه أوّلاً ؟
وأن يعرف ماذا يريد منه إمامه عليه السّلام ثانيًا ؟
وكم من السّنوات يحتاج؛ لأجل أن يحيط بالجوانب النظريّة للإمامة ؟
وكم المدّة التي يحتاجها حتى يحيط بقضيّة صاحب الزّمان الإمام المهديّ عليه السّلام ؟

وبعد ذلك يحتاج إلى العمل الذي يقوم به من يريد أن يصل إلى درجة أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام، وأن يكون مؤمنًا من الدرجة الأولى لا مؤمنًا عاديًّا يصليّ ويصوم فقط؛ لأنّ أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام هم خيرة المجتمعات وأفضل أفرادها .
وكم من السّنوات التي يحتاجها من العمل؛ ليصل إلى تلك الدرجة العالية ؟

وأوّل ما يبدأ به هو دراسة ومعرفة شخص الإمام المهديّ عليه السّلام، أي المعلومات الشّخصيّة للإمام عليه السّلام من قبل ولادته، فهناك تمهيد من الإمامين الهاديّ والعسكريّ عليهما السّلام لغيبة الإمام عليه السّلام، مرورًا بولادته ثمّ غيبته الصّغرى ثمّ غيبته الكبرى وامتدادًا إلى زماننا الحاليّ، هذا من ناحية المعلومات الشّخصيّة للإمام عليه السّلام أي معرفة شخص الإمام المهديّ عليه السّلام .

وبعد ذلك نحتاج إلى معرفة شخصية الإمام المهديّ عليه السّلام، فمرة تعرف الهوية الشّخصيّة فتقول هو فلان ابن فلان، وعاش كذا، وفعل كذا، وهنا نريد أن نعرف شخصية الإمام عليه السّلام كقائد عالميّ يريد أن ينشر العدل في العالم كلّه، وأن نعرف أنّ هذا الإمام المعصوم ماذا يريد من المؤمنين المعتقدين به .

فكم من السّنوات نحتاج لأجل أن نعرف شخص الإمام عليه السّلام وشخصيّة الإمام عليه السّلام وما يريده الإمام عليه السّلام من تكاليف من المؤمنين في عصر الغيبة الكبرى؛ لأنّ المؤمن يريد أن يكون من أنصاره؟ وما هي مواصفات أنصار الإمام عليه السّلام؟ وقبل أن يقول المؤمن: إنّني من الأنصار - لا بدّ من أن يعرف صفاتهم، ولا يوجد مؤمن لا يريد أن يصبح من الأنصار، ولكن على المؤمن أن يصل إلى مرتبة مؤمن من الدّرجة الأولى؛ لكي يختاره الإمام عليه السّلام ليكون من الأنصار، وهذا يحتاج إلى أعمال مضاعفة لا أن يكتفي بالصّلاة والصّيام والحجّ والزّيارة فقط، وينتهي الأمر عند هذا الحدّ، بل لا بدّ من أن يعرف صفات الأنصار أوّلاً .

فكم من الوقت يحتاج لأجل أن يعرف صفات الأنصار؟ وبعد أن يعرف الصّفات يبدأ بتجسيد هذه الصّفات في نفسه، فيعرف النّظرية أوّلاً ثمّ يبدأ العمل، وينطلق من النّاحية النّظرية إلى النّاحية العمليّة، وعمليّة الانتقال من النّظرية إلى العمل ليست سهلة، وإمّا يحتاج إلى جهد وجهاد، فالمؤمن يصلّي، ولكن المهمّ هو أنّه كيف

يستفيد من الصلّاة حتّى يصبح من الأنصار، والمؤمن العاديّ يصلّي، فيبدأ بالتكبير وينتهي بالتكبير، فيصلّي وينتهي من الصلّاة، وحتّى الطفل يصلّي، ولكنّ المؤمن الكبير السنّ هل يتعامل مع الصلّاة كما يتعامل الطفل الذي يريد أن ينتهي من الصلّاة بسرعة؟!

وكم من كبار السنّ صلاتهم سريعة كنقر الغراب؟
يصلّي وينتهي ويقول : الحمد لله صلّيت .

ويذهب إلى الحجّ في كلّ سنة، ويعرف المناسك، ويؤدّي جميع الأعمال، ويذهب إلى الزيارة عدّة مرّات في كلّ سنة، ويصوم كلّ سنة، ويمسك عن المفطّرات، ولكن حينما تراجع حياته ترى أنّه لم يتأثر بالأعمال العباديّة الكثيرة التي أداها، فهو يأتي بالأعمال العباديّة الظاهريّة، ولكنّ المهمّ هو أنّه كيف يستفيد من الأعمال العباديّة الظاهريّة؛ لأجل أن يصل إلى مرتبة الأنصار .

وهذا عمل آخر، لا فقط الإتيان بالعبادات الظاهريّة، بل يحتاج إلى أن يعرف كيف يتعامل مع باطن العبادات، ولأجل أن يعرف كيفيّة التعامل مع باطن الأعمال يحتاج أيضًا إلى معرفة النظريّة، أي من ناحية نظريّة كيف يمكنه أن يستفيد من العبادات؛ لأجل أن يصبح من أنصار الإمام عليه السّلام؟

مثلاً شخص عنده سيّارة، ولكنّه إذا لم يعرف كيف يقود السيّارة فهو يجلس فيها، ولكنّها لا تتحرّك من مكانها، والصلّاة كذلك إذا لم يعرف كيف يستفيد منها ويتحرّك بواسطتها، نعم هو يصلّي، ولكنّه

من ناحية معنويّة على سلّم الإيمان والتّكامل يظلّ ثابتًا في مكانه لا يتحرّك إلى الأعلى، وإذا لم يتكامل بواسطة عباداته، ولم يعرف كيف يستفيد منها، بل أكثر لا بدّ من أن يعرف كيف يستفيد من أعماله العاديّة التي يقوم بها - فإنّه يظلّ واقفًا في مكانه، فهو يزداد في عمره من ناحية جسده، ولكنّه من ناحية معنويّة يظلّ ثابتًا في محلّه، ولا يظهر عليه أيّ تغير من ناحية السلوك، والمسلم إذا لم يتغيّر فمعنى ذلك أنّه لم يستفد من العبادات، ونسبة التّغير هي نسبة الاستفادة، فإذا كان يستفيد فهذه الاستفادة تجعل عنده تغير وحركة، ومن يتحرّك من درجة إيمانيّة إلى درجة إيمانيّة أعلى فإنّه يظهر على سلوكه شيء من هذا التّغير، وإذا لم يظهر على سلوكه أيّ تغير فمعنى ذلك أنّه لم يستفد، وأنه واقف في مكانه، فلم يتحرّك ولم يتكامل .

ونحتاج إلى معلومات عن كفيّة وصول المؤمن إلى درجة الأنصار، أي معرفة النّاحية النظريّة، وبدون معرفة النّاحية النظريّة لا يمكن أن يعمل المؤمن؛ لأنّ العمل قائم على العلم، وأيّ إنسان بلا علم في أيّ مجال لا يمكنه أن يعمل .

مثلاً إذا أراد أن يصلّي فلا بدّ من أن يعرف كفيّة الصّلاة الظّاهريّة المركّبة من التّكبير والقراءة والرّكوع والسّجود والتّشهد والتّسليم، ففي الصّلاة توجد حركة ظاهريّة، ويأخذ أحكامها من الرّسالة العمليّة، وتوجد أيضًا حركة باطنيّة، ويأخذ أحكامها من علم الأخلاق؛ حتّى يمكن للمؤمن أن يستفيد من العبادات من ناحية باطنيّة قلبيّة، وفي

الصَّلَاة يقول : أصليَّ قربةً إلى الله تعالى، فهذه الصَّلَاة تقرِّبه إلى الله سبحانه، فيحتاج المؤمن أيضًا أن يعرف الله تعالى قبل أن يدخل في الصَّلَاة وفي باقي العبادات، ويأخذ الأحكام من علم العقائد، فالعمل العباديَّ تأخذ أحكامه من الفقه العمليَّ في الرِّسالة العمليَّة، ولكن هذا المقدار لا يكفي للاستفادة الكاملة من الأعمال العباديَّة والأعمال العاديَّة، فيحتاج أيضًا إلى معرفة أحكام الفقه العقائديَّ وأحكام الفقه الأخلاقيَّ المتعلِّقة بكلِّ عمل عباديَّ وعمل غير عباديَّ، وبذلك يستفيد من الصَّلَاة وغيرها من العبادات ومن الأعمال العاديَّة التي يقوم بها خلال اليوم، فيتقرَّب بجميع أعماله إلى الله تعالى، وقبل أيِّ عمل لا بدَّ من أن يعرف الله تعالى .

إنَّ الانطلاقة لمن يريد أن يصبح من أنصار الإمام المهديِّ عليه السَّلام - تكون من الاعتقاد بالله تعالى، ثمَّ يأتي إلى النبوَّة والإمامة والمعاد، ثمَّ يدخل إلى الحركة الباطنيَّة، ثمَّ يصل إلى الرِّسالة العمليَّة، فالرِّسالة العمليَّة هي أدنى العلوم الدِّينيَّة في هذا المجال، فأوَّلًا فقه العقائد ثمَّ فقه الأخلاق ثمَّ فقه العمل، وعمل الفرد مترتّب على عقائده وأخلاقه أي صورته الباطنيَّة القلبيَّة، والآن نحن نركّز على الرِّسالة العمليَّة كأتمَّها هي في المرتبة الأولى مع أتمَّها في المرتبة الثالثة، ففي المرتبة الأولى توجد العقائد، وعلى رأس العقائد الله تعالى، ثمَّ في المرتبة الثانية توجد الأخلاق والصِّفات القلبيَّة والعمل الباطنيَّ والحركة الباطنيَّة، وفي المرتبة الثالثة توجد الأحكام المتعلِّقة بالحركة الخارجيَّة

الظَّاهِرِيَّة، وهي الأحكام الموجودة في الرِّسالة العمليَّة والفقهِ العمليِّ،
والآن تركيزنا على الرِّسالة العمليَّة، ونقول في الرِّسالة العمليَّة بأنَّ
العبادة صحيحة، ولا نقول بأنَّ العبادة مقبولة، وإذا سألت الشَّخص
يقول : لا أدري بأنَّها مقبولة أو غير مقبولة .

وجوابه بـ "لا أدري" معناه أنَّه لا يوجد عنده اطلاع على كيفيَّة
قبول العمل من قِبَلِ الله عزَّ وجلَّ .

مثلاً حينما يحصل الشَّخص على شهادة جامعيَّة، ويقدم للعمل في
شركة، وتكون درجته امتيازاً، ويعلم أنَّه الأوَّل على دفعته، ويعرف
كيفيَّة تطبيق المعلومات التي اكتسبها خلال دراسته - فإنَّه يعلم بأنَّه
سَيُقْبَلُ في الشَّرْكة، ولا يقول : لا أدري .

فهو يعلم بقبوله؛ لأنَّه حقَّق شروط القبول التي تريدها الشَّرْكة،
والشَّرْكة تطلب الشَّهادة وتطلب الجانب التَّطبيقيَّ الفنيَّ العمليَّ عند
المتقدِّم للوظيفة، فالمهندس لا يعرف النَّظَرِيَّات فقط، بل يعرف أيضاً
كيفيَّة تطبيق النَّظَرِيَّات على أي موضوع بحيث ينتج عملياً، ويسألونه
في الشركة قبل القبول عن إنتاجه التَّطبيقيَّ العمليَّ .

ومن يصلي عليه أن يسأل نفسه : هل هذه الصَّلَاة مقبولة أو غير
مقبولة من قِبَلِ الله تعالى ؟

يجيب : لا أدري .

فنسأله : لماذا لا يدري ؟

ألا يوجد مقياس لقبول الأعمال من قِبَلِ الله تعالى ؟

إذا أجرى هذا المقياس على عمله فإنه يعلم يقيناً بأنّ عبادته وعمله مقبول، وفي الدّين لا يوجد "لا أدري"، فالدّين أعطانا المقاييس لكلّ شيء .

وإذا أراد أن يصبح من الأنصار فالدّين يبيّن له كيف يصبح منهم، ولا يصحّ أن يقول : لا أدري أنّي سأصبح من الأنصار أو لا .
والإمام عليه السّلام حينما يختار هذا الفرد ليكون من الأنصار معناه أنّ هذا الفرد حقّق في نفسه مواصفات الأنصار .

ولا بدّ من أن يسأل الدّين : أنا أريد أن أصبح من الأنصار فما هي مواصفاتهم ؟ وكيف يمكنني أن أصل إلى مرتبتهم ؟
والدّين يجيبك بأنّ هذه هي مواصفاتهم، وأنت حقّق هذه المواصفات في نفسك فتصبح من الأنصار بلا شكّ .

وبذلك تكون على يقين بأنّك من الأنصار، واختيار الإمام عليه السّلام للفرد ليس من باب حظّك يا نصيب، فالإمام عليه السّلام لا يضع أسماء المؤمنين في أوراق ثمّ يسحب ورقةً وتخرج اسم فلان صدفةً، فالإمام عليه السّلام يختاره لأنّ هذا الفرد حقّق الصّفات في نفسه، فصار مؤهّلاً لأن يكون من الأنصار .

والإمام عليه السّلام يوجّه نظره إلى المؤمنين، والمفروض أن يوجد تنافس بين المؤمنين للوصول إلى مرتبة أنصار الإمام عليه السّلام، وهذا نعم التّنافس، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، لا أن يكون التّنافس بين النّاس في الحصول على الدّنيا .

إذا علمت بأنّ ذاك المؤمن أفضل منك في التزامه بأحكام الدّين فعليك أن تسعى لأن تكون أفضل منه، فأنت تعرف بأنّ قادة الإمام عليه السّلام هم ثلاثمائة وثلاثة عشر، وتريد أن تكون من هؤلاء، بل تكون أفضلهم وأقربهم إلى الإمام عليه السّلام، ولا تقل كما يقول البعض بأنّه يكفي أن أصبّ الشّاي لهؤلاء القادة .

فكما يوجد تنافس بين النّاس على الدّنيا لا بدّ من وجود التّنافس بين المؤمنين على الآخرة، فأنت تريد أن تكون بجوار رسول الله صلّى الله عليه وآله في الآخرة، ولا تكتفي بأن تكون عند باب الجنّة، فنظرك يكون إلى الأعلى دائماً بل إلى القمّة، فكما أنّه في القضايا الدّنيويّة يكون نظر النّاس إلى الأعلى أي الحصول على أكثر مصاديق الدّنيا فنظرك يكون إلى الآخرة والحصول على أكثر مصاديقها .

إذن :

نحتاج إلى النّظريّات لأجل القيام بالعمل، وبدون النّظريّات لا يمكن أن يصل المؤمن إلى مرتبة الأنصار؛ لأنّ هذه المرتبة لا يحصل عليها المؤمن صدفةً وبشكل عشوائي، بل لا بدّ من أن يكون بشكل مدروس بدقّة، فيعرف صفات أنصار الإمام عليه السّلام، ويعرف الحركة القلبيّة والخطوات العمليّة التي على أساسها يحقّق الصّفات في نفسه، وبدون معرفة الصّفات، وبدون معرفة كيفيّة تحقيق الصّفات في النّفس، وبدون معرفة تكاليف المؤمن في عصر الغيبة - لا يمكن أن يتحرّك ويعمل ليصل إلى مرتبة أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام،

فعلى المؤمن تكاليف كثيرة في عصر الغيبة الكبرى، ولا بدّ من أن يعرف هذه التكاليف؛ لأجل أن يصبح من الأنصار .

فيأتي السّؤال التالي :

ما هي تكاليف المؤمن في عصر الغيبة الكبرى ؟

ولا يمكن الإجابة على هذا السّؤال في محاضرة واحدة كما هو طلب بعض الإخوة الأعزّاء، نعم خطباء المنبر الحسينيّ دورهم أن يشيروا إلى نقاط المواضيع سريعاً بسبب عدم وجود الوقت الكافي عندهم، ولا يدخلون في تفاصيل كلّ موضوع؛ لأنّه لا يتوفّر الوقت الكافي عندهم للدّخول في التّفصيل مع اطلاعهم عليها، وأيضاً لا يتناسب مع أذهان الحاضرين بشكل عامّ، فالحاضرون لهم أذهان متفاوتة، ودور المستمعين أن يفكّروا فيما يطرحه الخطيب الحسينيّ ويسألوا عن التّفصيل، فالخطيب يقوم بدوره، وعلى النّاس أن يقوموا بدورهم أيضاً .

ونحن الآن في المحاضرة الثامنة والثلاثين، ومواضيعنا على شكل سلسلة حتّى يمكن أن نحيط بجوانب وتفاصيل هذه المواضيع الدّينيّة، وكلامنا في تكاليف المؤمن في عصر الغيبة، ولم نتعرّض لعلامات الظّهور، ولم نتكلّم عن حياة الإمام المهديّ عليه السّلام من ناحية شخصيّة، ولم نتعرّض لما قام به الإمامان الهاديّ والعسكريّ عليهما السّلام في التّمهيد لغيبة الإمام المهديّ عليه السّلام، وموضوع الإمام المهديّ عليه السّلام طويل جدّاً، ولا ننتهي منه حتّى لو تكلمنا عنه

لعدّة سنوات وفي مئات المحاضرات، والمطلوب من المؤمن أن يعرف هذه المعلومات والنظريّات التي نذكرها في هذه المحاضرات .

ومواضيعنا لها مردود عمليّ، وهي ليست عبارةً عن معلومات يأخذها المستمع أو المشاهد، والمعلومات نأخذها بتفاصيلها حتّى يمكننا أن نصل إلى مرتبة الأنصار، وهذه التفاصيل نعطيها ضمن خلاصات أيضًا، وليست تفاصيل كاملةً، ومثل هذا الموضوع لو نتكلّم فيه سنوات عديدة فلا يمكن أن ننتهي، وكلامنا في تكاليف المؤمن في عصر الغيبة، ولم نذكر المعلومات التي تتكلّم عن شخص الإمام المهديّ عليه السّلام، ولم نذكر علامات الظهور، ولم نذكر ما يحدث بعد الظهور، وما يقوم به الإمام عليه السّلام بمعونة الأنصار، ومثل هذه المعلومات تحتاج إلى فتح أبواب لها فيما بعد، ونحن نسير بالتدرّج وبالمقدار الممكن .

إذن :

نحتاج إلى معرفة تكاليف المؤمن في عصر الغيبة الكبرى، وطرحنا مجموعةً من المحاضرات في هذا الموضوع .

وقد طرحنا موضوعًا سابقًا، ونريد أن نتكلّم فيه في بعض النّقاط، وكان الكلام عن كينيّة استفادة المؤمن من الظلم الواقع عليه في عصر الغيبة الكبرى .

سؤال : هل المؤمنون الآن يعيشون في ظلّ العدل في العالم ؟

والجواب بالبدئية أنّهم لا يعيشون تحت ظلال العدل، وهناك ظلم

واقع على المؤمنين بلا شك، والشخص الفاسق يمكنه أن يحصل على ما يريد؛ لأنه لا يهتمّ بالحلال والحرام، ولكنّ المؤمن الملتزم بدينه يهتمّ أن يعمل الحلال فقط، فتواجهه مصاعب في عصر الفتن الذي نعيشه الآن، عصر الفتن وعصر الانحراف العالمي، وإذا كان الانحراف سابقاً في قرية أو مدينة فالآن العالم انفتح بعضه على بعض بواسطة القنوات الفضائية ووسائل الاتصال والتواصل الحديثة، والانحراف موجود في كثير من هذه القنوات والوسائل، والمفروض أن تكون الوسيلة وسيلة لنشر الأخلاق والفضائل في العالم، ولكنّ أعداء الدين يستغلّون هذه الوسائل لنشر الإباحية والشذوذ، وقبل عشر سنوات كانت المواقع الإباحية على الإنترنت حوالي ٣٠% حسب إحصائية نُشرت، وقطعاً الآن أكثر من ذلك، ولا يستطيع المؤمنون مواجهتهم، فمواقفنا الإيمانية لا تجاريهم؛ لأنّ الأموال التي بأيديهم كثيرة جداً، والمؤمن إذا أراد أن ينشئ موقعاً فعليه أن يوزّع أوراقاً لجمع التبرعات، ويحصل على بعض المال، والمؤمنون بشكل عامّ لا يشعرون بأهمية مواجهة هذا الانحراف العالمي، وتوجد منظمات ومؤسّسات وشركات تقوم بتمويل مواقعهم، ومن يقوم بتمويل مواقعنا هم أفراد من المؤمنين، فالمؤمنون يوجد عليهم تكليف في زماننا الحاليّ، وهو أن يبذلوا جهودهم وكلّ ما يمكنهم في مواجهة هذا الانحراف العالميّ عن طريق الهداية العالمية، فالأعداء يملكون آلاف الفضائيات والمواقع، والقنوات الفضائية للمؤمنين يصل عددها إلى أربعين قناة تقريباً، ودائماً في الشريط أسفل

الشاشة يكتبون : نحتاج إلى دعمكم وتبرعاتكم؛ لأجل استمرار القناة في البث .

ويبدأ المؤمنون العمل من الصفر حيث لا يوجد عندهم التمويل الكافي، فجهود جميع المؤمنين يجب أن تصب في مواجهة الانحراف العالمي، فالعلماء يقومون بدورهم، والمفكرون يقومون بدورهم، والمؤمنون يقومون بدورهم، والغني يقوم بدوره، وصاحب الصوت الجميل يقوم بدوره، ولا بد من أن يبذل كل مؤمن أقصى طاقة موجودة عنده؛ حتى يمكننا مواجهة الانحراف العالمي .

وأعداء الدين عندهم خطط مدروسة بدقة، وإعلامهم مُوجَّهٌ بشكل خاصّ لطبقة الأطفال والشباب في دول المسلمين، فمن خلال الرسوم المتحركة يدخلون إلى طبقة الأطفال، وترون بأنّ البنات في الرسوم المتحركة يلبسن اللباس القصير الفاضح، وهذا أمر مدروس بشكل دقيق من أعداء الدين، والرموز والأشكال التي تمثلهم ينشرونها من خلال الرسوم المتحركة، ولا بد من أن يفكر المؤمنون بمشروع الرسوم المتحركة، ولكن لا توجد الأموال الكافية ولا الطاقات الكافية، ولا يوجد من يتبني هذا المشروع من الأغنياء، والتقنيّة الموجودة عند الأعداء لا توجد عند المؤمنين، فيوجد تكليف على بعض المؤمنين أن يدرسوا هذه التقنيّة حتى لو أنّهم يذهبون إلى الدول الغربيّة لدراسة وإتقان هذه التقنيّة، ويوجد تكليف على الأغنياء بالتكفل بمصاريفهم إلى أن ينتهوا من دراستهم، فيتكفل الأغنياء بالبعثات، والبعثات تحتاج

إلى أموال كثيرة، والتّقنيّة الموجودة عندهم لا بدّ من أن تكون بأيدي المؤمنين؛ حتّى يمكننا مواجهتهم بنفس الوسائل الموجودة عندهم، فنحتاج إلى أموال حتّى يمكن مواجهتهم، وهذا دور المؤمنين الأغنياء .
ودور الرّسام أن يستغلّ قدرته على الرّسم في خدمة هذا المشروع، والمفكّر يشارك، وكاتب القصص يساهم، وصاحب الصّوت الجميل يشارك، ولا يمكن مواجهة الأعداء عن طريق المحاضرات فقط، فمن خلال الرّسوم المتحرّكة الإيمانّيّة التي تدعو إلى الأخلاق والفضيلة الموجّهة للأطفال يمكن مواجهة الرّسوم المنحرفة، وتدرّيجًا تنشئ جيلاً قويًّا عقائديًّا، وبواسطة القصص المصوّرة التي تدعو إلى الإيمان والفضيلة يمكنك أن تواجه القصص المصوّرة التي تدعو إلى الانحراف والشذوذ، ولا تكفي المحاضرات في إنشاء هذا الجيل؛ لأنّ المحاضرات موجّهة عادةً لكبار السنّ .

وكلّ مؤمن في المجتمع عنده طاقة لا بدّ من أن نوجّه طاقته لمواجهة أعداء الدّين، والدّورات الشّبابيّة تساهم في تربية الأطفال والشّباب، وتبدأ الدورة مع مائتي طفل، ولكن من يبقى إلى الآخر عشرون منهم فقط، ووسائل الانحراف جذّابة، ومنها الهواتف النّقالة، والطفّل والشّابّ عنده النّقال، وفي اجتماعات الأهالي كلّ شخص ينشغل بنقاله، فهناك أشياء في هذه الوسائل تجذب كلّ شخص بطريقة تناسبه، والمؤمنون يمكنهم الاستفادة من نفس الوسائل في التّربية، ونحتاج إلى متخصصّين في التّربية، ومتخصصّين في برمجة الكمبيوتر،

ويمكنهم إعداد برامج خاصة لجذب الأطفال والشباب، وهذا يحتاج إلى جهود المؤمنين في جميع التخصصات من علماء الدين وعلماء النفس وعلماء الاجتماع والمفكرين والتربويين والأدباء، وهذه الجهود من جميع المؤمنين يمكن أن تنتج شيئاً مؤثراً على جميع الطبقات في المجتمع .

البعض يقول بأن العلماء لا بدّ من أن يتحرّكوا في المجتمع، فنقول بأنّ العلماء لوحدهم لا يمكن أن يتحرّكوا في المجتمعات، ولا يمكن أن نقول لمرجع التقليد أن ينزل إلى المجتمع، فالمرجع عنده دروس وطلّاب، ويتحرّك بهذا المقدار، ولا يمكن أن يأتي المرجع ويعلم الشباب، فالعلماء الشباب من طلبة المراجع يتحرّكون بين الشباب، والشباب الذين يربّيهم العلماء يتحرّكون بين الأطفال، ولا يمكن أن تطلب من العالم الذي عمره ستون سنة أن يدرّس الأطفال، فالمرجع عنده أيدي تتحرّك في المجتمع من العلماء الشباب ومن الشباب الذين يربّيهم ويعلمهم العلماء، وبهذه الطريقة يمكن أن نتوجّه إلى المؤمنين الأطفال والشباب وكبار السنّ .

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : "اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد" (١) .

والطفل في مهده لا بدّ من أن نفكّر ببرنامج لتعليمه بواسطة الصّور، فالطفل بواسطة بصره يتأثر بالصّور والرّسوم، وهذا يحتاج إلى

(١) موسوعة العقائد الإسلاميّة للشيخ محمّد الرّيشهريّ ج ٢ ص ٢٢٠ .

علماء نفس ليبيّنوا لنا كيف يتأثر الأطفال، فنحتاج إلى متخصصين في علم النفس، وعالم الدين لا يملك المعلومات في جميع العلوم، فيستعين بالعلماء في التخصصات الأخرى، نعم توجد عنده المعلومات الدينية، ولكنّه في علم الاجتماع يستفيد من المتخصص في هذا العلم، ويستفيد من علماء النفس، وعالم الدين يحتاج إلى مجموعة من المستشارين في التخصصات الأخرى؛ لكي يتحرك في المجتمع، كما طرحها السيّد الشهيد محمد باقر الصدر رضوان الله عليه تحت عنوان "المرجعية الصالحة"، وعالم الدين لا يعرف كلّ شيء، فهو ليس عالماً في جميع العلوم، هو عالم في الأحكام الدينية، وبعض علماء الدين يكونون خريجين من الجامعات في تخصصات أخرى، كعلم النفس أو علم الاجتماع أو التاريخ أو الهندسة، فالعلماء يحتاجون إلى جهود المتخصصين في العلوم الأخرى؛ حتّى ينتجوا ويؤثروا في العالم .

إذن :

دور المؤمنين أن تتضافر جهودهم؛ حتّى يمكنهم أن ينتجوا ويؤثروا، وهذا يقع ضمن تكليفهم في عصر الغيبة الكبرى، والهداية العالمية تقع في مواجهة الانحراف العالمي، وهذه الهداية لا تتحقّق بشكل عشوائي، بل لا بدّ من وجود خطط مدروسة بدقّة، والآن أعمال المؤمنين بشكل عامّ ليس لها خطط مدروسة، فكلّ مؤمن يقوم بعمل لوحده، أو مجموعة من المؤمنين يعملون بجهودهم الخاصّة على بركة الله تعالى، وينتظرون التبرّعات، وهناك أفراد يساعدونهم ويساهمون معهم بالمال أو

الجهد أو الوقت، ومع مرور الوقت قد ينقص عدد المجموعة، والمفروض أن يزيدوا، وهذا ضمن تكاليف المؤمنين في عصر الغيبة الكبرى، فنحتاج إلى جهود العلماء في جميع التخصصات والمفكرين والشباب والكبار، وأن تتضافر جهودهم؛ حتى يمكننا أن ننتج بشكل مدروس، وبالطريقة الحالية التي يسير عليها المؤمنون أمر جيد، ولكن هذه الطريقة لا تنتج النتائج المرجوة، والعمل قائم على أفراد، والأفراد لا يوجد ضمان لاستمرارهم في العمل .

ولا بدّ من تغيير طرق التبليغ، والطريقة التقليدية هي أن يدرّس ويُدرّس وهو جالس وحوله المستمعون، والطفل لا ينجذب بهذه الطريقة، فالطفل يتمّ تعليمه عن طريق برامج كومبيوترية، وتُعرضُ المادة عن طريق الصور والرّسوم الملوّنة بواسطة البروجكتر واستخدام برامج العرض المختلفة، والطرق التقليدية إنتاجها قليل، ولا تؤدّي إلى النتيجة العالمية المرجوة، ولا بدّ من أن ننظر إلى الإنتاج العالمي لا الإنتاج المحلي فقط، وأعداء الدين ينتجون أفلامًا عالميةً تنتشر في العالم كلّه، وفي المقابل لا بدّ من أن ننتج أيضًا أفلامًا عالميةً، ولا بدّ من أن ينتج المسلمون فيلمًا إيمانًا في مقابل كلّ فيلم ينتجونه، والإنتاج العالميّ يحتاج إلى ميزانيّة هائلة وتقنيّة عالية الجودة .

هم أنتجوا الفيلم المسيء للنبيّ صلى الله عليه وآله، وينتجون أفلامًا مسيئةً للإسلام، فنسأل :

ماذا فعل المسلمون بالمقابل ؟

خرجوا في مظاهرات والإرهابيون قتلوا بعض الغربيين وانتهت القضية، ولكن لا بدّ من أن ننتج فيلمًا عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وإذا جئنا إلى مصادر المسلمين نجد تشويهاً لصورة النبي صلى الله عليه وآله، وهم قد اعتمدوا على مصادر المسلمين، وكلّ ما طرحوه من تشويه عن النبي صلى الله عليه وآله موجود في مصادر المسلمين، ولا يمكن أن ينتج المسلمون فيلمًا عن النبي صلى الله عليه وآله؛ لأنهم سيضيفون أفلامًا مسيئةً أخرى إلى الفيلم المسيء، فأولاً لا بدّ من تنقيح مصادر المسلمين والتّحقيق في صحّة القصص المرويّة عنه صلى الله عليه وآله، وبعض القصص قطعاً لا تتناسب مع أخلاقه صلى الله عليه وآله، وكثير من الروايات مرسلة لا يمكن الاعتماد عليها .

ويأتي السؤال :

لماذا جمع علماء الشيعة بعض الروايات والقصص في مصادرنا ؟

الجواب :

لأنّ دور العلماء هو جمع كلّ ما رُوِيَ عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام، ولم يكن هدفهم القيام بالتّحقيق فيها، فيجمعون الآن ويأتي العلماء المحقّقون فيما بعد لتنقيح هذه الروايات والقصص، والشيعة لا يقولون بصحّة أيّ كتاب من المصادر، والكتاب الصّحيح الوحيد هو القرآن الكريم، ولكنّ المشكلة تكمن في الكتب عند المدارس الأخرى والتي يعتبرونها صحيحةً، فمن الروايات الصّحيحة عندهم أنّ النبي صلى الله عليه وآله أراد الانتحار عدّة

مرّات في بداية بعثته، وإذا أراد المسلمون أن ينتجوا فيلمًا عن النّبّي صَلَّى الله عليه وآله وهو يريد أن يتحرّر فمن يقبل مثل هذا النّبّي؟! وغير ذلك من الروايات التي تعتبر صحيحة عندهم، وعندما يقال بأنّها صحيحة ويريدون أن ينتجوا فيلمًا بناءً عليها فماذا يمكن أن ينتجوا إلا فيلمًا مسيئًا آخر؟!

فأولًا تكليف على المسلمين أن ينقّحوا مصادر التاريخ وكتب الروايات بحيث يظهر النّبّي صَلَّى الله عليه وآله كما هو في الواقع من أنّه خير البشر وخاتم الأنبياء وأفضلهم والمبعوث رحمةً للعالمين، وكذلك أن يظهر الأنبياء عليهم السّلام بصورة صحيحة، ففي كتب الروايات أنّ ملك الموت جاء إلى موسى عليه السّلام وأنّه فقأ عين الملك، وإذا أراد المسلمون إنتاج فيلم عن موسى عليه السّلام فهل يمكن قبول مثل هذه الرواية؟!

فأولًا تنقيح مصادر المسلمين سنّةً وشيعةً من قبل العلماء المحقّقين، وهو تكليف على المسلمين، وهذا قبل إنتاج أيّ فيلم، ويتمّ استخراج الروايات الصّحيحة التي تعبر عن واقع النّبّي صَلَّى الله عليه وآله والأنبياء عليهم السّلام والأئمّة عليهم السّلام، وبنّي الأفلام على هذه الروايات الصّحيحة .

والتكليف الآخر في مواجهة الأعداء هو المواجهة الاقتصادية، وهي أفضل طريق، فالمواجهة عن طريق البيانات والمظاهرات والشّجب والاستنكار والصّيحات في المساجد لا تؤثر عليهم بشيء، وإذا أراد

المسلمون أن يكونوا مؤثرين عليهم أن يواجهوهم من ناحية اقتصادية،
وتكليف المسلمين هو مقاطعة بضائع أعداء الإسلام .

والبعض يسأل : هل توجد فتوى بجرمة شراء بضائع الأعداء ؟
نقول بأنّ هذا أمر بديهيّ، فكلّ عمل يؤدّي إلى ضعف العدو
يكون واجباً على المسلمين، وكلّ ما يساهم في تقوية العدو يكون
محرمّاً على المسلمين، ولا يحتاج إلى فتوى؛ لأنّ المسألة بديهية،
فمواجهة أعداء الدّين واجبة على جميع المسلمين، ولا ندعو إلى
الإرهاب وقتل الأبرياء وتفجير الأسواق، وإتّما عن طريق إضعاف
العدوّ، فاقتصاد الغرب قائم على الشّركات، وحكومات الغرب تأخذ
ضرائب من الشّركات، وإذا أثر المسلمون على الشّركات فتأثيرهم
يكون على الحكومات العدوّة، فالتكليف على المسلمين هو مقاطعة
بضائعهم، ويأتي الشّخص بصيحات ضدّ العدو وهو يركب سيّارة
ويستعمل هاتفاً نقّالاً ويتناول الوجبات السّريعة والمشروبات الغازية
المستوردة منهم، فالمسلمون اليوم يقوون اقتصاد العدو، ابدأ بالصّباح
بالموت لهم بأعلى صوتك من الآن إلى عشرات السّنين ماذا سيؤثر؟!
الصّيحات لا تؤثّر عليهم شيئاً، وإذا أراد المسلمون أن يحسب
العدوّ لهم حساباً فلا بدّ من أن يكون لهم تأثير على اقتصادهم،
واذهب إلى مواقف المساجد وسترى أنّ نصف عدد السيّارات منهم،
فيوجد تكليف على المسلمين بأن يواجهوا العدو اقتصادياً عن طريق
مقاطعة بضائعهم، بل أكثر من ذلك يجب على المسلمين أن يصنعوا

السّيّارات والطّائرات وجميع البضائع، والمسلمون اليوم يستوردون من الخارج من الإبرة إلى الطّائرة، فيجب على المسلمين مقاطعة بضائعهم، ومن لم يبدأ سابقاً عليه أن يبدأ بالمقاطعة من الآن، فأَيّ جهاز يريد أن يشتريه لا يشتري من بضائعهم، وهذا تكليف على المسلمين، وكلّ تكليف لم يأت به الإنسان فهو محاسب عليه، ووجوب محاربة أعداء الدّين اقتصادياً أمر بديهيّ، وتوجد فتوى عامّة بوجوب مواجهة أعداء الدّين وإضعافهم وعدم المساهمة في تقويتهم، طبعاً ليست المواجهة بالإرهاب والتّفجير وقتل الأبرياء وقصف المدن الأهلة بالسّكان، فمن الطّرق مقاطعة بضائعهم، والمقاطعة وسيلة لإضعافهم .

والإمام الخمينيّ رضوان الله عليه في ثمانينيّات القرن الماضي طرح فتوى بتحريم شراء بضائع الأعداء، ولكنّ المؤمنين لم يعملوا بتلك الفتوى إلّا ثلّة قليلة منهم، ومن يريد فتوى من المراجع فقد صدرت الفتوى سابقاً، وعلاقتنا بالمرجعيّة الرّشيّدة لا بدّ من أن نراجعها، فقد صدرت الفتوى من المرجعيّة ولم يطبّقها إلّا قلة من المؤمنين، ومن التّكاليف على المؤمن في عصر الغيبة الكبرى تحديد كيفيّة علاقته بالمرجعيّة الرّشيّدة، وأكثر من ذلك علاقتنا بالإمام المعصوم عليه السّلام لا بدّ من أن نراجعها، فهل نظرنا يتّجه إلى الإمام المعصوم عليه السّلام حينما نقوم بأيّ عمل ؟

ومعرفة تكاليفنا أمر نظريّ، فتعرف تكليفك؛ لأجل أن تطبّقه في حياتك، والمؤمن الذي يريد أن يصبح من الأنصار أقلّ عمل يقوم به

هو أن يقاطع بضائعهم، والبضائع البديلة موجودة في السوق، ولم نقل بأنك تخرج ربع أو ثلث أو نصف معاشك في سبيل الله تعالى، نعم إذا كانت هناك بضاعة لا يوجد لها بديل ويحتاجها المسلم بشكل ضروريّ فهنا يشتري هذه البضاعة .

مثلاً دواء خاصّ ينتجونه، ولا يوجد له بديل، ويحتاجه المسلمون، فيشتريه المسلم من باب الاضطرار والضرورة، كمن يأكل لحم الخنزير أو يشرب الخمر في الصّحراء اضطراراً؛ لأنّه لا يوجد عنده طعام آخر أو شراب آخر، ويجب أن يكون تعاملنا مع أعداء الدّين بهذه الكيفيّة ومقدار الضرورة فقط .

إنّ المسلمين اليوم يساهمون في تقوية أعداء الدّين، وبالتالي يساهمون في قتل المسلمين ونشر الباطل في العالم، والمطلوب من المسلمين أن يضعفوا أعداء الدّين وينشروا العدل في العالم، والمسلمون سيُحاسَبُونَ على ذلك .

عن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السّلام قال : "إنّ العبد يُجشّر يوم القيامة وما أذمى دمًا، فيدفع إليه شبه المحجمة أو فوق ذلك، فيقال له : هذا سهمك من دم فلان . فيقول : يا ربّ، إنك تعلم أنّك قبضتني وما سفكت دمًا . قال : بلى، وما سمعت من فلان ابن فلان كذا وكذا فرويتها عنه، فنُقِلت حتّى صار إلى فلان فقتله عليها، فهذا سهمك من دمه" (١) .

(١) وسائل الشّيعّة للشّيخ الحرّ العامليّ ج ١٢ ص ٣٠٥ ح ٣ .

والكلمة من باب المثال، وشخص اشترى بضاعةً من شركة، وهذه الشركة تعطي نسبة من أرباحها لكيان الاحتلال، وأنتجوا أسلحةً قتلت مسلمًا، والله تعالى يعلم بأن هذا الشخص ساهم في قتل مسلم، فيعطى له يوم القيامة قدحًا من دم، فيقول : يا ربّي، أنا لم أقتل أحدًا . فيقال له : أنت ساهمت بمالك في قتله .

وهذا تكليف على جميع المسلمين في عصر الغيبة الكبرى، وهو تكليف من تكاليف المؤمن الذي يريد أن يصبح من أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام .

والإنسان الذي لا يهتم ولا يبالي بمعرفة تكاليفه وتطبيقها والعمل بها فإنه يسير في طريق خاطئ .

ولا يوجد مؤمن لا يريد أن يكون من الأنصار، وإذا أراد أن يكون من الأنصار فعليه أن يعرف تكاليفه في زمانه وأن يطبّق ويعمل بهذه التكاليف .

إنّ المواضيع الدنيئة كثيرة، ومهما تكلمنا في المواضيع التي تساهم في معرفة التكاليف فلن ننتهي منها، والدّيوانيّة الآن عمرها سبع سنوات، ونطرح فيها المواضيع التي تبين النواحي العمليّة للمؤمن بناءً على النواحي النظريّة، وطرحنا مواضيع عن كيفية تعامل الإنسان مع الدنيا، والمؤمن الذي يريد أن يكون من الأنصار كيف يتعامل مع الدنيا ؟

وطرحنا ثلاث وعشرين محاضرة تحت عنوان "إظهار أثر النعمة"

من خلال الآية الكريمة :

"وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ" (١) .

ويحتاج المؤمن إلى معرفة النظريات الدنيئة والفكر الديني في كل موضوع من المواضيع، وإذا لم توجد النظريّة والفكر فلا يمكن القيام بالعمل، ويكون العمل بدون النظريات الدنيئة، ومن الممكن أن يأخذ المسلم النظريات الماديّة، ويتعامل مع الدّنيا على أساس هذه النظريّة، والنظريّة الماديّة قائمة على أساس وجود الدّنيا فقط والتعلّق بها وعدم وجود الآخرة، ويظنّ الإنسان أنّه مسلم مؤمن، والبعض يتوهّم أنّه وصل إلى المراتب العليا من الإيمان .

وإذا تحرك الإنسان على السّلم فهو يعرف على أيّ درجة هو واقف الآن، فإذا وصل إلى الدّرجة العاشرة يقول : أنا على هذه الدّرجة . كذلك من يتحرّك على درجات الإيمان لا بدّ من أن يعرف أنّه واقف على أيّ درجة؛ ودرجات الإيمان محدّدة، فكلّ درجة من درجات الإيمان لها مواصفات معيّنة، وإذا جسّد هذه المواصفات في نفسه فهو على هذه الدّرجة المعيّنة، وإذا أراد أن ينتقل إلى الدّرجة الإيمانية التالية فتوجد صفات أعلى، وعليه أن يحقّق الصّفات الجديدة في نفسه، ويتحرّك المؤمن على هذه الدّرجات صعودًا، والمؤمن في الدّرجة العليا لا يكون مثل المؤمن في الدّرجة الدّنيا .

مثلاً شابّ عمره ستّ عشرة سنة الآن بدأ في طريق التّدين وشخص آخر عمره ستّون سنة لا بدّ من أن يوجد فرق في درجتهما

(١) الضّحى : ١١ .

الإيمانيّة، وإذا صاحب الستين سنة كان يعمل خلال حياته للتحرّك على درجات الإيمان، ولكن إذا كانت صلاته لحدّ الآن سريعة كنقر الغراب، وفي شهر رمضان يمسك عن المفطّرات وهو جالس أمام التلفاز طوال الليل والنّهار، وتفكيره فقط في الفطور والسّحور - فهذا الرّجل الكبير السنّ إلى أين سيصل على درجات الإيمان ؟

لا يختلف عن الشّابّ صاحب الستّ عشرة سنة، بل قد يكون الشّابّ الصّغير السنّ درجته الإيمانيّة أفضل من درجة الرّجل الكبير السنّ، وهذا الرّجل قد يبلغ ستين أو سبعين سنة وهو لحدّ الآن لا يعرف أبسط المسائل الشرعيّة، قد يكون وضوؤه باطل وصلاته باطلة، فهو لا يعرف أحكام الوضوء والصّلاة، ولا يعرف تطهير نجاسة على السّجّاد أو على الحائط، بعد هذه السّنوات الطّويلة التي عاشها، والبعض منهم يذهب إلى المسجد يوميّاً، ولكنّه لا يستمع إلى إمام المسجد؛ لأجل أن يتعلّم أحكام دينه، والمفروض أنّ كبير السنّ تكون المسائل الشرعيّة عنده من البديهيّات، كمسائل التّقليد والطّهارة والغسل والوضوء والصّلاة والصّيام، والإنسان كلّما تقدّم في العمر المفروض أن تصبح هذه المسائل بديهيةً عنده، وحينما يريد العالم تدريس الرّسالة العمليّة يبدأ ويصل إلى منتصف باب التّقليد ويقف، ويبدأ مرّة أخرى من بداية التّقليد ويصل إلى المنتصف ويقف، وذلك بسبب عدم وجود المستمعين له، وقد يصل إلى باب الصّلاة ويقف، ويرجع مرّة أخرى من الأوّل .

ولا يوجد في الرسالة العملية باب فقه العمل الاجتماعي أو فقه العمل السياسي، نعم توجد مسائل متفرقة عن بعض أحكام الفقه الاجتماعي، كمسائل الزواج والطلاق، وتجد كتاب الحكومة الإسلامية للإمام الخميني رضوان الله عليه كمثال للفقه السياسي، ولا تجد مسائل عن الفقه الاقتصادي، فما هي مبادئ وأحكام الاقتصاد الإسلامي؟

ولعلّ الله تعالى يوقننا لطرح بعض المحاضرات عن مبادئ وأحكام علم السياسة الإسلامية وعلم الاقتصاد الإسلامي وعلم الاجتماع الإسلامي .

وقد لا تجد مجتمعاً من مجتمعات المسلمين يطبق جميع هذه المبادئ والأحكام، والمجتمعات الإسلامية بشكل عام إسلامية بالاسم فقط، حتى أنّ بعض المؤمنين المتديّنين لا يعرفون أساسيات ومبادئ وأحكام الاقتصاد الإسلامي، فإذا كان عنده مصنع أو معمل أو بقالة أو مؤسسة كيف يطبق الأحكام الشرعية وهو لا يعرفها؟!

وكيف يمكن للمؤمنين الوصول إلى مرتبة أنصار الإمام المهديّ عليه السلام وهم لا يعرفون ألف باء الإسلام؟!

وهذه الديواتية هدفها تعليم أساسيات الدين ومحاوره ومبادئه وأحكامه، وما عندنا من العلم هو قطرة من المحيط، والمؤمن يحتاج إلى دراسة سنوات حتى يحصل على هذه القطرة من العلم، فما بالك بمن لا يهتمّ بطلب العلم؟!

الخلاصة :

على المؤمن أن يعرف تكاليفه من ناحية نظريّة أوّلاً، أي يعرف نظريّات الدّين وقواعده ومبادئه، والدّين واسع، فيحتاج إلى معرفة الدّين والالتزام بنظريّاته والعمل بها؛ حتّى بعد ذلك يمكنه أن يقول : أنا إنسان مؤمن متديّن صالح .

ولا بدّ من أن يعرف خطوات الحصول على الإيمان والتّديّن والصّلاح، وهذا هو المقدار الأدنى، ومن يريد أن يصل إلى مرتبة الأنصار لا بدّ من أن يحصل على المراتب العليا من الإيمان والتّديّن والصّلاح، فأنصار الإمام المهديّ عليه السّلام لهم مواصفات عالية .

وفي المحاضرات القادمة سنبيّن بعض المواصفات، وكان يوجد عندنا موضوع سابق عن "كيفية استفادة المؤمن من الظّلم"؛ حتّى يصل إلى مرتبة الأنصار، وطرحنا بعض النّقاط، وإن شاء الله تعالى سنشير إلى بعض النّقاط الأخرى .

وما قدّمناه في هذه المحاضرة عبارة عن مقدّمة بعد انقطاع عدّة أشهر، ونرجو من الإخوة الأعزّاء الاستمرار في الحضور لأجل المواصلة في هذا الموضوع، وبعض المؤمنين عندهم ظروف خاصّة، ولا يمكنهم الحضور فهم معذورون، ولكنّ الإقبال على مثل هذه المواضيع إقبال قليل مع أنّها من المواضيع المهمّة جدّاً، سواء كان الطّرح هنا أم عند العلماء أم في القنوات الفضائيّة، فالفضائيّات تطرح مثل هذه المواضيع، وكثير من المؤمنين لا يتابعون ما تطرحه الفضائيّات بحسب

الاستقراء الناقص، ويقولون بأنه لا يوجد عندهم وقت للمتابعة، إذن وقتك فيم تجعله إذا لم تجعله في معرفة مبادئ دينك؟!!

ولا بدّ من أن تتابع بعض الفضائيات، وقبل خمسين سنة كان المؤمن يبحث عن العلماء ويذهب إليهم؛ لأجل الاستماع إلى محاضراتهم، وأصدقائنا في الجامعة يتذكرون أننا إذا سمعنا بوجود عالم في أحد المساجد لإلقاء محاضرة كنّا نذهب إليه بكلّ جدّ، والآن العلماء من مختلف بلدان العالم يدخلون في بيوتكم عن طريق الفضائيات، وصار الأمر سهلاً، فعليك اختيار بعض العلماء الذين يبيّنون معالم دينك، واعرف مواعيدهم، والبعض يقول: نعم رأيت هذا العالم صدفةً أثناء تناولي لطعام الغداء .

الصدفة لا تعطيك ديناً، فمعرفة أحكام ومبادئ الدين تحتاج إلى متابعة، وعليك أن تتابع بعض العلماء، ومن الضروريّ للمؤمن أن يتابع القنوات الفضائية، والفضائيات طريق لاكتساب العلم ومعرفة تكاليفك في زماننا الحاليّ .

وموضوع "تكاليف المؤمن في عصر الغيبة الكبرى" موضوع مهمّ جدّاً، وهذه الأمور لا بدّ من أن يعرفها المؤمن؛ لأجل أن يصل إلى مرتبة أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام، والتكليف على المؤمن أن يعرف تكاليفه في عصر الغيبة .

والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطيّبين الطّاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٣٩)

(١) العلم قبل العمل

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

يوجد سؤال من أحد الإخوة الأعزاء، وهو :

هذا الموضوع طال كثيراً وتطرحون كثيراً من الأمور النظرية فماذا

نستفيد منها ؟

الجواب :

الأمور النظرية نحتاجها لأجل أن نعمل، ولا يمكن لأي إنسان أن يعمل بلا نظريات يستند إليها، وحينما نقول إن تكليف المؤمن في عصر الغيبة هو الصبر فلا بد أن نعرف معنى الصبر، فنعرف نظرية الصبر ومفهومه؛ حتى يمكننا أن نكون صابرين، ويصدق علينا أننا صابرون، وبدون النظريات لا يمكن العمل والتحرك .

(١) أُلْفِيَتْ هذه المحاضرة في الديوانية الأسبوعية في دولة الكويت منطقة

بيان، الجمعة ١٨ ذو القعدة ١٤٣٣ هـ ، ٥/١٠/٢٠١٢ م .

وقد يقال : إنّ هذه النظريّات بعيدة عن الواقع .

فنقول : إنّ ما طرحناه من مواضيع ليست بعيدةً عن الواقع، بل نحتاجها، ولمعرفة تكاليفنا في عصر الغيبة الكبرى نحتاج أولاً إلى النظريّات؛ حتّى يمكننا أن نعمل، وبدون النظريّة لا يمكن للإنسان أن يقوم بأيّ عمل حتّى في الأمور الدنيويّة .

مثلاً من يريد أن يكون مهندساً لا يمكن أن يحصل على الشّهادة والعمل إلاّ بمعرفة النظريّات الهندسيّة في أيّ تخصص من تخصصات الهندسة من الهندسة الكهربائيّة أو الميكانيكيّة أو المدنيّة أو المعماريّة أو غيرها .

ومن يريد أن يكون من أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام إذا كان لا يعرف الطّريق فلا يمكن أن يصبح من الأنصار، ومن يريد أن يكون من الأنصار إذا كان لا يعرف تكاليفه في عصر الغيبة الكبرى فكيف يصبح من الأنصار وهو لا يعرف تكاليفه؟!

ومن أراد أن يكون من أنصار الإمام الحسين عليه السّلام ووصل إلى تلك المرتبة - كان يمارس تكاليفه في حياته، ولا تتوقّع من شخص لا يصلّي أن يصبح من أنصار الإمام عليه السّلام، لا فقط يصلّي بل يصلّي ظاهراً وباطناً، ولا يأتي بأفعال الصّلاة وأقوالها حتّى نقول بأنّ صلاته صحيحة، وإمّا يأتي بشروط قبول الصّلاة من الله عزّ وجلّ، ويعرف بأنّ صلاته مقبولة؛ لأنّه يطبّق النظريّات المرتبطة بظاهر الصّلاة في الرّسالة العمليّة فيضمن صحّة صلاته، ويعرف النظريّات

المرتبطة بباطن الصلّاة من علم العقائد وعلم الأخلاق فيضمن قبول صلاته، ويعرف كيفيّة الاستفادة من الأحكام الشرعيّة، وإذا لم يكن عند الشخص اطلاع على أحكام الرّسالة العمليّة ولم يطبق الأحكام فلا يمكن أن يصبح من الأنصار .

مرّة أحد الشّباب الأعزّاء طلب مني أن أدّسه علم العرفان .
فقلت له : أعطيك أوّل خطوة حتّى تصبح إنساناً عرفانيّاً، وإذا انتهيت من الخطوة الأولى أعطيك الخطوة الثّانية .

سألني : ما هي أوّل خطوة ؟

قلت له : تدرس الرّسالة العمليّة .

قال : أوّل الطّريق هكذا صعب، ويبدو أنّ الطّريق طويل .

قلت له : نعم أوّل الطّريق هو أن تعرف تكاليفك الشرعيّة العمليّة وتعمل بها، ومن يريد أن يصبح إنساناً عرفانيّاً عليه أن يضبط عمله الخارجيّ .

وهذا الشّابّ العزيز لم يبدأ بأوّل خطوة، وكان يظنّ أنّه يمكن أن يصبح عرفانيّاً بدون الرّسالة العمليّة، ولا يمكن ذلك، والخطوة الثّانية هي أن يدرس علم العقائد؛ لأجل أن يعرف الله عزّ وجلّ والنبيّ صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السّلام، والخطوة الثّالثة هي أن يدرس علم الأخلاق؛ لأجل أن يأتي بالأعمال القلبيّة الباطنيّة، ويعرف كيف يستفيد قلبيّاً من الأعمال الخارجيّة، ويرتبط بالدّعاء بواسطة كتاب مفاتيح الجنان، وغيرها من الخطوات، ولا يصير المؤمن عرفانيّاً بدون

قيامه بالأعمال الخارجيّة المرتبطة بالرّسالة العمليّة، والأعمال الباطنيّة المرتبطة بالعقائد والأخلاق، وأن يكون مؤمناً صالحاً من الدّرجة الأولى، وكان هذا الشّابّ يظنّ بأنّه إذا صار عرفانيّاً فيمكنه أن يعرف الأمور الغيبيّة، ويطلّع على نفوس النّاس، فيعرف بما يفكر الشّخص الّذي يقف أمامه، ولنفرض أنّه عرف بما يفكر الواقف أمامه فماذا يستفيد؟! وإذا اطّلع على بعض الأمور الغيبيّة فماذا يستفيد!؟

ولا يقع الأمر بضغطة زرّ فتصبح عرفانيّاً، ومن يريد أن يصبح عرفانيّاً فعنده شغل مع الأعمال الباطنيّة، وشغله أكثر من غيره، وكثير من الأشياء المباحة سيتركها تقرباً إلى الله تعالى؛ حتّى يمكنه الطّيران إلى الأعلى، والصّعود على سلّم الكمال، ولا يأخذ بالمباحات لأنّها فقط مباحة ويجوز أن يأتي بها، والإنسان في الدّرجات العليا من الإيمان يترك كثيراً من المباحات؛ حتّى يمكنه الصّعود درجةً بعد درجةٍ، ومثالنا النّبّيّ صلّى الله عليه وآله الّذي كان يترك كثيراً من المباحات تقرباً إلى الله تعالى .

عن أمير المؤمنين عليه السّلام : " ولقد كان في رسول الله صلّى الله عليه وآله كافٍ لك في الأسوة، ودليل لك على ذمّ الدّنيا وعيبتها، وكثرة مخازيها ومساوئها، إذ قُبِضَتْ عنه أطرافُها، ووُطِئَتْ لغيره أكنافُها، وفُطِمَ من رضاعها، وزُوِيَ عن زخارفها . . . فتأسّ بنبيك الأظهر الأطيب صلّى الله عليه وآله، فإنّ فيه أسوةً لمن تأسّى، وعزاءً لمن تعزّى، وأحبُّ العباد إلى الله تعالى المتأسّي بنبيّه صلّى الله عليه وآله،

والمقتصّ لأثره، قَصَمَ الدّنيا قِصْمًا، ولم يعرها طرفًا، أهضم أهل الدّنيا كَشْحًا، وأخصمهم من الدّنيا بطنًا، عُرِضَتْ عليه الدّنيا فأبى أن يقبلها، وعلم أنّ الله سبحانه أَبْغَضَ شيئًا فَأَبْغَضَهُ، وحقّر شيئًا فحقّره، وصغّر شيئًا فصغّره . . . ولقد كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ، ويجلس جلسه العبد، ويخسف بيده نعله، ويرقع بيده ثوبه . . . ويكون السّتر على باب بيته فتكون فيه التّصاوير فيقول : يا فلانة - لإحدى زوجاته - غيبي عني، فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدّنيا وزخارفها، فأعرض عن الدّنيا بقلبه، وأمات ذكرها من نفسه، وأحبّ أن تغيب زينتها عن عينه؛ لكيلا يتخذ منها ريشًا، ولا يعتقدّها قرارًا، ولا يرجو فيها مقامًا، فأخرجها من النّفس، وأشخصها عن القلب، وغيّبها عن البصر . . . ولقد كان في رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَا يَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِي الدّنيا وعيوبها، إذ جاع فيها مع خاصّته، وَزُوِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زَلْفَتِهِ . . . فتأسى متأسّي بنبيّه، واقتصّ أثره، وولج مولجه، وإلا فلا يأمن الهلكة . . . خرج من الدّنيا خميصًا، وورد الآخرة سليمًا، لم يضع حجرًا على حجر حتّى مضى لسبيله، وأجاب داعي ربّه، فما أعظم منّة الله عندنا حين أنعم علينا به سلفًا نتّبعه، وقائدًا نطأ عقبه" (١) .

(١) بحار الأنوار ج ١٦ ص ٢٨٤-٢٨٦ ح ١٣٦ . مخازيها : مقابحها .
 وَطِئَتْ : هِيئَتْ . زُوِيَ : قُبِضَ . الْقَصَمَ : الْأَكَلَ بِأَطْرَافِ الْأَسْنَانِ، وَالْمَعْنَى هُوَ التَّنَاوُلُ مِنَ الدّنيا قَدْرَ الْكِفَافِ وَالضَّرُورَةِ، وَالتَّنْوِينُ فِي قِصْمًا لِلتَّقْلِيلِ .
 وَلَمْ يَعْرِهَا طَرْفًا : مِنَ الْإِعَارَةِ، أَي لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا نَظْرَ إِعَارَةٍ، وَبَطْرِيْقِ أَوْلَى لَا

هذا هو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِمَنْ يَرِيدُ أَنْ يَتَأَسَّى بِنَبِيِّهِ،
فَالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمْ يَبْنِ قَصُورًا، وَإِنَّمَا سَكَنَ فِي بَيْتٍ صَغِيرٍ،
وَلِكُلِّ زَوْجَةٍ مِنْ زَوْجَاتِهِ غُرْفَةٌ وَاحِدَةٌ، وَسَابِقًا كَلِمَةُ "الْبَيْتِ" كَانَتْ
تُطْلَقُ عَلَى "الْغُرْفَةِ"، وَلَا يَقْصَدُ مِنْهَا "الْبَيْتُ" فِي مَفْهُومِنَا الْحَالِيِّ، وَهُوَ
الْمَكُونُ مِنْ سَرْدَابٍ وَعِدَّةٍ طَوَابِقٍ، وَفِيهَا الْغُرُفُ الْكَثِيرَةُ وَالْمَطْبَخُ
وَالْحَمَّامَاتُ وَالصَّلَاتُ .

والمؤمن لا بدّ من أن يعرف تكاليفه، ويأتي بها تقربًا إلى الله تعالى،
ومن تكليفه أن يعرف كيف يتعامل مع المباحات، ولا بدّ من أن
يطّلع على الأحكام الدينيّة، ومن يريد أن يتقرب إلى الله تعالى ويصبح
مؤمنًا صالحًا من الدّرجة الأولى فلا يمكن ذلك بدون العلم، ولا يمكن
أن يأتي المؤمن بأيّ عمل بدون علم، وتوجد آيات وروايات تدعو إلى
التعلّم وطلب العلم، وبعض المؤمنين يظنّون بأنّ الدّعوة إلى طلب العلم
معناه اكتساب المعلومات الذهنية الكثيرة .

وأحد الشّباب طلب مئّي مرّة أن أدّرسه هو ومجموعة من الشّباب
كتاب العدل الإلهيّ للشيخ مرتضى المطهريّ رضوان الله عليه .
قلت له : الدّراسة في طلب العلم لا بدّ من أن تكون ضمن منهج
معين، فلماذا اخترتم هذا الكتاب ؟

يجعلها مطمح نظره . رجل أهضم : إذا كان خميصًا لقلّة الأكل . الكشح :
الخاصرة . الرّياش : اللّباس الفاخر . خميصًا : جائعًا . أشخصها عن
القلب : أبعدها عنه .

قال : اخترنا أنا وهؤلاء الشباب هذا الكتاب، واتَّفقنا أن ندرسه مع أحد العلماء .

قلت له : هل أنتم تريدون العلم من أجل المعلومات أو من أجل العمل ؟

وإذا كنتم تريدون العلم من أجل العمل فأنا مستعدّ لتدريسكم درسًا واحدًا في الأسبوع .

قال : ما تطلبه لا يوجد عندنا، نحن نريد المعلومات .

يريدون أن يدرسوا لأجل المعلومات الذّهنيّة، والمعلومات الذّهنيّة لا يستفيد منها الإنسان إذا لم تتحوّل إلى عمل، والمعلومات الدّينيّة لا بدّ من أن تكون ثمرتها العمل، وإذا ازداد علمًا ولم يزدّد عملاً فهذه المعلومات لا قيمة لها، لنفرض أنّه يعرف أنّ الصّدقة مستحبّة، ولكنّه لا يتصدّق إذا كان عنده مال، فماذا استفاد من هذه المعلومة ؟!

ويعلم أنّ هناك أدعيّة في كتاب "مفاتيح الجنان" فهل هو يدعو الله تعالى أو لا يدعو ؟ وماذا يستفيد من معرفة أنّ الدّعاء مستحبّ وأنّ استجابة الدّعاء لها شروط معيّنة إذا لم يكن يدعو الله عزّ وجلّ ؟!

وبدون المعلومات لا يمكن لأيّ إنسان أن يتحرّك ويعمل .

ونحن الآن في عصر الغيبة الكبرى، والله تعالى أوجدنا في هذا العصر، فصارت علينا تكاليف خاصّة معيّنة، ولو كنّا في زمان أحد الأئمّة عليهم السّلام لكانت علينا تكاليف عامّة لكلّ زمان، وتكاليف خاصّة في زمان هذا الإمام عليه السّلام .

مثلاً مع الإمام الحسين عليه السّلام كان المطلوب من المسلمين أن يقاتلوا معه عليه السّلام ضدّ أعدائه، ومن استجاب لصرخة الإمام عليه السّلام كانوا ثلاثة وسبعين شخصاً فقط من هؤلاء المسلمين في زمانه عليه السّلام، والذي وصل عددهم إلى الآلاف، وكان تكليف المسلمين نصرة الإمام الحسين عليه السّلام .

وفي زمان الإمام الحسن عليه السّلام حينما صالح يكون تكليف المسلمين قبول الصّح وعدم القتال، ولا يكونون مثل ذلك الشّخص الخارجيّ الذي قال للإمام الحسن عليه السّلام : يا مدلّ المؤمن . فهذا الشّخص لم يقم بتكليفه في ذلك الزّمان، فكان يظنّ بأنّه يجب على الإمام عليه السّلام القيام بعمل آخر، ولم يتصوّر أنّ الصّح هو تكليف الإمام الحسن عليه السّلام .

وفي زمان الإمام الصادق عليه السّلام كان عليهم تكليف معيّن، وهو أخذ العلم من الإمام عليه السّلام . وأحد الإخوة أرسل لي رسالةً يقول فيها : إنّ العلماء لا يتحرّكون في القضايا الاجتماعيّة في المجتمع .

وأجبتّه : هل العالم يحدّد تكليف نفسه أو النّاس يحدّدون تكليف العالم ؟

قال : إنّ العالم يمكن أن يخطئ .

قلت له : والنّاس يمكن أن يخطئوا، ونتيجة ذلك هي أنّ العالم لا يرجع إلى غير العالم؛ لعدم عصمة غير العالم، وغير العالم لا يرجع إلى

العالم لعدم عصمة العالم، فاحتمال الخطأ يوجد في العالم وغير العالم، واحتمال الخطأ يأتي في كلِّ موضع من المواضع، بل الإنسان لا يحقُّ له أن يعمل بأرائه؛ لأنَّه غير معصوم، والنتيجة هي أنَّ الإنسان لا يرجع إلى غيره ولا إلى نفسه؛ بسبب عدم عصمة غيره وعدم عصمته .

أرسلت له السَّؤال التَّالي : تكليف الشَّخص من يحدِّده ؟ هل نفس الشَّخص يحدِّد تكليفه أو يرجع إلى العلماء لمعرفة تكليفه ؟

ومن أرسل لي الرِّسالة لم يرسل لي جوابًا لهذا السَّؤال .
وما نقوله في محاضراتنا ليست معلوماتٍ نظريَّةً بحتةً، وإمَّا يستتبعها عمل، والنَّظريات لا بدَّ من أن نعرفها جيِّدًا، وحينما يطرح الشَّخص رأيًا نسأله : ما هو الدَّليل الَّذي استندت عليه ؟

تقع أحداث في المجتمع والعالم يحدِّد تكليف نفسه .
وآخر شيء كتبت له : كما أنَّ الأئمة عليهم السَّلام عندهم تعدُّد أدوار ووحدة هدف، والهدف هو الله سبحانه، كذلك العلماء عندهم تعدُّد أدوار ووحدة هدف، وهدفهم هو الله تعالى .

وإذا أراد المؤمن أن يتحرك سياسيًا فالمفروض أن يعرف النَّظريَّة السَّياسية في الإسلام وفقه العمل السَّياسيِّ والأحكام الدِّينية المتعلِّقة بالتحرك السَّياسيِّ .

وإذا أراد أن يتحرك اجتماعيًا فهل عنده اطلاع على النَّظريَّة الاجتماعيَّة في الإسلام وفقه العمل الاجتماعيِّ والأحكام المرتبطة بالتحرك الاجتماعيِّ ؟

وإذا لم يعرف الشخص أحكام العمل السياسيّ أو أحكام العمل الاجتماعيّ فإنّ حركته تكون عشوائيةً بدون ضوابط دينيّة .
عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : "من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح" (١) .

وبعض النّاس يريدون أن يكون العالم على مزاجهم، وبعض العلماء تصلهم رسائل من أشخاص يقولون فيها : نستنكر فعلك .
والبعض في بعض الأحداث التي تقع يرسل رسالةً : لماذا العلماء لم يصدروا بياناً عن هذا الحدث ؟

والبعض يرسل : المفروض أن يصدر العلماء بياناً .

نسأل : من أين يأتي هذا المفروض ؟

يريد أن يفرض على العلماء أن يصدروا بياناً بحسب مزاجه .

والبعض يرسل : لماذا لم يشارك العلماء في المظاهرة ؟

والبعض يرسل : نستنكر عدم مشاركتك في المظاهرة .

والعلماء تصلهم رسائل مختلفة من الاستنكار والشّجب وتعبيرات

أخرى .

وبعض الذين يرسلون رسائل استنكار إلى العلماء يكونون من

الطلّبة الذين درسوا عندهم .

والبعض أرسلت له رسالةً : أرجو أن تقرأ كتاب منية المرید في

آداب المفید والمستفید للشّهيد الثّاني رضوان الله عليه .

(١) الكافي ج ١ ص ٤٤ ح ٣ .

وهذا الكتاب عن آداب طلب العلم، وفيه آداب عن كيفية تعامل طالب العلم مع أستاذه، فتعلّم هذه الآداب، وبعد ذلك تكلم مع أستاذك، وفي هذا الكتاب توجد أيضاً آداب تعامل طالب العلم مع كتابه، وطالب العلم إذا لم يتعامل مع أستاذه بأدب فإنّ الله تعالى يسلب التّوفيق من هذا الطّالب .

والإنسان إذا لم يعرف النظريّات والقواعد والمعلومات فلا يمكنه الإتيان بالعمل بشكل صحيح، وهذا يجري في جميع العلوم .

وفي تكاليف المؤمن في عصر الغيبة الكبرى قلنا بأنّ هناك ظلماً واقعاً على النّاس، وهذا الظلم عالمي، ولا أحد يمكنه أن ينكر أنّه يوجد ظلم في العالم، فالعالم لا يعيش العدل، فهناك قلة ظالمة وكثرة مظلومة، والمسيطرون على العالم هم أشخاص معدودون، ولكنهم يحرّكون العالم كلّه، وأكثر سكّان العالم الآن مظلومون، وترى الظلم في كل بقعة من بقاع الأرض .

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : "أبشركم بالمهديّ . . . يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، . . ." (١) .

والظلم واقع على المؤمنين بالخصوص، والمؤمن المتمسك بدينه مظلوم لا فقط من الخارج من أعداء الدّين بل حتّى من الدّاخل هو محارب من بعض الّذين ينتسبون إلى الإسلام، وبعض القنوات الفضائيّة تشهد بذلك، وهي القنوات الّتي تحاول أن تشوّه مدرسة أهل

(١) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٧٤ ح ٢٣ .

البيت عليهم السّلام، ولكن هذه المدرسة تنتشر؛ لأنّه توجد فيها عوامل تساعد على نجاحها وانتشارها، وأوّل عامل من عوامل نجاحها هو الاستناد إلى العقل، والمدارس الأخرى لا تعتمد على العقل .
فإذا قيل : لماذا تعبدون الله ؟

لجاء جواب غير مدرسة أهل البيت عليهم السّلام : لأنّ القرآن يطلب عبادة الله تعالى .

نقول بناء على مدرسة أهل البيت عليهم السّلام : إنّ القرآن الكريم حينما يطلب عبادة الله تعالى فإنّه يقدم الدليل .

مثلا قوله تعالى : "لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا . . ." (١) .

وهذا دليل عقليّ لا تعبديّ، فالقرآن يشير إلى دليل موجود في عقلك، فيوجد دليل عقليّ على إثبات وجود الله تعالى، فهو دليل نقليّ قرآنيّ، ولكنّه يشير إلى دليل عقليّ، فالعقل يقول بوجود إله واحد خالق للكون .

والمثال العرفيّ هو أنّه إذا وُجِدَ مديران لمدرسة أو لشركة فإنّه يقع الخلاف بينهما .

والقرآن الكريم يقول : " . . . وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ . . ." (٢) .

ونقول : لذهب كلّ مدير بما ساهم به من أموال في الشركة، فيقع

(١) الأنبياء : ٢٢ .

(٢) المؤمنون : ٩١ .

الخلاف، وتنقسم الشركة إلى شركتين .

وهذا دليل عقليّ، واستفدناه من الدليل العرقيّ، والقرآن الكريم فيه إرشاد إلى بعض القواعد العقليّة، وهذه القواعد العقليّة تجري من أول القرآن إلى آخره .

ومن القواعد العقليّة التي أشار إليها القرآن الكريم هي : "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" (١) .

إنّ خالق الكون لا يوجد مثله شيء؛ لأنّ كلّ شيء في الكون مخلوق، ويستحيل أن يصبح المخلوق مثل الخالق، وإذا صار خالقًا فيقع التناقض حيث يتحد الخالق والمخلوق، وهذا مستحيل، وهذا دليل عقليّ .

وهذا الدليل العقليّ : "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" - يجري من أول القرآن إلى آخره .

مثلاً الآية الكريمة : ". . . إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ" (٢) .

ببركة "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" هذا النّظر ليس مثل نظر الإنسان إلى الأشياء المادّيّة، فالله سبحانه ليس مثل الأشياء المادّيّة، فالله تعالى ليس جسمًا .

وإذا قيل : إنّ الله جسم لا كالأجسام وله يد لا كالأيدي .

نقول : إذا كان الله سبحانه جسمًا وله يد، فتمّ تثبيت أنّه جسم

(١) الشورى : ١١ .

(٢) القيامة : ٢٢-٢٣ .

وله يد، أي أنّ الله سبحانه مادّيّ، وقوله : لا كالأجسام ولا كالأيدي - مجرد كلام لا يغيّر المعنى من المادّيّ إلى غير المادّيّ، فهو مادّيّ ولكن لا كالمادّيّات الأخرى، وحتى لو قلنا بأنّ له أصابع لا كأصابع الإنسان فإنّه تمّ تثبيت الإصبع المادّيّ له، وقوله : لا كالأصابع - لا يغيّر شيئاً من المعنى المادّيّ، فقوله : له إصبع - أي له إصبع مادّيّ، ولا يختلف الأمر إذا كان إصبعاً كبيراً أو صغيراً أو طويلاً أو قصيراً، فصار الله سبحانه مادّيّاً له جسم ويد وأصابع، وهذا مستحيل؛ لأنّ الله يكون مثله شيء، والآية تقول : "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" .

عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلّم :
 "إنّ قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن . . ." (١) .
 فيقولون بأنّ الرواية تثبت بأنّ الله له صفة الأصابع .
 وتوجد في بعض المواقع صورة كأنّها يد كبيرة في السّماء، وقرأت بعض التّعليقات عليها بأنّ هذا دليل على أنّ الإله له يد .

الرجوع إلى موضوعنا :

نرجع إلى موضوعنا عن الظلم، والظلم الآن منتشر في العالم .

نسأل :

هل يمكن للمؤمن في عصر الغيبة الكبرى أن يستفيد من الظلم؛ لكي يصبح من أنصار الإمام عليه السّلام ؟ وكيف يمكنه ذلك ؟

(١) صحيح مسلم ح ٢٦٥٤ .

الجواب :

نعم، يمكنه أن يستفيد من الظلم العالمي؛ لكي يصبح من الأنصار .
وقلنا سابقاً إنّ المطلوب أحياناً من المؤمن أن يعتزل المجتمع؛ بسبب
وجود ظروف معيّنة لا تساعد على الحركة، وأحياناً يتحرّك ويعمل في
المجتمع، فيدخل في الجهاد الثقافيّ أو الجهاد السياسيّ أو الجهاد
الاقتصاديّ أو الجهاد العسكريّ بحسب الظروف المحيطة به .

والعزلة والجهاد يقعان ضمن التّمحيص الإلهيّ لجميع البشر، فالله
تعالى يمحصّ جميع النّاس بما فيهم المؤمنون، وحينما يكون على المؤمن
وجوب العمل قد لا يؤدّي تكليفه فيعتزل ويأخذ بالتّقية، أو يكون في
ظروف التّقية فيتحرّك على أساس الجهاد .

ومحورنا في تشخيص الموقف المناسب وتحديد تكاليف المؤمنين هم
مراجع الدّين والعلماء، فيحدّدون متى نتحرّك ونعمل ومتى نقف
ونعتزل، والمرجع قد يذكر مسألةً عامّةً والمؤمن يطبّقها، ولكن لا بدّ
من أن يعرف كيفية التّطبيق، أو يذكر الموقف مباشرةً، كما كان الأئمّة
عليهم السّلام يوصون شيعتهم بشكل مباشر بأن لا يتحرّكوا؛ لأنّ
الظّروف غير مناسبة للتّحرّك، أو أنّ الإمام عليه السّلام لا يتحرّك
فشيعته يفهمون بأنّه لا يجب عليهم التّحرّك .

والظلم الذي يقع على المؤمن ضمن الظروف الصّعبة التي يعيشها
يساهم في تقوية إيمانه إذا استفاد من هذه الظروف .

وشخص قد يقول : أنا مظلوم، فلن أصليّ من اليوم إلّا إذا رفع الله

الظلم عتي .

وشخص آخر قد يقول : ما دام أنّه يوجد ظلم وشرور في العالم فلا يوجد إله، فلا أعبد الله، ولو أنّ الله لا يحبّ الظلم فلماذا يقع الظلم على الناس مع أنّ الله قادر على رفع الظلم وهو عادل فالمفروض أن ينشر العدل في العالم ؟ فلماذا يرضى الله بانتشار الظلم ؟

ويوجد إشكال مطروح وهو أنّ الأئمة عليهم السّلام إذا كان عندهم الولاية التكوينية فلماذا لا ينتصرون على أعدائهم ؟ ولماذا بعض الأئمة عليهم السّلام يظنون في السّجن لسنوات طويلة ؟

نقول : إنّ هذا هو تكليف الإمام عليه السّلام، ويستعمل الولاية التكوينية حينما يأذن له الله تعالى، فتكليفه عليه السّلام أن يصبر إذا وقع الظلم عليه، فتوجد فائدة له عليه السّلام في رفع الدّرجات حين وقوع الظلم عليه، والإمام الحسين عليه السّلام كان محيّراً بين أن يستشهد أو ينصره الله تعالى، ولكنّه عليه السّلام اختار الشّهادة حتّى يبلغ درجةً لا يبلغها أحد، والله تعالى يقدر للإمام عليه السّلام شيئاً، والإمام عليه السّلام يرضى بتقدير الله وقضائه، وأمير المؤمنين عليه السّلام كان يعلم بأنّه يُقتلُ إذا ذهب إلى المسجد، فالنبيّ صلى الله عليه وآله أخبره بذلك، ومع ذلك أتى عليه السّلام بتكليفه حتّى لو كان يعلم بقتله، والإنسان العاديّ إذا علم بأنّه يُقتلُ في مكان ما فإنّ تكليفه أن لا يذهب، والإمام عليه السّلام تكليفه مختلف حتّى لو علم، وقد يعلم المسلم العاديّ بأنّه إذا ذهب إلى ساحة المعركة فإنّه

يُقْتَلُ، ومع ذلك يذهب إلى الشَّهادة مع أَنه يعلم أَنه يُقْتَلُ، فتكليفه أَن يحصل على الشَّهادة حتَّى لو كان يعلم بقتله، والإمام عليه السَّلام نفس المسلم العاديّ يريد أَن يحصل على الشَّهادة حتَّى لو علم بقتله، والإمام عليه السَّلام يقَدِّم مصلحة الدِّين على مصلحته الشَّخصيَّة .

والمؤمن يستفيد من الظلم الواقع عليه من ناحية نفسيَّة ومن ناحية عمليَّة، وقلنا إنّ الاستفادة الأولى التي يمكن أَن يستفيدها المؤمنون هي أَنهم يأخذون العبرة من الظلم من ناحية عقائديَّة ومن ناحية تطبيقيَّة؛ لأنَّ الظلم مثال سيِّئ يجب اجتنابه .

وبعض الأشخاص يتكلَّمون عن وقوع الظلم عليهم، ولكنهم في نفس الوقت يظلمون الآخرين، فيشتكي من الظلم الواقع عليه في محلِّ وظيفته، ولكنه يأتي إلى البيت ويظلم زوجته، والإنسان إذا كان يشتكي من وقوع الظلم عليه فالمفروض أَن لا يظلم، والمدير يظلم الموظَّفين، وإذا أصبح هذا الموظَّف مديرًا يبدأ بظلم الموظَّفين، فهو لم يستفد من الظلم الذي وقع عليه .

والظالمون عندهم نظريَّات وفلسفات لتبرير ظلمهم، ولكن هذه النظريَّات لا يمكن للظالم أَن يستر معاييبها ونواقصها، وعلماء مدرسة أهل البيت عليهم السَّلام بالمرصاد لأيِّ نظريَّة من النظريَّات حيث يردُّون عليها وينقضونها نقطة نقطة، وكذلك بعض العلماء من المدارس الأخرى يردُّون على نظريَّات الظالمين وإن كان الردُّ بناء على مبانيهم، ولكنهم يطرحون بعض الحقِّ في الردود، ولا نقول بأنَّ كلَّ ما

يطرحه علماء المدارس الأخرى باطل، ويمكن الاستفادة مما يطرحونه من ردود .

والإنسان الذي يعيش الظلم ضمن التمحيص الإلهي يظهر له أساليب الظلم والنظريات التي يعتمد عليها الظالمون، فالظالم يحاول أن يفلسف الظلم، فيجعل له فلسفة خاصة، فيطرح الرأسمالية ضمن نظريات فلسفية، ويبيّن الاشتراكية ضمن فلسفة معينة .

والنظرية الرأسمالية تقول بأنّ صاحب المال من حقه أن يكتسب أموالاً أكثر ولو كان على حساب الآخرين، والرأسماليون الأغنياء يشكّلون ١% من سكّان العالم، و٩٩% من السكّان هم العاملون الكادحون، وفي عقر دارهم خرجوا في مظاهرات ضدّ الرأسمالية، والآن يشتكي الناس من الرأسمالية حتّى في الدول التي تتبني هذه النظرية .

والنظرية الاشتراكية تقول بأنّ الشعب يتشارك في جميع الموارد، ولكنّ الحاكم الذي يتبني الاشتراكية لا يجعل الشعب مشاركاً له في الموارد، فهو يعيش الرفاهية في قصر والناس فقراء يعيشون في أكواخ من طين أو خشب .

وضمن التخطيط الإلهي تظهر عيوب كلّ نظرية وتتكشف نواقصها قبل ظهور الإمام عليه السلام، وأتّما نظريات لا يمكن أن تحلّ مشاكل البشرية، بل على العكس هي تزيد مشاكل الإنسان، ويستحيل أن تساهم في نشر العدل في العالم، وما دام أنّ مصدر النظريات ليس إلهياً فإنّ النظرية ستفشل قطعاً .

والظالمون يحاولون دائماً تطوير نظريّاتهم حينما يرون وجود نواقص فيها بحيث تواكب الزّمان؛ لكي يقضوا على العيوب والنّواقص الموجودة فيها، ويحاولون دائماً تبرير الأعمال السيّئة والمنكرات التي يأتون بها، وتجد الحاكم يطلق على نفسه لقب "المؤمن" أو "المجاهد" أو "كافل الأيتام والأرامل" وغيرها من الألقاب، ويذهب إلى دور الرّعاية الاجتماعيّة وتلتقط وسائل الإعلام له صوراً كثيرةً وتنشرها في الصّحف والمجلاّت وغيرها .

والنّظريّات الظّالمة تنتشر في العالم، والمؤمن يدرك بأنّه لا يمكن لأيّ نظريّة من النّظريّات أن تحلّ مشاكل البشريّة، وحتىّ غير المؤمن من الأديان الأخرى ومن لا يعتقد بوجود إله سيدركون ذلك، والبشريّة في العالم جرّبت كثيراً من النّظريّات عبر التاريخ، ووقع الظّلم على النّاس، وسيعرفون أنّ هذه النّظريّات لا يمكن أن تحلّ المشاكل في العالم، والمشاكل في العالم تزداد وتتفاقم يوماً بعد يومٍ مع أنّ النّظريّات التي مرّت على البشريّة كثيرة، وكلّها تدّعي بأنّها جاءت لحلّ المشاكل، ولا يمكن حلّ مشاكل البشر بدون النّظريّة الإلهيّة .

وضمن التّخطيط والتّمحيص الإلهيّ تكون النتيجة أنّ جميع النّاس في العالم سينتظرون الفرج، حتىّ الإنسان الملحد سينتظر الفرج؛ لأنّ الظّلم يقع عليه، وهو لا يعتقد بوجود إله، ولكنّه يعتقد بمجيء شخص ما ينقذ العالم، وفكرة انتظار المصلح العالميّ الذي ينشر العدل في العالم موجود في الأديان السّماويّة ومعظم الأديان الوضعيّة

غير السماوية، فكلّ إنسان يرى الظلم المنتشر في العالم ينتظر المصلح العالمي، وهذه استفادات يستفيدها المؤمن من وجود الظلم العالمي .

إذن :

جميع النظريّات ستفشل، ويستحيل أن تنجح في حلّ مشاكل العالم، والجميع سينتظر الحلول من المصلح العالمي، والمؤمن يستفيد من الظلم من ناحية نفسية، فيحاول أن يحصل على العدالة، ويصل إلى مرتبة العدالة، ويستفيد من ناحية عمليّة بأن يكون عادلاً، فلا يظلم نفسه، ولا يظلم الآخرين، ولا يساهم في نشر الظلم، ولا يساعد أحدًا في ظلمه للآخرين .

مثلاً شخص عنده خادمة في بيته، والمفروض أن لا يظلمها، فيبين وبين الخادمة عقد عمل، وأكثر من هذا العقد لا يوجد شيء، والمفروض أن تعمل ضمن عدد ساعات عمل معيّنة، لا أن تعمل من أول الفجر إلى منتصف الليل، فعقد العمل يقول بعدد معيّن من ساعات العمل كثمانى ساعات، ولها أجره معيّنة، وليس من حقّه أن يدخل غرفتها ويفتّش حقائبها، وليس من حقّه أن يأخذ نقّالها ويمنعها من الاتّصال بأحد في غير ساعات العمل، فله حقّ أثناء ساعات العمل بحسب الشّروط التي تمّ الاتّفاق عليها، وفي غير ساعات العمل ليس له حقّ في شيء، وفي وقت راحتها ليس من حقّه أن يناديها حتّى تقوم بالعمل، وليس من حقّه أن يمسك أجرتها ولا يعطيها في آخر الشّهر، والبعض لا يعطي الخادمة أجرتها لعدّة أشهر، ويقول بأنّه

قد لا يعجبه عملها ويريد أن يسقّرها، ويكون السّفْر على حسابها، ولكن إذا لم يكن هذا الأمر ضمن شروط العمل فليس من حقّه ذلك، فهو والخادمة يلتزمان بالشّروط المتّفق عليها في عقد العمل، والعقد لا يعطيه حقًّا أكثر من الشّروط والبنود الموجودة، وهي خادمة وليست عبْدَةً وأمّةً له، فهو لا يملك رقبتها، فالأمّة لها أحكام معيّنة، والمستأجرة لها أحكام أخرى، وحتىّ العبد والأمّة ليس من حقّ المالك أن يظلمهما، والعبد والأمّة لهما أوقات راحة لا أنّ طوال اللّيل والنّهار يقومان بخدمة سيّدتهما، وقد يأتي في كلّ يوم عشرات الضّيوف، وتكون الخادمة مسؤولةً عن الغسيل والتنظيف، وعقد الإجارة يكون ضمن شروط وبنود معيّنة يتّفق عليها الطّرفان .

النتيجة :

المؤمن يستفيد من الظّلم بأن يصل إلى مرتبة العدالة، وأن يكون عادلاً من الدّرجة الأولى، وأن لا يظلم أحدًا، فإذا ظلم أحدًا فلا يمكنه أن يصبح من أنصار الإمام عليه السّلام، فأنصار الإمام عليه السّلام لا يظلمون، ويريدون أن ينشروا العدل في العالم، والعاقل فقط يكون مؤهلاً لنشر العدل .

والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين .

أسئلة وتعليقات الحاضرين :

سؤال من أحد الحاضرين :

يوجد طريق لمعرفة الله تعالى وهو طريق العقل، ويوجد طريق آخر
مقابل له وهو معرفة الله تعالى عن طريق القلب، فأيهما أصح ؟

جواب الشيخ محمد أشكناني :

هذان طريقان لمعرفة الله عزّ وجلّ، ولا يوجد تضادّ بينهما، فبعض
الأشخاص يصلون إلى معرفة الله تعالى عن طريق العقل، والبعض
الآخر يصل إلى معرفته عزّ وجلّ عن طريق القلب، وبعض الأشخاص
يصلون إليه تعالى بواسطة الطّريقين .

سؤال من أحد الحاضرين :

بالنسبة لتحرك المؤمن في عصر الغيبة في حال جريان ظلم على فئة
من المؤمنين، ومثلما قلتُم إننا نرى وضع العالم وتتحرك بناءً على كيفية
تحركهم، وفي بعض المرّات يوجد مقدار من التحرك، مثلاً التحرك
الإعلامي، فحينما أرى ظلمًا على إخواني المؤمنين في بقعة من الأرض
أبدأ بفضح الظالم، فأنشر الصّور ومقاطع الفيديو، وهذا مقدار ونوع
من التحرك، فهل الأولى أن أرجع إلى العالم وأناقشه في جواز الحركة
بهذا المقدار كما في الجهاد الذي يحتاج إلى فتوى من المرجع أو أتحرك
تحركًا تلقائيًا بهذا المقدار ؟

جواب الشيخ محمد أشكناني :

السؤال الذي نسأله هو :

هل الإنسان عليه تكليف في أيّ حدث من الأحداث التي تقع ؟
وهل يعرف تكليفه أو لا يعرف ؟

فإذا كان يعرف تكليفه فهو يحدّد طريقة العمل، وإذا لم يعرف
تكليفه فيرجع إلى العالم؛ لأجل تحديد تكليفه، وفي القضايا السياسيّة
العوامل الدّاخلية في الموضوع كثيرة، وأحياناً قد يتحرّك شخص سياسياً
فيضرب بدل أن يفيد؛ لأنّ هذا التّحرّك ليس هو التّحرّك المناسب،
ولكن إذا رجع للعالم بالحكم الشرعيّ مع معرفة العالم بالأوضاع
السياسيّة فإنّ العالم يطبّق الحكم على الوضع السياسيّ، والشّخص إذا
لم يكن مطلعاً على الأحكام الشرعيّة فالحماس يأخذه إلى فعل معيّن
غير مناسب، وفي القضايا السياسيّة لا تحسب فقط حساب النّطاق
المحلّي، بل تحسب حساب النّطاق الإقليميّ والنّطاق العالميّ، فالعالم
اليوم عبارة عن قرية صغيرة، لا كما كان في الماضي حينما يتحرّك في
بقعة معيّنة فإنّ أخبار الحركة تظلّ في هذه البقعة فقط، ولا يكون لها
تأثيرات سياسيّة خارج البقعة، والآن أيّ تحرّك له تأثيرات عالميّة، وهذه
التأثيرات العالميّة لا بدّ من أن يأخذها الشّخص في الحسبان حينما
يتحرّك .

هل من الممكن أن تكون هناك مصلحة عالميّة لهذا التّحرّك أو أنّ
الحماس يأخذ الشّخص للعمل فيتحرّك بدون معرفة الحكم الشرعيّ
والاطّلاع على القضايا السياسيّة فيكون تحرّكه تحرّكاً خاطئاً ؟
فقد يتحرّك المؤمن سياسياً في بلد ويسبّب ضرراً على نفسه أو على

السِّيَاسِيِّينَ أو على المؤمنين في نفس البلد أو في بلد آخر، وقد يكون هناك تحرك مناسب من بعض العلماء أو من بعض المؤمنين فيكون سبباً في تخريب هذا التحرك المناسب؛ لأنه لم يطلع على هذا التحرك، فعليه أن يدرس الأمور بشكل جيد ثم يتخذ الحركة المناسبة، والجاهل يجب أن يرجع إلى العالم .

وفي القضايا الفردية يمكنه أن يقوم بأيّ تحرك، مثلاً يريد أن يصلّي النوافل، ولكن في التحرك الاجتماعي أو السياسي لا بدّ من أن يحسب النتائج الاجتماعية والآثار السياسية المترتبة، والآن الاجتماع والسياسة عبارة عن علوم قائمة بذاتها، وإذا لم يوجد عنده اطلاع على ألف باء السياسة ويريد أن يتحرك سياسياً فإنه قطعاً سيفسد أكثر ممّا يصلح .

مثلاً شخص يريد أن يرشّح نفسه لمجلس الأمة، ولا يوجد عنده اطلاع على الدستور ولا على اللائحة الداخلية، ولا يتابع القضايا السياسية في البلد، ولم يتابع أعمال المجالس السابقة، ولا يعرف كيفية تقديم الاقتراح أو القانون، ولا يوجد عنده برامج وخطط للإصلاح، ثمّ يرشّح نفسه، وكلّ هذا يحتاج إلى دراسة ومتابعة لعدّة سنوات؛ لأجل أن يكون مؤهّلاً للتّرشّيح لمجلس الأمة، ويجب أيضاً أن يعرف تكاليفه الشّرعيّة قبل التّرشّيح، وبعد الفوز بالانتخابات، وأيضاً لا بدّ من أن يعرف المواصفات المطلوبة في من يرشّح نفسه، لا أنّ أيّ شخص يأتي ويرشّح نفسه، ولا يكفي فقط أن يكون من أتباع مدرسة أهل البيت

عليهم السّلام؛ لكي يرشّح نفسه أو ينتخبه الآخرون، بل لا بدّ من أن تتوفّر فيه الصفات المناسبة للعمل، وقد تنتخب شخصاً اسمه "شيعي"، ولكنّه قد يفسد بدل أن يصلح بسبب عدم تأهّله، وجميع هذه الأمور لا بدّ من أن تؤخذ في الحسابات في أيّ عمل يريد أن يُقدّم عليه، وبعد أن يدرس جميع الأمور ويعرف السّاحة السّياسيّة التي سيعمل فيها ويعرف الاتجاهات الموجودة فيها يرشّح نفسه .

مثلاً شخص يرشّح نفسه لمجلس الأُمّة وتساءله عن الاتجاهات والتّيّارات التي تعمل في السّاحة فيقول : لا أدري .

إذا لم يعرف ذلك فلماذا يرشّح نفسه ؟!

إذن :

أولاً لا بدّ من أن يعرف الخلفيّة النظريّة لأيّ تحرك، وبعد ذلك يعمل على أساس العلم لا على أساس الجهل؛ لكي لا يفسد أكثر ممّا يصلح، فإذا كانت الأوضاع سيّئة فهو سيساهم في زيادتها، فلا بدّ من أن يكون على اطلاع كامل بكلّ متطلّبات أيّ عمل من الأعمال ونتائج هذا العمل؛ لأجل أن يتحرك التّحرك المناسب، فقبل أيّ تحرك عليه أن يحيط بجميع الجوانب النظريّة المتعلّقة بهذا العمل، وبعد ذلك يتخذ الموقف المناسب .

سؤال من أحد الحاضرين :

كيف إذا كان التّحرك سلمياً حتّى يحس النّاس والعالم به ويريد أن يقف مع جماعته أو قبيلته سلمياً بدون عنف ؟

جواب الشيخ محمد أشكناني :

لا بدّ من أن يحسب الحسابات بدقّة إذا أراد أن يتحرّك سلمياً، هو قد يتحرّك سلمياً، ولكنّ الطرف المقابل لا يواجهه بطريقة سلمية، قد يستعمل العنف مع المتحرّكين سلمياً، ولا يقدم لهم الورود، فلا بدّ من أن يحسب لهذا حساباً، حتّى لو كان التّحرّك سلمياً فهل التّحرّك السّلميّ أو الاعتزال هو تكليفه ؟

لا بدّ من دراسة الأمر بشكل جيّد، والقرار لا يكون من أناس عاديين، ففي التّحرّك من هذا النوع توجد مجموعة من طبقات المجتمع، وهم لا بدّ من أن يتّخذوا القرار المناسب، واتّخاذ القرار يحتاج إلى علماء الدّين والسياسيين وعلماء الاجتماع وعلماء النّفس، فالطّاقات الموجودة في المجتمع تقرّر الموقف المناسب، وعالم الدّين يحتاج إلى السّياسي في اتّخاذ القرار، وعالم الدّين الذي لم يدخل في العمل السّياسي لا يكون مطّلعاً على بعض القضايا السّياسيّة، فيحتاج إلى السّياسي؛ لبيّن له حتّى يمكن للعالم أن يطرح رأيه، ويحتاج أيضاً إلى باقي التّخصّصات؛ لأجل اتّخاذ الرّأي المناسب .

والسيّد الشّهيد محمّد باقر الصّدر رضوان الله عليه طرح مسألة "المرجعيّة الصّالحة"، ويمكن أن نطلق عليها "المرجعيّة الرّشيدة"، فيكون عند المرجع مجموعة من المستشارين في جميع التّخصّصات التي تساهم في اتّخاذ الحكم الدّينيّ أو السّياسيّ أو غيرهما، ومرجع التّقليد حينما يتكلّم بكلمة عنده مستشارين في جميع الحقول من سياسيين

واقْتِصَادِيَّيْنِ وَغَيْرِهِمْ، وَيَحْتَاجُ إِلَى عُلَمَاءِ الْأَحْيَاءِ إِذَا سُئِلَ عَنِ التَّمْسَاحِ
مَثَلًا أَوْ أَيِّ حَيْوَانٍ آخَرَ : هَلْ يَجُوزُ أَكْلُهُ أَوْ لَا ؟

فَيَرْجِعُ إِلَى عَالَمِ الْأَحْيَاءِ وَيَسْأَلُهُ : هَلِ التَّمْسَاحُ لَهُ دَمٌ يَشْخَبُ أَوْ
لَا ؟ وَكَيْفَ يَخْرُجُ دَمُ التَّعْبَانِ ؟

فَيَرْجِعُ إِلَى الْمُتَخَصِّصِ فِي عِلْمِ الْأَحْيَاءِ، وَيَسْتَفِيدُ مِنْ خَبْرَتِهِ فِي
مَجَالِ تَخَصُّصِهِ، فَيَعْرِفُ نَوْعَ الْحَيْوَانِ، وَبِالتَّالِيِ يُمْكِنُهُ أَنْ يَبَيِّنَ الْحُكْمَ
الشَّرْعِيَّ لِهَذَا الْحَيْوَانِ .

وَإِذَا سَأَلْتَ الْمَرْجِعَ عَنِ نَوْعِ مِنَ السَّمَكِ : هَلْ يَجُوزُ أَكْلُهُ أَوْ لَا ؟
وَالْمَرْجِعُ يَعْطِيكَ الْقَاعِدَةَ الْعَامَّةَ : إِذَا عَلَيْهِ فُلْسٌ يَجُوزُ أَكْلُهُ .
وَهَذِهِ قَاعِدَةٌ عَامَّةٌ، وَالْمُكَلَّفُ يَسْأَلُ عَنِ سَمَكٍ خَاصٍّ، وَلَا يَعْرِفُ
إِذَا عَلَيْهِ فُلْسٌ أَوْ لَا، لِذَلِكَ يَسْأَلُ الْمَرْجِعَ؛ لِأَجْلِ أَنْ يَعْرِفَ حُكْمَ هَذَا
السَّمَكِ الْخَاصِّ، فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْمَرْجِعِ مُسْتَشَارُونَ فِي عِلْمِ الْأَحْيَاءِ
فَيَسْأَلُهُمْ عَنِ هَذَا السَّمَكِ الْخَاصِّ، وَيَأْتُونَ بِصُورَةٍ هَذِهِ السَّمَكَةِ،
وَيَبَيِّنُونَ لِلْمَرْجِعِ أَنَّ عَلَيْهِ فُلْسًا أَوْ لَا، وَالْمَرْجِعُ يُمْكِنُهُ أَنْ يَبَيِّنَ الْحُكْمَ بِأَنَّ
هَذَا السَّمَكِ الْخَاصِّ عَلَيْهِ فُلْسٌ فَيَجُوزُ أَكْلُهُ أَوْ لَا فُلْسٌ عَلَيْهِ فَلَا يَجُوزُ
أَكْلُهُ، وَيَكُونُ الْجَوَابُ أَدَقَّ مِنَ الْقَاعِدَةِ الْعَامَّةِ، وَإِذَا كَانَ الْمَرْجِعُ لَا
يَعْرِفُ هَذَا النَّوْعَ الْخَاصَّ مِنَ السَّمَكِ فَيَعْطِيكَ الْقَاعِدَةَ الْعَامَّةَ، وَلَا
يُمْكِنُ أَنْ يَعْطِيكَ حُكْمَ هَذَا السَّمَكِ الْخَاصِّ، وَعَلَى الْمُكَلَّفِ أَنْ يَسْأَلَ
عَنِ هَذَا السَّمَكِ الْخَاصِّ أَوْ يَفْحَصَهُ إِذَا كَانَ أَمَامَهُ، وَإِذَا كَانَ الْمُكَلَّفُ
لَا يَعْرِفُ، وَلَمْ يَكُنْ مُبْتَلَىً بِأَكْلِهِ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى الْجَوَابِ الْخَاصِّ، وَالْمَرْجِعُ

عنده مجموعة من المستشارين، ولكنّ القرار النهائيّ يكون للمرجع، والقرار ليس للسياسيّ، فعالم الدّين هو محور القرارات في المجتمعات لا السياسيّ، ومكانة المراجع وعلماء الدّين تكون محفوظةً .
يقول القرآن الكريم :

" . . . وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ " (١) .

وإذا لم يتحرّك المرجع أو عالم الدّين فهو يحدّد تكليفه، وليس من الصّحيح أن يُشكّل النّاس عليه بأنّه لماذا لم يتحرّك عالم الدّين ولم يتّخذ موقفاً أو لم ينزل بياناً في هذا الموضوع المعين ؟
من يحدّد تكليفه : عالم الدّين أو النّاس ؟
إنّ عالم الدّين يحدّد تكليفه وتكليف النّاس .

وعالم الدّين له مكانته واحترامه، وحينما يتحرّك أو لا يتحرّك فإنّه يكون بناءً على تكليفه، فكما أنّ الأئمة عليهم السّلام لهم تعدّد أدوار ووحدة هدف، وكلّ إمام عليه السّلام يتحرّك أو لا يتحرّك بحسب الظروف الموضوعيّة المحيطة به، فالإمام الحسن عليه السّلام يصلح، والإمام الحسين عليه السّلام يقوم بثورة، كذلك علماء الدّين لهم تعدّد أدوار ووحدة هدف، فعالم لا يتحرّك؛ لأجل أن يحافظ على وجود الحوزة، ويعرف أنّه لا رأي لمن لا يطاع، فالعالم إذا قطع بأنّ المجتمع لا يتحرّك معه فإنّه لا يصدر بياناً، فإذا أصدر بياناً ولم يتحرّك

(١) آل عمران : ١٥٩ .

النّاس معه فكلمة المرجعيّة تنكسر، لذلك لا يصدر بياناً، ويرى أنّ هذا هو تكليفه، والبعض يقول بأنّ المرجعيّة لا تتحرّك .

لا يتحرّك المرجع؛ لأنّ الظروف المحيطة به لا تساعد على التّحرّك، وعنده اطلاع أكثر على الأوضاع، فالمرجع يحدّد تكليفه وتكليف النّاس، لا أنّ النّاس يحدّدون تكليف المرجع وتكليف العلماء، والعلماء درسوا تاريخ الأنبياء والأئمّة عليهم السّلام، وعرفوا مواقفهم التي تتناسب مع الظروف المحيطة بهم، والجهلاء يريدون من المرجع أن يتحرّك على حسب مزاجهم، والبعض من الذين يتحرّكون يريدون من المراجع والعلماء أن يتحرّكوا؛ لكي يحصلوا على تأييد منهم ومشروعيّة لعملهم .

وعالم آخر يقوم بثورة وينشئ دولةً، ويرى أنّ هذا هو تكليفه، وكلّ عالم يتّخذ الموقف المناسب بحسب الظروف الموجودة في بلده، فالعلماء هم الذين يحدّدون المواقف؛ لأنّهم محاور الأئمّة، ولا يمكن أن توجد محاور للأئمّة غير العلماء، وسيأتي فيما بعد أنّ العلماء هم محاور الأئمّة، وإذا التفّ النّاس حول غير العلماء فإنّهم يضلّون عن الطّريق الصّحيح، ولن يصلوا إلى الهدف المطلوب، فالمرجع هم نواب الإمام المهديّ عليه السّلام، وهم يحدّدون تكاليف النّاس كما أنّ الإمام عليه السّلام هو الذي يحدّد تكاليف النّاس .

والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٤٠)

تابع استفادة المؤمن من الظلم^(١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

ما زال الكلام في تكاليف المؤمن في عصر الغيبة الكبرى، سنكمل الحديث عن كيفية استفادة المؤمن من الظلم الواقع في عصر الغيبة، وذكرنا الاستفادة الأولى وهي أخذ العبرة من الظلم بحيث إن الإنسان لا يظلم الآخرين، فإذا أراد المؤمن أن يكون من الأنصار فالمفروض أن لا يظلم؛ لكي يصل إلى المرتبة العالية من الإيمان، ويكون من الطراز الأول من المؤمنين، وهذه كانت الاستفادة الأولى، ونأتي الآن إلى الاستفادة التالية .

الاستفادة الثانية :

توجد في زماننا أطروحات فكرية مختلفة، والنظرية الاشتراكية انتهت،

(١) أُلقيت هذه المحاضرة في الديوانية الأسبوعية في دولة الكويت منطقة

بيان، الجمعة ٢٥ ذو القعدة ١٤٣٣ هـ ، ١٢/١٠/٢٠١٢ م .

وانقسمت تلك الدولة إلى دويلات، والنظرية فشلت في حلّ مشاكل البشرية .

والنظرية الصّامدة لحدّ الآن هي النظرية الرّأسماليّة، وحينما يُراد مناقشة النظرية لا بدّ من أن نأتي إلى أسس الفكر الرّأسماليّ من كتبهم بحيث يمكن الرّدّ على هذه الأفكار والأسس التي تقوم عليها النظرية، وإذا أمكن تنفيذ هذه الأسس فيمكن تنفيذ النظرية .

والأطروحات المتعدّدة عبر الزّمان الطّويل كانت تدّعي أنّ فيها قابليّة قيادة العالم، وأنها جاءت لإصلاح البشريّة وحلّ مشاكلها، وأنها تريد أن تنشر العدل في العالم، وجميع هذه الأطروحات سيّتضح فسادها قبل ظهور الإمام عليه السّلام .

عن الإمام الصّادق عليه السّلام : "ما يكون هذا الأمر حتى لا يبقى صنف من النّاس إلّا وقد وُلّوا على النّاس؛ حتى لا يقول قائل : إنّا لو وُلّينا لعدّلنا . ثمّ يقوم القائم بالحقّ والعدل" ^(١) .

ولو نظرنا الآن إلى الفرد - سواء المؤمن بوجود دين إلهيّ أو وضعيّ أم الرّبوبيّ الذي يعتقد بالآله ولا يعتقد بالأديان الموجودة أم اللّادريّ أم اللّامباليّ أم الملحد الذي لا يؤمن بوجود إله - لوجدنا أنّه يضحّج من المشاكل الكثيرة الموجودة في العالم، وخاصّةً إذا وقع عليه ظلم، وجميعهم يرجون مجيء شخص يُصلّح أوضاع العالم، وسيحصل يأس

^(١) الغيبة للشيخ محمد بن إبراهيم النعمانيّ ج ١ ص ٢٨٠ ح ٥٣ . هذا الأمر : دولة الإمام المهديّ عليه السّلام . وُلّوا : حَكّموا .

عالمي من جميع الأطروحات والنظريات الفكرية التي مرّت على البشرية سابقاً والتي ستمرّ على البشرية لاحقاً، وكلّها تدّعي أنّها جاءت لنشر العدل في العالم، وبعد تطبيقها يعرف الناس في العالم بطلانها حيث يرون أنّه توجد طبقة مُستأثّرة تريد أن تستولي على إنتاج العالم، وتوجد طبقة تشكّل الأغلبية يقع عليها الظلم، ونسبة ١٠% من سكّان العالم هم من الرأسماليين الذين يستولون على موارد العالم، ونسبة ٩٩% من السكّان يشكّلون الطبقة المتوسطة والفقيرة، والمظاهرات خرجت في عقر دارهم ضدّ الرأسمالية .

والمجال مفتوح أمام أيّ نظرية، وأيّ شخص عنده نظرية لحلّ مشاكل البشرية فالباب مفتوح أمامه، ويمكن أن ينشر نظريته وأطروحته وأسسها الفكرية عبر وسائل الاتّصالات الحديثة، والبشرية ستجرّب جميع النظريات والأطروحات بحيث لا توجد بعد ذلك أيّ نظرية تدّعي إصلاح العالم، وجميع النظريات والأطروحات ستفشل، وسيعيش الناس في يأس من أيّ أطروحة تدّعي لنفسها حلّ مشاكل البشرية، والتّمحيص الإلهي سيؤدّي إلى إثبات فشل جميع الأنظمة الظّالمة والأفكار المنحرفة والنظريات والأطروحات الناقصة والسلوك الظالم، وييأس الناس من جميعها، وهذا اليأس العالمي سيمهد الأرضية لتقبّل أطروحة الإمام المهديّ عليه السّلام حين ظهوره .

عن محمّد بن منصور الصّيقلي عن أبيه قال : دخلت على أبي جعفر الباقر عليه السّلام وعنده جماعة، فبينما نحن نتحدّث وهو على

بعض أصحابه مقبل إذ التفت إلينا وقال : " في أيّ شيء أنتم ؟
هيهات هيهات لا يكون الذي تمدّون إليه أعناقكم حتى تُحصّوا،
هيهات ولا يكون الذي تمدّون إليه أعناقكم حتى تُمَيّزُوا، ولا يكون
الذي تمدّون إليه أعناقكم حتى تُغرَبَلُوا، ولا يكون الذي تمدّون إليه
أعناقكم إلا بعد إياس . . ." (١) .

يحصل يأس عالمي من جميع الأطروحات والنظريات، فينتظر الناس
المصلح العالمي الذي ينشر العدل العالمي، وفي زماننا الحالي يوجد جزء
كبير من هذا اليأس، ولم نصل إلى تمام اليأس لحدّ الآن، ولكن سيأتي
يوم يشعر فيه جميع الناس باليأس، ويأتي يوم ويُذكر في القنوات
الفضائيّة أنّه لا بدّ من وجود مصلح عالمي يحلّ مشاكل البشريّة،
وينتظر الناس ظهور هذا المصلح العالمي، وهكذا تتمهد البشريّة
لاستقبال النور الإلهي .

عن الإمام الباقر عليه السّلام : " . . . فخروجه إذا خرج يكون
عند اليأس والقنوط من أن يروا فرجًا . . ." (٢) .

عن منصور قال : قال أبو عبد الله عليه السّلام : " يا منصور، إنّ
هذا الأمر لا يأتيكم إلا بعد يأس، . . ." (٣) .

(١) الغيبة للشيخ التّعمانيّ ج ١ ص ٢١٤-٢١٥ ح ١٦٦ . الإياس : اليأس
وانقطاع الرّجاء .

(٢) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٣٠-٢٣١ ح ٩٦ .

(٣) كمال الدّين وتمام النّعمة للشيخ الصّدوق ج ١ ص ٣٧٤ ح ٣٢ .

اليأس العالمي هو الذي يمهد للظهور، واليأس العالميّ ساهم فيه الظالمون، فالحاكم الظالم يساهم في ظهور الإمام عليه السّلام دون أن يشعر، ووجود الحاكم الظالم شرّ للنّاس، ولكن في نفس الوقت يوجد فيه خير في أنّه يساهم في اليأس العالميّ وانتظار النّاس للإمام عليه السّلام، فهو يساهم في ظهور الإمام عليه السّلام، ففي بطن هذا الشرّ يوجد خير، والحاكم الظالم ينتج مؤمنين أقوياء يصبحون من أنصار الإمام عليه السّلام، وهذا خير، وقطعاً لا نتبى وجود الظالم ولا نرضى بالظلم، ولكن إذا وُجدَ الظلم نستفيد من وجوده، وتوجد فوائد مترتبة على وجود الحاكم الظالم، والظالم لا يريد هذه الفوائد، ولكنّ المؤمنين يستفيدون من وجود الظالم بأن يصبحوا أقوياء، والحاكم الظالم يظنّ بأنّه يمكنه القضاء على الدّين وعلى المؤمنين، ولكنّه في الواقع يساهم في تقوية الدّين ونشره وتقوية المؤمنين، مع أن هذا ليس هدفه وغايته ومبتغاه .

وطول غيبة الإمام عليه السّلام يقع ضمن التّخطيط الإلهيّ؛ لأنّ غيبته عليه السّلام وقعت بإذن الله عزّ وجلّ، والبشريّة تحتاج إلى هذه الغيبة الطويلة، وفي آخر هذا التّخطيط يظهر الإمام عليه السّلام، والهدف من الغيبة الطويلة وجود الامتحان والابتلاء لجميع النّاس، والمؤمن ضمن هذه الغيبة هو مبتلى، وبعض المسلمين قد يتركون دينهم؛ لأنّ اليأس يصيبهم، فبدل أن يتمسك بدينه أكثر يترك دينه، ويقول : إلى متى الغيبة ؟ ولماذا لا يظهر الإمام عليه السّلام ونحن

مظلومون طوال فترة غيبته والإمام عليه السّلام عنده جيش مستعدّ
لظهوره والمؤمنون ينتظرون ظهوره ؟

وفي الواقع المؤمنون بشكل عامّ لحدّ الآن غير مستعدّين لظهوره،
ولو كانوا مستعدّين لظهر الإمام عليه السّلام؛ لأنّ النّقص في شروط
الظهور موجود فينا نحن، والسّبب هو عدم وجود الأنصار بالكمّ
والكيف المطلوبين، فلا بدّ من توقّر الكمّ والكيف في المؤمنين؛ لأجل
أن يظهر الإمام عليه السّلام، والنّاس يحتاجون إلى امتحان طويل؛
لأجل أن تنكشف حقيقة كلّ فرد لنفسه .

سؤال : متى يظهر إيمان الإنسان وتمسّكه بالله تعالى ؟

الجواب :

يظهر ذلك حينما يصاب بمصائب، ومن الممكن أنّه في المصيبة
الأولى ينجح، ولكن حينما تتكرّر الابتلاءات عليه يظهر أنّه فعلاً
إنسان متديّن متمسّك بالله تعالى أو لا، وينتظر الفرج من الله عزّ
وجلّ لحلّ مشاكله أو ييأس، ومع طول الغيبة وكثرة الابتلاءات على
البشريّة تظهر حقيقة كلّ إنسان، وأغلب النّاس يصيبهم اليأس، وأنت
ترى ذلك بالوجدان، وانظر إلى الأشخاص المحيطين بك إذا تكرّرت
عليهم المشاكل يضحّون ويثنون .

يقول : لماذا أنا بالذّات أتعرّض لمصائب ومشاكل كثيرة ؟

هذا القول يعبر عن تمسّكه وارتباطه الضّعيف بالله تعالى، فمن
الطبيعيّ أنّ كلّ إنسان في الدّنيا معرّض للابتلاءات، ولكن شكل

الابتلاء يختلف من شخص لآخر، فشخص يتلوه الله بالغنى، وشخص آخر يتلوه الله بالفقر، وشخص يتلوه بالصحة، وشخص آخر يتلوه بالمرض، فكل شخص يتلوه ببلاء من البلاءات، والبلاءات تتنوع على الإنسان، والله حينما يصيب أي إنسان ببلاء فهذا البلاء يناسب هذا الإنسان، ولكن بشرط أن يستفيد من هذا البلاء، فالله تعالى يعطي الإنسان الثوب الذي يناسبه؛ لأن الله عالم بكل جوانب هذا الإنسان ومطلع على بواطنه وأحواله، فحينما يغني شخصاً فالغنى مفيد لهذا الشخص بشرط أن يستفيد من الغنى، ويجعل شخصاً آخر مريضاً، والمفروض أنه بسبب مرضه يرتبط بالله ويتعلق به أكثر، والفقر يكون طريقاً للارتباط بالله تعالى، والشخص المريض الذي يكون طريح الفراش نراه يضحج من حالته، مع أنه يمكنه أن يتذكر الله بسبب وجوده على هذه الحالة، وكأن الله عز وجل فرغه للعبادة، كما هو حال الإمام الكاظم عليه السلام الذي كان يحمد الله على أن فرغه للعبادة، فكان السجن خيراً للإمام عليه السلام .

كان عليه السلام يقول كثيراً في دعائه وهو محبوس : "اللهم إنك تعلم أنني كنت أسألك أن تفرغني لعبادتك، اللهم وقد فعلت، فلك الحمد" (١) .

والآن لو تقول لشخص : هل تقبل أن تُسجنَ ؟
يقول : لا .

(١) الإرشاد للشيخ المفيد ج ٢ ص ٢٤٠ .

ولنفرض أنهم أدخلوه السجن، فهل يمكن أن يستفيد من وضعه
أو لا؟

عليه أن يتكامل من خلال ابتلائه بوجوده داخل السجن، ومن
يكون خارج السجن يكون مبتلى أيضاً ببلاءات من نوع آخر،
والتنوع في البلاءات الواقعة على الناس تراه بنفسك، فمن أول حياتك
إلى الآن ترى المشاكل التي مرت عليك، ولا يوجد إنسان يعيش حياةً
صافيةً بدون بلاءات، فلا بدّ من وجود المشاكل في حياة كلّ إنسان،
ومن الممكن أنّ الأب يُبتلى بولده أو ابنته، والولد يُبتلى بأبيه أو
أمّه، والزوج يُبتلى بزوجته، والزوجة تُبتلى بزوجها، والبلاءات على
الناس مختلفة، ودور الإنسان أن يستفيد من البلاءات في التّكامل
وتقوية الارتباط بالله تعالى وتكوين العلاقة القويّة مع الله عزّ وجلّ،
والله تعالى يصيب الإنسان بالبلاءات؛ لكي يتعلّق بالله أكثر، وإذا
تعلّق بالله أكثر يحصل على درجة أعلى من التّكامل، وإذا حصل
على تكامل أعلى فعلاقته بالنبيّ صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم
السّلام تصبح أقوى، وبالتالي تقوى علاقته بإمام زمانه عليه السّلام،
فالبلاءات في عصر الغيبة هدفها أن يستفيد المؤمن منها بحيث يكون
علاقة مع إمام العصر عليه السّلام، والإمام عليه السّلام يسعى في
حلّ مشاكل المؤمنين بإذن الله تعالى، ولا يوجد شيء خارج عن إذن
الله عزّ وجلّ، وإذا كانت عندك مشكلة فتوسّل بإمامك عليه السّلام؛
لأجل أن يحلّ مشكلتك، وفي بعض الروايات أنّ الملائكة في خدمة

المؤمن، ويفهم منها المؤمن الحقيقي، والآيات والروايات حينما تذكر الألقاب فالمقصود هو حقيقة المتّصف بهذا اللقب، مثلاً إذا قالت : المؤمن - فالمقصود هو المؤمن الحقيقي، وإذا قالت : منافق - فالمراد هو المنافق الحقيقي، إلا إذا ورد في الكلام قرينة على أنّ المراد من المؤمن هو المؤمن الظاهري .

يقول القرآن الكريم :

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ . . . " (١) .

الكلام موجّه للمؤمن الحقيقي والمؤمن الظاهري، والمنافقون في بعض الآيات يدخلون ضمن "الَّذِينَ ءَامَنُوا"، فمعنى الآية هو يا أيّها الذين آمنوا ظاهراً آمنوا حقيقةً، ويا أيّها الذين آمنوا حقيقةً وأنتم في الدرجة الأدنى من الإيمان آمنوا حقيقةً واصعدوا إلى الدرجة الأعلى من الإيمان، والإيمان الحقيقي على درجات، فالمؤمن الظاهري يؤمن حقيقةً، والمؤمن الحقيقي يصعد في درجات الإيمان، ولكنّ الأصل في الكلمات حينما تُستعملُ فإنّها تدلّ على المعنى الحقيقي للكلمة، والآيات والروايات التي تتحدّث عن مكانة المؤمنين - كرفع الدرجات - تتحدّث عن المؤمن الحقيقي .

مثلاً المؤمن مستجاب الدعاء، فإذا رفع المؤمن يده بالدعاء استجاب الله دعاءه ولا يرده، والمراد هو المؤمن الحقيقي، والمؤمن

(١) النساء : ١٣٦ .

الظَّاهِرِيُّ العاصِي يرفع يده بالدَّعاء، هو يعصي الله ويدعو ويطلب من الله تعالى، ولا يتناسب أن يعصي الله تعالى وفي نفس الوقت يطلب من الله عزَّ وجلَّ، وعلى الإنسان أن يكون مؤمنًا صافيًا بحيث يدعو الله فيستجيب له الله تعالى، فمن ناحية الله تعالى لا توجد أيّ مشكلة، فهو جواد كريم مجيب الدَّعوات، ولكنَّ المشكلة هي من ناحية الإنسان، والله تعالى يستجيب كلَّ دعاء .

يقول القرآن الكريم :

" وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ . . ." (١) .

وعلى الإنسان أن يوفّر شروط استجابة الدَّعاء، فالذي يدعو ما هي حقيقته وواقعه ؟
وتطلب من أخيك المؤمن أن يدعو لك، وأنت ترجو أن يكون له مكانة عند الله تعالى .

عن الإمام الصادق عليه السَّلام : " إنَّ دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب مستجاب، ويدرّ الرزق، ويدفع المكروه" (٢) .
والله تعالى إكرامًا للمؤمن يستجيب الدَّعاء لأخيه المؤمن .

إذن :

الابتلاءات والمحن والمشاكل ضروريّة في عصر الغيبة الكبرى؛ لكي يكون المؤمن علاقة مع إمام زمانه عليه السَّلام، ويتمّ تحييص النَّاس

(١) غافر : ٦٠ .

(٢) بحار الأنوار ج ٩٠ ص ٣٨٣ ح ١ .

ليتميّز من يؤمن بالإمام عليه السّلام ممّن لا يؤمن بواسطة الامتحان الإلهيّ بطول غيبته عليه السّلام، واليأس يكون من ضعاف النفوس، وهم الأغلب من البشر في كلّ جيل، وجميع الأطروحات يجزّها النّاس قبل الظّهور، وكلّها تبوء بالفشل .

وحينما يرى النّاس أنّ الإمام عليه السّلام ينشر العدل في العالم فلا أحد يدّعي أنّ بإمكانه أن يحكم بالعدل كما يحكم الإمام عليه السّلام، فقبل ظهور الإمام عليه السّلام أعطى الله تعالى الفرصة لجميع النّاس ولجميع الأطروحات والنظريّات لأن يحكموا، ولكن لا أحد استطاع أن يطبّق العدل في العالم .

عن الإمام الباقر عليه السّلام : "دولتنا آخر الدّول، ولن يبقى أهل بيت لهم دولة إلا مُلِّكوا قبلنا؛ لئلا يقولوا إذا رأوا سيرتنا : إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء، . . . " (١) .

جميع الأشخاص الذين يمكنهم أن يحكموا قبل الظّهور يعطيهم الله تعالى الفرصة للحكم، فاحكموا ولنرى أنّكم تنشرون العدل أو لا، وجميع الأطروحات ستطرح آراءها ونظريّاتها، وحينما يظهر الإمام عليه السّلام لا توجد أطروحات ونظريّات أخرى قابلة لأن تحكم، فجميع الأطروحات قد تمّت تجربتها من البشر .

إذن :

الاستفادة الثّانية من الظلم هي أنّ جميع الأطروحات تطرح نظريّاتها

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٣٢ ح ٥٨ .

قبل الظهور، وتتم تجربتها من الناس، ويكتشفون أنّها نظريّات فاشلة لا تصلح لأن تحكم البشريّة، فينتظرون المصلح العالميّ الذي ينشر العدل في العالم .

الاستفادة الثالثة :

اليأس العالميّ يؤدّي إلى طلب الناس للمصلح العالميّ الذي سينشر العدل في العالم، فتترتب على هذا اليأس الحاجة العالميّة للحلّ الجديد، والعدل الذي يكفل راحة البشريّة وحلّ مشاكلها، وينتظر الفرج المؤمنون وغير المؤمنين من مختلف الأديان حتّى الملحدّين الذين لا يؤمنون بإله ولا بدين حيث يقع عليهم الظلم، فجميع أفراد البشر بانتظار المصلح العالميّ الذي بيده إصلاح جميع الأوضاع وحلّ كلّ المشاكل ونشر العدل في العالم بعد يأسهم من جميع الأطروحات البشريّة الوضعيّة، إلّا القلّة الذين تكون بأيديهم خيارات العالم حيث سيواجهون الإمام عليه السّلام، وهذا كلّه ضمن التّخطيط الإلهيّ الذي ينتج في النّهاية انتظار جميع الناس للحلّ الجديد، وحينما يظهر الإمام عليه السّلام وي طرح النّظريّة الإلهيّة في نشر العدل في العالم فالتّناس سيتبعونه بكلّ سهولة؛ لأنّهم يؤسوا من جميع الأطروحات، ولو ظهر الآن شخص وقال إنّهُ يملك الحلول لمشاكل البشر فإنّ الناس سيلتقون حوله، ولكن بعد التّطبيق لن يجدوا عنده شيئاً، ولكنّ الإمام عليه السّلام يطرح النّظريّة ويطبّقها، ومن يكون عنده اعتراض فبعد أن يرى تطبيق الإمام عليه السّلام للأطروحة ويرى نتائجها فإنّه يسلم

للإمام عليه السّلام، ويوجد انتظار عالمي للفرج بعد اليأس العالمي، ونرى أنّ الظّالمين يساهمون في تهيئة البشريّة لانتظار الفرج وظهور المصلح العالمي .

الاستفادة الرّابعة :

البشريّة ستدرك مميّزات العدل الإسلامي والعمل الإسلامي، وقادة العمل الإسلامي سينفرون إلى قسمين : القياديّ الذي يصبح حاكمًا، ويجرّ القرص إلى نفسه وأتباعه وجماعته، والقياديّ الذي يعمل لله تعالى ولمصلحة النّاس، ويرى النّاس إخلاص هذه القيادات وزهدهم وشموليّة أطروحاتهم، ويرون صور البيوت التي يسكنها علماء مدرسة أهل البيت عليهم السّلام، ويعرفون أنّهم يسكنون بالإيجار أو أنّ أحدًا قدّم لهم هذا السّكن بالمجان، وهي بيوت متواضعة جدًّا، ويدخلون بيوت بعض من يدّعي أنّه قائد إسلاميّ أو عالم دين ويرون البذخ، ويرون أنّهم يسكنون القصور الفارهة، وادخلوا إلى البيوتوب وسترون بيوت بعض من يدّعون أنّهم من علماء المسلمين وقياداتهم، وسيميّز النّاس بين القيادة الحقّة والقيادة الباطلة، ويعرفون إخلاص القادة الحقيقيّين، وأنّهم لا يطلبون شيئًا مع وجود الأموال الكثيرة بأيديهم، فمراجع الدّين بأيديهم الحقوق الماليّة التي تشكّل ميزانيّات دول، ولكنّهم لا يأخذون منها شيئًا لأنفسهم، بل يصرفونها على المستحقّين من المسلمين أو في بناء المشاريع التي تخدم المسلمين، ويرى النّاس زهد علماء مدرسة أهل البيت عليهم السّلام، فيعرفون أنّ الحلال

العالميّ يكمن في الإسلام بمنظور مدرسة أهل البيت عليهم السّلام، والذي يطرح الحلول لجميع مشاكل البشريّة، وعلماء الدّين من مدرسة أهل البيت عليهم السّلام يبيّنون حلول المشاكل ضمن النّظريّات الإسلاميّة من خلال خطبهم وكتاباتهم ومؤلّفاتهم ونقاشاتهم في مختلف المجالات، خاصّةً ونحن في زمن الفضائيّات والإنترنت، والعقلاء من النّاس حينما يقرؤون هذه التّناجات بدقّة يرون أنّه توجد نظريّة وأطروحة لم تطبّق لحدّ الآن، ويتّضح هذا للبشريّة حينما يدقّقون في نظريّات علماء الدّين من خلال البحث العلميّ، ويقارنون هذه النّظريّات بالنّظريّات الوضعيّة، فيصلون إلى أنّ النّظريّات الإلهيّة في الدّين الإسلاميّ هي أفضل حلّ لمشاكل البشريّة، والآن أيّ مشكلة تقع في العالم يتصدّى أحد علماء الدّين أو بعض العلماء لطرح الحلّ سواء كانت مشكلة سياسيّة أم اقتصاديّة أم اجتماعيّة أم أيّ نوع آخر من المشاكل، فبعض العلماء يتصدّون لموضوع، وبعضهم يتصدّون لموضوع آخر، والبعض يتصدّون لموضوع ثالث، فبعضهم يتصدّون للرّد على الإشكالات العقائديّة، وبعضهم يجيبون عن المسائل الأخلاقيّة، وبعضهم يجيبون عن المسائل الفقهيّة العمليّة، وخاصّةً المستحدثة منها، وهكذا يتوزّع العلماء لحلّ جميع المشاكل التي تصادف البشريّة، فتتنوع أدوار علماء الدّين، وهدفهم واحد وهو خدمة الإسلام .

والبعض يعترض :

لماذا لا يتدخّل جميع علماء الدّين بالسياسة ؟

الجواب :

ليس المطلوب من جميع العلماء التّدخّل بالسياسة، نعم البعض يتصدّى للقضايا السياسيّة، ولو تصدّى جميعهم فهذا يؤدّي إلى عدم وجود أساتذة في الحوزات، فيكون همّهم متابعة الأحداث السياسيّة، فبعض العلماء يتصدّون للسياسة، وبعضهم يتدخّلون في القضايا الاجتماعيّة، وبعضهم يتصدّون للتّدريس، وبعضهم ينشغلون بالكتابة والتّأليف، والبعض يتصدّون للمنبر والخطابة، فيوجد تنوّع في أدوار العلماء في المجتمع .

وإذا وقع حدث سياسيّ معيّن يقول البعض : أين العلماء ؟ لماذا لا يصدرن بياناً ؟

الجواب :

ليس المطلوب من العلماء إصدار بيانات في جميع القضايا السياسيّة، ولا المطلوب تدخّلهم جميعاً في الأمور السياسيّة، والسياسة عبارة عن علم مستقلّ، وليس المطلوب من جميع التّاس أن يكونوا علماء في السياسة، نعم يوجد مؤمنون سياسيّون يتابعون الأحداث السياسيّة داخل وخارج البلد، ويبيّنون آراءهم فيها، وبعض علماء الدّين يتخصّصون في هذا الجانب، وي طرحون آراءهم في الأحداث السياسيّة، والعلماء لا يتّجهون في اتجاه واحد وجانب واحد، فإذا انشغل جميع العلماء في جانب واحد فمن يتصدّى في الجوانب الأخرى !؟

ويعمل علماء الدين في جميع المجالات، ففي كلِّ مجال تجد عالماً أو أكثر يتصدّون، ويبيّنون آراءهم في هذا المجال، فكلّ عالم يأخذ مجالاً معيّناً ويخدم فيه .

مثلاً عالم يتصدّى للمشاكل الاجتماعيّة بين النّاس، فيكوّن لجنةً لحلّ مشاكل المتزوّجين، ويقوم بدوره في هذا المجال، وليس المطلوب من العالم الآخر أن يقوم بنفس الدور، فحلّ المشاكل بين النّاس يحتاج إلى فنّيّة، والعالم الآخر لا يملك هذه الفنّيّة، وعالم لا يتابع القضايا السّياسيّة؛ لأنّه منشغل بمتابعة قضايا أخرى، ولا يصحّ أن تطلب منه أن يتدخّل في السّياسة، والسّياسة علم يحتاج إلى تخصّص، والعلماء عندهم اختلاف أدوار وتنوّع في التّخصّصات، وتنوّع الأدوار ينفع الدّين، فكما تحتاج إلى متخصّص في الفقه العمليّ تحتاج أيضاً إلى متخصّص في القضايا العقائديّة، وإلى متخصّص في علم الأخلاق، ومتخصّص في التّاريخ، ومتخصّص في الاقتصاد، ومتخصّص في الجانب السّياسيّ، فتجد كتاب "اقتصادنا" و"فلسفتنا" للسّيّد الشّهيد محمد باقر الصّدر رضوان الله عليه، وتجد كتاب "بداية الحكمة" و"نهاية الحكمة" للعلامة السّيّد محمّد حسين الطّباطبائيّ رضوان الله عليه، وليس المطلوب من جميع العلماء أن يصبحوا فلاسفةً، وتجد كتباً للشّيخ الشّهيد مرتضى المطهريّ رضوان الله عليه، فكما أنّه توجد تخصّصات مختلفة في العلوم الدّنيويّة كذلك توجد تخصّصات مختلفة في العلوم الدّينيّة، وليس المطلوب من جميع النّاس أن يكونوا أطباءً،

فيوجد توزيع في المهام حتى في الطبّ، تجد طبيياً متخصصاً في العيون، وطبيياً آخر متخصصاً في الأنف والأذن والحنجرة، وطبيياً ثالثاً يتخصّص في علاج أمراض القلب .

وحياة الإنسان لا تتسع لدراسة جميع العلوم حتى العلوم الدنيّة، فإذا تخصّص عالم في العقائد ففي جميع أوقاته يكون مشغولاً في البحث في المسائل العقائديّة والآيات الكرّيمة والروايات الشريفة التي تتناول العقائد، وهذا يحتاج إلى جهد وتفريغ؛ لكي يصبح متخصصاً في العقائد، وبمجرد ما يحتاج الناس إلى قضيّة عقائديّة فإنهم يرجعون إلى هذا العالم، وكذلك في الفقه العمليّ يوجد متخصصون، نعم المطلوب من العالم أن يكون عنده شموليّة في جميع العلوم، ولكنّ العمر لا يتسع لذلك، فيتخصّص في جانب واحد، ويكون عنده اطلاع عامّ في الجوانب الأخرى .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

" . . . فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ" (١) .

المطلوب هو التّفقه في الدّين، ولكنّ العمر لا يتسع لجميع مجالات التّفقه، لذلك يختار كلّ عالم جانباً معيّناً يتخصّص فيه، فيوجد متخصصون في الأحكام الفقهية العمليّة، وهم المراجع حفظهم الله تعالى، ويوجد في الحوزات العلميّة علماء متخصصون في علم العقائد،

(١) التّوبة : ١٢٢ .

وعلماء متخصصون في علم الأخلاق، وعلماء متخصصون في تفسير القرآن الكريم، وكلّ عالم ينتج في تخصصه، ولا يتدخل في الأمور الدقيقة في التخصصات الأخرى وإن كان عنده اطلاع عامّ على مسائل التخصصات الأخرى، كما هو الحال في العلوم الدنيويّة، والتخصّص مطلوب من علماء العلوم الدنيويّة أو العلوم الدنيويّة حيث إنّ العمر لا يتّسع لدراسة جميع التخصصات .

والبعض يقول بأنّ بعض العلماء كالشيخ المفيد رضوان الله عليه كتبوا في جميع العلوم الدنيويّة .

فنقول بأنّ العلم في ذلك الوقت لم يكن بالاتّساع الموجود في زماننا الحالي، فسابقاً كان العالم لأجل أن يصبح مجتهداً مستنبطاً للأحكام الفقهية العملية يدرس كتاباً صغيراً في أصول الفقه مثل كتاب "معالم الدّين" للشيخ حسن ابن الشهيد الثّاني رضوان الله عليهما، ويقع في ٤٥٠ صفحة تقريباً، والآن على العالم أن يدرس مجلّدات كثيرة في الفقه وأصوله وقواعده؛ لأجل أن يصبح مجتهداً، فيدرس المقدمات والسّطوح في عشر سنوات ثمّ يدرس في بحث الخارج على الأقلّ خمس عشرة سنة؛ لأجل أن يصبح مجتهداً قادراً على استنباط الأحكام الفقهية العملية، وهذه المدّة الطويلة يحتاجها في الفقه العمليّ فقط، وإذا أردت منه أن يتخصّص في المسائل العقائديّة فكم من الزّمان يحتاج؟! .

وفي عصر الشيخ المفيد رضوان الله عليه كانت المسائل الدنيويّة قليلة،

ولم تكن باتّساع المسائل في زماننا، والمسائل الآن كثيرة، ولا يمكن للعالم أن يحيط بجميع الجوانب، نعم عنده أسس ومبادئ العقائد، ولكنه ليس متخصصاً فيها، فتخصّصه هو الأحكام الفقهيّة العمليّة، فإذا كان عند المكلف مسألة عمليّة فإنّه يرأسل مرجعه في التقليد، ولا يرسل سؤاله لعالم متخصص في العقائد، وأمّا إذا كانت عنده مسألة عقائديّة فإنّه يسأل العالم المتخصّص في هذا المجال، ونحن العوامّ نظنّ بأنّ كلّ عالم متخصص في جميع الجوانب، وإذا لم يحصل على الجواب من عالم معيّن فيقول إنّ هذا العالم لا يعرف الأحكام الدنيّة .

إنّ التّنوع في التّخصّصات مطلوب من علماء الدّين، وكلّ عالم يتكلّم ويحاضر ويكتب في مجال تخصّصه، وتنتشر المحاضرات في الفضائيات، والكتب في المواقع، ويراها الناس في العالم، والمطلوب أيضاً ترجمة المحاضرات والكتب؛ لأجل أن يطّلع عليها النّاس الذين يتكلّمون باللّغات الأخرى الرّئيسيّة وغير الرّئيسيّة، وبذلك ينتشر العلم في العالم، ونحتاج إلى مؤسّسات تترجم المحاضرات والكتب، ولا بدّ من أن ينتبه المؤمنون إلى أهميّة مثل هذه المؤسّسات، وعليهم أن يقوموا بدعمها مادّيّاً ومعنويّاً؛ لأنّ الإسلام دين عالمي، ولا بدّ من أن يطّلع عليه النّاس في جميع أرجاء العالم بلغاتهم، وبذلك يعرفون الدّين، وتقام الحجّة عليهم، فنحتاج إلى مؤسّسات لترجمة المحاضرات والكتب .

إذن :

الاستفادة الرّابعة هي أنّ العالم سيعرف هؤلاء العلماء الذين يطرحون

الفكر ويحلّون مشاكل البشريّة بواسطة النّظريّات الدّينيّة، والنّاس سيرون القادة الحقيقيّين للمسلمين، ويعرفون القادة المزيّفين، وبالتالي يتّجهون إلى القادة الحقيقيّين ويتركون القادة المزيّفين، والقادة الحقيقيّون يعبّرون عن الإمام الغائب عليه السّلام، ويدركون أنّ هؤلاء هم صور مصغّرة عن الإمام عليه السّلام، والبشريّة ترجو حكم هذه القيادات التي تعبّر عن الإمام عليه السّلام، وبالتالي ينتظرون القائد الغائب الذي علّم هؤلاء القادة، فيكونون ممهّدين للبشريّة؛ لكي ينتظروا القائد والمصلح العالميّ بعد أن ينتشر اليأس العالميّ من جميع الأطروحات، والتّخطيط الإلهيّ بطول الغيبة يؤدّي إلى انتظار النّاس للمصلح العالميّ، والمؤمنون ينتظرون إمامهم عليه السّلام؛ لأجل أن يساهموا في ظهوره عن طريق تمسّكهم بالدين، وأن يكونوا متديّنين صالحين ينشرون أفكار الدّين بين النّاس، ويعدّون أنفسهم ليكونوا من أنصار الإمام عليه السّلام، ويساعدون الإمام عليه السّلام في حركته في نشر العدل في العالم .

والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين .

أسئلة وتعليقات الحاضرين :

الأستاذ محمّد عبّاس :

تتفق معك بأنّ كلّ عالم يقوم بدور معيّن؛ لأجل أن يساهم في خدمة الدّين، ونرى أنّ العالم إنسان رساليّ وقدوة، وتوجد قضايا

سياسية العلماء غير مهتمين بها، فهل يعقل أنه إذا كان مهتمًا بالفقه والعقائد أو التدريس في الحوزة أن لا يسجل موقفًا في هذا الجانب؟ فيقول: أنا مهتم بالحوزة، ولا شغل لي بهذا الجانب.

فهل يعقل أن لا يكون له موقف أو أن العالم لا بد من أن يكون ملئًا بالأمور العريضة على الأقل؟

جواب الشيخ محمد أشكناني:

العالم حينما يقوم بدور سياسي هل لا بد من أن يرفع الراية ويقول بأنه متصد لهذا الأمر أو أن تحركه يكون بشكل مخفي بحيث حتى أقرب الناس إليه لا يدري بذلك؟

نضع قوسين لقولك: (العلماء غير مهتمين بها)، نقول بأن العالم ليس بالضرورة أن يعلن عن عمله السياسي؛ لأن بعض الظروف السياسية تجبره على عدم الإعلان عن عمله أو مواقفه، كما هو حال الأئمة عليهم السلام حيث كانوا يعملون بالخفاء، وبناءً على كلامكم يمكن القول بأن الأئمة عليهم السلام لم يكونوا مهتمين ببعض القضايا، فالإمام الكاظم عليه السلام وهو في السجن كان مهتمًا بأمور المسلمين، والإمامان الهادي والعسكري عليهما السلام لم يكونا يخرجان ويختلطان بالناس، فكانا تحت الحراسة الشديدة، ولكن مع ذلك كان يساهمان في حل مشاكل الناس عن طريق الوسطاء.

مثلًا أحد أصحاب الإمام عليه السلام رأى بائعًا فبدل ملبسه مع ملابس البائع واشترى منه البضاعة، وعلى أساس أنه بائع استطاع أن

يدخل إلى بيت الإمام عليه السّلام .

ومثل هذا الإشكال يمكن أن يطرح حتّى على الأئمّة عليهم السّلام، وهم عليهم السّلام يهتمّون، ولكن كيفيّة تحرّكهم تكون بطريقة حكيمة بحيث إنّه لا يمكن التّصريح ببعض التّحرّكات .

مثلاً عالم لا يضع إعلاناً بأنّه يجمع التبرّعات لعمل معيّن، وإذا وضع إعلاناً يقع الضّرر عليه، وأحياناً تُنشرُ البيانات بتوقيع بعض العلماء في بعض الأحداث السّياسيّة، والعالم يهتمّ بالأحداث، ولكن ليس بالضرورة أن يعلن عن عمله ومواقفه، والاهتمام القلبيّ موجود عند جميع العلماء، ولكن هو يرى إلى أيّ حدّ يمكنه أن يساهم في حلّ المشكلة، وأحياناً يطرح المشكلة في خطبة ويعلن موقفه، وأحياناً يسعى في حلّ المشكلة مع السّلطات العليا، ولكن لا ينشر صورته في الجريدة، فيوجد تحرّك بحسب الظّروف الموضوعيّة المحيطة بالعالم، وكلّ عالم يتحرّك بتحرّك مناسب، وليس بالضرورة أن يعلن جميع العلماء أعمالهم وما يقومون به، والهدف هو المساهمة في حلّ المشكلة بدون إعلان، ولا يبحث عن الشّهرة بأن يظهر نفسه بأنّه ساهم في حلّ المشكلة، وجميع العلماء يهتمّون، وبعض العلماء يكونون متصدّين فمباشرة يعلن موقفه ويصرّح فيكتب ويتكلّم، وباقي العلماء يساهمون بشكل غير مباشر في حلّ المشاكل بدون إعلان وإظهار نفسه .

الأستاذ محمّد عبّاس :

الشّخص الذي يهتمّ بتدريس مجموعة من الشّباب إذا تصدّى لهذا

الجانب فكأنه دخل في جانب آخر، ما هو رأيك ؟

جواب الشيخ محمد أشكناني :

المطلوب من بعض العلماء أن يعلّموا العقائد للنّاس، والمطلوب من بعض العلماء أن يدرّسوا النّاس الرّسالة العمليّة، وكلّ عالم يقوم بدوره، فلماذا نجعل الدّور في اتجاه واحد ؟

فالعالم يساهم في حلّ المشاكل ولو بطريق غير مباشر عن طريق التّدريس .

مثلاً إذا أنشأت لجنةً لتدريس القرآن الكريم فأنت تقوم بدور مهمّ .
وشخص يقول لك : أنت مهتمّ فقط بالقرآن الكريم، فلماذا لا تهتمّ بجوانب أخرى ؟

أنت ترى أنّك تخدم الدّين عن هذا الطريق، وليس المطلوب منك أن تدرّس العقائد؛ لأنّك متخصصّ بتجويد القرآن وغير متخصصّ بالعقائد، وتتحرك في البلد وتدرّس القرآن لمجموعة في هذه المنطقة ومجموعة أخرى في منطقة أخرى .

ولا نقول لمدّرس القرآن بأنّه غير مهتمّ بالجوانب الأخرى، فهو مهتمّ بالجوانب الأخرى، ولكنّه يحلّ المشاكل بطريق آخر، هو غير متصدّي للجوانب الأخرى بشكل مباشر، والمتصدّي المباشر يحتاج إلى قارئ القرآن؛ لأنّه يتعلم هو وأتباعه قراءة القرآن، فالمتصدّي السياسي لا بدّ من أن يتقن قراءة القرآن، ومن لا يتقن قراءة القرآن لا يكون مؤهّلاً للتصدّي في القضايا السياسيّة، ويتعلّم القرآن من قارئ القرآن، فقارئ

القرآن متصدّي للقضايا السياسيّة بطريق غير مباشر، وكلّ فرد من المؤمنين يساهم في حلّ المشاكل بدرجة، شخص يشارك بنسبة ١٠%، وشخص آخر بنسبة ٢٠%، والشخص المتصدّي بنسبة ٩٠%، فجميع المؤمنين تنوّع أدوار ووحدة هدف أيضاً، وكلّ مؤمن يقوم بدوره ووظيفته وتكليفه، ويساهم في حلّ المشاكل بنسبة معيّنة، والمطلوب من جميع المؤمنين التّحرّك، وتختلف نسبة التّحرّك والمشاركة، وإذا وُجدَ شخص معتزل وتارك لجميع الأعمال ويقول بأنّه لا شأن له بأيّ شيء ولا يهتمّ - فهذا يمكن أن نعاتبه، وأمّا إذا تحرّك المؤمنون ولو بنسبة قليلة فهذا قد أتى بتكليفه، وقد يكون عنده الاهتمام، ولكنّه عاجز عن المشاركة، فهذا أتى بتكليفه وهو الاهتمام .

سؤال : من الذي يشخص التّحرّك المناسب ؟ هل هو يشخص أو أنّ الآخرين يشخصون له ؟

الجواب :

هو يشخص التّحرّك المناسب إذا كان عنده علم واطّلاع، وإذا لم يعرف التّشخيص يرجع إلى العلماء؛ لأجل أن يعرف تكليفه .

سؤال : بالنسبة للعالم من يشخص تكليفه والتّحرّك المناسب له ؟ هل هو يشخص تكليفه أو التّاس ؟

الجواب :

العالم يشخص لنفسه التّحرّك المناسب لا أنّ التّاس يفرضون عليه التّحرّك في أمر معيّن، فكما أنّ الفرد العاديّ يشخص تحرّكه على

حسب إمكاناته، كذلك العالم يشخص التّحرّك المناسب بناءً على علمه وإطلاعه على الأوضاع، والآن بعض النّاس يريدون من المرجع أن يقوم بتحرك معيّن مع أنّ المرجع يحدّد تكليفه وتكليف النّاس، والنّاس يحتاجون المرجع والعلماء في معرفة تكليفهم وتشخيصهم، وليس الأمر بالعكس، وحتىّ إذا طلب النّاس من المرجع تحركًا معيّنًا فليس بالضرورة أن يستجيب المرجع لمطلبهم، نعم العالم يطّلع على آراء النّاس، ولكنه يقيّم هذه الآراء، قد يقبل بعض الآراء وقد يرفضها جميعًا، والعالم باعتبار اطلاعه على قضايا الدّين أكثر فمن الممكن أنّ ما يطلبه النّاس لا يكون هو التّحرّك المناسب، وآراء النّاس قد تضرّ في بعض القضايا، فيقع الضّرر عليهم أو على بعضهم، والعالم يبيّن رأيه بأنّ التّحرّك المناسب ليس ما يطلبه النّاس، بل المناسب هو تحرك آخر، وتكون النتيجة أفضل .

والعلماء هم محاور الأُمّة، وعلى النّاس أن يرجعوا إلى العلماء لا أن يفرضوا الآراء على العلماء، وكلّ عالم يرى تحركًا معيّنًا هو التّحرّك المناسب له وللنّاس، ويشخص تكليفه وتكليف النّاس .

المهندس فوزي الصّراف :

القضيّة السّياسيّة قضيّة جدليّة لم تُحسم، ويقولون بأن لا نضعها على العلماء فقط، بل الكلّ لا بدّ من أن يشارك فيها، والموضوع السّياسيّ لا يصحّ أن نرميه على أيّ شخص، فالسّياسة لها فقه، والأطروحات الغربيّة كانت ردة فعل الحوزة عليها من الخمسينيّات

إيجابية جداً، من أئام السيّد محسن الحكيم والسيّد الشهيد محمد باقر الصدر رضوان الله عليهما، والسيّد الشهيد كان عنده ورقة سنة ١٩٦٦ م في ندوة في النجف قدّمها عن كيفية تقديم الفقه في المجتمع، الفقه السياسي والفقه الاجتماعي .

وكانوا يبحثون في كتب الروايات عن أيّ رواية تدعم النظريّة الإسلاميّة، وكانوا يطرحونها في مقابل المدّ الغربيّ القوميّ، والشّيعيّة اكتسحت العراق ولبنان والكويت، وفي السبعينيّات لم تكن النّساء يلبسن الحجاب، بل كانت الملابس القصيرة، وجاء التّدنّ في أواخر السبعينيّات .

وردّة الفعل ومواجهة التّفافة الغربيّة كانت من علماء النّجف، لا فقط مواجهة الفكر، بل واجهوها بالتّأصيل بطرح الأصالة والمعاصرة، وعمل عليها السيّد الشهيد الصدر رضوان الله عليه، والسيّد الشهيد له كتب منها "المدرسة الإسلاميّة" و"الإسلام يقود الحياة"، وتناول كيف نجسّد القرآن وروايات أهل البيت عليهم السّلام في المسيرة الاجتماعيّة والسياسيّة .

وفي رواية في نهج البلاغة عندما سبّ شخص أمير المؤمنين عليه السّلام وأراد أصحابه أن يضربوه، فقال عليه السّلام : "سبّ بسبّ أو عفو عن ذنب" .

ونحن رفعنا الرّاية، وقلنا : انظروا إلى الإسلام كيف يدافع عن حقوق الإنسان .

والتعامل مع الطرف المقابل له فقه، وأرجو من الناس أن يقرؤوا
ويناقشوا العلماء، والناس مسؤولون أيضًا لا العلماء فقط، فعلى الناس
أن يقرؤوا ويسألوا .

ويوجد كتاب بعنوان "العلمانية" للشيخ محمد مهدي شمس الدين
رضوان الله عليه، وأرجو من الشباب أن يقرؤوه، وطرح فيه كيف نفهم
الغربي؛ لأجل أن نواجهه .

وعلينا أن لا نجعل القضايا جدلية، ونحن دخلنا في الجدل بدون
الرجوع إلى أهل الاختصاص .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد
 وآله الطيبين الطاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٤١)

أنواع الظلم - تمييز الحق من الباطل^(١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

إنّ المؤمن في عصر الغيبة الكبرى للإمام المهديّ عليه السّلام يعيش في هذا العصر وعليه مجموعة من التكاليف، وتوجد عليه تكاليف عامّة وتكاليف خاصّة، والتكاليف العامّة هي كلّ ما يقوم به المؤمن في كلّ زمان ومكان .

مثلاً المؤمن يصليّ سواء كان في عصر الغيبة الكبرى أم في أيّ عصر آخر، فيصليّ ويصوم ويحجّ وإلى آخر الأعمال العامّة المطلوبة منه .

وتوجد عليه مجموعة من التكاليف الخاصّة؛ بسبب أنّه يعيش في

(١) أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في مسجد الصّديقة فاطمة الزّهراء عليها السّلام في دولة الكويت منطقة عبدالله المبارك، الجمعة ٣ ذو الحجّة ١٤٣٣ هـ ، ٢٠١٢/١٠/١٩ م .

عصر الغيبة الكبرى، ويجب أن نعرف هذه التكاليف الخاصة، وكلّ إنسان مؤمن لا بدّ من أن يسعى لمعرفة هذه التكاليف؛ حتّى يمكنه أن يصل إلى مرتبة أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام، وبدون معرفة هذه التكاليف هو مؤمن، ولكنّه لا يصل إلى تلك المرتبة العالية؛ لأنّ أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام صفاتهم كصفات أنصار الإمام الحسين عليه السّلام، فإذا درسنا صفات أنصار الإمام الحسين عليه السّلام فنفس هذه الصفات لا بدّ من أن تتوفر في أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام، لذلك فهذه التكاليف الخاصّة لا بدّ من معرفتها حتّى يمكننا بلوغ تلك المرتبة العالية بأن نصبح من الأنصار .

وفي هذا اليوم أ طرح نقطة واحدة من مجموعة التكاليف، ونبدأ بالسؤال التالي :

هل يوجد ظلم في العالم أو لا ؟

الجواب :

يأتي الجواب بالبديهية نعم يوجد ظلم .

والظلم على أنواع، منها : الظلم الشّخصيّ، والظلم العقائديّ، والظلم الإعلاميّ .

نأتي إلى الأنواع الثلاثة من الظلم :

النوع الأوّل : الظلم الشّخصيّ :

في الظلم الشّخصيّ تقع مشكلة بين شخصين، وقد يكونان من نفس الدّين أو من نفس المذهب، أو مشاكل بين الزوجين، ويذهبان

إلى المحكمة، فأحدهما يكون ظالماً والآخر مظلوماً أو كلاهما يكونان ظالمين، وهذا الظلم شخصي، فتوجد قضايا شخصية، والمؤمن قد يقع في مشكلة مع أخيه المؤمن، وتكون المشكلة شخصية، ولا تكون منطلقة من الدين ولا من العقائد .

النوع الثاني : الظلم العقائدي :

شخص يعيش في مجتمع وأكثر الناس في هذا المجتمع لهم عقائد معينة، وهذا الشخص يكون من ضمن الأقلية، ولا يفرق الحال بين أن يكون هذا الشخص مسلماً أو مسيحياً أو يهودياً أو بوذياً، المهم أنه يكون ضمن القلة، وهنا الكثرة تقوم بظلم القلة، أو بالعكس القلة يكونون الحاكمين ويظلمون الأكثرية التي تخالفهم في العقائد، وهذا نوع من أنواع الظلم، وهذا الظلم أشد من الظلم الشخصي؛ لأنه بالنسبة للعقيدة الإنسان حرّ في اعتقاداته، فكما أنّ الطرف الآخر حرّ في اعتقاداته، كذلك هذا الطرف حرّ في اعتقاداته، ولنفرض أنّ ذلك الشخص يعتقد أنّ خالق الكون بقرة أو أنه يقدّس البقرة، فهذا شأنه، أو أنّه يعبد القردة أو يقدّسها، وهذا شأنه، ولا يمكن أن تجبره على عبادة شيء آخر، نعم يوجد مجال للنقاش والحوار، ولكن الحوار الهادئ لأجل الوصول إلى الحق، فالذي يعبد البقرة يمكن أن يجلس معه وتناقشه في أفكاره، فتطرح الأدلة التي تعتقد أنّها تدلّ على وجود الله تعالى، وهو يطرح الأدلة التي على أساسها يعتقد أنّ خالق الكون عبارة عن بقرة مثلاً، والحرية العقائدية مكفولة للجميع، ويحتاج الجميع

إلى الحوار الموضوعي الهادئ بدون تحريف للأدلة بحيث يناقشه في الأدلة التي يطرحها لا أن يدّس عليه أدلة ويناقش الأدلة المدّسة .

والآن يطرحون الحوار بين الأديان والحوار بين الحضارات، وهذا مطلوب؛ لأنّ أفراد البشريّة لا بدّ من أن يناقشوا الأفكار حتّى يمكنهم أن يصلوا إلى الحقّ، أنت تعتقد أنّك على حقّ، والطرف الآخر يعتقد أنّه على حقّ، ويكون المجال مفتوحًا بين الطرفين للحوار والنقاش، ولكنّ النقاش الموضوعي لا النقاش الجدليّ، فيناقشان الأدلة بدون افتراءات وتحريفات، وهذا الحوار مطلوب بين الأديان، ومطلوب أيضًا بين المذاهب والمدارس في الدّين الواحد، بحيث يكون هناك مجال لأن يطرح أتباع كلّ دين وكلّ مذهب وكلّ مدرسة ما عندهم من أفكار بكلّ حرّيّة، والطرف الآخر يناقشه أيضًا بكلّ حرّيّة، ولكن ضمن الحوار الموضوعي والنقاش الهادئ .

وتلاحظون أنّ بعض القنوات الفضائيّة تأتي إلى مدرسة أهل البيت عليهم السّلام، ولكن تفتري عليها، والإنسان المسلم لا يجوز له أن يفتري على أخيه المسلم من الطرفين سواء كان سنّيًّا أم شيعيًّا أم زيديًّا أم إسماعيليًّا أم من أيّ مذهب ومدرسة أخرى، نعم الحوار الموضوعي مكفول للجميع، وضمن النقاش الهادئ يطرح آراءه، ويمكنه أن يصل إلى بعض الحقائق، ولكن إذا وُجدَ الافتراء والتّحريف والتّدليس فلا ينتج النقاش شيئا، والمسلم لا يكون كذابًا، ولا يكون مفترّيًا، وأنصح الشّباب بعدم الدّخول في النقاشات الجدليّة إذا كان

الطرف الآخر يريد أن يجادل فقط، وفي النقاش الجدلي لا يصل الطرفان إلى أي نتيجة ولا إلى أي حقيقة، سواء كان النقاش في الفضائيات أم في غرف البالتوك أم في أي مكان آخر .
إذن :

الظلم العقائدي من أشد أنواع الظلم، وهو يريد من الطرف الآخر أن يعتقد بما يعتقد به عن طريق القوة والإرهاب والإكراه، والإنسان حرّ إذا اقتنع بدين أو بمذهب معين، فهو حرّ فيما يعتقد، وعليه أن يواجهه عن طريق الحوار الموضوعي الهادئ .

النوع الثالث : الظلم الإعلامي :

الظلم الإعلامي يكون في تحريف الحقائق، والأخبار التي تطرح الآن في كثير من الفضائيات أخبار مُحرّفة، وهذا الظلم ظلم عالمي .
عن رسول الله صلى الله عليه وآله : "أبشركم بالمهدي . . . يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما مُلئت جوراً وظلماً، . . ." (١) .

من ضمن أنواع الظلم المنتشر في العالم هو الظلم الإعلامي بحيث إنّ الفضائيات أو من ينقل الأخبار في المواقع المختصة بالأخبار أو التويتر أو غيرها من وسائل التواصل يحرفون الأخبار، والحقيقة تصبح مغطاة بحيث لا يمكن للفرد الوصول إلى معرفة الحقيقة وما يجري في البلدان من أحداث، ويقومون بذلك إمّا بتحريف الحقيقة تمامًا بحيث يصبح الحقّ باطلاً والباطل حقاً وإمّا بتشويه الحقيقة بخلطها بالباطل،

(١) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٧٤ ح ٢٣ .

والظلم الإعلامي واقع ومنتشر في جميع أرجاء العالم؛ لأنّ وكالات الأنباء حينما تصلهم الأخبار لا ينقلونها كما هي بل يجرّفونها أو يشوّهونها، ولا سيّما من الذين يعادون الإسلام، مثل الفيلم المسيء للنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، أو يقومون بتشويه الحقائق الموجودة عند مدرسة أهل البيت عليهم السّلام، وهذا ظلم على المسلمين بشكل عامّ أو على مدرسة أهل البيت عليهم السّلام بشكل خاصّ، والتوجّه الظالم على مدرسة أهل البيت عليهم السّلام توجّه عالميّ .

إذن :

أنواع الظلم ثلاثة : الظلم الشّخصيّ، والظلم العقائديّ، والظلم الإعلامي .

سؤال :

الآن بالنّسبة للمؤمن كيف يمكنه في هذه المعركة العالميّة أن يعرف الحقّ في القضايا العقائديّة في مدرسة أهل البيت عليهم السّلام ؟ وكيف يمكنه أن يعرف الحقيقة في الأخبار المنقولة ؟

الجواب :

المؤمن عنده سلاح، وهو سلاح العلم، ولا يمكن أن يكون المؤمن إنساناً جاهلاً، وهناك حدّ أدنى مطلوب من كلّ مؤمن، وذلك بأن تكون العقائد الصّحيحة واضحة عنده لا أن يحمل أفكاراً إجماليّة فقط، بل لا بدّ من أن تكون عنده أفكار تفصيليّة عن عقائد مدرسة أهل البيت عليهم السّلام .

مثلاً المؤمنون يعتقدون بالتّوحيد، ويمكننا استقراء أجوبة المؤمنين عن السّؤال التّالي : ما معنى التّوحيد ؟
المفروض أنّ كلّ مؤمن يمكنه أن يجيب على هذا السّؤال، ولكن لا أظنّ بأنّ المؤمنين بشكل عامّ يمكنهم الإجابة بشكل تفصيليّ .
قد يقال : إنّ الله واحد .

نسأل : ما هو الدّليل على أنّ الله واحد ؟
أصلاً من البداية من يقول بأنّ لهذا الكون خالقاً ؟
يحتاج من المؤمن أن يعرف الجواب عن هذا السّؤال والأسئلة التّالية : ما هي الأدلّة على النّبوة ؟ وما هي الأدلّة على الإمامة ؟
والمفروض أن يعرف المؤمن الجواب، وإذا عرف ترسّخت العقيدة في قلبه أكثر، وإذا مات الإنسان فالعقائد الرّاسخة تنتقل معه إلى عالم البرزخ، وإذا كانت العقائد متزلزلة فتقف خارج القبر، ولا تنتقل معه إلى عالم البرزخ، لذلك فالعقائد لا بدّ من أن تكون راسخة في قلب المؤمن، فالعقائد هي الأمر الأوّل الذي يحتاجه المؤمن .

والأمر الثّاني الذي يحتاجه المؤمن هو الصّفات القلبيّة الحسنة، وتحدث المشاكل الشّخصيّة بين مُؤْمِنَيْن؛ لأنّ هناك خللاً في الصّفات القلبيّة -أي خللاً أخلاقياً - عند أحدهما أو كليهما، فأيّ مشكلة تحدث بين شخصين فارجع إلى الجذر، وستجد أنّ هناك خللاً عقائديّاً أو خللاً أخلاقياً، حتّى لو كان ظاهره أنّه مؤمن متديّن، ولو كانت العقائد راسخة في قلوب المؤمنين وكانوا يتّصفون بالأخلاق

الحسنة ويعرفون الأحكام الشرعية ويطبّقونها فإنّه لا تحدث بينهم أيّ مشكلة، فالمؤمن يحتاج إلى العلم بالعقائد والعلم بالصفات القلبية والعلم بالأحكام الشرعية الموجودة في الرسالة العملية؛ لكي يمكنه أن يشخّص الحقّ ويعرف الباطل، وبدون العلم لا يمكن للمؤمن أن يعرف الحقّ؛ لأنّ العلم نور، والعلم يعطي الإنسان البصيرة، وبدون البصيرة لا يمكن للمؤمن تمييز الحقّ من الباطل .

وفي الظلم العقائديّ يشوّهون الحقائق العقائديّة، وفي الظلم الإعلاميّ يشوّهون الحقائق الأخباريّة، والمؤمن يحتاج إلى تشخيص الحقّ من الباطل؛ لأنّ دور الفضائيات خلط الحقّ بالباطل وخلط العسل بالسّم، وبالعلم يمكنك أن تفرز الحقيقة من الباطل، ولا يمكن للإنسان أن يتحرّك بلا علم ومعرفة .

عن أمير المؤمنين عليه السّلام : " . . . ، يا كميل، ما من حركةٍ إلّا وأنت محتاج فيها إلى معرفة، . . . " (١) .

في أيّ حركة يريد أن يتحرّكها الإنسان يحتاج إلى علم ومعرفة؛ لكي يهتدي إلى الطّريق الصّحيح، ولا يضلّ عن الطّريق، وهذا أمر مهمّ للمؤمن .

أمير المؤمنين عليه السّلام حينما يتكلّم مع كميل لا يقصد كميلاً بالخصوص، بل يقصد جميع المؤمنين، فكأنّه يقول : يا مؤمن، ما من حركةٍ إلّا وأنت محتاج فيها إلى معرفة .

(١) بحار الأنوار ج ٧٤ ص ٤١٢ ح ٣٨ .

لذلك من الضروري للمؤمن أن يحضر المجالس التي تعطيه علمًا،
نعم نحتاج إلى قصص الأنبياء عليهم السلام والتبّي صلى الله عليه وآله
والأئمة عليهم السلام، والهدف هو أخذ العبرة من حياتهم، ونحتاج إلى
المواسم الثقافية في شهر محرم وشهر رمضان، والغاية هي أخذ العبرة
من المواسم والمنابر، والقصة لوحدها لا تنتج النتيجة المطلوبة بدون أن
نجد القصة في حياتنا، فالإمام الحسين عليه السلام واجه الظلم
فيسمع القصة ويكي، ولكنه قد لا يقتفي أثر الإمام الحسين عليه
السلام، والإمام الحسين عليه السلام يصيح : ألا من ناصر ينصرنا ؟
ألا من مغيث يغيثنا ؟

وطلب النصرة تمتد عبر الزمان والمكان وتصل إلى زماننا، ولا بدّ من
أن ننصر الحقّ ونتصر له .

وكيف يمكن للإنسان أن ينصر الحقّ وهو لا يعرف الحقّ؟!
فلا بدّ من أن يميّز الحقّ من الباطل؛ حتى ينصر الحقّ، ويقف ضدّ
الباطل، ولكن إذا كان الحقّ والباطل عنده مختلطين ولا يميّز بينهما
فماذا ينصر؟! ولأيّ طرف ينتصر!؟

الإمام الحسين عليه السلام يمثّل خطّ الهدى، وفي مقابله المعسكر
الآخر وهو خطّ الباطل، وهذان الخطّان ممتدّان إلى زماننا الحاليّ، وإلى
زمان ظهور الإمام عليه السلام، وفي كلّ زمان يوجد موسى عليه
السلام وفرعون، ويوجد رسول الله صلى الله عليه وآله وأعداؤه،
ويوجد أمير المؤمنين عليه السلام والخطّ المواجه له، ويوجد الإمام

الحسن عليه السّلام والخطّ المقابل له، ويوجد الإمام الحسين عليه السّلام والخطّ المحارب له .

وفي زماننا يجب أن تشخّص خطّ الحقّ وأين هو، وتشخّص خطّ الباطل ومن يمثّله .

وخطّ الحقّ واحد، وخطّ الباطل متعدّد، والباطل المتعدّد لا بدّ من أن تميّزه، وخطوط الباطل الّتي تواجه خطّ الحقّ لا بدّ من أن تشخّصها بدقّة، والمؤمن إذا لم توجد عنده البصيرة في تشخيص الحقّ ومعرفة خطوط الباطل فمن الممكن أن يقع في تأييد الحقّ وتأييد الباطل في نفس الوقت بدون أن يدرك ذلك؛ لأنّه لم يميّز الحقّ من الباطل، ومن يطرح الباطل لا يقول عن نفسه بأنّه باطل، بل يستعمل شعارات إسلاميّة أو شعارات عالميّة مثل الإنسانيّة، وحتّى الغرب الّذي يعادي الإسلام يواجه البعض منهم الإسلام مباشرةً فيحرق القرآن، والبعض لا يأتي لشنّ الحرب على الإسلام مباشرةً، وإتّما يرفع شعارات عالميّة كالحريّة والمساواة بين الرّجل والمرأة، فيعطي شعارات برّاقة حتّى يؤيّدهم المسلمون المخدوعون، والمرأة بعاطفتها تقول بأنّها تريد المساواة بالرّجل، ونقول بأنّ الإسلام لم يظلم المرأة، وإتّما أعطاهم الحقوق من أوّل بعثة الإسلام، فأعطى الرّجل حقوقه، وقدم للمرأة حقوقها، فالمرأة في الإسلام ليست مظلومةً، نعم ممارسات بعض المسلمين ظلمت المرأة، فالمرأة عندها الحريّة بعد أن كانت تُؤادُ وتُدْفَنُ وهي حيّة، والإسلام جاء وكرّمها .

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" (١) .

الأكرم عند الله تعالى هو الأتقى سواء كان ذكراً أم أنثى .

وبعض المسلمين الذين لا يعرفون أحكام الدين يظلمون المرأة، ويظنون بأن المرأة أقلّ مستوى من الرجل، وفي الواقع المرأة ليست أقلّ مستوى، فالمؤمن العامل والمؤمنة العاملة على مستوى واحد، فيحصلان على الثواب المتساوي، وعند الله تعالى لا يوجد فرق بين قيمة المرأة وقيمة الرجل .

"يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لَّيُرَوُا أَعْمَالَهُمْ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ" (٢) .

والآية شاملة للرجل والمرأة، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره سواء كان رجلاً أم امرأة .

"وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا" (٣) .

"مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" (٤) .

(١) الحجرات : ١٣ .

(٢) الزلزلة : ٦-٨ .

(٣) النساء : ١٢٤ .

(٤) النحل : ٩٧ .

نعم توجد أحكام خاصة للمرأة وأحكام خاصة للرجل، والظلم الشخصي الذي يقع من الرجل على المرأة ومن المرأة على الرجل؛ بسبب أهمهما لا يعرفان أحكام الدين، فالرجل في البيت ليس بديكتاتور، نعم له القيمومة، ولكن القيمومة لا بد من أن نعرف حدودها؛ حتى لا يتحوّل الرجل إلى ديكتاتور .

اتّصلت إحدى النساء وقالت بأنّ زوجي قال لي : أنا القيمّ عليك، وأنا أمرك بأن تأكلي هذا الطّعام، وتمتنعي عن الطّعام الآخر .

قيمومة الزّوج لا دخل لها فيما تأكل الزّوجة وما لا تأكل، ودائرة القيمومة غير واضحة للزّوج والزّوجة، ولا تخرج خارج هذه الدّائرة، فالزّوج ليس له الحقّ في أن يفرض على الزّوجة أموراً خارج دائرة القيمومة، ومعنى القيمومة هو إدارة البيت، نعم من حقّ الزوج أن لا يأذن للزّوجة بالخروج من البيت، ولكن يفترض فيمن تكون عنده القيمومة أن يكون إنساناً عاقلاً حكيماً، لا أنّه يعاند المرأة ويقول لها بأن لا تذهب اليوم إلى بيت أهلها، فالقيمومة توجد مع العقل والحكمة، والقيمومة تكون لمن يكون عاقلاً حكيماً، ولا تكون خارج دائرة العقل والحكمة، فالإنسان القيمّ هو العاقل الحكيم، والإنسان إذا اقتربت وفاته فإنّه يوصي بوجود قيمّ على أولاده بعد وفاته، فيختار القيمّ على أساس أنّه ثقة وعاقل وحكيم، كذلك القيمومة في البيت تكون بيد الزّوج الثقة العاقل الحكيم، وأحياناً تكون الزّوجة أعقل من الزوج وأكثر حكمةً، أو تكون عاقلة والزّوج سفيهاً، فالمفروض أن

تكون القيمومة بيد الزوجة، وبعض النساء مستوياتهم العقلية أفضل من بعض الرجال، ويمكنهن إدارة البيت أفضل منهم .

إذن :

لا بدّ من أن نعرف دائرة كلّ شيء، دائرة الحقّ ودوائر الباطل، ونتمييز بين الحقّ والباطل، والقرآن الكريم حينما يقول "المؤمن" أو "المؤمنون" أو "الذين آمنوا"، ويقول "المنافقون" و"الكافرون" و"المشركون" - فلا بدّ من أن تكون عندنا الأدوات لتشخيص هذه الدوائر، وتمييزها عن بعضها البعض .

مثلاً مؤمن يزور مراقد أهل البيت عليهم السلام يقال عنه بأنّه مشرك، أوّلاً على القائل أن يحدّد تعريف مصطلح "الشرك"، وبعد ذلك يطبّق التعريف، ويقولون إنّ من يزور القبر هو مشرك؛ لأنّه يعبد صاحب القبر، نسأله : من يذهب للزيارة هل يعبد صاحب القبر؟! لا يوجد أحد يعبد النبيّ صلّى الله عليه وآله أو الأئمّة عليهم السلام أو الأولياء الصالحين، فهو يزور القبر تكريماً لصاحب القبر، ويتقرّب بهذه الزيارة إلى الله تعالى، وهذا الزائر يبدأ في صلاته بقول "الله أكبر"، ويشهد لله تعالى بالوحدانية وللنبيّ صلّى الله عليه وآله بالنبوّة .

ويقولون بأنّ الشيعي يقول في نهاية صلاته : خان الأمين .

نسأل الشيعي : هل يوجد شيعي يقول ذلك في آخر صلاته؟!

يقولون بأنّ الشيعة يعتقدون بأنّ جبريل عليه السلام أخطأ في تبليغ الرسالة، فبدل أن يأخذها لعليّ عليه السلام أعطاهما لمحمد صلّى الله

عليه وآله، فهل جبريل عليه السلام لا يميّز بين محمد الرجل البالغ من العمر أربعين سنة وعليّ الطفل البالغ عشر سنوات؟! والأمين كيف يكون خائناً؟! وإذا أخطأ فلماذا لم يصلح له الله تعالى خطأه؟! وإذا كان خائناً فلماذا لم يعاقبه الله تعالى واستمرّ في الوحي مع محمد صلى الله عليه وآله؟!!

وبعض الشبهات التي يطرحونها يمكن بواسطة العقل معرفة أنّها افتراء وتدليس وتحريف، وبعض المؤمنين الذين لا يوجد عندهم علم قد يتأثرون بهذه الشبهات، والبعض يأتي ويناقشك في موضوع السجود على التربة؛ لأنّه سمع أنّ من يسجد على التربة يعبدها، وليست عنده خلفيّة علميّة في المسائل الخلاقية، ويقولون بأنّه يجوز السجود على السجادة، فنقول بأنّه يأتي نفس الإشكال عليه، وهو أنّ من يسجد على السجادة يعبدها، فإذا كان عند المؤمن المعلومات في المسائل العقائديّة والمسائل الخلاقية فإنّه لا يمكن أن يضلّ عن الحقّ .

لذلك من الصّوريّ للمؤمن أن يتعلّم، وأن يعرف ماذا يريد منه القرآن الكريم والنبيّ صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، ولا سيّما في عصر الغيبة الكبرى، وأن يعرف التكاليف المطلوبة منه في هذا العصر، وعلى المؤمنين السّعي لمعرفة تكاليفهم في عصر الغيبة الكبرى؛ لكي يمكنهم تمييز الحقّ من الباطل، وأن يكونوا من المنتصرين للدّين، لا أن يختلط عندهم الحقّ بالباطل بحيث لا يمكنهم التّمييز بينهما، فتارةً يتبعون الحقّ وتارةً أخرى يسيرون خلف الباطل .

الخلاصة :

نحن في عصر الغيبة الكبرى، والمطلوب من المؤمنين تكاليف عامّة كأَيِّ مؤمن في أيّ زمان ومكان، فيصليّ ويصوم ويحجّ، وتكاليف خاصّة، وهي التكاليف المختصّة بوجوده في عصر الغيبة، وهذه التكاليف يجب أن يعرفها المؤمن، ويبحث عمّن يبيّن له هذه التكاليف؛ لكي يمكنه أن يشخص الحقّ والباطل في زماننا الذي اختلط فيه الحقّ والباطل، وتدرّجياً يمكنه أن يصل إلى مرتبة أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام، وأن يكون من الممهّدين لظهوره، وأن يكون من المنتظرين حقّ الانتظار، والمؤمن بدون معرفة تكاليفه في عصر الغيبة من الممكن أن يضلّ عن الحقّ، ولا يكون من المنتصرين للحقّ، بل على العكس قد يكون من المحاربين للإمام عليه السّلام حينما يظهر ويحسب أنّه يحسن صنعاً، فمعرفة التكاليف من الأمور المهمّة للإنسان المؤمن .

اللّهم كن لوليك الحجة ابن الحسن في هذا الزّمان وفي كلّ زمان وليّاً وحافظاً وقائداً وناصرًا ودليلاً وعيناً، وأن يحفظه إلى ظهوره، وأن يوفّقنا لأن نكون من أنصاره وأعوانه والمجاهدين تحت لوائه والمستشّهدين بين يديه، اللّهم إن أدركنا الموت قبل ظهوره فأخرجنا من قبورنا ونحن ندرك أنّه إمام زماننا، وأن نكون من المنتصرين للحقّ وإمامنا عليه السّلام .
والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٤٢)

تابع استفادة المؤمن من الظلم^(١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

هناك فوائد يستفيدها المؤمن من وقوع الظلم عليه، وطرحنا سابقاً بعض الاستفادات، ونأتي إلى استفادات أخرى .

الاستفادة الخامسة :

التدريب والتربية على الإقدام على التضحية في سبيل الله تعالى، ويوجد مؤمنون في حالات وقوع الظلم عليهم يتحركون ويُقدِّمُونَ على الجهاد، وهذا التحرك يأتي تارةً عن طريق التمهيص الإجباري، فيتحرك المؤمن مُجْبَرًا، فيكون جالسًا في بيته ويقع الظلم عليه، وتارةً أخرى يأتي عن طريق التمهيص الاختياري، فالفرد باختياره يتحرك، ونتيجة لتحركه يقع الظلم عليه، والفرق بين الحالتين كبير جدًا، مرّةً

(١) أُلْفِيَتْ هذه المحاضرة في الديوانية الأسبوعية في دولة الكويت منطقة

بيان، الجمعة ٣ ذو الحجة ١٤٣٣ هـ ، ١٩/١٠/٢٠١٢ م .

هو مجبر على أن يفعل شيئاً لا باختياره، بخلاف المؤمن الذي يختار التحرك فيتعرض للظلم، والاختيار يساهم في تكامله، طبعاً التحرك الذي يكون ضمن التكليف، وقلنا بأنّ الوضع يتطلب أحياناً من بعض المؤمنين أن يتحركوا، وفي كلّ زمان هناك أفراد يتصدّون باختيارهم، وهذا موجود في جميع المجتمعات، نعم بالإجماع قد يتكامل، ولكن ليس بالتكامل الذي يحصل عليه المؤمن عن طريق الاختيار، وترى في المجتمعات بعض الفسقة يتصدّون في القضايا السياسيّة والاجتماعيّة، وكذلك بعض المؤمنين يتصدّون، طبعاً مع المحافظة على إيمانهم لا أن يتنازلوا عن دينهم .

والمؤمن الذي يختار التصدّي عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو عن طريق الجهاد الثقافيّ أو عن طريق الجهاد العسكريّ مع وجود الإذن من المرجعيّة - المفروض أن يكون مؤهلاً لسلوك هذه الطّرق، ومن يريد أن يتصدّى لأمر المجتمع لا بدّ من أن تتوفر فيه مواصفات معيّنة، لا أنّ كلّ مؤمن يتصدّى، وإتّما بعض المؤمنين يتصدّون؛ لأنّه توجد عنده مقدمات التصدّي، ومن المقدمات معرفة الأحكام الشرعيّة، ومنها أنّه ملتزم بدينه، فإذا شخص لا يستيقظ لصلاة الصّبح متعمّداً أو يسمع الأذان ويؤخّر الصّلاة بدون عذر ويريد أن يتصدّى لأمر المجتمع فهو ليس مؤهلاً للتصدّي، فالمهمل لصلاته غير مؤهلّ للتصدّي، وإذا تصدّى فإنّه سيفسد أكثر ممّا يصلح، ومن يتصدّى لا بدّ من أن يكون مؤمناً صالحاً قبل أن يُقدّم

على التّصدّي، فالهدف من التّحرّك هو إصلاح المجتمع، ومن يريد أن يصلح المجتمع لا بدّ من أن يكون صالحًا، وإذا لم يكن صالحًا فكيف يصلح أمور المجتمع؛ لأنّ فاقد الشيء لا يعطي هذا الشيء؟! في رتبة سابقة لا بدّ من أن يكون إنسانًا صالحًا؛ لكي يكون مؤهلاً للتّصدّي، ويحتاج إلى الصّلاح وإلى العلم؛ حتى يمكنه تمييز الحقّ من الباطل، وتشخيص الصّواب من الخطأ، وأمّا الشخص الذي لا يملك علمًا ويريد أن يتصدّى فإنّه لا يمكنه الإصلاح .

مثلاً شابّ عمره ستّ عشرة سنة يريد أن يتصدّى فيرشح نفسه لمجلس الأُمَّة على فرض أنّ ذلك مسموح، فهذا الشابّ ماذا يملك من مؤهّلات حتى يدخل في مجلس الأُمَّة ؟

يدخل بحماس الشّباب، ولكنّه قد يضرّ النَّاس بدل من أن ينفعهم، وقد يوجد خلفه أشخاص يحرّكونه ويكون مُنقّذًا لأوامرهم .

نعم يمكنه التّصدّي بمقدار إذا كان عنده العلم الدّيني الثّقافي الفكريّ المناسب لهذا المقدار، فهذا الشابّ يمكنه أن يشارك في الدّورات الشّبابيّة، ويكتسب الخبرة تدريجيًّا؛ لأجل أن يكون مؤهلاً للتّصدّي في المستقبل، وقد يكون مشاركًا في إدارة العمل بما يكون مناسبًا لقدراته، أو يكون مشاركًا كطالب، ويتعلّم دينه؛ ليكون من الكادر العامل مستقبلاً .

ولكلّ عمل من الأعمال توجد شروط لمن يريد أن يتصدّى لهذا العمل .

مثلاً من يريد أن يذهب إلى الدّراسة في الحوزة العلميّة لا بدّ من توفّر مواصفات معيّنة فيه، وكلّما صعد في درجات العلم تزداد الشّروط والمسؤوليّات عليه، والمؤمن العاديّ عليه شروط معيّنة، ولكن من يريد أن يتصدّى توجد عليه شروط أكثر وأصعب .

والمؤمن الذي يختار التّصدّي حينما يتحرّك في المجتمع لا بدّ من أن يلتفت إلى أنّ الهدف ليس هو إصلاح الآخرين فقط، فهذه فكرة خاطئة .

تسأل شخصاً يريد أن يذهب إلى الحوزة : لماذا تذهب إلى الدّراسة الحوزويّة ؟

فيجيب : أريد أن أصلح الآخرين .

نقول : إنّ الهدف الرّئيس لكلّ إنسان مؤمن يتحرّك هو أن يزداد هداية فوق الهداية الموجودة عنده، والميدان الأوّل هو أنفسكم .

يقول القرآن الكريم :

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" (١) .

تريد أن تكون طالب حوزة أو أستاذاً في الحوزة أو مدرّساً للقرآن أو مشاركاً في أيّ عمل من الأعمال كالدّورات الشّبائيّة لا بدّ من أن تنتبه إلى أنّ الهدف ليس هو تربية الآخرين فقط، بل النّظرة الأولى تكون لنفسك، أنت تريد أن تكون مهتدياً وتكامل، وهذا أمر مهمّ

(١) المائدة : ١٠٥ .

لجميع المشاركين في أيّ عمل، أنت تتكامل يوماً بعد يوم، وترتقي في درجات الكمال، لا أنه من أول ما يبدأ في العمل ويستمرّ فيه سنوات وهو ما زال على وضعه الإيمانيّ، لا بدّ من أن يسير في طريق التّكامل، والمشاركة في الأعمال الإسلاميّة الهدف الأوّل منها هو أنّ نفس المشارك هو الذي يتكامل، والتّيجة الطّبيعيّة لتكامله هي المساهمة في تكامل الآخرين؛ لأنّه عرف كيفيّة التّكامل وسار في طريقه، فينقل خبرته إلى الآخرين .

مثلاً شخص يريد أن يدلّنا على مكان وهو لا يعرف المكان، ولم يسلك في الطّريق المؤدّي إلى هذا المكان، فقطعاً لا يمكنه أن يوصف لنا المكان ولا الطّريق إليه، بخلاف الشّخص الذي يعرف المكان وسار في الطّريق إليه فهو حتماً يمكنه أن يدلّك على الطّريق بكلّ دقّة .

فالمهدف الأوّل للمشاركة في أيّ عمل إسلاميّ هو أن يسير في طريق التّكامل، فإذا تكامل فإنّه يساهم في تكامل الآخرين، ويزداد هدايةً فوق هدايته .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاَهُمْ هُدًى" (١) .

"وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ" (٢) .

(١) الكهف : ١٣ .

(٢) محمّد : ١٧ .

والهداية على درجات تسير مع درجات الإيمان، والإنسان يصبح أفضل يومًا بعد يوم، وفي اليوم الثاني يكون أفضل من اليوم الأول، ويتصاعد ويتكامل يومًا بعد يوم، ولا يوجد عند المؤمن تساوي في أيّامه .

عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام : " من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان آخر يوميه شرهما فهو ملعون، ومن لم يعرف الزيادة في نفسه كان إلى النقصان أقرب، ومن كان إلى النقصان أقرب فالموت خير له من الحياة" (١) .

المفروض على الإنسان أن يعمل طوال سنوات ولا يبقى إيمانه على نفس الوضع والدرجة، وإذا لم يتكامل ولم يزدد إيماناً وهدى فمعنى ذلك أنه لم يستفد من الأعمال التي شارك فيها، قد يساهم في هداية الآخرين، ولكنه لم يستفد الهداية، فالهدف الأول للمؤمن أن يتكامل حينما يشارك في أي عمل من الأعمال .

والتدريب والتنمية والتربية والإقدام على التضحية في سبيل الله تعالى ينتج من المشاركة في العمل الإسلامي، ويساهم المؤمن بنشر الدين، والمؤمن الذي يهتم بنشر الدين بين الناس يضحّي بوقته وماله وجهده وراحته؛ لأجل هداية الآخرين وتكاملهم، وهو يتكامل أيضاً؛ لأنه يتحرّك باختياره، ويعلم أنه حينما يتحرّك في هذا الطريق توجد متطلّبات منه كوقته وماله وجهده وراحته، ويقع في التّمحيص

(١) بحار الأنوار ج ٦٨ ص ١٧٣ ح ٥ . استوى : تساوى .

الاختياريّ، والتّمحيص الاختياريّ أفضل من التّمحيص الإجماليّ في الحصول على التّكامل، ويستفيد المؤمن بشرط أن يلتفت إلى الاستفادة مع توقّر المقدّمات المطلوبة، مقدّمات الصّلاح والهداية حتّى يمكنه أن يتكامل من خلال العمل، وحينما يكون ملتفتاً يزداد تدريجيّاً هدى فوق الهدى إلى أن يصل إلى مرتبة أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام، ولكن مع معرفته بالطّريق والتزامه بالأحكام الشرعيّة؛ حتّى يمكنه تمييز الحقّ من الباطل، وهذا مهمّ للمؤمن بأن يعرف الحقّ ويعرف الباطل ويمكنه التّمييز بينهما؛ لأنّ كثيراً من النّاس يختلط عندهم الحقّ بالباطل، وأصحاب الدّعوات الباطلة يغلفون باطلهم بشعارات الحقّ وشعارات إسلاميّة وشعارات برّاقة وشعارات إنسانيّة، وفي الغرب يدعون إلى الحرّيّة والعدالة والمساواة، ولكنّها شعارات لا يطبقونها، ولو طبّقوا هذه الشّعارات لما وجدنا في الغرب فقيراً متسوّلاً يفترش الشّوارع ويستجدي النّاس، ولو كانت توجد عدالة لما كان الرّأسماليّون المسيطرون في العالم على الموارد بنسبة ١% من عدد سكّان العالم، و٩٩% من سكّان العالم من الطبقة الكادحة، وقد خرج النّاس في الغرب في مظاهرات احتجاجاً على الوضع السيّئ الموجود عندهم، فالرّأسماليّون أصحاب المصانع هم المستفيدون من تعب العمال وجهودهم في حين أنّ العمّال يأخذون أجوراً قليلةً .

وأما النّظرية الاقتصاديّة في الإسلام فإنّ إنتاج المصنع يكون من حقّ العمّال، وصاحب المصنع يأخذ أجره الآلات فقط، وهذه النّظرية

الإسلامية هي التي تؤدي إلى العدالة في توزيع الإنتاج، وهذه النظرية غير مطبقة، والنظرية الرأسمالية هي التي تحكم العالم اليوم حتى في بلدان المسلمين، فصاحب المصنع هو المستفيد الأول، يأخذ نسبة ٩٥% من الأرباح، و ٥% يوزعها على العمال، ففي الإسلام توجد قاعدة اقتصادية، وهي "من يعمل إنتاجه له لا لغيره"، فالعمال ما ينتج من المصنع يكون لهم، وصاحب المصنع له حق الأجرة فقط، والأجرة بحسب المتعارف في السوق، وهذه القاعدة لا أحد يطبقها الآن، وبعد ظهور الإمام عليه السلام تنتشر العدالة في العالم، وهذه القاعدة جزء من العدالة، فالإنتاج للعامل وأجرة الآلة لصاحبها، وهذا تسمونه لأول مرة، وهو موجود ضمن النظرية الاقتصادية في الإسلام، ولعلّ الله تعالى يوفّقنا لطرح موضوع "مبادئ الاقتصاد في الإسلام"، وقرأوا كتاب "اقتصادنا" للسيد الشهيد محمد باقر الصدر رضوان الله عليه، وكتاب "مبادئ الاقتصاد" للشيخ الشهيد مرتضى المطهري رضوان الله عليه، وسترون أنّ الإسلام حينما يدعو إلى العدالة فإنّه يدعو إلى العدالة الفعلية لا شعارات فقط، فكلّ إنسان يحصل على نتيجة جهده وإنتاج عمله، لا أنّ شخصاً آخر يستولي على حقوق العمال .

الاستفادة السادسة :

توجد قاعدة يُطلقُ عليها "تكامّل الأجيال"، فالمفروض أنّ الجيل الثاني يكون أكمل من الجيل الأول، والجيل الثالث يكون أكمل من

الجيل الثاني، فكلّ جيل من الأجيال اللاحقة يكون أكمل من الجيل الذي يسبقه، ومعنى ذلك المفروض أنّ أولادنا يكونون أكمل منّا، ولكنّ الواقع ليس هكذا، نعم أحياناً بعض الأولاد يكونون أكمل من آبائهم، والمفروض أنّ الأجيال التالية تحصل على التّكامل أكثر من الأجيال السّابقة، وحالة تكامل الأجيال يؤدّي إلى ظهور الإمام عليه السّلام، والمفروض أنّ الجيل اللاحق لا يبدأ من نقطة الصّفر، وإنّما تنتقل خبرات الأجيال السّابقة إلى الجيل اللاحق، فكلّ جيل يستفيد من خبرات الأجيال السّابقة، ويضيف عليه خبرات أخرى جديدة، وينقلها إلى الجيل التّالي، والآن في العلوم الحديثة عالم الفيزياء لا يبدأ من الصّفر، وإنّما يستفيد من العلماء السّابقين ويضيف على إنتاجهم، وكذلك في القضايا الدّينيّة وصل الفكر الإسلاميّ إلى مرحلة معيّنة، والجيل التّالي لا يبدأ من الصّفر، والمفروض أن يكمل العلماء ما بدأه العلماء السّابقون، فيأخذون ما يوجد عند العلماء السّابقين وينون على العلم السّابق بناءً جديداً، وكذلك الأمة اللاحقة تستفيد من خبرات الأمم السّابقة، وتبدأ ببناء صرح جديد، وجميع أفراد الجيل الثاني لا بدّ من أن يكونوا أكمل من جميع أفراد الجيل الأوّل، ولكنّ الواقع ليس هكذا، ففي الواقع نجد أنّ بعض أفراد الجيل اللاحق يكونون أكمل من بعض أفراد الجيل السّابق، والأفراد الذين أصبحوا أكمل عادةً ما يكونون قلةً في كلّ جيل، والمفروض أن تحصل حالة التّكامل لجميع أفراد الجيل، فكلّ جيل يكون أفضل من الجيل السّابق

عليه، ولكن هذا مفقود في الواقع، والمفروض أنّ الأمة الإسلامية تتكامل سنةً بعد أخرى، ولكننا نرى أنّ أوضاع المسلمين ثابتة تقريباً أو إلى الأسوأ، مع أنّ المسلمين يؤدّون كثيراً من الأعمال العبادية كالصلاة والصيام والحج وغيرها، فيذهب إلى الحج مليونان أو ثلاثة أو أربعة ملايين كلّ سنة، ويذهب الملايين إلى زيارة النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، والكثير يقومون بالأعمال الخيرية، ولكن وضع الأمة الإسلامية من سيئ إلى أسوأ، وإن كان يوجد تكامل ففي بعض الأفراد القليلين .

والتكامل أمر ضروري للأجيال، والقاعدة هي "تكامل الأجيال"، وكما في العلوم الحديثة نرى أنّها تتطوّر وتتكامل، والمفروض أنّه في الفكر الإسلامي يحصل التكامل أيضاً، والإمام عليه السلام لا يظهر؛ لأنّه أحياناً الجيل التالي يكون أسوأ من الجيل السابق، ولا يستفيدون من خبرات السابقين .

والآن يوجد علماء كثيرون في الحوزات العلمية، وهم لا يبدؤون من الصفر، بل يأخذون ما أنتجه العلماء السابقون ويضيفون عليه، عن طريق الإشكالات والأجوبة تتطوّر العلوم الدينية، والعلوم الحوزوية تطوّرت، كعلم أصول الفقه وعلم الفقه وعلم الكلام والفلسفة غيرها من العلوم .

ونظرنا الآن إلى المؤمنين، فالعلم الديني يتطور ويتكامل، ولكن تجد بعض المؤمنين لا يعرفون المسائل الدينية البديهية .

وصلتني رسالة سألني صاحبها عن مسألة شرعية .

كتبت له : ارجع إلى الرسالة العملية .

سأل : ما هي الرسالة العملية ؟

كتبت : هل أنت شيعي ؟

أجاب : نعم .

كتبت : كيف تكون شيعياً ولا تعرف معنى الرسالة العملية ؟ من

تقلد في المسائل الشرعية ؟

كتب : ما معنى التقليد ؟

وعادةً ما أرسل مقاطع من اليوتيوب لمن يسألني، أو أحوله على

موقع من المواقع يكون فيه الجواب، وللأسف انقطعت الاتصالات مع

هذا الأخ العزيز بعد ذلك .

نحن في أيّ زمان الآن بحيث إنّه يوجد شخص لا يعرف ما هي

الرسالة العملية، ولا يعرف معنى التقليد، ونحن في عصر الفضائيات

والمواقع ويوجد شيعي لا يعرف معنى الرسالة العملية والتقليد، وهذا

الشخص العزيز لم يبدأ من الصفر، بل يريد أن يبدأ من تحت الصفر،

ويمكن لكل شخص الرجوع إلى الإنترنت والحصول على جواب لأيّ

سؤال يخطر في ذهنه .

والمفروض أن يستمرّ في السؤال ويكون حريصاً على تعلّم دينه،

ومن يسأل لا بدّ من أن يكون عنده الاهتمام للحصول على الجواب؛

لكي يصل إلى معرفة تكاليفه .

إذن :

من خلال قانون "تكامل الأجيال" تنتقل التربية من جيل إلى جيل آخر، ويمكن أن نصل إلى الجيل الذي يكون مؤهلاً لأن يصبح من أنصار الإمام عليه السلام، والمفروض أن يكون الأمر هكذا، ولكن الواقع خلاف ذلك، نعم بعض الأفراد يتكاملون، وهم الذين يشكّلون أنصار الإمام عليه السلام .

ونجد أنّ أوضاع المسلمين بشكل عامّ إمّا ثابتة وإمّا من سيّئ إلى أسوأ، ومن احتل قطعةً من أراضي المسلمين ما زال محتلاً لها، وعدد سكّانهم ثمانية ملايين تقريباً، وعدد المسلمين في العالم ملياران تقريباً، والإمام الخمينيّ رضوان الله عليه قال بأنّه لو أنّ كلّ مسلم يلقي كأساً من الماء على المحتلّين لغرقت دولتهم التي أسسوها، ولا نحتاج إلى جهد عسكريّ ولا آلات عسكريّة .

وقصده رضوان الله عليه أنّه لا نحتاج إلى جهود كبيرة للقضاء عليهم، فماذا يمكن أن يفعل ثمانية ملايين شخص في مقابل مليارين شخص ؟!

ويمكن مقاطعة بضائع أعداء الدّين، وللأسف أنّ المسلمين يشترونها، والمسلمون يقومون بتقوية أعدائهم، وبمجرّد ما ينزل آخر موديل من الهاتف النّقال كم من المؤمنین يسارعون إلى شرائه ؟!

وتجد في صفحات الإنترنت من يشتري الهاتف النّقال يضع صورةً له ويكتب بأنّه قد اشتراه متفاخرًا بذلك، والكثير من المسلمين خرجوا

في مظاهرات احتجاجًا على الفيلم المسيء للنبي صلى الله عليه وآله،
مظاهرات واحتجاجات وبيانات وشجب واستنكار ويكتفون بذلك،
ولكن أين الخطوات العملية من المسلمين!؟

وأقلّ شيء هو مقاطعة بضائعهم وشراء البضائع البديلة، والتكليف
على جميع المسلمين هو مقاطعة بضائعهم ومحاربتهم اقتصاديًا،
وحينذاك سيحترمون المسلمين، ويحسبون لهم حسابًا، والمسلمون لم
يفعلوا شيئًا حتى يجعلوا لأنفسهم قيمةً، ليكن لنا تأثير على اقتصادهم،
وذاك الوقت رغماً عنهم يفعلون أشياء ترضي المسلمين، ولكن لأننا
لسنا متمسكين بديننا فهم لا يهابوننا، ولما كانوا يجروون على تصوير
فيلم يسيء للنبي صلى الله عليه وآله، وهم يعلمون أنّ المسلمين لن
يصدر منهم أيّ أثر عمليّ، والبعض يدعو إلى مقاطعة بضائعهم لمدة
يومين أو ثلاثة، لماذا يومان أو ثلاثة فقط؟ لماذا لا تكون المقاطعة
مستمرة دائمة؟

لا بدّ من أن ندرك أنّ تكليف المسلمين هو مقاطعة بضائع أعداء
الإسلام والمسلمين، ولا نحتاج إلى الجهاد العسكريّ ولا إلى الإرهاب،
فالجهاد الاقتصاديّ له تأثير كبير جدًّا على العدو، والإرهاب يؤدّي
إلى قتل الأبرياء، يفجّر بُزجًا تجاريًّا فيه آلاف الأبرياء الذين لا يحاربون
المسلمين، وما دام أنّهم لا يقاتلون فلا يجوز قتلهم، وطريق الإرهاب
يشوّه الدّين، لذلك يأتي ذاك القسّ ويجرق القرآن، وهذا التصرف ردّة
فعل شخصيّة من هذا الشّخص، فالتّصرف تصرف شخصيّ، وليس

تصرّفًا عامًّا عند الجميع، وبعض المسيحيّين من نفس الدّولة اعترضوا على القسّ بسبب تصرّفه، ورأيت في اليوتيوب امرأة مسيحيّة تترجم بعض آيات القرآن، ذكّرت أنّ القرآن يدعو إلى الإحسان إلى الجار .

وعليّنا أن ننظر إلى القرآن لا إلى حال المسلمين، فحال المسلمين اليوم لا يعبر عن القرآن، فانظر إلى تعاليم القرآن، وفي بعض الدّول الغربيّة كان بعض المسلمين يوزعون الورود على النّاس ومعها ورقة بحديث من أحاديث النّبّي صلّى الله عليه وآله، وهذا شيء جيّد حتّى يطلّعوا على أقوال النّبّي صلّى الله عليه وآله، ولو استطعنا أن نترجم القرآن إلى جميع اللّغات لا فقط اللّغات الرّئيسة لكان أمرًا جيّدًا، ولو وُجدَ ألف شخص لهم لغة خاصّة فيترجم القرآن إلى هذه اللغة، وهذا تكليف على المتمكّنين من اللّغات وأصحاب الأموال بإنشاء مؤسّسة لترجمة القرآن والتكفّل بالمصاريف والطّباعة والتّوزيع، وكذلك ترجمة مختارات من أحاديث النّبّي صلّى الله عليه وآله وسيّدة نساء العالمين فاطمة الزّهراء عليها السّلام والأئمّة عليهم السّلام، فالله تعالى رزقهم الأموال، ومع امتلاك الأموال توجد مسؤوليّة، والإنسان الفقير قد توجد عنده فكرة ترجمة القرآن، ولكن لا يمكنه تطبيق فكرته بدون الإمداد الماديّ، والبعض يُشكّل على العلماء بأنهم لا ينشئون المؤسّسات، ولكنّ العالم لا يملك الأموال الكثيرة، والمؤسّسة تحتاج إلى مصاريف، وفي التّرجمة لا بدّ من الاستعانة بمخصّص في نفس اللّغة، كبروفيسور في الجامعة متخصّص في اللّغة الإنجليزيّة أو الفرنسيّة أو

الألمانية أو غيرها، ولا يُسْتَعَانُ بطالب يدرس اللغات في الجامعة، وهو لحدّ الآن لم يسيطر على اللغة، ويحتاج المتخصّص إلى مقابل ماليّ لما يبذله من جهد في الترجمة، وأحد الإخوة يعرف الفرنسيّة قال بأنّه وجد كتابًا مترجمًا إلى الفرنسيّة، وقد استعانوا بأحد طلبة الجامعة، وبدل أن يترجم إلى "الله موجود" ترجم إلى "غير موجود"، وطبعوا الكتاب وتمّ توزيعه، ثمّ اكتشفوا الخطأ، وحسب قول هذا الأخ إنّ حرفًا واحدًا في الفرنسيّة يغيّر المعنى من "موجود" إلى "غير موجود"، لذلك لا بدّ من شخص متخصّص باللّغة، ولا بدّ من أن يكون شخصًا عنده تسلّط كامل على اللّغتين حتّى يترجم القرآن ترجمةً دقيقةً، والترجمة لا تكون للألفاظ بل للمعاني، فالمجازات والكنائيات لا تُترجم بحسب الألفاظ بل بحسب المعاني حتّى يفهم الطرف الآخر هذه المعاني، ويتعرّف على المستوى العالي للقرآن، وتكون الترجمة بإشراف العلماء، ولو طرحنا معارف القرآن وتعاليم أهل البيت عليهم السّلام لتأثّر النّاس بها .

عن الهرويّ قال : سمعت أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السّلام يقول : "رحم الله عبدًا أحيًا أمرنا" . فقلت له : وكيف يحيي أمركم ؟ قال : "يتعلّم علومنا ويعلمها النّاس، فإنّ النّاس لو علموا محاسن كلامنا لا يتبعونا" . . . (١) .

والآن يظنّون بأنّ الإسلام دين الإرهاب؛ لأنّ الذين يظهرون في

(١) بحار الأنوار ج ٢ ص ٣٠ ح ١٣ .

وسائل الإعلام هم الإرهابيون، فحينما يذبحون شخصًا ينشرونه في وسائل الإعلام، ويدعون أنّ هذا هو الإسلام، مع أنّ الإسلام دين المحبّة، والإسلام يدعو إلى السّلام، وهذه قاعدة إسلاميّة، فالإسلام مشتقّ من السّلام، والأصل هو السّلام، والحرب أمر استثنائيّ في الدّين تأتي في وقت الضّرورة والاضطرار فقط، ويتعامل المسلم مع جميع النّاس بسلام حتّى لو لم يكن من دينه، شخص مسلم وجاره يهوديّ أو مسيحيّ أو بوذيّ لا بدّ من أن يشعر أنّ المسلم في تعامله معه يختلف عن تعامل غير المسلم معه، فتوجد قاعدة إسلاميّة بإكرام الجار الأربعين لا الجار الملاصق فقط .

عن معاوية بن عمّار عن أبي عبد الله عليه السّلام قال : جُعِلْتُ فداك، ما حدّ الجار ؟ قال : "أربعين دارًا من كلّ جانب" (١) .

قال الإمام الصّادق عليه السّلام لإسحاق بن عمار : " . . . وإن جالسك يهوديّ فأحسن مجالسته" (٢) .

والإسلام دين الحوار الموضوعيّ الهادئ عن طريق الأدلّة والبراهين، وتوجد في القرآن مناقشات مع المشركين والكافرين وأهل الكتاب، بل أكثر من ذلك يوجد حوار الله سبحانه مع الملائكة .

يقول القرآن الكريم :

"ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي

(١) بحار الأنوار ج ٧١ ص ١٥١ ح ٩ .

(٢) المصدر السابق ج ٧١ ص ١٥٢ ح ١١ .

هِيَ أَحْسَنُ . . . " (١) .

"قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ . . ." (٢) .

"وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ" (٣) .

والتّفاش يكون بواسطة البراهين، فنناقش الآخرين ونحاورهم بالأدلة، لا بالقتل والقتال والإرهاب، وطريق التّفاش هو المطلوب، لا طريق التّكفير، ويقول إنّ فلاناً كافر، فماذا بعد ذلك؟

بمجرّد ما يقول له : أنت كافر - يستفزّه فلا يستمع إليه، ولا بدّ من أن يستعمل الطّريقة القرآنيّة في الحوار والدّعوة إلى الدّين، ففي أيّ نقاش مع أيّ شخص اطلب الدّليل، وتعطيه دليلك، ويحدث التّفاش والحوار بينكما في إثبات رأيك وتفنيده، وهذا هو البحث العلميّ المطلوب، وهذه هي الطّريقة القرآنيّة، وأساليب بعض القنوات الفضائيّة في التّكفير والطّعن والكذب والافتراء والتّدليس كلّها أساليب لا تتوافق مع القرآن الكريم، فالقرآن علّم كلّ إنسان في العالم أسلوب الحوار والتّفاش .

يقول القرآن الكريم :

"لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا" (٤) .

(١) التّحل : ١٢٥ .

(٢) الأنبياء : ٢٤ .

(٣) سبأ : ٢٤ .

(٤) الأنبياء : ٢٢ .

"قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" (١) .
". . . وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ
بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ . . ." (٢) .

والقرآن الكريم يناقش حتى في وجود الله تعالى، هل الله موجود أو
غير موجود؟ هل يوجد شك في وجود الله تعالى؟
فإذا كان يوجد شك في وجود الله تعالى فانظر إلى السماوات
والأرض، وستصل إلى وجود الخالق لها، وهذا نقاش في أعلى نقطة
عن وجود الخالق وعدم وجوده .

وترى المناقشين في المسائل الخلافية يبدأون بإشكالات تافهة .

يقولون : لماذا تسجدون على التربة؟

نقول : أنتم تسجدون على السجادة .

وإذا قلتُم بأننا نعبد التربة فنقول بأنكم تعبدون السجادة بنفس
المقياس، فبعض الإشكالات التي يطرحونها لا تحتاج إلى نقاش؛ لأن
بعض القضايا بديهية حتى في النقاشات .

يقولون : لماذا تتوسلون بالنبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت

عليهم السلام؟ لماذا لا تدعون الله مباشرة؟

نقول : أنت إذا مرضت لماذا تذهب إلى الطبيب كوسيلة للشفاء

ولا تدعو الله مباشرة ليشفيك من المرض؟

(١) إبراهيم : ١٠ .

(٢) المؤمنون : ٩١ .

الطبيب عندك وسيلة لعلاج مرضك، ونحن نذهب إلى النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام كوسيلة لقضاء الحاجات التي نطلبها من الله تعالى، فأنت ذهبت إلى وسيلة لطلب العلاج والشفاء من الله عز وجل، ونحن ذهبنا إلى وسيلة أخرى لطلب الحاجات من الله تعالى بإذن الله تعالى .

والمسيح عيسى عليه السلام كان يشفي الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى، ودليلنا هو القرآن الكريم، والمسيح عليه السلام حينما كان موجوداً كان المريض يذهب إليه لطلب العلاج، وكان عليه السلام يشفيه بإذن الله تعالى، وكان يحيي الموتى بإذن الله عز وجل .

"وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ" (١) .

"إِذْنِ اللَّهِ" أمر مهم جداً، وتكررت عبارة "إِذْنِ اللَّهِ" في الآيات الكريمة، فلا يقع شيء في الكون إلا بإذن الله تعالى، ونحن نذهب إلى النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام فيقضون الحاجات بإذن الله تعالى، فالنبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام لا يفعلون شيئاً إلا بإذن الله تعالى، ولا يمكن لأحد أن يفعل شيئاً خارج إرادة الله عز وجل، وهذا هو الاعتقاد الحق .

(١) آل عمران : ٤٩ .

وإذا كانت توجد أقليّيات في أيّ مجتمع من المجتمعات فلا بدّ من أن تكون حرّيّة الاعتقاد مكفولةً للجميع لا فقط تكون مكتوبةً على الورق، وتترك الأقليّيات لممارسة شعائرهم الخاصّة، ولا يجبرون على اعتناق الإسلام، ولا يقال لهم : إمّا تدخل الإسلام وإمّا تقتل .
وإذا أردت أن يعتنق الإسلام فناقشه حتّى يقتنع، وإذا لم يقتنع تتركه ولا تتعرّض له بشيء، ولا تعتدي على دمه أو ماله أو عرضه .
لنفرض أنّه يعبد بقرةً أو يقدّسها، ناقشه واسأله : لماذا تعبد البقرة أو تقدّسها ؟

واستمع لجوابه، وردّ عليه، واسأله : هل هو يعتقد بأنّ البقرة خالقة السّموات والأرض ؟

لا بدّ من أن تعرف آراءه حتّى تناقشه وتحاوره، ويمكن أن تناقشه إذا تبين لك أنّه فعلاً يعبد البقرة - بأنّ البقرة تموت والخالق لا يموت، والنقاش يكون عن طريق الأدلّة العقلية الفلسفيّة، ومن هنا تأتي أهمّيّة دراسة الفلسفة، ومن يريد أن يدخل في أيّ نقاش لا بدّ من أن يكون مؤهّلاً للنقاش والحوار .

وأحد المؤمنين دخل في نقاش مع أحدهم، وكلّما استعصى عليه أمر بعث لي برسالة : ماذا أردّ عليه إذا قال كذا ؟

أول مرّة سألني وكتبت له الجواب، وسأل مرّة ثانية وكتبت له الجواب .

كتبت له : هل أنت دخلت في نقاش ؟

قال : نعم .

كتبت له : لماذا تدخل في نقاش وأنت غير مؤهل ؟
وللإجابة على بعض الأسئلة كنت أبحث ساعة حتى أجد له
الجواب المناسب .

وقلت له : ابتعد عن النقاشات قبل أن تتعلم، وإذا تعلّمت ورأيت
نفسك مؤهلاً فادخل في النقاش، والشخص الذي يناقشك يريد
الجواب في نفس الوقت، لا أن تقول له انتظر حتى أرسل رسالة
وننتظر الجواب .

وبعض الأجوبة تحتاج إلى بحث، فأوجّل الجواب، وأحد الإخوة
أرسل بعض الأسئلة وتتطلب الأجوبة بحثاً لعدة أيام، والرّسائل
القصيرة ليست مخصّصة للبحوث الطويلة، نعم ممكن أن ترسل سؤالاً
عن حكم في مسألة شرعية هل يجوز أو لا يجوز ؟

وبعض الأشخاص يرسلون أسئلة تحتاج إلى بحوث، ولا أعرف
المستوى العلميّ للسائل .

وقلت لأحدهم : إذا أردت مثل هذه البحوث فاحضر عندنا في
الديوانية .

وأحد الأشخاص سألني عن مسألة عقائدية .

فكتبت له : الجواب يتطلب ثلاثين محاضرة .

كتب : اعطني خلاصة الجواب .

كتبت له : الخلاصة هي بحث، ولا يمكن كتابتها في رسالة قصيرة،

ويحتاج إلى بحث مترتب على مقدمات، والمقدمات تحتاج إلى بحوث، ولا يمكن أن أكتب لك الجواب بدون المقدمات .

والبعض يكتب رسالة عبارة عن جريدة، رسالة طولها متر، وفي الرسالة القصيرة ترسل سطرين أو ثلاثة، ولا يوجد وقت لقراءة الرسائل الطويلة، فاقصر على الرسائل القصيرة .

والبعض يسأل عن مسألة شرعية، ولكنه يروي قصة حياته الاجتماعية، فيقول : أنا متزوج، وأنا فعلت كذا، ثم صار كذا، وحصل كذا، وزوجتي قالت كذا، وأنا قلت كذا و

وسؤاله في آخر المطاف أمر بسيط، وهو : هل يجوز أن أفعل كذا أو لا يجوز ؟

وفي السؤال لا يحتاج أن تروي قصة حياتك، اسأل مباشرة عن الحكم الشرعي، ولا يحتاج أن تروي ما حصل مع زوجتك .

وبعض النساء يسألن أسئلة خاصة، والمفروض أن تستحي المرأة، والحياء مطلوب من المرأة حتى لو كانت ترسل رسالة .

والبعض يقلن : علي العادة الشهرية، ونزل علي الدم ثلاثة أيام ثم انقطع الدم ثم

أنا أشعر بإحراج حينما أقرأ هذا السؤال، ولا بد من أن تسأل بطريقة أخرى، مثلاً : إذا كانت المرأة عليها العادة

وأحدهم أرسل رسالة فيها كلمة واحدة وعلامة استفهام، ولم أعرف ماذا يريد، هو قطعاً في ذهنه سؤال معين، ولكنه لا يعرف

كيفية التعبير عنه .

فكتبت له : ماذا تقصد من السؤال ؟

وأحد الأشخاص سأل سؤالاً فأجبت .

فكتب : وإذا كان مضطراً ؟

وأردت أن أعرف ما هو تعريفه للمضطّر، فكتبت له : ماذا تقصد

بالاضطرار ؟

وهو سأل نفس سؤالني : ما معنى الاضطرار ؟

فكتبت له : الاضطرار مثل أكل الميتة في الصحراء .

وننتبه إلى هذه الملاحظات حينما ترسلون رسالةً إلى أحد العلماء،

وكيفية كتابة السؤال بطريقة فنيّة أمر مهمّ، ولا بدّ من تعلّم كيفية

صياغة السؤال الفقهيّ، وهذا يحتاج إلى طلب العلم وممارسة الكتابة

والاستماع إلى العلماء ودراسة المسائل الشرعيّة .

الخلاصة :

الظلم الذي يقع على المؤمن لا بدّ من أن يستفيد منه، لا أن يكرّر

فقط : أنا مظلوم أنا مظلوم .

ومن المهمّ أن يلتفت إلى الفوائد التي يمكن أن يستفيدها من الظلم

الواقع عليه، وطرحنا عدّة استفادات .

والظلم يحتاج إلى مواجهة، ولكن مواجهة حكيمة، ولا تكون

أفعالنا عبارة عن ردود فعل، فلان فعل كذا، إذن أنا مظلوم، وتصعد

عنده القوّة الغضبيّة، فيقوم بأفعال لا يؤيّد بها الدّين .

ومن يريد أن يتصدى ويواجه الظلم لا بدّ من أن يكون عنده اطلاع على الأحكام الشرعيّة، وأن يتّخذ الموقف المناسب، لا أنّه مباشرةً يدعو إلى حمل السلاح، قد يكون التّحرّك السّلمي هو الموقف الحكيم، وأحياناً السّكوت هو الطّريق المناسب في مواجهة الظّلم، والسّكوت لا يعني الضّعف، فالسّكوت أحياناً وسيلة من وسائل ردّ الظّلم؛ لكي لا يزداد الظّلم على المؤمنين، ولو درسنا القرآن الكريم بشكل جيّد وحياة النّبيّ صلّى الله عليه وآله والأنبياء عليهم السّلام وأهل البيت عليهم السّلام لوجدنا ذكر الوسائل المختلفة في مواجهة الظّلم .

مثلاً نوح عليه السّلام حينما كان بيني السّفينة كانوا يستهزئون به فماذا فعل ؟

لم يلتفت إلى أقوالهم، ولم يردّ عليهم، واستمرّ في بناء السّفينة، ولم يدخل في مواجهات مباشرة مع قومه، ولو استفزّهم لدّمروا السّفينة، فسكت عنهم وبني السّفينة، وحينما تلاطمت الأمواج ظهرت النّتيجة، وبدا أنّ تصرفه عليه السّلام كان تصرفاً حكيماً .

وفي أيّ تحرّك نحتاج إلى أناس عقلاء حكماء يتّخذون المواقف المناسبة في الطّروف المختلفة، ولا يكفي الحماس للعمل، والشّباب المتحمّس للعمل بدون علم يفسدون أكثر مما يصلحون، ولا بد من أن يرجعوا إلى أهل الخبرة في العمل السّياسيّ أو الاجتماعيّ .

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : "من عمل على غير علم كان

ما يفسده أكثر مما يصلح" (١) .

ولا نأخذ بالفرعة، يقع حدث فيصيح البعض : لنفزع له جميعًا .
ويهبّ الكثيرون للفرعة بلا تفكير بالعواقب، وقد تكون الفرعة في
أمر باطل، ومن يريد أن يفزع ويتصدّى لا بدّ من أن يكون إنساناً
حكيمًا يعرف أنّ الفرعة تكون في أمر حقّ، ويعرف كيف تكون
الفرعة المناسبة في الظرف المناسب، لا أن يحمل العصا ويهبّ حتّى لو
كان المفزوع له ظالماً .

ولا توجد في الإسلام دعوة الجاهليّة : انصر أخاك ظالماً أو
مظلوماً .

والدعوة الإسلاميّة هي : انصر المظلوم بأن تنصره على الظالم،
وانصر الظالم بأن تأخذ على يده وتحجزه عن ظلمه .

وفي الظلم الواقع على الإنسان لا بدّ من أن يتصرّف تصرّفًا حكيمًا،
ومن يريد أن يتصدّى لا بدّ من أن يعرف الأحكام الشرعية، وأن
يعرف كيفية تطبيق الحكم المناسب للمواجهة، والمواجهة تكون
بالسكوت أو بالطريق السلميّ أو بالفكر والثقافة، والآن مع الغرب لا
نحتاج إلى المواجهة العسكرية، وإمّا نحتاج إلى المواجهة الفكرية الثقافية،
فلا بدّ من أن نأتي إلى أسس الفكر الرأسماليّ ونردّ على هذه الأسس،
وتقوم بتبيان الخطأ في هذه الأسس، كما فعل السيّد الشهيد محمد
باقر الصّدر رضوان الله عليه في كتاب "فلسفتنا" و"اقتصادنا" حيث

(١) بحار الأنوار ج ١ ص ٢٠٨ ح ٧ .

واجه الفكر الماركسيّ، ونحتاج أيضاً إلى الرّدّ على الفكر الرّسماليّ، لا يكفي فقط أن نقول عنهم إنّهم ملحدون وكفّار لا يؤمنون بالله تعالى، وماذا بعد ذلك ؟

لا بدّ من أن تبين لهم لماذا هم ملحدون وكفّار لا يؤمنون بالله تعالى، وناقش أسسهم الفكرية حتّى يمكنك أن تردّ عليهم بالأدلة العقلية؛ لأنّ النقاش بواسطة العقل والبرهان والدليل هو طريقة القرآن الكريم .

ونحن الآن نعيش في عصر المعلومات والفضائيات، نعم المعلومات متوفرة، وأيّ معلومة تحتاجها تجدها، وبواسطة الهاتف النّقال يمكنك الدّخول إلى أيّ موقع من مواقع الإنترنت، وكتب اسم المرجع وكلمتين من المسألة الشرعية فتنتقل إلى الموقع الرسميّ للمرجع، وتخرج لك المسائل المتعلقة بالكلمتين اللّتين كتبتهما، وعملية البحث الآن عملية سهلة، وعلى الشّباب أن يستفيدوا من هذه الوسائل المتاحة بأيديهم، لا فقط للعب وتضييع الوقت، والأولاد بهذه الأجهزة منذ صغرهم يتعلّمون على اللّعب فقط، وعلى الآباء والأمّهات تعليم أولادهم كيفية الاستفادة من الأجهزة في زيادة المعلومات المفيدة وزيادة وعيهم بما يجري حولهم، ويستفيد من الأجهزة في الأمور النّافعة عندما يكبر لا أن يضيع وقته في اللّعب فقط .

والإسلام اليوم في مواجهة عالمية، فلا بدّ من أن تكون ممارساتنا ممارسات عالمية، ويمكننا الاستفادة من الأجهزة والوسائل في نشر

الدِّين، والمفروض أن تتضافر جهود جميع المؤمنين في نشر الإسلام والتّصديّ بشرط أن يكونوا مؤهّلين للتّصديّ، لا أن يتصدّى شخص لا يوجد عنده اطلاع على الأحكام الدّينيّة .

وفي الواتساب بعض الأشخاص غير المختصّين يرسلون مسائل شرعيّة، ولكن لا يكتبون الكتب والمصادر التي نقلوا منها المسائل، أو يكتب روايةً بدون المصدر، فلا بدّ من أن يعرف الشخص المرسل أنّها رواية صحيحة أو غير صحيحة قبل أن يرسلها، لا أن ينشر أيّ رواية بدون معرفة آراء العلماء فيها، ولا تساهموا في نشر ما يصلكم من رسائل إذا لم تعلموا بأنّ ما وصلكم صحيح أو خاطئ، والبعض يكتب في آخر الرسالة : إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فانشر هذه الرّسالة، أو يكتب انشر تؤجر، أو إذا كنت تحبّ النّبىّ صلّى الله عليه وآله فانشرها، أو إذا لم تنشر هذه الرسالة فعليك لعنة الله والأنبياء والملائكة، أو إذا لم تنشر الرسالة فإنّه يصيبك مرض .

وإذا أرسلت رسالةً فمن أرسلت إليه حرّ في أن ينشره أو لا ينشره بحسب ما يرى من مصلحة في نشر رسالتك، ولا يحتاج إلى تلك العبارات، ونفس الرّسالة تصل إليك من عدّة أشخاص، وننتبه إلى أنّه ليس كلّ ما يُكتَبُ تساهم في نشره، بل لا بدّ من أن تتحقّق من أنّه صحيح، أو يرسلون لك دعاءً، نعم إذا أحد العلماء أرسل إليك الدّعاء يمكنك أن تعتمد عليه، والآن يرسلون كلّ شيء، ولا يذكرن أيّ مصدر، وسابقاً كانوا يوزّعون أوراقاً مطبوعة فيها بعض الرّوايات،

ولا يذكرون الكتاب الذي نقلوا منه الروايات، هي روايات بدون مصادر، وأدعية بلا مصادر، وما يصلك من هذه الأمور لا تساهم في نشره إذا لم يذكروا المصادر، وإذا ذكر المصدر عليك أن تتأكد أنّ الرواية أو الدّعاء موجود في المصدر المذكور .

والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين .

أسئلة وتعليقات الحاضرين :

الحاجّ بو مصطفى سلامة :

بخصوص الحوار وتقارب الأديان وتقارب المذاهب توجد مؤسّسات عالميّة كثيرة تدعو إلى الحوار، ولكن لا نرى نتائج لهذا الحوار والتّقارب، هل هو ضعف في البراهين أو الطّرح أو النّشر ؟ فما هو السّبب في ذلك ؟

جواب الشيخ محمّد أشكناني :

المؤسّسات التي تصدّي لمثل هذه القضايا المفروض أن ينشروا إنتاجهم؛ لكي يستفيد منها النّاس، ويعرفوا أنّ الحوار والتّقارب إلى أين وصل، فيطرح الرّأي والرّأي المقابل، وترى أنّه هل استطاع أحد الطّرفين أن يقنع الطّرف الآخر بهذه الأدلّة والبراهين أو لا، وإذا لم يستطيعوا إقناعه فقد يكون الدليل ضعيفاً أو أنّ الطّرف الآخر يكون مجادلاً .

ونشر النّقاشات مهمّ جدّاً؛ لأنّه قد يحصل لك نقاش مشابه لها،

والحوارات بين الحضارات وبين الأديان وبين المذاهب المفروض أن تُوثَّق؛ حتى يستفيد منها الجميع، ويمكن أن تتم مراسلة هذه المؤسسات لمعرفة إلى أين وصلوا في هذه الحوارات .

وفي الحوار مع الأديان الأخرى لا بدّ من أن يكون المحاورون متخصصين، فمن يريد أن يناقش المسيحيين لا بدّ من أن يكون متخصصًا في ديانتهم، ودارسًا للإنجيل ومصادرهم الأخرى دراسة جيّدة، ومن يريد أن يناقش اليهود لا بدّ من أن يكون متخصصًا في ديانتهم وفي التّوراة وباقي المصادر التي يعتمدون عليها .

وأحيانًا البعض يدخل في نقاشات مع الطّرف الآخر وهو غير مطّلع على آرائهم ومصادرهم بشكل جيّد، والبعض من الطّرف الآخر مطّلعون اطلاعًا جيّدًا على القرآن والرّوايات، لذلك يأتي بما رُوِيَ في مصادر المسلمين عن النّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، مثلًا النّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أراد أن ينتحر عدّة مرات أو أنّه أعطي قوّة أربعين رجلًا، وغير ذلك من الرّوايات التي تسيء للنّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

والخطوة الأولى هي أن تتمّ عمليّة التّنقيح في مصادر المسلمين، وأيّ رواية تطعن بالنّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رواية موضوعة، وبمجرّد ما يقال بأنّها رواية صحيحة فإنّها تكون حجّةً بأيدي أعداء الدّين، واعتمادًا على هذه الرّوايات الصّحيحة ينتجون الفيلم المسيء للنّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وهم يقولون بأنّهم اعتمدوا على الرّوايات الصّحيحة المذكورة في مصادر المسلمين، فإذا صوّروا فيلمًا وأظهروا فيه

النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ يَفْكَرُ بِالانتِحَارِ فَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَعْتَرِضَ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ حِينَئِذٍ يَأْخُذُ مِنْ مَصَادِرِ الْمُسْلِمِينَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَتَمِّ سَنَةِ أَوْ شِيعَةٍ، فَهَمُّ يَرِيدُونَ إِسْقَاطَ الْإِسْلَامِ، وَإِذَا قُلْتَ بِأَنَّ مَصَادِرَ السَّنَةِ تَذَكَّرُ هَذِهِ الرَّوَايَةَ لَا مَصَادِرَ الشَّيْعَةِ - فَيَقُولُونَ لِلْمُسْلِمِينَ : اذْهَبُوا وَاتَّفَقُوا أَوَّلًا، وَبَعْدَ ذَلِكَ ادْعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ، فَأَنْتُمْ مُتَفَرِّقُونَ إِلَى فِرْقٍ كَثِيرَةٍ مَعَ أَنَّكُمْ تَدْعُونَ إِلَى دِينٍ وَاحِدٍ، وَإِذَا اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَتَّحِدُوا وَتَتَّفَقُوا فَبَعْدَ ذَلِكَ يُمْكِنُكُمْ أَنْ تَدْعُوا النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ .

وَالْمُسْلِمُونَ لِحَدِّ الْآنَ لَمْ يَتَّفَقُوا، وَكُلُّ مَذْهَبٍ يَدْعُو إِلَى مَذْهَبِهِ، وَدَوْرُ الْمُسْلِمِ إِذَا تَبَيَّنَ مَذْهَبًا لَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ عَنْ طَرِيقِ الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ، وَإِذَا أَرَادَ الرَّدَّ عَلَى الْمَذْهَبِ الْآخِرِ فَالْمَفْرُوضُ أَنْ يَكُونَ بِطَرِيقَةٍ عِلْمِيَّةٍ، فَيَأْتِي بِالرَّوَايَاتِ الصَّحِيحَةِ الَّتِي يَعْتَمِدُونَ عَلَيْهَا وَيَسْتَدَلُّ بِهَا عَلَيْهِمْ، لَا أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الرَّوَايَاتِ الْمُرْسَلَةِ الَّتِي لَا يَقُولُ عِلْمَاءُهُمْ بِصَحَّتِهَا، وَيَسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى الْمَذْهَبِ الْآخِرِ .

وَلَا يَوْجَدُ عِنْدَ الشَّيْعَةِ كِتَابٌ كُلُّهُ صَحِيحٌ، مِثْلًا فِي بَحَارِ الْأَنْوَارِ كَانَ الْعَلَامَةُ الْمَجْلِسِيُّ يَجْمَعُ الرَّوَايَاتِ سِوَاءَ كَانَتْ صَحِيحَةً أَمْ ضَعِيفَةً، فَكَانَتْ مَهْمَتُهُ فَقَطْ جَمْعُ التَّرَاثِ دُونَ التَّحْقِيقِ فِيهَا وَكِتَابَةُ الصَّحِيحَةِ مِنْهَا فَقَطْ، وَدَوْرُ الْعِلْمَاءِ أَنْ يَحْقُقُوا فِي الرَّوَايَاتِ، وَيَبَيِّنُوا الرَّوَايَاتِ الصَّحِيحَةَ وَالضَّعِيفَةَ، وَلَمْ يَدَّعِ صَاحِبُ الْكِتَابِ أَنَّ جَمِيعَ مَا فِيهِ رَوَايَاتٌ صَحِيحَةٌ، وَلَا يَوْجَدُ عِنْدَ الشَّيْعَةِ كِتَابٌ كُلُّ مَا فِيهِ صَحِيحٌ؛ لِأَنَّ بَابَ الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ مَفْتُوحٌ عِنْدَ الشَّيْعَةِ، فَقَدْ تَوْجَدُ رَوَايَةٌ

صحيحة عند العلماء السابقين، ويأتي العالم المعاصر ويثبت ضعفها، أو العكس رواية ضعيفة عند العلماء السابقين ويثبت صحتها الآن، ولا يوجد متبني عند الشيعة أنّ عالماً قبل ألف سنة قال بصحة رواية فتكون صحيحةً إلى يوم القيامة، فهي صحيحة عنده، وقد تكون ضعيفة عند عالم آخر .

وباب الاجتهاد والبحث العلمي مفتوح عند الشيعة في جميع التخصصات الدينية، مثلاً في علم الرجال رجل يعتمد عليه عالم سابق ويأتي عالم معاصر ويثبت ضعف هذا الرجل أو العكس، لذلك عندنا كتب رجال العالم الفلاني، مثل رجال السيد بحر العلوم رضوان الله عليه، ومعجم رجال السيد الخوئي رضوان الله عليه، ويذكرون الرجال الذين يعتمد عليهم ومن لا يعتمد عليهم، وكلّ مجتهد عنده من الرجال العدول والثقات الذين يعتمد عليهم، والضعاف الذين لا يأخذ منهم الرواية، وعلى أساس آرائه في الرجال يستنبط كلّ مجتهد الحكم الشرعي، لذلك تختلف الفتاوى عند الفقهاء، فالفقيه الأول يعتمد على رواية صحيحة فيستنبط الحكم بناءً عليها، والفقيه الثاني تكون نفس الرواية ضعيفةً عنده فلا يستنبط الحكم منها .

إشكال :

البعض يُشكّل على أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام بأنّ مذهبكم ضعيف؛ لأنّه لا يوجد عندكم كتاب صحيح في الروايات، كصحيح البخاريّ أو صحيح مسلم .

جواب الإشكال :

بالعكس، هذا دليل قوّة مذهبنا؛ لأنّ البحث العلميّ مفتوح أمام العلماء، ولم يُعلّق باب الاجتهاد، ولا توجد فتاوى قبل ألف سنة بحيث لا تتغيّر الآن، فكلّ مجتهد يبحث في الروايات ويعطي رأيه .
مثلاً كان المشهور أنّ رمس الرّأس في الماء يبطل الصّيام، والسّيّد السيستانيّ حفظه الله تعالى خالف المشهور وقال بالكراهة، ولو كان العلماء يسيرون على اجتهادات الفقهاء السّابقين لكانت هذه الفتوى ثابتةً إلى يوم القيامة، ولكن باجتهاده تبين أنّ رمس الرّأس في الماء مكروه ولا يبطل الصّيام .

ولولا أن باب الاجتهاد والبحث العلميّ مفتوح في مدرسة أهل البيت عليهم السّلام لما جاء الفقهاء بآراء جديدة، ولا يوجد تقديس لآراء العلماء السّابقين واللاحقين، فالفقيه يبحث بنفسه ويعطي رأيه في جميع المسائل الدّينيّة، وقد يخالف رأيه آراء جميع العلماء السّابقين، ولا توجد مشكلة في مخالفة آراء العلماء إذا كان الدّليل معه .

وأما في المذاهب الأخرى فهو ضمن مذهب معيّن، ويجب عليه الالتزام برأي صاحب المذهب ولو كان موجوداً قبل أكثر من ألف سنة، ولا يتعدّى رأيه عن رأي صاحب المذهب .

ولا يمكنه ردّ الرواية الموجودة في صحيح البخاريّ أو صحيح مسلم أو الروايات الصّحيحة الموجودة في المصادر الأخرى كالمستدرك على الصّحيحين، ويذكر فيه صاحب المستدرك أنّ هذه الرواية صحيحة

على شرط الشَّيْخِين ولم يَحْرَجَاه، والدَّهَبِيّ فِي الْمُسْتَدْرَكِ قَدْ يَصَحَّح
الرَّوَايَةَ أَيْضًا .

إِذْن :

بَابِ الْاجْتِهَادِ وَالْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ مَفْتُوحٍ فِي مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ
عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَهَذَا سَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ قُوَّةِ مَذْهَبِنَا فِي مَقَابِلِ الْمَذَاهِبِ
الْأُخْرَى .

وَنَحْنُ نَعْتَقِدُ بِصِحَّةِ مَذْهَبِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَلَكِنَّا لَا
نَكْفُرُ أَتْبَاعَ الْمَذَاهِبِ الْآخَرَى وَلَا نَطْعُنُ بِهِمْ، وَنَحْتَرِمُ مَذْهَبَهُمْ، وَلَا نَكْفُرُ
أَيَّ مُسْلِمٍ نَطَقَ بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَبِالْمَقَابِلِ لَا تَكْفُرُ أَحَدًا مِنْ أَتْبَاعِ مَدْرَسَةِ
أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَأَنَا حَرٌّ فِي اعْتِقَادَاتِي كَمَا أَنَّكَ حَرٌّ فِيمَا
تَعْتَقِدُ .

أَنَا أَقُولُ : هَذِهِ عَقَائِدُنَا وَهَذَا فَهْمُنَا، وَعِنْدَنَا أَدَلَّتْنَا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ
عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

وَأَنْتَ تَقُولُ : هَذِهِ عَقَائِدُنَا وَهَذَا فَهْمُنَا، وَعِنْدَنَا أَدَلَّتْنَا مِنْ عُلَمَائِنَا
وَكَتَبْنَا .

وَمِنْ مُمَيِّزَاتِ مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنَّ بَابَ الْاجْتِهَادِ
مَفْتُوحٌ، وَلِلْجَمِيعِ الْحَقُّ فِي طَرَحِ أَيِّ سَوْأَلٍ يَخْطُرُ فِي بَالِهِ، وَعُلَمَاؤُنَا
مُسْتَعِدُّونَ لِلْجَوَابِ عَلَى أَيِّ سَوْأَلٍ، فَمَبْدُونَا وَقَاعِدَتُنَا هِيَ "لِكُلِّ
سَوْأَلٍ جَوَابٌ"، وَلَا نَقُولُ بِجَرْمَةِ طَرَحِ الْأَسْئَلَةِ، وَلَا نَقُولُ بِجَرْمَةِ قِرَاءَةِ
كُتُبِ الْمَذَاهِبِ الْآخَرَى، فَاقْرَأْ إِذَا كَانَ عِنْدَكَ الْعِلْمُ الْكَافِي فِي مَطَالَعَةِ

الكتب حتى لو كنت تقرأ كتب الملحدين وكنت مؤهلاً لذلك، فتقرأ
وتسأل، ولك الحرّية في طرح أيّ سؤال، وعلمائنا فتحوا الباب لأيّ
سؤال وفكرة تخطر على بالك، ومن يبحث عن العلم والمعرفة لا بدّ
من أن يسأل؛ لأجل أن يصل إلى معرفة الحقائق .

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : " . . . ، وحسن السّؤال نصف
العلم، . . . " (١) .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد
وآله الطيّبين الطّاهرين .

(١) بحار الأنوار ج ١ ص ٢٢٤ ح ١٤ .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

الجزء الثاني

محتويات الكتاب

- (٢٦) التَّمحيص الإلهي والعمل الاجتماعي ٥
- (٢٧) علاقات المؤمن والمقاييس الإلهية ٤٠
- (٢٨) أنصار المهدي عليه السلام بين العزلة والجهاد ٨٠
- (٢٩) الجهاد في سبيل الله ١٠٨
- (٣٠) الجهاد التقافي ١٣٤
- (٣١) حاجة الجهاد إلى الأفراد الممحصين ١٦٤
- (٣٢) الأنصار الممحصون ٢٠٢
- (٣٣) أفضلية أنصار المهدي - حاجة الجهاد إلى القائد . . . ٢٢٨
- (٣٤) عدم اشتراط القائد والأفراد الممحصين في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢٦١
- (٣٥) العمل والحركة أو السلبية والعزلة ٢٨٨
- (٣٦) التقية ووجوب السلبية والعزلة وجوازهما ٣٠٦
- (٣٧) استفادة المؤمن من الظلم ٣٢٧
- (٣٨) مواجهة الانحراف العالمي ٣٤٢
- (٣٩) العلم قبل العمل ٣٧٠

- (٤٠) تابع استفادة المؤمن من الظلم ٣٩٩
- (٤١) أنواع الظلم - تمييز الحق من الباطل ٤٢٦
- (٤٢) تابع استفادة المؤمن من الظلم ٤٤١